

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القسم سعد الله



كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

المملكة الصليبية في بيت المقدس
(493-581هـ / 1100-1187م)

رسالة لنيل درجة دكتوراه العلوم

التخصص: التاريخ الوسيط

إعداد الطالبة: ليلى أزرار

إشراف الأستاذ: عبد العزيز بوكنة

أعضاء لجنة المناقشة

- | | |
|--------|------------------------------|
| رئيساً | 1- أ. / رشيد تومي |
| مقرواً | 2- أ. / عبد العزيز بوكنة |
| عضواً | 3- أ. / بشار قويدر |
| عضواً | 4- د / محمد الشريف سيدي موسى |
| عضواً | 5- دة / فاطمة بوعمامة |
| عضواً | 6- دة / زكية كربال |

السنة الجامعية: 1439هـ - 1440هـ / 2018م - 2019م.

شكر و تقدير

أولاً أشكر الله تعالى و أحمده على ما انعم علي من قوة و إرادة

لإتمام هذا العمل المتواضع.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل و التقدير و الاحترام و العرفان الجميل إلى السيد

المشرف الدكتور: عبد العزيز بوكنه

على المجهودات التي بذلها طيلة إشرافه على البحث، و على كل النصائح

و المعلومات و الكتب

التي ساعدني بها لإثراء هذه الأطروحة ، فكان لي نعم المعين، و الذي لم يبخل

علي بنصائحه و توجيهاته

البناءة ، كما انه شدد أزرني و شجعني على خوض غمار هذه الدراسة

وذلك في أستاذية رفيعة ، و نفس كبيرة و صدر رحب.

الإهداء

إلى اللذين قال فيهما عز و جل: " وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدَ إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا" الآية 23 من سورة الإسراء، إلى من تجسد أجمل كلمة نطق بها لساني أمي الحبيبة "تونسية" حفظها الله.

إلى الذي حمل على عاتقه عبئ نشأتي و كان لي مشعلا على درب الحياة ، و شجعني و حثني على بذل الجهد و حب العلم، و لم يبخل علي بالعطاء و السخاء ، و كان لي نعم الأب و الصديق ، أبي القدير و الكريم "حسن".
إلى شاركني سنفونية الحياة زوجي "عبد المجيد حداد" و إلى كنز حياتي :بناتي :آية ، آلاء و أيلانا حفظهم الله.

إلى إخوتي : "رمضان" ، "عادل" و "فرحات" و زوجاتهم ، و أختي الوحيدة والمميزة "هدى" و زوجها ، و كل أقاربي الأعزاء.
و إلى أصدقائي الأوفياء جزاهم الله عنا كل خير.
إلى كل هؤلاء اهدي عملي هذا.

المختصرات و الرموز

المختصرات الأجنبية :

-Recueil des historiens des croisades , Historiens occidentaux , 5 Vol. , Paris , Imprimerie National , 1844-1895.

نرمز لهذه السلسلة بالأحرف اللاتينية التالية :

Rec. Hist. Crois. Hist. Occ. :المؤرخين الغربيين:

- Lewis (B.) Pellat(CH.) et Schat(J.), Encyclopédie de L'Islam ;Paris , 1965, T.2.

نرمز لهذه الموسوعة بالأحرف اللاتينية التالية :

Lewis (B.) Pellat(CH.) Schacht (J.) , E. I.

مقدمة

لا تزال الحركة الصليبية في مقدماتها وتاريخها ونتائجها مصدر جذب للباحثين والمؤرخين ، ويعتبر موضوعها من أهم المواضيع في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى .
ومن أنجح الحملات الصليبية نجد الحملة الصليبية الأولى والتي توجت بالاستيلاء على بيت المقدس (Jérusalem) و تأسيس أول مملكة صليبية فيه. و كان "بيت المقدس هو نواة الخطاب الديني الذي ألقاه البابا أوربان الثاني (Urbain II) في المجمع الشهير بكليرمونت فيران((Clermont-Ferrand) سنة 1095م ، وكان القاطرة التي حركت الحملة الصليبية الأولى ، ومن أهم نتائجها تأسيس مملكة صليبية في قلب المشرق الإسلامي.

إن تأسيس كيان صليبي يعد نتيجة حتمية لضعف البناء السياسي الإسلامي ، في وقت ترك فيه الشرق البيزنطي الأرثوذكسي والغرب اللاتيني الكاثوليكي الخلافات الدينية أو المذهبية التي كانت تعكر صفو العلاقة بينهما ، وتوجهت الأضواء نحو هذا الخطر الكبير الذي يهدد الإمبراطورية البيزنطية ، خاصة بعد انهزامهم أمام الأتراك السلاجقة بموقعة ملازكرت (Malazgirt) سنة 462هـ/1071م ، فعزموا على توحيد الجهود وتناسي الخلافات جانبا إلى غاية تحقيق الهدف الرئيسي ألا وهو تحرير قبر المسيح الذي اتخذوه حجة لتحقيق غايات وأهداف أخرى ، والدليل على ذلك النزاع الذي وقع بين الصليبيين حول حكم بيت المقدس بعد الاستيلاء عليه، وسقوط المملكة الصليبية في أقل من قرن من الزمن .
بالإضافة إلى الصحوة الإسلامية التي بدأها آل زنكي في تحرير المدن الإسلامية وواصلها آل أيوب إلى غاية تحرير بيت المقدس من طرف صلاح الدين الأيوبي سنة 581هـ/1187م.

إن اهتمامي بهذا الموضوع يعود إلى الدراسة الجامعية ، إذ شدّ اهتمامي بقوة وأثار في نفسي رغبة جامحة في الإحاطة بحقائقه ودقائقه ، وازداد تعلقني به عندما شرعت في الاطلاع على ما كتب حول هذا الموضوع ، وراعت ما وجدته من اختلاف واسع بين الكتابات التاريخية التي تناولته .و هنالك دافع آخر موضوعي وراء اصطفائي لهذا البحث وهو كونه يتعلق بإحدى أقسى المآسي في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، وهو أمر لا يزال يتكرر ، ربما لأننا نحن المسلمون لم نستوعب الدرس من التاريخ . بينما إذا صبرنا

غور تلك المأساة وفقهنا حقيقتها لأمكننا أن نرتقي بذلك الصدام الدامي بين حضارتي الشرق والغرب إلى حوار بناء يعود بالنفع على الجميع .

إن موضوع يتناول **المملكة المسيحية في بيت المقدس (492-581هـ/1099م-** **1187م)**: إن بيت المقدس يتبوأ منزلة رفيعة في كل الديانات السماوية من رموز و دلالات ، إنه يمثل في نظر اليهود أرض الميعاد وعاصمة دولة داوود عليه السلام ، ومقر هيكل سيدنا سليمان عليه السلام والذي يدعون بأن حائط المبكى من بقاياها . أما بالنسبة للمسيحيين فهي مدينة المسيح **عيسى بن مريم** عليه السلام ، والتي عاش فيها ، وكانت موطن دعوته ورسالته ، ومنبر حوار مع الطغاة المفسدين من أتباع موسى عليه السلام ، وهي المكان الذي تم فيه **تصليب عيسى** عليه السلام ، ويوجد قبره فيه (على ما يعتقد المسيحيون) . وبالنسبة للمسلمين فهو **موثّل الرسول (ص)** في معرجه ومصره إذ يقول الله تعار: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ".⁽¹⁾ ، وهو أولى القبلتين ، إليه كانت الركعة الأولى حين وقف رسول الله يؤدي صلاته الأولى في الإسلام ، وهي ثالث الحرمين الشريفين . غير أن هذه الميزات عوض أن تكون سبب ازدهار ورفاهية واستقرار المدينة المقدسة جعلت تاريخها مملوءاً بالصراعات الدموية التي لا تكاد تنتهي . ولعل من أخطر هذه الصراعات تلك الحملات الضارية التي شنتها المسيحية الغربية أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي ، و توجت بالاستيلاء علي بيت المقدس عام 492 هـ / 1099 م ، فنهبوا خيراتها فتكوا بأهلها وسكانها ، وعبثوا بمقدساتها . وتوصل الفرنجة إلى إقامة أول مملكة صليبية فيها إلى أن استولى عليها صلاح الدين الأيوبي وحررها سنة 581هـ/1187 م.

لقد شكل قيام المملكة الصليبية في بيت المقدس مفاجأة علي العالم الإسلامي والعالم المسيحي على حد سواء . وعمّرت حوالي قرن من الزمن مما شكل تهديداً بالغ الخطورة على المشرق الإسلامي لأنها غرست في قلبه، كما تركت أثراً بعيدة المدى على الشرق

(1)- الآية 011 من سورة الإسراء.

و الغرب و هذا يجعل تاريخ المملكة الصليبية موضوعا جديرا بالبحث و الدراسة و هو ما سعت إلى القيام به في هذه الدراسة . على الرغم من أن الحديث عن تاريخ بيت المقدس زمن اللاتين في بضع صفحات ، واختصار طول أحداث هذه الحقبة في فترة محددة ، هو تهميش و تقصير في حق هذا الموضوع ، نظرا لتعقيد صيرورة أحداثها ، وعمق أثارها ، هاته الحقبة التي أسالت الكثير من حبر المؤرخين من كل المدارس التاريخية سواء الإسلامية منها و الأوروبية ، والتي دونت في صفحاته باسم الحروب الصليبية في العصور الوسطى لأوربا ، وعلاقات الشرق بالغرب في تلك الفترة . وتتجلى هذه الأحداث في ذلك الاصطدام المسلح ، الذي تتجلى إشاراته الأولى بنهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي وبداية القرن السادس هجري / الثاني عشر ميلادي ، إلا أن جذور هذا الصراع ما هو إلا امتداد لتلك الحركة التي قام بها النصارى لمحاربة الإسلام وانتصارهم في اسبانيا ، التي عرفت بحروب الاسترداد ، إضافة إلى غزو صقليا من طرف النورمان .

كانت أدوار هاته الأحداث التي دامت قرابة قرن من الزمن محطات مد وجزر ، تمحورت في صدامات ونكسات ، كان لها اثر فعال في تغيير مجرى التاريخ ، خاصة بعد توجه أنظار الصليبيين نحو بيت المقدس ، و تعتبر نقطة هامة في التاريخ الإنساني و الإسلامي ، لأنها كشفت الستار عن النوايا الحقيقية للوجود الصليبي ، فكانت محور الأحداث ومركز الصراع الدائم بين الطرفين . ولا ريب أن هاته الحقبة حددت الشكل الحقيقي والهدف الرئيسي للكيان الدخيل .

وحتى أتوخى الموضوعية في هذا العمل العلمي وأتجنب الذاتية قدر المستطاع يجب أن نقر بأن اهتمام الصليبيين ببيت المقدس وجعله مملكة لاتينية صليبية في المشرق ، أمر له دلالاته ، كيف لا وهو المكان المقدس بالنسبة لوجودهم في بلاد الشام ، فلا عجب ان انعكست أوضاع بيت المقدس في قوتها وضعفها على باقي الإمارات الصليبية كإمارة الرها (Edesse) وإمارة أنطاكيا (Antioche) وإمارة طرابلس (Tripolli) ، إن هذا الموضوع له علاقة مباشرة باللاتين .

إن سرعة انتصار الصليبيين يعود إلى التفرق الذي عرفه المسلمين، وهو الأمر الذي تعجب فيه الصليبيون أنفسهم، وتمكنوا بالفعل من فرض سيطرتهم وتوسيع رقعتهم الجغرافيا بقيادة بلدوين الأول (Baudouin I de Boulongne) ثم بلدوين الثاني (Baudouin II). إلا أنه بعد وفاة بلدوين الثاني بدأ الضعف يسري داخل كيان المملكة الصليبية، على العكس من ذلك شهد العالم الإسلامي صحوه عسكرية، والتي أعطت أول نتائجها سنة 538هـ/1145م، باسترجاع إمارة الروها وصولاً إلى تحرير بيت المقدس من طرف صلاح الدين الأيوبي.

إن اختيار الفترة الزمنية 393 هـ / 1100 م إلى 581 هـ / 1187 م مرده إلى محطتين مفصليتين في تاريخ بيت المقدس، إذ تعد سنة 393 هـ / 1100 م تاريخ قيام أول مملكة صليبية في بيت المقدس، أما سنة 581 هـ / 1187 م تمثل سنة سقوط بيت المقدس من يد الصليبيين وتحريره من طرف صلاح الدين الأيوبي.

وتمحورت معالجتنا للموضوع - بحكم طبيعته - حول أربع إشكالية رئيسية هامة وهي: كيف تمكن فريق من فرسان الغرب اللاتيني من إنجاز ما عجز عنه أباطرة القسطنطينية وهو استعادة الساحل الشامي وتأسيس مملكة صليبية قوية في قلب المشرق الإسلامي بالرغم مما كان لهؤلاء الأباطرة من وسائل و ثروات ضخمة، ولماذا بدأ نفوذها في الانحصار بعد أقل من قرن من الزمن من ظهورها، لينتهي المر بزوالها أواخر القرن 6هـ/12م ليعاد استرجاعها من طرف صلاح الدين الأيوبي؟ وتفرعت عن هذه الإشكالية مجموعة تساؤلات تناقش جوانبها وهي: التساؤل الأول يتعلق بدوافع الحملة الصليبية الأولى: فهل كان الاسترداد بيت المقدس و تحرير الطريق إلى قبر المسيح و حمايته من مظالم السلاجقة الذين اضطهدوا الحجاج المسيحيين - كما تم الترويج له من طرف المسيحيين هو المحرك الرئيسي لها؟ أم أن هناك دوافع أخرى أكبر يجب البحث عنها في أفق أرحب كالتحولات الاجتماعية، الاقتصادية و الدينية التي كان يشهدها الغرب المسيحي في هذه الفترة من انفجار سكاني و بداية ازدهار التجارة و إصلاحات بابوية، وكذا في الإطار العام للعلاقات بين الشرق المسيحي و الغرب المسيحي و ما تميز به القرن الخامس هجري /

الحادي عشر ميلادي من تقهقر بيزنطي في الشرق وتقدم عملية الاسترداد المسيحي بخطى ثابتة في الحوض الغربي للمتوسط . كما يدور التساؤل الثاني حول نجاح فريق من فرسان والزعماء الإقطاعيين الغرب اللاتيني من الاستيلاء على الساحل الشامي ؟ و بما أن نجاح القوى المسيحية الغربية كان يعكس بمفهوم المخالفة اندحار المسلمين ، فهذا يفرض علينا التساؤل أيضا حول علة هذا التقهقر : أي لقوة العدو الخارجي أم لشدة الوهن الداخلي ؟ و كيف تم سقوط المدينة المقدسة المحصنة في أيدي الصليبيين ؟ وما هو الدور أو الثقل الذي لعبته بيت المقدس في كل هذا ؟ وما هو رد المسلمين اتجاه الزحف الصليبي ؟ وما حقيقة تسمية تصرف الصليبيين اتجاه أهل القدس بمذبحة القرن ؟ و حول كيفية قيام المملكة اللاتينية في بيت المقدس؟ أما التساؤل الثالث يدور حول مصير هذه المملكة في عهد ملوكها اللاتين ؟ فهل نجحون في السيطرة على المنطقة كما فعل من قبلهم الاسكندر المقدوني بتحرير الضريح المقدس قبل 1000 سنة تقريبا ؟ وكيف تمكنوا من القضاء على الخلافات الداخلية ؟ وما هي سياستهم الداخلية والخارجية ؟ إذ نه بعد أقل من قرن من ظهوره أخذ نفوذها في الانحصار لينتهي الأمر بزوالها في أواخر القرن 6هـ/12م. أما التساؤل الأخير يدور حول سر نجاح صلاح الدين الأيوبي في استرجاع بيت المقدس ؟ هل يعود ذلك إلى قوة المسلمين و استيقاظهم من سباتهم؟ أم أن لضعف و تدهور المسيحيين فيما بينهم دور في هذا؟

أما عن خطة البحث التي اتبعتها في هذه الرسالة فجاءت على الشكل التالي : قمت بتقسيم البحث إلى أربعة فصول ، ثم أحقته بخاتمة و ملاحق.

جاء في الفصل الأول : **المشرق الإسلامي و أوضاع الشرق والغرب المسيحي خلال القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي** ، ساعية إلى رسم صورة واضحة للسياق التاريخي الذي جرت فيه الحملة الصليبية الأولى بغية اكتشاف دوافعها المعقدة و رصد دلالاتها العميقة ، إذ انه من واجبنا قبل الدخول في تفاصيل سقوط بيت المقدس وتأسيس المملكة أن نحيط الباحثين علما بمجريات الأمور قبل قيامه . فتحدثت عن أوضاع الخلافات الإسلامية قبيل الحملة الصليبية الأولى بداية بالخلافة العباسية والأوضاع السائدة في داخلها ، وأوضاع الخلافة الفاطمية وكذا الصراعات الموجودة في البيت السلجوقي وانقسامهم وتشتتهم وكيف

ساهمت كل هذه الظروف في نجاح الحملة الصليبية الأولى. ثم تتبعت في العنصر الثاني أوضاع العالم المسيحي سواء الشرق المسيحي الأرثوذكسي أي أوضاع الإمبراطورية البيزنطية أو الغرب المسيحي الكاثوليكي (أروب المسيحية) وتحدثت عن حقيقة العلاقة الموجودة بينهم ، ثم أبرزت دور البابا أوربان الثاني في الدعاية و الحشد للحملة الصليبية الأولى.

أما الفصل الثاني المعنون: **الحملة الصليبية الأولى ونتائجها وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)**، إذ تحدثت عن الحملة الشعبية ومصيرها وموقف الإمبراطور البيزنطي منها ، ثم تتبعت سير الصليبيين خطوة خطوة من منطلقهم في غرب أوربا وصولا إلى القسطنطينية وتجمعهم أمام أسوار الإمبراطورية ، وعرضت موقف الإمبراطور البيزنطي أليكسوس كومنين (Alexius Comnène) من كل زعيم صليبي ، وما هي النتائج الأولية لهذه المسيرة . و إظهار كيفية تأسيس الإمارات الصليبية الأولى قبل سقوط بيت المقدس وتأسيس الإمارات الصليبية إمارة الروها وإمارة أنطاكيا وإمارة طرابلس ، وذكرت كيف أخلف اللاتين بالوعد الذي قدموه للإمبراطور البيزنطي وموقف هذا الأخير من حنثهم باليمين ، ثم استعرضت مسيرة الصليبيين نحو بيت المقدس وكيفية نجاحهم في إسقاط هذه المدينة المحصنة، وتصرفهم الشنيع الذي أقر به جل المؤرخين . وتحدثت الخلاف بين الصليبيين على من يحكم بيت المقدس ، والذي انتهى باعتلاء قودفروا دو بويون (Godfroy de Bouillion) عرش بيت المقدس وعن أهم أعماله ووفاته. ثم انتقلت إلى مراسيم تنصيب بلدوين الأول ملكا على بيت المقدس .

تناولت في الفصل الثالث: **المملكة الصليبية في بيت المقدس عهد ملوكها اللاتين (493-** **577هـ/1100-1187م) :** حيث تطرقت إلى المرحلة الأولى من الحكم الصليبي والذي عرف بقوة المملكة في جميع ميادينها عهد الملك بلدوين الأول (1100م-1118م) وما حققه من انجازات لحساب المسيحية الغربية و ما مثلته في المقابل من تهديد ظل يخض مضاجع العالم الإسلامي (مصر والشام)، واستمرار قوة المملكة عهد بلدوين الثاني وانجازاته. كما تناولت مرحلة الضعف أي أوضاع المملكة من عهد فولك الأنجوى (Foulque

إلى عهد بلدوين الثالث (1131م - 1162م) ثم تحدثت عن أوضاع المملكة عهد أموري الأول (Amaury I) إلى عهد ابنه الملك بلدوين الرابع (1162م-1184م) ، ثم تحدثت عن تدهور أوضاع المملكة الصليبية لبيت المقدس من وفاة بلدوين الرابع إلى معركة حطين.

أما الفصل الرابع عنوانه: الصراع الصليبي المسيحي و الإسلامي في المشرق (مصر وبلاد الشام) واسترجاع المسلمين بيت المقدس : تحدثت عن اختلال التوازن بين الصليبيين والمسلمين في المشرق بنهضة آل زنكي (بداية من استرجاع إمارة الروها) ، ثم عرضت مشروع نور الدين محمود وانجازاته لتحرير بيت المقدس ثم وفاته دون تحقيق هدفه ، وتحدثت عن ظهور آل أيوب وقيام الدولة الأيوبية ، ثم أبرزت دور صلاح الدين الأيوبي في توحيد مصر والشام وتحريره لساحل فلسطيني وصولاً إلى تحرير بيت المقدس في معركة حطين .

استعرضت في الخاتمة أهم النتائج التي خلصت إليها من خلال البحث . وفي الأخير أثرينا بحثنا هذا ب (10) ملاحق تتضمن وثيقة و خرائط ، إضافة إلى فهرس للأعلام وفهرس للأماكن ، لعلها تزيد جلاء و ربما نفتت فيه روح العصر ، كما فضلنا كتابة الأسماء الأجنبية باللغة الفرنسية .

لمعالجة هذه الإشكالية معالجة رصينة حاولت أن أتبع قدر المستطاع المنهج الخلدوني الذي يجمع بين الإخبار أي عرض الحقائق و وصفها و النظر و التحقيق و تحليل الكائنات و مبادئها الدقيقة أي تحليل الوقائع و تفسيرها . إذ حاولنا نقل تصور القارئ إلى الفترة التاريخية محل الدراسة وكأنه جزء منها ، لهذا يستلزم على الباحثين توخي الدقة ، وهذا دون الإغفال عن الوسائل التوضيحية التي تكمن في التحليل و التعليل و التفسير مما يساهم في الوصول إلى النتائج السليمة التي يتحدد صدقها وصحتها من خلال الأحداث التي تلي المرحلة التاريخية المدروسة . و وعلى أساس خطة البحث المعروضة و من أجل بناء موضوع متوازن مدعم بمادة علمية وافية اعتمدنا على مجموعة مما توفر و تيسر لنا من المصادر و المراجع الأساسية الأجنبية منها و العربية و المعربة ، و استعنا بالعديد من

الموسوعات و المعاجم و القواميس . كما استأنسنا بالكثير من الكتب العامة المتصلة بالموضوع .

لم يكن إنجاز هذا العمل بالأمر السهل إذ اعترضت سبيلنا عدة مصاعب، بعضها يتصل بظروف العمل من ضيق الوقت الذي حدد ب(06) سنوات لإتمام العمل ، و بعضها الآخر يتعلق بتنوع المادة التاريخية وكثرتها ، مما يصعب على الباحث حسن استغلال كل هذه المعلومات ، هذا زيادة على تضارب المعلومات الواردة في هذه المصادر و طغيان الذاتية على أكثرها . كما أن البحث في الحركة الصليبية لم يعد بالأمر الهين نظرا لاختلاف المناهج التاريخية خاصة عند المدارس الغربية المختلفة التي مازالت معالجتها للموضوع تختلف عن وجهة نظر العرب والمسلمون ، إذ أنها ما زالت تعالج الموضوع معالجة أفقية ، و هو ما يشكل عقبة أمام الباحث الذي ينشد الحقيقة ، ورغم اقتناعي باختيار هذا الموضوع وإقبالي على البحث في جوانبه المختلفة ، فقد كنت مدركة لحجم الصعوبات والعقبات التي صادفتها خلال مسار البحث ومراحله المختلفة فعلا .

عرض أهم مصادر ومراجع الرسالة :

لإنجاز هذا البحث إتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها :

(1)- المصادر :

(أ)- المصادر اللاتينية:

(1)- المصادر المعربة :

اعتمدت في المصادر اللاتينية المعربة على أهم مصادر الحملة الصليبية الأولى ،والذين يعتبرون شهود عيان للحملة الصليبية الأولى وكذا سقوط بيت المقدس في يد الصليبيين أهمها :

(1)- "أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس" (*Gesta Francorum Jérusalem*) مؤرخ مجهول (عاصر أحداث الحملة الصليبية الأولى) تم تأليف هذا الكتاب خلال سنوات 489-493هـ/1095-1099م ، وهو أحد شهود العيان عن الحملة الصليبية الأولى ولا يعرف اسمه ، ويقال أنه فارس ايطالي قام بمرافقة سيده **بوهمند** من منطلق واجبه كأمر إقطاعي ، وكان مؤمنا بضرورة تحرير الأماكن المقدسة من أيدي الكفرة المسلمين (على حسبه)، شارك في القتال ضد المسلمين ، وشاهدهم وجها لوجه ، تميز أسلوبه بالبساطة والاهتمام بالتفاصيل دون اللجوء للتفسيرات المطولة أو الاسترسال الديني الذي اتسمت به أغلب المصادر الأخرى ، فكان كتابه أشبه بالمذكرات اليومية الدقيقة ، سجلت فيها أهم الأحداث التي شكلت مجريات الحملة الصليبية التي تبدأ بخطبة البابا أوربان الثاني في كليرمونت فيرا وتنتهي بسقوط بيت المقدس وهزيمة القوات المصرية في معركة عسقلان سنة 492هـ / 1099م ، وهو أكثر المؤلفات المعاصرة للحملة شيوعا . و أفادني في تتبعه لمسيرة بوهمند دي تارنت (Bohémond de Tarente) حتى استيلاءه على أنطاكيا، و وصف أحداث هذه المدينة ودافع عن **بوهمند** في أحقيته بزعامتها ، ثم تابع مؤرخ **مجهول** رايmond دي تولوزة (Raymond Comte de Toulouse) في مسيرته نحو بيت المقدس . كما حدثنا عن كيفية استيلاء الفرنجة على بيت المقدس بصورة مفصلة .

(2)- تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس (*Historria Francorum Qui Ceperunt Iherusalem*) لرايموندا جيل (Raymond d'Aguilers) أي " تاريخ الفرنجة الذين استولوا على بيت المقدس : أفادني هذا المؤلف في معرفة الأحداث التي عرفها اللاتين بعد نجاح الحملة الصليبية الأولى ، والذي حضر مجمع كليرمونت فيرا سنة 1095م ، وكان بصحبة ادهيمار دي مونتاي أسقف مدينة بوي (Buy) و رفقة الممثل الشخصي والروحي للبابا اوربان الثاني في الحملة الصليبية الأولى . كما كان بصحبتهم كونت إقليم مقاطعة تولوزة الفرنسية ريمون دي سانت جيل (Raymond de Saint Gilles) ، وقد لازمه رايموندا جيل في الطريق نحو الشرق إلى غاية نهاية الحملة الصليبية الأولى . شرع في كتابة تاريخه أثناء حصار عكا ، وأنجزه في نهاية سنة 492هـ / 1099م . ولم يكن رايموند عالي الثقافة ، ولكنه كان رجل دين متعصب جدا يؤمن بالغيبيات ، وكان مقتنعا بالنصر النهائي للمسيحية و لا يعرف التسامح ، لذلك صور أشنع الأعمال التي اقترفها الفرنجة مثل الإبادة الجماعية للمسلمين واكل لحوم الموتى المسلمين ، وكان ينعى المسلمين بالكفرة.

(3)- تاريخ الحملة إلى القدس (1059 - 1127) (*A history of the expedition to Jerusalem 1059 -1127*) لفوشيه الشارتري (Foucher de Chartres) ولد بفرنسا ، وهو مؤرخ وقسيس صليبي شارك في الحملة الصليبية الأولى ، وأدرك الأهمية التاريخية للأحداث التي عاشها ، فبدأ في تدوينها ، انظم إلى فرقة بلدوين الأول ، وفي 1097م عينه كاهنا له ، وعندما أصبح هذا الأخير ملكا على القدس ذهب معه إلى هناك وظل منذئذ من رجال حاشيته ، وكتب تاريخه في ثلاثة أقسام بدأ أولها بأخبار البابا اوربان الثاني ومجمع كليرمونت ، وانتهى بموت جودي فروا بالقدس ، وتناول القسم الثاني أخبار حكم بلدوين الأول حتى وفاته في العريش . وعلى الرغم من تعلقه ببلدوين الأول إلا أن اتجاهه كان موضوعيا ، والمثال على ذلك انه لم يظهر عداوته للبيزنطيين ، إلا في القسم الثالث من كتابه والذي بدأ باعتلاء بلدوين الثاني عرش المملكة الصليبية في بيت المقدس إلى أن ينتهي فجأة عام 1127م وانتهى. وأفادني في حملة بلدوين الأول و انجازاته.

(4)- تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحر (**A History of Done Beyond the Sea**) لوليم الصوري (**Guillaume de tyre**) : ولد وليم الصوري في بيت المقدس سنة 1130م ، و يعتبر كتابه من أحسن الأعمال، وتحدث فيه عن الحملة الصليبية الأولى على الرغم من انه لم يعاصر أحداثها ، إلا انه اعتمد في تدوين أحداثها ووقائعها على المحفوظات الملكية والكنسية فضلا عن شهود عيان ككتاب المؤرخ المجهول الذي اعتمد عليه ، وصور لنا بعض المعارك وسرد بعض الأحداث و الحقائق ، وتتبع سير الحملة الصليبية الأولى عند خروجها من جنوب إيطاليا بقيادة بوهمند النورماني صوب بلاد البلقان ثم نحو الشرق البيزنطي والمشرق الإسلامي . وامتاز بالموضوعية وتمتع بفن السرد الحيوي للحوادث ومما يجلب الاهتمام في كتابه انه صور عماد الدين زنكي ونور الدين محمود وأسد الدين شركوه وصلاح الدين الأيوبي تصويرا يدعو إلى إعجاب ، وأفادني كثيرا في التعريف بالقدس وكذا صور المذبحة التي أقامها الصليبيون في حق المسلمون في بيت المقدس.

(2)- المصادر باللغة الأجنبية (الإغريقية):

(1- **Comnène Anne , Alexiade ,3 vol (règne de l'empereur Alexius** **Comnène I 1081-1118)** : هي ابنة الإمبراطور البيزنطي أليكسوس كومنوس ، ولدت في ديسمبر 1083م وتوفيت عام 1148م ، وكتابها يعتبر مصدر بالغ الأهمية ، كتب بالإغريقية ثم ترجم إلى عدة لغات منها الفرنسية ، وصاحبته ابنة الإمبراطور البيزنطي أليكسوس كومنين (1081م -1118م)، وسمت كتابها نسبة إلى والدها ، وكتبت فيه عن تاريخ حياة أبيها وانجازاته ، لهذا يعتبر مصدرا فريدا بالنسبة للتاريخ البيزنطي ، كما انه مصدر أساسي لتاريخ الحروب الصليبية إذ يرقى إلى الدرجة الوثائقية ، لأنها جمعت معظم مادتها في حياة أبيها ، حينما كان في متناولها أوراق الإمبراطورية الرسمية ، وكذا ما سمعته منه ، وهو مصدر عزيز المنال . وتمتاز بشيء من الموضوعية خاصة في حروب والدها مع النورمان . وأفادتني في موقف والده من تلك الجموع الصليبية التي وصلت

غالى أراضيها ، وكذا النزاع بين **بوهمند** والإمبراطور البيزنطي بسبب أنطاكيا ، وحنثه ليمين الولاء .

Abert d'Aixe –La-Chapelle , Histoire des faites et gestes dans - (2

Les régions -)2d'Outre-mer depuis l'année 1095 jusqu'à l'année

J.C 1120 : نجد هذه الدراسة معاصرة للحملة الصليبية الأولى ، والذي لم يقم بزيارة الشرق مطلقا ، وكتب عن الحيلة المبكرة لبطرس الناسك ، وتحدث عن مسيرة جودي فروا دو بويون إلى القسطنطينية واجتياز آسيا الصغرى ، والراجح انه كتب رواياته اعتمادا على المعلومات التي يوردها إليه العساكر والحجاج العائدون. فمن السهل التعرف إلى ما به من مادة خيالية ، غير انه ينبغي احترام ما أورده في روايته من أحداث الحملة الصليبية الأولى ذاتها .

- (3 Recueil des Historiens des croisades : عبارة عن سلسلة من الدراسات

المتعلقة بالحروب الصليبية ، التي تم جمعها وترتيبها حسب اللغة الأصلية لأصحابها : من مؤرخين عرب وسريان وبيزنطيين و أرمنيين و لاتينيين والتي استغرق انجازها حوالي 70 سنة بين 1841م-1906م ، وصدرت بعنوان (Recueil des Historiens des croisades) وجاءت في 16 عشرة مجلدا ضخما ، يضم النصوص الأصلية مع الترجمة الفرنسية . تولى المؤرخ الفرنسي د يسالان (De Salane) ترجمة وتحقيق النصوص العربية . كما ضمت المجموعة الأولى أعمال بعض المؤرخين الغربيين (Historiens Occidentaux): فوشيه الشارترى وروبرت دي موان (Robert Le Moine) وجيبرت دي نوجان (Guibert de Nogent) وبالدريك دي دول (Baldric de Dol) والتي تقع في خمس أجزاء . وقد استفدت منها في الاطلاع على خطاب البابا أوربان الثاني بمجمع كليرمونت فيران وبعض رسائله ، وكذا أرخت للأحداث المتعلقة بالحملات الصليبية على المشرق الإسلامي.

(ب) المصادر العربية : أما المصادر العربية الأساسية التي اعتمدت عليها في بحثي هذا ، فهي مصادر متعلقة بتاريخ الحركة الصليبية ن ومنها :

(1)- **ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي (ت555هـ/1160م-1166م)**: لصاحبه أبي يعلى حمزة ابن القلانسي الذي ألف للسنوات الواقعة بين 432-452هـ / 1140-1160م لمدينة دمشق منذ غزو الأتراك السلاجقة حتى عصره . وكتابه هذا من أهم المصادر التاريخية التي تحدثت عن لتاريخ المشرق الإسلامي اثناء الحروب الصليبية ، ويعتبر من أهمها وأفضلها عرضا لتلك الفترة . وقد برزت أهمية هذا الكتاب قي كونه سردا تاريخيا لأحداث خطيرة مرت بها بلاد الشام ومصر، تمثلت في سقوط بيت المقدس بيد الصليبيين ، حيث كان صاحب الكتاب في تلك المرحلة شاهد عيان عاصر فيه مرحلة من أهم مراحل التاريخ ليس بالنسبة للأمة الإسلامية فحسب بل والعالم المسيحي . فقد عاصر ابن القلانسي فترة الحروب الصليبية وشهد الحملة الصليبية الأولى والثانية ، وقام بتوثيقها بشكل جيد ، هذا ما جعل من كتابه مادة علمية هامة في عصرنا الراهن . تولى إمارة دمشق مرتين ، وهذا ما جعله قريب من أصحاب السلطة والقرار ، مما ساعده كثيرا على التوثيق الأحداث التي سردها . ونسخ هذا الكتاب نادرة جدا ، كما تعامل المؤلفون الأجانب مع الكتاب باسم **ذيل تاريخ دمشق** وهكذا كان معروفا إلى أن أعيد صياغته باسم **تاريخ دمشق** ، والذي من خلاله يبدو أن الكتاب وكأنه يتحدث عن مدينة بعينها ، إلا أنه كتب عن الأحداث التي وقعت في بلاد الشام و الأناضول ومصر ، وبالخصوص تاريخ مدينة دمشق و حكمها ، و أفادني كثيرا في الكتابة عن الحملة الصليبية الأولى و علاقة هذه المدينة بهذه الحرب .

(2)- **الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت639هـ/1232م)**: لصاحبه عز الدين ابن الأثير وهو من الموصل ، يدرج كتابه ضمن التاريخ العام ،فهو يسجل أحداث كل سنة لوحدها ، وألف كتابه هذا في بداية القرن السابع هجري / الثالث عشر ميلادي . و اعتمدت عليه في هذه الرسالة على الجزء الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر منه ، والذي تحدث فيها (أي الأجزاء المذكورة) عن الحروب الصليبية ، إذ واشتهر بالاهتمام الكبير والنقد الشديد للمصادر الأخرى ، وكان محللا ممتازا وناقدا بصيرا ، حيث حرص على تحليل بعض الظواهر التاريخية ، وتجد لديه النقد السياسي والحربي والأخلاقي والعملي يأتي عفويا بين ثنايا الكتاب . هذا ما جعل منه مصدر بالغ الأهمية على الرغم من أن رواياته عن الحروب الصليبية اتسمت بالغضب الشديد ، وقام بربط الحروب الصليبية بكل تلك الحركة التي قام بها

المسيحيون لمحاربة الإسلام في اسبانيا ، فهي تكملة لها ، وأفادني كثيرا في الكتابة عن الأيوبيين ، إذ كان على دراية تامة بما كان يجري في بلاط الأيوبيين بمصر ، وقبلهم آل زنكي في بلاد الشام . وان كنت في مؤلفه ألمس ذلك الولاء الشديد لأسرة آل زنكي وخاصة للسلطان نور الدين محمود ت570هـ/1174م . كما اعتمدت عليه في أسباب الحملة الصليبية الأولى وكذا في الصليبيين اتجاه سكان بيت المقدس عندما استولوا عليه ، إذ كان ابن الأثير على إطلاع بالأحوال السياسية والعسكرية في الغرب اللاتيني ، خاصة عن تحركات الصليبيين نحو المشرق .

(3)- **كتب الإمام الذهبي (ت.748هـ/1354م) :** شمس الدين محمد بن احمد الذهبي أحد أهم المؤرخين المسلمين ، ويلقب بالحافظ ، وتكون على يده الكثير من العلماء والأئمة ، ولديه عدة مؤلفات ، لكن اعتمدت في بحثي هذا على مؤلفين هما :

(أ)- **"تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"** : تحقيق عمر عبد السلام التدمري ، الطبعة الثانية ، تناول فيه تاريخ الإسلام من الهجرة النبوية إلى سنة 700هـ/1306م ، وتضمن الحوادث الرئيسية التي سادت المشرق الإسلامي وتعاقب الدول و الممالك مع تراجم للمشهورين في كل ناحية من نواحي الحياة . وأفادني كثيرا في التعرف على أعمال القرامطة الشيعية والتي كانت نقطة سوداء في التاريخ الإسلامي ، زيادة على أنه أمدني بمعلومات عن أهم أعمال الخلفاء الفاطميين في مصر .

(ب)- **"سير أعلام النبلاء"** ، الطبعة الثانية التي حققها شعيب الارناؤوط والصادرة عن مؤسسة الرسالة ببيروت سنة 1405م ، الجزء الخامس عشر ، وهو كتاب للتراجم التي سبقت عصره . ورتب تراجمه على أساس الطبقات ، جعل كل طبقة تراجم الوفيات من الأعيان من الأعلام مع ترتيبها على الحروف الأبجدية العربية . وشملت تراجمه فئات كثيرة من الخلفاء والملوك والسلاطين و الأمراء والفقهاء والمحدثين . وقد أفادني كثيرا في التعريف بشخصية الحاكم بأمر الله وادعائه الألوهية . وكتب أيضا في هذا الجزء عن الفرقة الدرزية وعن مؤسسها ، وحدثنا عن أهم الأعمال السيئة التي قاموا بها ضد الخلافة الإسلامية في مصر ، إلا أن عنايته بأهل الكتاب كانت أكثر .

(4)- "تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لابن خلدون(ت808هـ/1406م) : والكتاب هذا بمثابة تاريخ شامل وموسوعة عامة ، تتضمن تاريخ العرب والعجم والبربر منذ البداية إلى زمانه ، وأفادني في الجزء الرابع حيث تناول معلومات عن الخليفة الفاطمي المستعلي بالله وكيفية خيانتة واتصاله بالصليبيين من أجل عقد الهدنة عوض أن يدافع عن بيت المقدس ، كما وصف كيف سقط بيت المقدس الذي رافقته مذبحة فضيحة في حق المسلمين .

(5)- "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" لبهاء الدين بن شداد (540-632هـ/1145-1234م):وهو مؤرخ من مدينة الموصل ، ولد ابن شداد فيها في 10 رمضان 539هـ/ 7 مارس 1145م ، ودرس فيها القرآن والحديث قبل أن ينتقل إلى بغداد لطلب العلم، ثم عاد إلى الموصل في عام 1173م توفي عام 1188م استدعاه صلاح الدين الأيوبي الذي كان قد قرأ وأعجب بكتاباتة ، ولازم ابن شداد صلاح الدين الذي عينه قاضيًا للعسكر، وأفادني كثيرا في حصار عكا ومعركة أرسوف ، بعدما أصبح صديقًا مقربًا وواحد من مستشاري الرئيسيين لصلاح الدين الأيوبي ، لبقية حياة السلطان . وبعد وفاة صلاح الدين، عُيِّن ابن شداد قاضيًا لحلب، حتى توفي فيها في 14 صفر 632هـ/ 8 نوفمبر 1234م، عن عمر بلغ 89 عامًا.

(6)-"الروضتين في أخبار الدولتين النورية الصلاحية" لأبي شامة (شهاب الدين المقدسي)(600-663هـ/1203-1267م) : وهو فقيه و مؤرخ ، أفادني في حديثه عن السلطانين نور الدين زنكي ومن بعده الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وقد اجتهد المؤلف في ذكر فضلها وذكر دولتيهما النورية والصلاحية معتمدا في ذلك على من سبقه ممن صنفوا في أخبار هذين السلطانين . وتأليفه كان مثل تأليف ابن الأثير.

(7)- "الفتح القسي في الفتح القدسي" لعماد الدين الأصفهاني (519 - 597 هـ / 1125م-1201م): الذي كتب عن أحوال الصليبيين وعاداتهم الدينية في بلاد الشام ،و أفادني في تأريخه لأعمال وفتوحات صلاح الدين الأيوبي ، خاصة استرجاعه لمملكة بيت المقدس سنة 581هـ/1187م ، و صدى ذلك عند الغرب اللاتيني .

(8)- "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" لابن تغري البردي(812هـ/ 874هـ-1408م-1469م): ولد جمال الدين أبو المحاسن يوسف في القاهرة ، وكان أبوه مملوكًا روميَّ الأصل، اشتراه الملك الظاهر، وأعتقه وقربه إليه لذكائه ؛ ورفعته تباعًا إلى أرقى المناصب، حتى صار أتابكًا للعساكر (أميرًا للسلاح) وهي أرفع مناصب الجيش في ذلك الوقت ، ثم اختاره مع من اختارهم لوصاية المملكة بعد وفاته. ومؤلفه هذا أرخ لتاريخ مصر ، وهو مرتب على السنين لا على حروف الأبجدية . وأفادني لما تحدثت عن أحوال بيت المقدس تحت الحكم الصليبي .

(9)- معجم البلدان لياقوت الحموي(626هـ/1229م): وصف حالة الفرسان والرهبان خلال الحملات الصليبية على المشرق. تحدث عن التغيرات التي حصلت للملكة بيت المقدس المسيحية .

(2)- المراجع العربية والأجنبية:

(أ)- المراجع الأجنبية :

(1)- المراجع المعربة :اعتمدت على المراجع الغربية المعربة والغير معربة مثل :

(1)- "تاريخ الحروب الصليبية وقيام مملكة بيت المقدس" ، و كتاب "تاريخ الحروب الصليبية ، مملكة بيت المقدس 1100 -1187م"(A History of the Crusades) لستيفن رنسمان :اعتمدت كثيرا على هاذين المؤلفين نظرا لأهميتهما وخاصة . وكليهما جزءان مكملان لبعضهما البعض ، ويقدمان لنا معلومات قيمة عن الدعاية للحرب من طرف الصليبيين والتعبئة لها ، كما تطرق إلى الخلاف بين المسلمين والى دوافع هذه الحملة وانطلاقها وقيام المملكة اللاتينية في بيت المقدس أي نتائج هذه الحملة وما هي المشاكل التي واجهت الصليبيين عند الاستيلاء على بيت المقدس ، أما كتابه الحضارة البيزنطية ، فحدثنا عن مشاكل الإمبراطورية البيزنطية ، واعتلاء الإمبراطور البيزنطي اليكسيس كومنين العرش ، وكيف واجه تلك المشاكل .

(2)- "تاريخ الحروب الصليبية" (The Crusades) لـ هانس إبرهارد ماير: وهو من أشهر مؤرخي الألمان في الحروب الصليبية ، واعتمدنا عليه كثيرا في الدعوة للحرب والتهيؤ لها ، وكذا مسيرة الصليبيين نحو بيت المقدس ، و أوضاع بيت المقدس بعد قيام المملكة اللاتينية فيها .

(3)- الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية (Orient et Occident au Temps des Croisades) لـ كلود كاهن : إذ تناول بعض القضايا الجوهرية في العلاقات بين العالم المسيحي والعالم الإسلامي زمن الحروب الصليبية ،كحديثه عن الأوضاع العامة بالنسبة للعالمين عشية قيام الحرب الصليبية الأولى ،وكذا إعداد الجيوش وتنظيمها لدى الصليبيين والمسلمين .

(2)- المراجع باللغة الأجنبية :

(I)- Flori J. , La mémoire des siècles (la première croisade) -l'Occident chrétiens contre l'Islam : استعرض هذا المؤلف في مرجعه هذا وجهة نظر المسيحية التي مثلها رجال الدين إزاء الحرب ضد الغير المسيحيين من الوثنيين والمسلمين ،والتي تطورت فيما بعد إلى مفهوم الحرب الصليبية ، والتي كانت من افتعال الباباوات خلال النصف الثاني من القرن 11/هـ5م، و بالمقابل تطرق المؤلف إلى معنى كلمة الجهاد عند المسلمين ، في إطار مقارنتها بمفهوم الحرب المقدسة عند المسيحيين. وأفادني الحملة الشعبية الغير منتظمة ،و موقف الإمبراطور البيزنطي منهم ، وكيف كانت هزيمتهم على أيدي الأتراك السلاجقة ، وعن مصير الداعي الكبير بطرس الناسك .

(II)- Cécile Morrison , Les croisades :

وهو مؤرخ فرنسي ، سهل علينا ترتيب الأفكار و الأحداث رغم اختصارها ،أفادني في الحملة الصليبية الأولى ، وفي أحداث سقوط بيت المقدس .

: Gabrieli (F.) , Chronique arabes des croisades -(III

وهو الذي قال أن الحملة الصليبية الأولى تمثلت في الزحف الصليبي بقيادة الأمراء والزعماء الإقطاعيين الذين حملوا إشارة الصليب ولم تكن بزعامة الملوك ، وذكر أماكن انطلاق كل الفرق أي بلدان هؤلاء ، والموقف البيزنطي اتجاه هؤلاء الصليبيين .

Grousset (R.) , Histoire des croisades et du royaume franc du -(IV

Jérusalem : مؤلف هذا الكتاب متخصص في الحروب الصليبية ، وكتابه هذا شبيه بكتاب (C.) Cahen والمعنون **Orient et Occident au temps des croisades** ، أفادني في الزحف الصليبي بالتفصيل إلى غاية الاستيلاء على بيت المقدس ثم كيف كان حكم تلك المملكة .

Heers (J.) , Histoire des croisades et du royaume franc du -(V

jerusalem : فمثله ومثل المؤرخين الغربيين تحدث عن سير الحملة والوصول إلى بيت المقدس وعن الخلاف بين الصليبيين حول حكم بيت المقدس .

(ب)- المراجع العربية :

اعتمدت على مجموعة كبيرة من المراجع العربية القديمة والحديثة ومن أهمها :

1- سعيد عبد الفتاح عاشور، له ثلاثة مراجع وهي:

(أ) - "أوروبا العصور الوسطى" : التاريخ السياسي ، تكمن أهميته العلمية في بعض المعلومات التاريخية في فترة الحروب الصليبية .

(ب) - "تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى" : أفادني بتفاصيل دقيقة عن جذور تلك العلاقات المتميزة بن الطرفين المتخاصمين أحيانا والمتصالحين أحيانا أخرى.

(ج)- "الحركة الصليبية": هذا الكتاب يقع ضمن ثلاث أجزاء يتضمن المرجعين الآخرين تفاصيل مهمة عن أسباب ودوافع الحملات الصليبية على المشرق. استعنت بهم لإثراء موضوع البحث.

(2)- جوزيف نسيم يوسف: اعتمدت على ثلاث مراجع مهمة له :

(أ)- العرب والروم اللاتين في الحرب الصليبية الأولى: يعتبر من الدراسات العربية القيمة حول الحملة الصليبية الأولى ومنابعها، ودور مختلف الأطراف في إثارتها ودعمها .

(ب)- "العدوان الصليبي على بلاد الشام": والذي تناول فيه الحملة الصليبية التي تعرضت لها بلاد الشام في أواسط القرن 7هـ/ 13م . وأوضاع العالم الإسلامي قبيل الحملة الصليبية الأولى وعن الاستنفاقة العربية لمواجهة الخطر الصليبي ، وحدثنا عن عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود ، ثم البطل صلاح الدين الأيوبي الذي نجح في تكتيل القوى في الشرق الإسلامي في وحدة واحدة متحدة أمكنها من مواجهة الصليبيين الغزاة .

(ج)- "دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى" : إذ ركز المؤلف فيها على الحركة الصليبية ودوافعها .

(2)- "حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي" الدكتور ياسين سويد :

ضابط متقاعد في الجيش اللبناني برتبة لواء ركن وهو والذي أرخ للصراع المستمر والتمتادي على القدس في التاريخ الإسلامي والعربي ، إذ اعتمدت عليه كثيرا في أخذ المعلومات الواردة عن صراع المسلمين على القدس ضد الصليبيين ، وعن كيفية سقوطها.

(2)- "العلاقات الاجتماعية و الثقافية بين الغرب و الإفرنج خلال الحروب الصليبية" للنقاش زكي : والذي يحدثنا عن التهيؤ للحرب باختصار ، ويصف لنا العلاقات الثقافية والاجتماعية خلال الحملة الصليبية الأولى والحملات الأخرى .

(3)- "تاريخ العصر الوسيط في أوروبا" لنور الدين حاطوم : كتب عن تكوين فكرة ومشروع الحروب الصليبية في اسبانيا ثم عن الحملات الصليبية في المشرق ، وأفادني في

الزحف على القدس سنة 490-512هـ / 1096-1099م ومال صاحبها من نجاحات الصليبيين و إخفاق المسلمين إلى سقوط بيت المقدس .

(4)- كتب المؤرخ المعاصر قاسم عبده قاسم :تعد مؤلفاته من الدراسات القيمة و ذات الأهمية العلمية التاريخية و التي حوت تفاصيل دقيقة عن أصول الحركة الصليبية و خلفياتها الايديولوجية ، الاجتماعية ، السياسية ، المادية ، و عرض توثيقي لأهم النصوص و الوثائق المصدرية لما تعلق بالحملة الصليبية الأولى مستقاة من المصادر المعاصرة لها ،مع تعليق و تحليل وافي لها من طرف المؤلف،و من أهم مؤلفاته ما يلي:

1-"ماهية الحروب الصليبية".

2-"الخلفية الايديولوجية للحروب الصليبية".

3-"الحملة الصليبية الأولى، نصوص و وثائق".

(أ)-"ماهية الحروب الصليبية والخلفية الإيديولوجية للحروب الصليبية" ، والذي رصد هذه الظاهرة في إطار يعالج الإيديولوجية التي أفرزتها والدوافع والأسباب التي دفعت عجلة أحداثها ، والظروف التاريخية التي أحاطت بها وصولاً إلى تأثيراتها في العالم العربي ، وفي الحضارة العربية بوجه عام ، واستعرضها بإيجاز .

(6)- "روما وبيزنطة ، من قطعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين 869-1204م" للمؤرخ تاوضروس عبيد إسحاق : أفادني كثيرا في العلاقات البيزنطية بالصليبيين أثناء الحملة الصليبية الأولى ، وحدثنا عن حنث الصليبيين يمين الولاة للإمبراطور البيزنطي ، وأسلوبه بسيط ، ومرجعه ثري بالمصادر والمراجع الأخرى .

(7)- "معارك العرب ، وما الشبه الليلة بالبارحة" لأحمد الشقيري: هذا المؤرخ الذي ربط ماضي القدس بالحاضر ، وأفادني في مختلف الأحداث التي وقعت في الحرب الصليبية الأولى وغيرها وشبهها بالتي تحدث حاليا على الصهانية الغاشمين ، ووضح لي عدة حقائق لم يكن بإمكانني لولاه فهمها ، وأسلوبه سهل في تناول الجميع .

ولم يكن اعتمادي في إنجاز موضوع هذه المذكرة مقتصرًا على المراجع المذكورة فقط – والتي يمكن اعتبارها من المراجع الأساسية ذات القيمة التاريخية المفيدة في هذا المجال و إنما هناك قائمة لمراجع أخرى قيمة.

(3)- الموسوعات التاريخية: ومنها:

1- "موسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي" لسرحاني راغب: الطبعة الأولى والتي صدرت في مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة ببيروت سنة 2005م ، التي تعد بمثابة المسح الشامل لتاريخ الإسلامي مشرقه ومغربه .والموسوعة الإسلامية باللغة الفرنسية وهي **Lewis (B.) Pellat (Ch.) Et Schacht (J.) , Encyclopédie de l'Islam. , :** Paris , 1965 , t2 وتكون من عدة أجزاء ، و تحتوي على عدة مصطلحات ومقالات لأكبر المؤرخين ، و استفدت منها في التعريف بالحركة الصليبية وتعريف بيت المقدس.

الفصل الأول

الفصل الأول

أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع المشرق البيزنطي وأوروبا

المسيحية في القرن 5هـ / 11م .

(1) - أوضاع المشرق الإسلامي قبل الحملة الصليبية الأولى:

أ- أوضاع الخلافة العباسية في بغداد.

ب- أوضاع الخلافة الفاطمية في مصر.

ج- أوضاع الأتراك السلاجقة .

(2) - أوضاع الإمبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية قبل الحملة الصليبية الأولى

أ- أوضاع الإمبراطورية البيزنطية قبل الحملة الصليبية الأولى.

ب- أوضاع الغرب الأوروبي اللاتيني مع نهاية القرن 11م.

ج- الدعوة للحرب الصليبية .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

تعد الحروب الصليبية (*) صفحة هامة على العلاقات بين المشرق الإسلامي والمسيحي وبين الغرب اللاتيني ، فبغض النظر عن وجهها المؤلم ، إلا أنها سمحت للغرب للاطلاع على حضارة المشرق الإسلامي والبيزنطي . و كان من أسباب ودوافع الحملة الصليبية الأولى الأوضاع التي كانت سائدة في الخلافت الإسلامية (الشام والعراق وأسيا الصغرى) ، وكذا علاقاتهم بالامبراطورية البيزنطية التي كانت تمثل الخط الدفاعي للمسيحية في المشرق ، وأوضاع اروبا المسيحية قبل هذه الحملة الصليبية الأولى إذ أنها لم تنبت من فراغ ولم تظهر فجأة من غياب المجهول ، وإنما هي نتيجة تفاعل مستمر ومتواصل لعوامل مجتمعة .

1- أوضاع المشرق الإسلامي قبيل الحملة الصليبية الأولى :

كان العالم الإسلامي قبيل انطلاق الحملة الصليبية الأولى يشهد تطورا كبيرا في كل الميادين سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو العسكرية، لكن بسبب ضعف حكامه و قاداته، أصبحت الخلافتان العباسية و الفاطمية ضعيفتان. إضافة إلى انقسام السلاجقة فيما بينهم بعدما

(*)- يرجع تاريخ الحروب الصليبية إلى الحملات الصليبية في اسبانيا إلى عام 1023م/417هـ والتي سميت بحروب الاسترداد (La Reconquista)، إضافة إلى أن رحلات المسيحيين الأوائل إلى فلسطين كانت نادرة جدا، ثم ازدادت حركة حج المسيحيين إلى فلسطين بعد اعتراف قنسطنطين الكبير Constantine the Great (306-337م) بالديانة المسيحية بموجب مرسوم ميلانو سنة 313م. وعمد رجال الدين إلى ترسيخ مفاهيم التوبة والغفران بذهابهم إلى فلسطين، إضافة إلى التدهور الأوضاع بسبب الصراع بين الإمبراطورية والقوى الدينية حول المسائل العلمانية . وبهذا عاش الفرد البسيط داخل هذه الدائرة الضيقة ، ما كان عليه إلا السمع والطاعة ، وخاصة وأن البابوية أوهمتهم باستقرار الأوضاع في البحر الأبيض المتوسط ، إلا أن ذلك لم يوسع من نطاق الرحلات . وفي القرن (5هـ/11م) تطلع الغرب إلى أن تكون خاتمة حياتهم في الدنيا هي برحلة إلى بيت المقدس ، لهذا كثرت رحلات الحج التكفيرية من الغرب المسيحي إلى فلسطين ، إذ كانت الكنيسة تفرض على المذنبين هذه الرحلة للتكفير عن ذنوبهم ، وهذا حتما يؤدي إلى تزايد عددهم في هذا القرن . إذ أنه في منتصف 5هـ/11م بدأت المصاعب تزداد أمام الحجاج الكاثوليك ، بسبب وقوع بيت المقدس تحت السيطرة السلجوقية سنة 463هـ/1071م . والذي كان بتوغلهم في بلاد الشام أثار سلبية على لحجاج المسيحيين الكاثوليك المسافرين عبر الأناضول ، وهذا الأمر كان سببا في اختلاق الحجج وتحريك الحجاج للقتال لتحرير أرض المسيح من أيدي المسلمين ولهذا كانت فكرة تجنيد الحجاج و إضفاء طابع المباركة والقداسة على هذا الفعل هي الفكرة الحاسمة في مجمع كليرمونت فيران =

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

كانوا من أقوى الدول المدافعة عن الإسلام في آسيا الصغرى ، (1) لوجودها في الصف الأمامي لمحاربة الصليبيين. والدارس لأوضاع العالم الإسلامي في أواخر القرن 5هـ/ 11م ، يدرك أن الغرب اللاتيني المسيحي، استغل الصراع القائم بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة(*) ، كما استغل ضعف حكام الخلافة العباسية في الشام والخلافة الفاطمية في

= سنة 1095م ، فلهذا كان السيف الذي يحمله الصليبي مباركا من الكنيسة باعتباره جندي في جيش المسيح . كما استطاع أوربان الثاني من أن يوحد شعوب الغرب الأوروبي حول مشروع عام ، على الرغم من اختلاف لغاتهم وعاداتهم المحلية. وأصبح الحاج إلى بيت المقدس حج مسلح وبطبيعة الحال لم يقتنعوا فقط بهذه الفكرة في هذا المجمع إلا بعد أن كانت فكرة الحروب الصليبية تدور لدى بابوات أخرى سابقة للبابا أوربان الثاني الذي تولى الكرسي الرسولي من 1088-1099م . فقد كان البابا جريجوري السابع Gregory VII (1073-1085) الدور الكبير في ترسيخ فكرة الحرب المقدسة عند الحجاج المسيحيين في العصور الوسطى ، إذ دعا إليها وشجعها . أنظر ؛ -إسحاق تاوخريس عبيد ، روما وبيزنطا ، من قطيعة فوشيبوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين 869م-1204م ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1970م ، ص42-46 .-؛ .- ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1908م . ص. ص. 40-41 ، وانظر -ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج. 15 ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت ، ص. 771-790 .- (نور الدين) حاطوم ، تاريخ العصر الوسيط ، دار الفكر ، دمشق ، 1406هـ/ 1986م ، ص. 820-825 .- (جوزيف نسيم) يوسف ، العرب والروم و اللاتين زمن الحرب الصليبية الأولى ، طبعة دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981م ، ص. 42-43 .- قاسم (عبد قاسم) ، الخلفية الإيديولوجية للحروب الصليبية ، ط. 2 ، الكويت ، 1988م ، ص. 13-17 و ص. 24-28 .- بارتولد ، تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ت : احمد السعيد ، مطبعة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1378هـ/ 1958م ، - .: Mayer (H. E) . The Crusades ، éd ;Oxford , 1972 , p14 Brundage , Medieval canon Law and the Crusades , The - ، University of Wisconsin , 1966 , p.9

(*)- الأتراك السلاجقة هم من قبائل الغز التركية التي استوطنت في منطقة ما وراء النهر، و عرفوا بالترك أو الأتراك، وهاجرت هذه القبائل نحو آسيا الصغرى ، و يقول الدكتور "عبد اللطيف دهيش" : " أنهم هاجروا بحثا عن الكلاء و المراعي والعيش الرغيد والأمن والاستقرار" ، لذلك اضطرت تلك القبائل المهاجرة للاستقرار بالقرب من الأراضي الإسلامية أين اعتنقوا الإسلام ، و اطلق عليهم اسم السلاجقة نسبة إلى جدهم الأكبر "سلجوق بن دقاق" ، و يعتبر طغرل بك حفيد سلجوق بن توقاقي المؤسس الحقيقي للدولة السلجوقية . ثم خلفه ابنه ألب أرسلان ومن بعده ملكشاه . إذ بلغت السلطة السلجوقية أقصى اتساعها . لكن بعد وفاة ملكشاه سنة 485هـ/ 1190م ، انقسم السلاجقة فيما بينهم بسبب الصراع بين برقياروق و زوجة أبيه (أم أخيه محمد من أبيه) بتركان خاتون والتي انتهت بانفراد برقياروق بالحكم سنة 487هـ/ 1104م . وبذلك دخلت السلطة السلجوقية عهد التدهور والتفكك ، فاستقل قتلش بن إسرائيل بن أرسلان بالأناضول منذ عام 470هـ/ 1187م مؤسساً بذلك سلطنة سلاجقة الروم ، ولاحقاً في عام 487هـ/ 1104م استقل تنش بن ألب أرسلان بالشام ، ثم مغيث الدين محمود استقل بالعراق عام 511هـ/ 1128م . أنظر - ستانلي بول : "تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة" ، ترجمة: أحمد السعيد سليمان ، المجلد الأول ، دار المعارف بمصر - القاهرة ، ص. 313 إلى ص. 325 . =

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

مصر، إضافة إلى ظهور قوة أخرى في الخلافة الفاطمية كانت بصدد التكوين في هذه الظروف و هي الفرقة الإسماعيلية (*) لتنفيذ مشاريعه الصليبية .

أ- أوضاع الخلافة العباسية في بغداد :

إن الخلافة العباسية في القرن 5هـ/ 11م كانت تعاني من التدهور في جميع المجالات ، إضافة إلى التنزع الخلفاء على السلطة ، وانشغالهم في ملذات الدنيا دون الاهتمام بأمر الخلافة ولا الرعية .

وما أن اعتلى بنو بويه عرش بغداد 334هـ/ 945هـ ازدادت الحالة سوءا ، وأصبحت العداوة مستحكمة بين بنو بويه أهل الشيعة وهم أصحاب النفوذ والسلطة وبين الخليفة المستكفي بالله أو القاسم (333هـ-334هـ/ 944م-946م) وعامة الناس وهم أهل السنة . إذ ساءت الأحوال في الخلافة العباسية قبل بن بويه في جميع الميادين خاصة في عهد الخليفة

= الأعظمي (محمد كامل) ، عبقرية الفاطميين ، أضواء على الفكر والتاريخ الفاطمي، بيروت، 1960م ، ص.149-150 .
- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ط.3، بيروت، 1376هـ/ 1982م، ج. 8 ، ص. 2 . ؛ - نور الدين حاطوم ، تاريخ العصر الوسيط ، دار الفكر ، دمشق ، 1406هـ/ 1986م، ص.820-825 . ؛ - Percy Sykes S **History of Persia** ; Oxford , London , 1951 ,T2 ,p.28.

(*)- نسبهم يعود إلى إسماعيل ابن جعفر الصادق العلوي وهو الإمام السادس في الإمامة عند الشيعة ، والذي توفي سنة 148هـ/ 765م الذي اختارته جماعته دون أخيه موسى الكاظم (إمام الاثني عشرية) ، وهم من غلاة الشيعة ، وهم يؤمنون بعصمة الإمام بالرغم ما يخالف ظاهر الدين لأنه يعلم باطنه وتأويله ، ومن أشهر فرقهم : القرامطة والفاطميون والحشاشون أنظر : - دفتري (فرهاد) ، الإسماعليون في العصر الوسيط تاريخهم وفكرهم ، ت : سيف الدين القصير ، المدى دار للثقافة والنشر ، دمشق، 1198م ، ص.11 . ؛ - الصفدي (صلاح الدين) ، الوافي بالوفيات ، ج.9 ، تحقيق :مجموعة من العلماء ، استانبول-بيروت ، 1949م-1988م، ص.101-104 .

(**)- هم قوم من الشيعة و اصلهم من الفرس ، ينتسبون إلى أبي شجاع بويه الذي عرف عنه أنه كان من صيادي السمك في بحر الخزر (قزوين) ، وكان له ثلاثة أبناء علي ، الحسن و احمد الذين التحقوا بالجيش ، أين اثبتوا قوتهم وشجاعتهم و تفوقهم في الميدان الحربي ، وبدؤوا بتوسعاتهم وبسط نفوذهم ، إذ استطاع علي أن يحتل شيرز سنة 322 هـ والحسن استطاع احتلال الري و أصفهان وهمدان ، أما احمد احتل الأهواز سنة 326 هـ ، و بذلك سار الإخوة الثلاث على مقربة من العراق . انظر :- الحرستاني (محمود شاكر) ، التاريخ الإسلامي (الدولة العباسية) ، ط.7 ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، دمشق، 1411 هـ/ 1991 م ، ج.6 ، ص. 145 .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

المتقي بالله إبراهيم بن المعتضد (329-333 هـ/ 940-944م)، عرفت فترة حكمه الغلاء والقحط و الجوع ، هذا ما أدى إلى ظهور الفتن الداخلية. كالصراع "مع أبو الحسن علي بن محمد اليزيدي ،الذي ضاق به الأمر بسبب سوء الأحوال الداخلية ، حيث وقعت بينهما معركة كبيرة قرب المدائن ، انتهت بانتصار الخليفة .⁽¹⁾

بالإضافة إلى تهديدات الروم ومكائد أخيه المستكفي بالله عبد الله بن المكتفي بن المعتضد (333-334هـ /944-946م) ضده و خلعه عن الحكم ، فانصب على العرش بعده ، الأمر الذي أدى إلى الاضطرابات الداخلية وانتشار الآفات الاجتماعية . زد إلى كل هذا وجود بني بويه على مشارف العراق أرغم المستكفي إلى دعوة احمد بني بويه إلى بغداد ، و عند وصوله لقبه معز الدولة و عينه أمير الأمراء و لقب أخاه عليا عماد الدولة ومنح الحسن لقب ركن الدولة ، واقتسم الإخوة الثلاث السلطة و النفوذ وأصبح الخليفة مجردا من الحكم . هنا بدأ نفوذ البويهيين يكبر في الخلافة العباسية ، إذ انقلب "معز الدولة ضد المستكفي وسمل عينيه وخلعه عن الحكم وأحضر الفضل بن المقتدر(334-363هـ/945-973م) و بايعوه على الخلافة مما أزم الوضع أكثر.⁽²⁾

استمر الحكم البويهي في الفترة الممتدة بين 320-454هـ/932-1062م ن إذ بدأت في عصر المستكفي (333-334 هـ / 944 – 946م) ثم المطيع لله (334-363هـ/946-973م) فالقادر بالله احمد بن إسحاق بن المقتدر (393-422 هـ/ 1002-1030م)،⁽³⁾ وأخيرا القائم بأمر الله بن القادر بالله"(422-467 هـ / 1030-1074م). وفي عهد هذا الأخير تآزم الوضع أكثر ، إذ

(1)- المالكي (محمد المعافري) ، العواصم من القواصم في تحقيق موقف الصحابة بعد وفاة النبي ، تحقيق : محمد جميل غازي ، ط2 ، دار الجبل ، بيروت ، 1407هـ ، ص. 341 .

(2)- ابن كثير ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج.11 ، ص. 212 .

(3)- المالكي (محمد المعافري) ، المصدر السابق ، ص. 345 .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

تمرد الجند وكثر النزاع بين أتباع الخليفة وبين الرعية (1) وفي هذا الوقت كانت التوسعات السلجوقية في أوج قوتها ، إذ استطاع السلطان السلجوقي طغرل بك(*) Toghrul Beg (429-455هـ/1037-1063م) أن يقيم دولة واسعة الأرجاء في المشرق الإسلامي (2) ، على حساب الدولة الغزنوية(3) و الدولة البويهية ، مما دفع الخليفة العباسي إلى استدعاء السلطان طغرل بك في 25 رمضان 447 هـ/1055م ،(4) و طلب منه الدخول لمواجهة البويهيين ومؤامرات العبيديين الفاطميين،(5) فلبى الطلب وساعد القائم بأمر الله في القضاء على البويهيين سنة 449هـ/1055م .(6)

(1) - شلبي (احمد) ، حركة فارسية مدمرة ضد الإسلام و المسلمين عبر العصور ، 1988م ، القاهرة ، ص.161 .
(*)- هي كلمة تركية معناها السيد أو الأمير .

(2)- احد أحفاد سلجوق بن دقاق (Seljouk bin Dakkak) وهو محمد بن ميكائيل بن سلجوق علي نيسابور، ورث الحكم عن أسلافه ، تمكن من الاستيلاء على خراسان بما فيها عاصمتها نيسابور ، و أعلن نفسه سلطانا عليها ، فطلب من القائم بأمر الله بان يباركه ، ونظرا للتوترات الداخلية التي تشهدها الخلافة قبل مرغما على ذلك ، وبعدها استولى على خوارزم و طبرستان و الري ، وتوفي سنة 455هـ) . انظر :- محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق : إحسان حقي ، ط.6 ، دار النفائس ، بيروت ، 1408هـ / 1988م ، ص.24-25 ؛ و - ابن كثير ، المصدر السابق ، ج.12 ، ص.43 .
(3)- هي دولة إسلامية حكمت بلاد ما وراء النهر، وشمال الهند وخراسان، في الفترة ما بين سنتي 961م و1187م ، وهي دولة تركية وقد قام الغزنويون بتسمية عاصمتهم باسمهم. وهي أول دولة تركية قوية مشهورة ظهرت في إيران . وكان أول حكامها الب تكين وهو عبد تركي من ممالك السامانيين الذي التحق بجيشهم ثم استطاع أن يصبح من قادتهم و أن يصبح حاكما على خراسان سنة 349هـ . ثم تمكن بعد فترة قصيرة من بسط نفوذه على إقليم أفغانستان سنة 351هـ ، حيث أعلن تأسيس الدولة الغزنوية . والتي بلغت أقصى اتساعها في عهد السلطان محمود الغزنوي الذي كان على المذهب السني .
انظر :- حسنين (عبد النعيم) ، إيران في ظل الإسلام في العصور السنية والشيعية ، ط.1، دار الوفاء، مصر ، 1988 م ، ص.6 .

(4) - Sykes (P.) , A history of Persia , London , 1951 , T II , p. 2031 .
وانظر:- البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي) ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت، ج.9، ص.399. ؛ ابن تغري (بردي) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج.5 ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، 1975م ، ص.87.

(5)- سعى العبيديون لإسقاط الخلافة الإسلامية في بغداد ، وكانت إحدى محاولتهم في هذا الصدد ، دعمهم لبساسيري ، و هو احد العسكريين عند البويهيين ، وذلك بإغرائهم بالمال و الجند ودعوتهم إلى الخروج ضد الخليفة العباسي ، لكن الخليفة القي القبض عليه. انظر :- موسوعة الأديان ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2001م ، ص.302 ؛- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج.9 ، ط.3 ، بيروت ، 1998م ، ص.208. ؛ زكار (سهيل) ، مدخل إلى الحروب الصليبية ، ط.2 ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 1973م ، ص.99.

(6)-البندري (الفتح بن علي بن محمد)، تاريخ آل سلجوق ، دار الأفق ،بيروت ، لبنان ، 1980م ، ص.14-26.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

كما استطاع طغرل بك أن يقضي على الفتن الداخلية ، و أن يتصدى للعبيديين أي الإسماعيليين،⁽¹⁾ وعند دخوله إلى بغداد استقبله الخليفة العباسي القائم بأمر الله (422-467هـ/1031-1075م) بحفاوة تليق بمقامه و لقبه بركن الدين طغرل بك . ولكن الخليفة لم يرغب في أن يترك الزعيم الجديد بان يصاب بالغرور جراء هذه الحفاوة التي حضه بها باعتباره الملك الرسمي على بغداد،⁽²⁾ وهو الممثل الأعلى للمسلمين – السنة- تم مباشرة ذكره بأنه أعلى منه وكدليل على ذلك فرض نقش اسم السلطان على العملة ، و يذكر اسمه في الخطبة في مساجد بغداد ، كرموز الولاء والتبعية للحكم الأعلى .⁽³⁾ شيئا فشيئا أخذ النفوذ السلجوقي يزداد على حساب البويهيين أهل الشيعة في السيطرة على زمام الملك وتوجيه الخليفة العباسي حسب إرادتهم .⁽⁴⁾

وعند وفاة طغرل بك سنة 455هـ/1063م ، تولى ابن أخيه ألب أرسلان (Alp Arslan) زمام الحكم في البلاد ، و الذي عرف بولعه الشديد بالجهاد في سبيل الله، ونشر الدعوة الإسلامية داخل الدول المسيحية المجاورة كبلاد الأرمن و بلاد الروم .⁽⁵⁾ إذن استقرت أوضاع الخلافة العباسية نسبيا في عهد السلاطين السلاجقة بدءا من السلطان طغرل بك إلى السلطان ألب أرسلان^(*) (457-472هـ/ 1024-1079م)، ثم

(1) - شبارو (عصام محمد)، السلاطين في المشرق العربي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1994م ، ص.171.
(2) - ابن الأثير، المصدر السابق ، ج.9 ، ص.212. ؛ الرواندي ، راحة الصدور آية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، - عبد النعيم حسنين ود/فؤاد الصياد ود/ابراهيم الشواربي ، دار العلم ، القاهرة ، 1960م ، ص.17. ؛ البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج.9 ، ص.399 ، - ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج.5 ، ص.57.
(3) - دهيش (عبد اللطيف عبد الله) ، قيام الدولة العثمانية ، ط.2 ، مطبعة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة 1416 هـ/1995م ، ص.19 .

(4) - ابن لأثير ، نفس المصدر ، ج.9 ، ص.264_265؛ ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج.8 ، طبعة الهند، حيدر آباد الدكن ، 1358هـ _ 1359هـ ، ص.181-182. ؛ سعداوي (نظير حسان) ، الحرب و السلام زمن العدوان الصليبي ، مكتبة النهضة المصرية ، 1961م ، ص.18 .
(5) - دهيش (عبد اللطيف عبد الله) ، المرجع السابق ، ص.20 .

(*)- الدولة أبو شجاع ألب ارسلان محمد بن جعفري بك داوود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق "ولد في (420هـ/15-12-1029م) ، و كان رابع حكام السلاجقة بعد عمه طغرل بك ، وكان وزيره نظام الملك هو من ساعده على فتح أجزاء كبيرة من أسيا الصغرى و أرمينيا و جورجيا . وبعد مقتله على يد احد الثائرين في 465هـ/1072م ، خلفه ابنه الملكشاه .انظر :- (در الدين) الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية ، تحقيق: محمد إقبال ، لاهور ، 1933م ، ص.23-25 .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

الملكشاه Malik Chah (472- 486هـ/1079-1092م). وقد بلغت الدولة السلجوقية قمة مجدها في المجالين الداخلي و الخارجي في عهدي السلطان ألب أرسلان و أسد الدين أبو شجاع" و ابنه ملكشاه ،⁽¹⁾ إلا أن هذه القوة و الانتصارات لم تدم طويلا ، فسرعان ما انتشرت الفوضى داخل الخلافة السلجوقية بعد موت السلطان الملكشاه سنة 486هـ / 1092م، مما أدى إلى التنازع و التنافس على السلطة ، و الذي انجر عنه انقسام السلاجقة إلى : سلاجقة الروم و سلاجقة فارس و سلاجقة الشام.⁽²⁾ وكان ذلك في عهد الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله (467-487هـ/1074-1094م) ، الذي لم يقم بأية محاولة لاستعادة مكانته ، على الرغم من الصراع القائم بين أبناء الملكشاه ،^(*) وحتى الخليفة المستظهر بالله (487هـ - 512هـ/1094-1118م) لم يقم بأي مجهود لاسترجاع ملكه من السلاجقة ،⁽³⁾ وفي هذا الوقت بدأ الغرب المسيحي في الحشد للحملة الصليبية الأولى.

وسط هذا المشهد السياسي الذي طبعه ضعف الخلافة العباسية في بغداد وتوافد عناصر جديدة كالبويهيين والسلاجقة الذين تصارعوا على السلطة ، الأمر الذي أدى إلى انتشار فوضى عارمة في العاصمة بغداد خاصة و العراق عامة.⁽⁴⁾ و لهذا استغل اللاتين هذه الفرصة .

إضافة إلى الدور الذي لعبه الدعاة الفاطميون في العراق وفارس، إذ تزعم هذه الدعوة الداعي الفاطمي في المشرق المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي ،⁽⁵⁾ إن هذا الأمر

(*)- الأصفهاني (عماد الدين) ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ط.1 ، دار المنار ، بيروت ، 2004م ، ص. 3- 4. وللمزيد : أنظر الملحق رقم 03 ص.278: والملحق رقم 04 ، ص.279. فيهما موقع المدن الشامية.

(1)- هو السلطان جلال الدين و الدولة أبو الفتح ملكشاه ابن أبي شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل ابن سلجوق دقاق التركي ، حكم بعد أبيه ، وكانت دولته صارمة و الطرقات في أيامه آمنة ، بلغت الدولة السلجوقية أقصى اتساعها . انظر :- ابن كثير ، المصدر السابق ، ج.12 ، ص.142 .

(2)- عمران (محمود سعيد) ، تاريخ الحروب الصليبية 1095- 1291م ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، 1996م ، ص.17- 18 .

(3)- البنداري ، المصدر السابق ، ص. 81 .

(4)- الزهراني (محمد بن مسفر) ، نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية (247هـ -590هـ) ، ط.1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1983م ، ص. 20 .

(5)- نفسه.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

دفع بالخليفة العباسي إلى الاستنجاد بالأتراك السلاجقة لتحل محل البويهيين ، مما أثار الفتنة بين البويهيين الشيعة و السلاجقة السنة (1) الأمر الذي أدى إلى استمرار التراجع الكبير لسلطان الخلفاء على الرغم من التوافق في المذهب السني ،(2) كما كان أيضا للحركات الانفصالية الدور الكبير في إضعافها .

ب- أوضاع الخلافة الفاطمية في مصر :

لم تكن الأوضاع في مصر أيام الخلافة الفاطمية أحسن حال من أوضاع الخلافة العباسية ، حيث دخلت مرحلة التدهور السياسي الداخلي عهد المستنصر بالله (302-366هـ/ 915-976م) ، إذ بعد أن وفاة الوزير القوي أبي القاسم الجرجرائي بدأت أم الخليفة المستنصر السيدة رصد تتدخل في شئون الدولة وصار لها الكلمة الأولى في تعيين الوزراء والإشراف على تصرفاتهم ، وأسفر تدخلها في شئون الحكم عن إذكاء نار الفتنة و المنازعات والمعارك بين طوائف الجيش ، وهو ما جعل أحوال البلاد تسوء بسرعة ويعمها الفوضى والاضطراب . إضافة إلى تدهور الأوضاع السياسية انعكس ذلك على الأحوال الاجتماعية ، فعرفت البلاد انتشار الأوبئة و المجاعات و القحط و الاغتيالات .

وفي عهد الخليفة الحاكم بأمر الله (386-412هـ/ 994-1021م) شهدت مصر مجاعة مهلكة وتدهورت الأوضاع السياسية ، إذ لم تكن تسكن فيها الفتنة حتى تشب الأخرى ،(4) وخاصة وأن الحاكم بأمر الله ادعى الألوهية منذ سنة 407هـ/ 1017م ،(5) كما اتسم بالطغيان و الظلم إذ قال عنه الإمام الذهبي : "الاسماعيلي الزنديق المدعي الربوبية حتى أن جميع وزرائه قتلوا على يديه بأبشع وسائل القتل"(6) ، إذ شهدت السنوات ما بين 408هـ/ 1017م و

(1)- الشيرازي ، سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ، تحقيق : محمد كامل حسن ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1949م ، ص. 43 ، ص.55 ، 64 ، ص.136-137 .

(2)- ابن خلكان ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر، 1988م ، بيروت ، ص.230-244

(3)- هبيرة (الوزير عون الدين) ، أوضاع الخلافة العباسية ، كلية الدراسات العليا،الجامعة الأردنية ، 1999م ، ص. 8 .

(4)- المطوي (محمود العروسي) ، الحروب الصليبية في المشرق و المغرب ، بيروت ، 1982 ، ص. 15 – 16 .

(5)-ابن ظافر (جمال الدين)،أخبار الدول المنقطعة ،المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ،القاهرة ، 1974م ، ص.52-53 .

(6)- الذهبي (شمس الدين) ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق: شعيب الارناؤوط ، ط.2 ، مؤسسة الرسالة ، 1405هـ ، ج.15 ، ص. 173 .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

410هـ/1019م سلسلة من الاغتيالات والمصادمات،⁽¹⁾ وبهذا انتشر الرعب و الخوف و التشتت في نفوس الرعية التي سخطت على ادعائه الربوبية وعلى استبداده.⁽²⁾

إضافة إلى تنازع الفاطميين مع أمراء العرب، وهذا النزاع يعتبره الكثير من المؤرخين الذين كتبوا عن الحروب الصليبية ساعد الصليبيين على سرعة التقدم . إذ انه قبل الحملة الصليبية الأولى، كانت كل مدينة كبيرة في بلاد الشام تقريبا إمارة مستقلة تحت حكم عربي أو حكم تركي سلجوقي،⁽³⁾ إذ تم التحالف بين بعض أمراء الأقاليم العربية في بلاد الشام ضد الخلافة الفاطمية،^(*) كتتحالف حسان المفرج بن الجراح و صالح بن مرداس و سنان ابن عدنان على يستولوا على الشام و حلب ، على أن تكون حلب لصالح ، و المنطقة الممتدة من الرملة إلى مصر لحسان و دمشق و توابعها لسنان،⁽⁴⁾ و كان ذلك أواخر عهد الحاكم بأمر الله و بداية عهد الظاهر ابن الحاكم بأمر الله (412-427هـ/1021-1035م).

و تمكن بالفعل حسان من الاستيلاء على مدينة الرملة^(**) سنة 415 هـ/ 1024م ، بينما سقطت حلب في يد صالح بن مرداس إضافة إلى حمص^(***) و بعلبك^(****) و صيدا و حصن ابن عكار في ناحية طرابلس.⁽⁵⁾ و تكررت الحوادث سنة 420 هـ/1029م ، لكن الفاطميين

-
- (1)- الأنطاكي (يحيى بن سعيد) ،تاريخ الأنطاكي ،ت:عمر عبد السلام التدمري و جروس برس ، طرابلس ،1990م ،ص.222-223. ؛ابن ظافر ،المصدر السابق،ص.52-53.؛ المقرزي ،**اتعاظ الحنفاء** ،ج.2، ص.113-118 و ص.140.
 - (2)- حسن (إبراهيم حسن) ، **تاريخ الدولة الفاطمية** ، ط.4 ، مكتبة النهضة المصرية ، 1981م ، القاهرة ، ص. 349 .
 - (3)- قاسم (عبد قاسم) ، **ماهية الحروب الصليبية** ، ص.79-80 .
 - (4)- ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** ، ج.9 ، ص. 126 .
- (*)- عن مواقع المدن الإسلامية في الشام .أنظر :الملحق رقم 3 ص.278. والملحق رقم4،ص.279.
- (**)- أسسها سليمان بن عبد الملك بن مروان ، عندما تولى جند فلسطين ، في عهد أخيه الوليد بن عبد الملك . و قد بناها قرب اللد التي كانت ذات صبغة رومية ، وأمر أهل اللد بالانتقال الى الرملة ثم هدم اللد ، واتخذ الرملة عاصمة لجند فلسطين . و بقيت عاصمة لفلسطين حتى احتلها الفرنج عام 1099م.
- (***)- تقع على الضفة الشرقية لنهر العاصي، متوسطة البلاد وواصلة المحافظات والمدن الجنوبية بالمحافظات والمدن الساحلية والشمالية والشرقية، على بعد حوالي 162 كم من شمال العاصمة دمشق
- (****)- مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام .أنظر :-ياقوت الحموي ،**معجم البلدان** ،ج.1، دار صادر للطباعة والنشر ،دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ،1374هـ/1955م،ص.151.
- (5)- ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** ، ط.3 ، بيروت ، 1998 ، ج.9 ، ص. 126 .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

تمكنوا من استرداد بعض المواضع مثل بعلبك ، حمص و صيدا(*) و حصن ابن عكار بلبنان (1) . و لما اغتيل الحاكم بأمر الله في 27- شوال-411هـ/13-فيفري-1021م ، ازدادت الأوضاع الداخلية و الخارجية سوءا . (2) إذ أن في عهد ابنه الظاهر (412- 427هـ/1029-1035م) دخلت مصر في أزمة اقتصادية خانقة ، حيث وقعت مجاعة كبرى فيما بين 415-417 هـ/ 1031-1033م ، (3) و تفشى الطاعون الذي لم ينجو منه حتى الخليفة (4) .

أما عهد المستنصر (427-487هـ/ 1035-1094م) ، فترة الانفصال الداخلي ، حيث أعلنت تونس انفصالها بزعامة المعز ابن باديس سنة 438هـ/1049م الذي أمر بصرف عملة خاصة به سنة 443هـ/1051م ، (5) كما انه في سنة 443هـ/1051م قطع المعز كل صلة له بالفاطميين و أقام الخطبة للعباسيين بإفريقية (6) .

كما تصارع أفراد الجند الذين جلبهم الخلفاء الفاطميون من شتى الجنسيات ، حيث وقعت صراعات دامية في القاهرة و داخل قصر الخليفة بين طوائف الجند المختلفة ، وخاصة الأتراك و السودان (7) .

و استمرت الأوضاع المضطربة داخل البلاد بالرغم من الجهود التي بذلها الوزير الأرميني الأصل والمدعو بدر الجمالي أبي الفرج ، والذي استدعاه الخليفة المستنصر .

(*)- تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط شمال صور بحوالي 40 كم. و 50 كم جنوبي العاصمة بيروت .

(1)- ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص. 83 .

(2)- ابن ظافر ، المصدر السابق ، ص58-99 ؛ النويري ، المصدر السابق ، ج.26 ، ص.62 .

(3)- المقرزي : تعاض الحنفاء ، ج.2 ، ص. 129 . ؛ المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط والآثار ، بولاق ، 1270هـ ، ص.304 .

(4)- ابن القلانسي ، نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(5)- ابن سعيد ، المصدر السابق ، ص.79-80 و ص.357 ؛ المقرزي ، تعاض الحنفاء ، ج.2 ، ص.214 .

(6)- ابن عذاري (أبو عبد الله) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج1 ، تحقيق: ج.س. كولان و إلفي بروفنسال ، ليدين ، 1948م ، ص.280 . ؛ ابن ميسر (تاج الدين محمد) ، أخبار مصر ، تحقيق: أيمن فؤاد ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، 1981م ، ص.11-12 .

(7)- سيد (أيمن فؤاد) ، الدولة الفاطمية ، ط.1 ، لدار المصرية واللبنانية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1413هـ/1992م ، ص.134 .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

للخروج من هذه الأزمة وإصلاح أوضاع البلاد،⁽¹⁾ إلا أن هذا الأخير كان منشغلا بالعبث و اللهو . مما سمح لبدر الجمالي ببسط نفوذه ، إذ أنه عهد بالوزارة لابنه الأفضل الذي كان يشاركه في أعمال الوزارة فلما توفي بدر في جمادى الأولى 487هـ/1094م، خلفه ابنه في الوزارة.⁽²⁾ وبذلك استمرت الأوضاع المضطربة داخل البلاد بالرغم من الجهود التي بذلها الوزير بدر الجمالي،⁽³⁾ وقد نسبت للمستنصر تصريحات تندد بالقيم الإسلامية، فأدت تصرفاته إلى تمرد إحدى فرق جيشه سنة 460هـ/1067م ، مما تسبب في اندلاع حرب أهليه،⁽⁴⁾ الأمر الذي مكن السلاجقة من انتزاع القدس و فلسطين و دمشق من سيادة القاطمين سنة(469هـ/1076م).⁽⁵⁾

بعد وفاة المستنصر سنة 493هـ/1099م استمرت الأوضاع المضطربة داخل البلاد ، إضافة إلى الصراع حول السلطة بين أبنائه المستعلي و نزار، فتدخل الوزير الأفضل بن بدر الدين الجمالي لفك النزاع ، فأسند الخلافة إلى المستعلي وسميت فرقته بالمستعلية و لم يهتم بنزار الذي أيده الدورزيون،⁽⁶⁾ وهي فرقة إسماعيلية إيرانية بزعامة حسن بن صباح، والذين اعترفوا بإمامة نزار وسميوا بالنزارية.⁽⁷⁾

مهما يكن من أمر، فإن الخلافة الفاطمية امتازت بعدم الاستقرار وانعدام الأمن . ومن أبرز هذا مظاهر الضعف السياسي الذي أدى إلى هدم السلطة ، تداول عدد من الوزراء على مقاليد الحكم في ظرف قصير ، و يعود ذلك إلى انشغال الخليفة باللهو و البذخ ، فهو الأمر و

(1)-المقرزي، الخطط، ج.1، ص.382؛ و- الاتعاظ، ج.2، ص.311-312؛ ابن حجر (العسقلاني)، رفع الإصر عن قضاة مصر، ج.1، تحقيق: حامد عبد المجيد، الإدارة العامة للثقافة ووزارة التربية والتعليم، القاهرة، 1957م-1961م، ص.201.
(2)-المسبحي (الأمير المختار عز الملك)، أخبار مصر، ج.9، تحقيق: أيمن فؤاد سيد و تباري بيانكي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار، القاهرة، 1978م، ص.ص.15،19،20،32،38،42،48،61.
(3)- نفسه.

(4)- ابن القلانسي، المصدر السابق، ص.109-111؛ (عبد القادر) احمد اليوسف ، علاقات بين الشرق و الغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، 1969م ، ص.23 .

(5)- ماجد (عبد المنعم) ، الخليفة المفترى عليه ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1982م ، ص.3- 6 .

(6)- الأعظمي (محمد حسين)، عبقرية الفاطميين ، أضواء على الفكر و التاريخ الفاطمي ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت، 1960م ، ص.117 .

(7)- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج.10، ص.237؛ ابن ميسر ، المصدر السابق، ص.47-49؛ Lewis (B.),

Ishmaelite and the assassins in A history of crusades , Oxford , 1985 , T.I , pp. 102 -104 .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

العادة الشائعة في معظم شخصيات الخلفاء المنغمسين في أمور الدنيا ومذاهبهم و طقوسهم الشيعية و تخليهم عن أمور الدولة ، هذا ما سمح بتدبير الدسائس المؤامرات بين رجال البلاط و رجال الدولة .⁽¹⁾

و بالرغم من الضعف السياسي ، فإن الفاطميين لم يهملوا الجوانب العمرانية والفكرية ، فقد اهتموا بالمدينة المقدسة (القدس) ، وبنوا فيها مجموعة من المؤسسات أهمها : المستشفى الفاطمي ، ودار العلم الفاطمية ؛ وإقامة الخانات لتسهيل أمور التجار، وشجعوا العلوم والآداب.⁽²⁾

كما عرفت الأديان و الطوائف حرية واسعة في ممارسة شعائرها ، إلا أن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله أمر قام بتدمير كنيسة القيامة ببيت المقدس سنة (398هـ/1007م)،⁽³⁾ وتذكر المصادر التاريخية انه أمر بأن يرتدي أهل الذمة أزياء خاصة،⁽⁴⁾ وفي سنة 403هـ/1013م أمر بهدم جميع الكنائس المتواجدة بمصر ،⁽⁵⁾ فكان لذلك الأثر الكبير في تذرع الصليبيين لشن حملة على المسلمين ،⁽⁶⁾ إذ أمر أن يميز المسيحيين من المسلمين في حمامات فلسطين بصليب معقوف يعلقونه في رقابهم ، هذا فضلا عن تمييز اليهود بجلجل مكان الصليب وكان ذلك لفترة زمنية محدودة ،⁽⁷⁾ وانتهج الفاطميون سياسية التشدد ضد المسيحيين ، الأمر الذي أدى إلى هجرة عدد كبير من المسيحيين إلى خارج فلسطين.⁽⁸⁾

(1)- سعداوي (نظير حسان) ، الحرب و السلام زمن العدوان الصليبي ، القاهرة ، 1961م ، ص. 09 .

(2)- المقدسي (البشاري) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1991م ، ص. 191.

(3)- ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص. 175 .

(4)- المسبحي ، المصدر السابق ، ص. 97 ؛ الأنطاكي (يحيى بن سعيد) ، المصدر السابق ، ص. 194-207 .؛ ابن سعيد (المغربي) ، المصدر السابق ، ص. 52-53 . ، المقرزي ، المواعظ والاعتبار ، ج. 2 ، ص. 288 و ص. 341 ؛ خسرو (ناصر) ، سفرتامة ، ترجمة (يحيى) الخشاب ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1970م ، ص. 75 .

(5)- الأنطاكي (يحيى بن سعيد) ، المصدر السابق ، ص. 204-205 ، -النويري ، المصدر السابق ، ج. 26 ، ص. 57.

(6)- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج. 9 ، ص. 196 .

(7)- الأنطاكي (يحيى بن سعيد) ، نفس المصدر ، ص. 278-279 ؛ المقرزي ، اتعاظ الحنفاء ، ج. 2 ، ص. 94.

(8)- الكفافي (زيدان) وآخرون ، القدس عبر العصور ، اربد ، جامعة اليرموك ، 2001م ، ص. 132 ؛ الأنطاكي (سعيد) ،

المصدر السابق ، ص. 292.

(*)-العلاقات الفاطمية:

1- العلاقات الفاطمية البيزنطية: تميزت العلاقات الفاطمية البيزنطية بالتذبذب وعدم الاستقرار ، إذ تآرجحت بين السلم تارة والعداء تارة أخرى ،⁽¹⁾ ففي سنة 424هـ/1031م - 1032م استولى القبطان "نيقطا"(Nikita) على حصن نيكسراييل- في إقليم الأنصارية- الأمر الذي دفع بالخليفة الظاهر للجهاد ضد البيزنطيين .⁽²⁾ وامتعضا لما جرى من أخذ الروم البيزنطيين للرها(Edesse) سنة 426هـ/ 1030م ، وهو الأمر الذي دفع بالقائد البيزنطي للإمبراطور رومانوس الثالث أرجيروس Romain III (1028م- 1034م) للمفاوضات من أجل السلام، وكان ذلك سنة 426هـ/1034م زمن الخليفة المستنصر بالله .⁽³⁾ وتواصلت المفاوضات في عهد ميخائيل الرابع البفلاجوني Michel IV le Paphalagonien (1034م- 1041م) الذي تعاهد بإطلاق الأسرى المسلمين ،⁽⁴⁾ مقابل بناء كنيسة القيامة .⁽⁵⁾

إن العداء ليس السمة الوحيدة التي ميزت العلاقات الفاطمية البيزنطية دوما ، بل تخللتها فترة من السلم ، إذ منح الخليفة الفاطمي المستنصر قطعة أرض للمسيحيين اللاتين- جنوب كنيسة القيامة- لبناء مركز لإقامتهم وإقامة غيرهم من النصارى الأوروبيين أثناء وجودهم في القدس ، وعرف بحي النصارى .⁽⁶⁾ وعرض الإمبراطور أيضا على الظاهر الفاطمي أن يعطيه حصن شيزر مقابل حصن أفاميه ،^(*) قبل الظاهر بكل الشروط ماعدا الشرطين المتعلقين بعدم تقديم المساعدة لحلب^(**) و أن تدفع الجزية السنوية لبيزنطة .

(1)- عبد الحميد (زايد) ، القدس الخالدة ، القاهرة ، 1974م ، ص.121 – 122 .

(2)- نفسه.

(3)- الحنبلي (مجير الدين) ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ج.1، مكتبة المحتسب ، عمان ، 1973م ، ص.304.

(4)- وكان هدم دار العبادة كنيسة القيامة من أهم الآثار في الدعاية للحملة الصليبية الأولى فيما بعد . انظر: - احمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص.23 .

(5)- نفسه

(6)- الأنطاكي (سعيد) ، المصدر السابق ، ص.155.

(*)- الأصفهاني (عماد الدين) ، المصدر السابق ، ص.3 ولمعرفة الموقع انظر الملحق رقم.03 ، ص.279.
(**)- تقع شمال سوريا، وهي ضمن أراضي بلاد الشام الأربعة (سوريا ولبنان والأردن وفلسطين) بالقرب من الحدود التركية ، وتبعد حلب عن العاصمة السورية دمشق حوالي 340 كيلو متراً تقريباً على الطريق البري، حيث تقع حلب إلى الشمال من دمشق. انظر إلى - يوركي (حلاق عبد الله) ، حليبات - دراسة ، حلب ، 1983م ، ص.4.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

واستمرت المراسلات بين الجهتين أيام رومانوس الثالث و زمن ميخائيل الرابع (1) .
و في عهد المستنصر وفي سنة 426هـ/1034م تم إبرام الهدنة بعد المفاوضات بين الطرفين ، والمحتمل أن البيزنطيين تنازلوا عن الشرط المتعلق بحلب (2) و ترتب عن هذه المفاوضات أن توقفت العداوة لفترة من الزمن (3) . كما تجددت المعاهدة بين قنسطنطين التاسع مونوماك Constantin IX Monomaque (1042-1055م) مع الفاطميين سنة 438هـ/1046م ، وبحكمها صار بوسع موظفي الإمبراطورية البيزنطية الحرية في السفر إلى بيت المقدس (4) .

و بهذا الصلح و هذه المعاهدات لم تحصل أي اعتداءات بين الطرفين لأن كلاهما أراد كبح التوسعات السلجوقية و بذلك عبدوا الطريق للصليبيين .

(2)-العلاقات الفاطمية والفرق الاسماعلية :

كثيرا ما تسببت هذه الفرق في تفرقة المسلمين لهذا تحتاج إلى دراسة و لو كانت سطحية نظرا لخطورتهم .

إنهم من الشيعة الفاطميين ، و أشهر فرقهم الحشاشيين و أخطرهم القرامطة المعروفين باعتداءاتهم و حبهم لسفك الدماء ، لهذا يعتبرون من أقوى العوامل التي ساهمت في هدم كيان الخلافة العباسية و كذا الخلافة الفاطمية و المجتمع الإسلامي بأسره (5) و كانوا بصمة سيئة في التاريخ الإسلامي بتعاونهم مع أعداء الإسلام فاغتالوا العديد من القادة المسلمين والعلماء ليتمكنوا من إغواء الخلق (6) ، إذ أن القرامطة منذ أواخر القرن (3هـ/9م) كانوا ينشرون

(1)- عبد الحميد (زايد) ، المرجع السابق ، ص.122 .

(2)- السرحاني (راغب) ، المرجع السابق ، ص.312 .

(3)- ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص.75 .

(4)- السرحاني (راغب) ، نفس المرجع ، ص.312-313 .

(5)- شلبي (أحمد) ، موسوعة الحضارة الإسلامية ، مطابع الرجوي ، القاهرة ، 1973م ، ج.5 ، ص.433 - 434 .

(6)- الذهبي (شمس الدين) ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ت . التدمري (عمر عبد السلام) ، ط.2 ، دار

الكتاب العربي ، 1414هـ ، بيروت ، حوادث 321-330 ، ص.23 .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

الرعب و الخوف و الفرع ، فكانوا يبيحون سفك الدماء و يغيرون على الأمنين في الجزيرة العربية و الشام و العراق. ويقول الإمام الذهبي: "إن القرامطة،^(*) هاجموا الحجيج وقتلوا وسبوا واستباحوا حرم الله وقلعوا الحجر الأسود ..."⁽¹⁾، كما أنهم قاموا بحركات ثورية ضد مراكز النفوذ العباسي و سيطروا على طريق الحج فيما بعد إمعانا في إغضاب العباسيين،⁽²⁾ و بالرغم من ذلك تمكن الفاطميون من الاستيلاء على الشام بعد القضاء على القرامطة.⁽³⁾ لكن الفرقة التي كانت أشد خطورة هم الحشاشون أي النزارية،⁽⁴⁾ و التي تعاونت مع الصليبيين و فتكت هي الأخرى بالكثير من القادة المسلمين، و قبل الحرب الصليبية، وفي عام 483هـ/1090م ركزت هذه الفرقة بزعامة الحسن بن الصباح في الشمال الغربي من إيران أين أخذ هذا الأخير يأمر أصحابه بالاعتقال و سفك الدماء ، و قد حاول الملك السلجوقي القضاء عليهم و لكنه لم يفلح نظرا لقوتهم.⁽⁵⁾ و تمكنوا سنة 485هـ/1092م من قتل وزير الدولة السلجوقية نظام الملك .

و لم تمض ستة سنوات على تلك حتى اغتالوا عبد الرحمن السميري والأمير يوسف و أرغش النظامي و غيرهم.⁽⁶⁾ و في سنة 499هـ/1105م هاجموا قافلة الحجاج الواردة من خراسان ، وقتلوا جميع من فيها و أخذوا أموالهم و قتلوا أبا جعفر المشاط ، وهو من شيوخ الشافعية.⁽⁷⁾ كما أنهم هاجموا على الخليفة المسترشد (488-512هـ/1094-1118م)، و الذي حاول الاستقلال بأمره و إزاحة نفوذ السلاجقة، و حاول ضبط و ترتيب أمور الخلافة،

(*)- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ط.1 ، الكتب العلمية ، بيروت ، 1407هـ ، ج.5 ، ص.601. أنظر فيه عن تاريخ القرامطة.

(1)- الذهبي (شمس الدين)، المصدر السابق ، ج.15 ، ص.145 .

(2)- نفسه.

(3)- ابن الطباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية و الدولة الإسلامية ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ، 1980 ، ص.258.

(4)- نفسه، ص.285.

(5)- Lewis(B.),op .cit , T.1 ,

p.102.

(6)- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.8 ، ص.185.

(7)- نفس المصدر ، نفس الجزء ، ص.228 .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

إلا أن الحشاشين قاموا بقتله (1) ومن أهم خياناتهم أيضا نجد محاولة أبو الوفاء الباطني تسليم دمشق للصليبيين ، و كذلك تسليم إسماعيل الباطني حصن بنياص لهم ، بل فعل أكثر من ذلك ، إذ سار معهم (2).

أما الدروز فهي فرقة باطنية تولها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، أخذت جل عقائدها من الإسماعيلية (3) و تنسب إلى تشكين الدروزي ، حيث نشأت في مصر ، لكنها لم تلبث أن هاجرت إلى الشام . و عقائدها خليط من عدة أفكار و أديان ، و تؤمن بسرية أفكارها فلا تنتشرها على الناس ولا تعلمها لأبنائها إلا إذا بلغوا سن الأربعين (4).

و المؤسس الفعلي لهذه الفرقة هو حمزة بن علي بن محمد الزوزني و هو الذي أعلن سنة 408هـ/1017م أن روح الإله قد حلت في الحاكم و دعا إلى ذلك و ألف كتب العقائد الدروزية (5) قد كان معه محمد بن إسماعيل الدرزي المعروف بتشكين في تأسيس عقائد الدروز ، إلا أنه تسرع في إعلان ألوهية الحاكم سنة 407هـ/1016م ، أغضب حمزة عليه و أثار الناس ضده ، وكان نتيجة ذلك فراره إلى الشام و هناك دعا إلى مذهبه و ظهرت الفرقة الدروزية التي ارتبطت باسمه (6) ويقول الإمام الذهبي عن حمزة بن علي : " و قد قتل الدرزي الزنديق لادعائه ربوبية الحاكم ، وكان قوم من جهلة الغوغاء، إذا راو الحاكم يقولون : يا واحد يا احد يا محي يا مميت " (7) وهذا دليل على فساد دينهم .

(1)- المقدسي (شهاب الدين) ، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ج. 2 ، ص. 31 .

(2)- بن مظفر الوردي (عمر) ، تنمة المختصر في أخبار البشر ، القاهرة ، مصر ، 1285هـ ، ج. 20 ، ص. 34 - 35 .

(3)- الأعظمي (محمد كامل) ، طائفة الاسماعيلية تاريخها ، نظامها ، عقائدها ، القاهر ، 1959م ، ص. 148- 150 .

(4)- نفسه .

(5)- الذهبي (شمس الدين) ، سير أعلام النبلاء ، ج. 15 ، ص. 180-181 .

(6)- الأعظمي ، نفس المصدر ، ج. 15 ، ص. 149-150 .

(7)- الذهبي (شمس الدين) ، نفس المصدر ، ج. 15 ، ص. 180-181 .

(ج) - أوضاع الأتراك السلاجقة :

يعتبر طغرل بك المؤسس الحقيقي للدولة السلجوقية ،⁽¹⁾ إذ استطاع طغرل بك أن يقضي على نفوذ بني بويه سنة 447هـ/1055م في بغداد وان يقضي على الفتن المذهبية فيها .⁽²⁾ وبعد وفاته أسند الحكم للملكشاه ، الذي عين أخاه تاج الدولة تنش (Toutouch) سنة 470هـ/1077م على المناطق التي سيطر عليها في بلاد الشام ، وذلك من أجل متابعة الفتح ، فأسس هذا الأخير دولة سلاجقة الشام ، كما عين ملكشاه أحد أقاربه ويدعى سليمان بن قتلمش بن إسرائيل والياً على آسيا الصغرى التي كانت تابعة للإمبراطورية البيزنطية ، وتمكن هذا القائد من وضع حد لتوسعات البيزنطيين ، و لمتابعة الفتح أسس دولة سلاجقة الروم في نفس السنة .⁽³⁾ وقد استمرت هذه الدولة (224 سنة) وكان أول سلاطينهم سليمان بن قتلمش الذي يعتبر مؤسس هذه الدولة .⁽⁴⁾

وبوفاة طغرل بك تولى مقاليد الحكم على الدولة السلجوقية ألب أرسلان ، الذي تبينت فتوحاته في آسيا الصغرى ، إذ دخلوا التاريخ من بابه الواسع بعد انتصارهم على إمبراطور الروم رومانوس الرابع Romain IV Diogène (1068م-1071م) في أشهر الحروب السلجوقية البيزنطية ألا وهي معركة ملازكرت ،⁽⁵⁾ أين الحقوا بالإمبراطور

(1)- ابن الأثير ،المصدر السابق ،ج9 ،ص166 .
(2)- ابن الجوزي ،المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،ج8 ، ط. الهند ،حيدر آباد الدكن ،ص.164 . ؛ دهيش (عبد اللطيف) ، المرجع السابق ، ص.19 .

(3)- شبارو (عصام محمد) ، المرجع السابق ، ص. 28 .

(4)- دهيش (عبد اللطيف) ، نفس المرجع ، ص.29 .

(5)- وقعت هذه المعركة سنة 465هـ/1071م بين الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع الذي جمع جيشا كبيرا من البجناك و الغز والنورمان و الإفرنج لملاقاة السلاجقة بقيادة ألب أرسلان فظفرت ببعض النجاح 461-462هـ/1068-1069م ، إلا أن الحملة الثالثة انتهت بهزيمة ساحقة في مدينة ملازكرت بأرمينيا بالقرب من بحيرة وان . أنظر:- الأصفهاني (عماد الدين) ، تاريخ دولة آل سلجوق ، مطبعة الموسوعات ، القاهرة ، مصر ، 1318هـ/1900م ، ص.37-42 . ؛ العبد (محمد) ، أعياد التاريخ نفسه ، مراجعة وتعليق : طه عبد الرؤوف سعيد ، ط . دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1411 هـ ، ص. 20 . ؛ رستم (أسد) ، الروم في سياستهم وحضارتهم وثقافتهم وصلاتهم بالغرب ، ج.2 ، دار المكشوف ، بيروت ، 1956م ، ص.110-111 ؛ وارجع أيضا إلى :

- Flori (J.) , *La première croisade* , éd. Complexes , Bruxelles , 2001 , p.20.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

البيزنطي رومانوس الرابع هزيمة نكراء كادت تقضي تماما على جيشه،⁽¹⁾ و أسر الإمبراطور رومانوس الرابع من طرف المسلمين،⁽²⁾ إذ يقول ابن كثير (... لما وقف بين يدي السلطان ألب أرسلان ضربه بيده ثلاث فلكات وقال : "لو كنت أنا الأسير بين يديك ، ما كنت تفعل ؟" قال : "كل قبيح" ، فقال : "فما ضنك بي ؟" فقال : أما أن تقتلني وتشهرني في بلادك ، وإما أن تعفو عني وتأخذ الفداء وتعيدني ". قال: "ما عزمت على غير العفو و الفداء")⁽³⁾ فافتدى منه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار . أي أفتدى نفسه بفدية مالية اضطر رومانوس عقد صلح مهين قبل بموجبه أن يدفع جزية سنوية للسلاجقة، وان يطلق سراح الأتراك، وان يقدم مساعدة عسكرية لسلاجقة عند طلبهم،⁽⁴⁾ فقام بين يدي الملك و سقاه شربة من ماء و قبل الأرض بين يديه ، و قبل الأرض إلى جهة الخليفة إجلالا و إكراما ، وأطلق له الملك عشرة ألف دينار ليتجهز بها ، وأطلق معه جماعة البطارقة ، وأرسل معه جيشا ، ومعه راية مكتوب عليها لا اله إلا الله محمد رسول الله .⁽⁵⁾ و لم يتوقع رومانوس الرابع المصير المشؤوم الذي كان ينتظره . وعندما وصل إلى بلاده تم عزله عن العرش ،وسملوا عينيه وتوفي جراء ذلك . ويعتبر هذا الانتصار نقطة تحول في التاريخ الإسلامي،⁽⁶⁾ ومكسبا هاما للمسلمين ،وفتحت أبواب آسيا الصغرى أمام السلاجقة ، في حين أنها كانت نكسة عظيمة للبيزنطيين ، إذ لم ينهزم البيزنطيون فحسب ، بل تم اسر الإمبراطور نفسه ، إنه اعتداء على الرمز الأول في الإدارة الإمبراطورية البيزنطية . و بهذا أخذت حدود الإمبراطورية تنتقل ، فسقطت منها مدينة باري قاعدة الحكم البيزنطي في جنوب ايطاليا . وبعد وفاة ألب أرسلان تولى ابنه ملكشاه زعامة السلاجقة ،⁽⁷⁾ واتسعت الدولة

(1)- ابن الأثير ،المصدر السابق ،ج.10،ص.22 .؛ابن العديم ،زبدة الحلب في تاريخ حلب ،ج.2 ،ت. سامي الدهان ،المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ،1954 م ، ص .27 .؛ الرواندي ،المصدر السابق ،ص.189 .؛ البندري ،المصدر السابق ،ص.40-42 .؛ فيشر ،المرجع السابق ، ص.175 .

(2)- Ostrogoski (G.) , **History of the Byzantine state** , Oxford , 1956 , pp.204-304 .

(3)- ابن كثير ، المصدر السابق ، ج 12 ، ص 108 .

(4)- مرسي الشيخ (محمد محمد) ، المرجع السابق ،ص.313 .

(5)- ابن الأثير ،المصدر السابق ،ج.10 ،ص.10 .؛ براون (ادوارد جونفيل)، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي ، ترجمة :الشواربي (إبراهيم) ،القاهرة ،1954م ،ص. 223 .؛اسكندر (فايز نجيب) ،البيزنطيون والأتراك السلاجقة في موقعة ملاذكرت ، الإسكندرية ،1983م ،ص.23 .

(6)- ابن الأثير ،نفس المصدر ،ج.10،ص.119 .

(7) البندري ، المصدر السابق ،ص.70 .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

السلجوقية في عهده لتبلغ أقصى اتساعها إذ أصبحت تمتد من من أفغانستان شرقاً إلى آسيا الصغرى غرباً و بلاد الشام جنوباً. (1) وبوفاته انتهى عهد القوة والمجد (447-485هـ/1055-1092م) الذي عرفته الدولة السلجوقية في عهد السلاطين الثلاثة ، ليبدأ بعد ذلك دور الضعف والصراع. (2) وبعد وفاة ملكشاه خلفه تتش (458-487هـ/ 1065-1094م)، و في سنة 464هـ/1070م استطاع تتش أن يدخل أرض الشام ، و استطاع انتزاع فلسطين و دمشق من الفاطميين، (3) وهذه الانتصارات تعد بداية موفقة .

وفي سنة 465هـ/1073م استولى مقاتل تركي سلجوقي اسمه أتسير بن أرتق (احد أتباع تتش بن سليمان بن قتليмыш) على بيت المقدس، (4) حيث حاصر تتش المدينة عام 465هـ/1073م ، واستولى عليها دون قتال، (5) و لم يلبث أن احتل كل فلسطين حتى حصن عسقلان(*) الواقع بأطرافها ، و استولى على دمشق في سنة 471هـ/1078م ومن ثم حلب

-
- (1)- البندري، المصدر السابق، ص71؛ الحموي (ياقوت)، معجم البلدان، ج.1. ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1374هـ/1955م، ص.269؛ شبارو (عصام محمد)، نفس المرجع ، ص. 29 .
- (2)- ابن الجوزي (المظفر) ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، تحقيق : إحسان عباس ، ط.1 ، دار الشروق ، القاهرة، 1985م ، ص.185.
- (3)- هو تاج الدولة أبو سعيد تتش بن ألب ارسلان ، سلطان دمشق ومؤسس دولة سلاجقة الشام ، واخو السلطان الملكشاه ، واستطاع الاستيلاء على دمشق سنة 471هـ/1078م ، ومن ثم على حلب سنة 478هـ/1085م ، وكانت علاقته مع ابن أخيه بركياروق (Barkiyarog) سيئة ، فوقعت مشاجرات عديدة بينهما أودت بحياة تتش سنة 487هـ/1094 . انظر : - ابن الجوزي (عبد الرحمان) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دار صادر ، بيروت ، 1358 هـ ، ج.9 ، ص. 87 .
- (4)- ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1909م ، ص.106-108؛ أبي الفداء، المختصر في أخبار البشر ، ج.2 ، القاهرة ، 1325هـ ، ص.149.
- Laurent (L.) , *Des Grecs aux croisades, étude sur L'histoire d' Edesse* ,T1, Bruxelles , 1924 , pp. 403 – 410
- (5)- النويري، نهاية الأدب في فنون الأدب ، ج.26 ، المطبعة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م ، ص.216. ؛أحمد شلبي ، نفس المرجع ، ج 5 ، ص 433 .
- (*)- هي مدينة فلسطينية تقع بين غزة وبيت جبريل ويقال لها عروس الشام. أنظر :- الحموي (ياقوت) ، المصدر السابق ، ج.4 ، ص.122.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

عام 478هـ/1085م⁽¹⁾، واسترد الفاطميون بيت المقدس سنة 479هـ/1086م ، غير أن أتسير طردهم منها بعد حصار دام عدة أشهر⁽²⁾ . و بعد سيطرة السلاجقة على بيت المقدس أخذ الحجاج المسيحيون يشتكون من سوء معاملة هؤلاء لهم أثناء حجهم ، ومن متاعبهم التي يتلقونها بعد عودتهم ، فازدادت العداوة بين المسيحيين و الأتراك ، و خاصة بعد أن نقل بطرس الناسك (Pierre L'Ermite)^(*) إلى البابا أوربان الثاني الدعاية عن وضع المسيحيين هناك ، إذ تلقاها من سيمون (Simon) بعد لقائهما في الحج ، وتحمل هذه الدعاية ما يعانيه المسيحيون من اضطهاد السلاجقة في عهدة أتسير ابن أرتق ، خاصة بعد توغلهم في آسيا الصغرى و استيلائهم على نيقية (Nicée) و التي اتخذوها عاصمة لدولتهم ووصلوا إلى مشارف بحر مرمره⁽⁴⁾ . و لم يلبث الفاطميون أن هاجموا أتسير بدمشق فاستنجد بالأمير السلجوقي تنش ابن سليمان وهزمهم ، وبذلك أقام تنش و نائبه أرتق والي بيت المقدس حكومة مستقرة ، ولم يتعرض المسيحيون للاضطهاد في عهده⁽⁵⁾ .

و بعد أن تربع على عرش الإمبراطورية الإمبراطور أليكسوس كومنوس عمل على إزاحة الخطر النورماني^(**) عن الإمبراطورية . و في سنة 1083م تفرغ إلى الجبهة الشرقية

(1)-ابن الجوزي،المصدر السليق،ج.9،ص87..

(2)- شليبي (أحمد)، المرجع السابق،ص.433.

(*)- راهب فرنسي ، ولد بأميان (Amiens)شمال فرنسا سنة 1050م، و كان الناس يظنون أنه يعلم الغيب ، و كان أعظم داع للحروب الصليبية ، والراجح انه حاول منذ سنوات أن يؤدي الحج إلى بيت المقدس ،أنظر : غير انه تعرض للأذى من قبل الأتراك . فقرر أن يكون زاهدا في الحياة ، وأصبح يرتدي ملابس رثة ، ولا يتناول لا الخبز و لا اللحم ، بل جعل غذاءه السمك ، واتخذ النبيذ شرابا له ، وبذلك أحاط بنفسه جو غريب من السلطة والنقوذ بين الناس . توفي سنة 1115م . انظر : - Mayer(G.E.) ,op-cit,pp.42-43 .- (ستيفن) رنسمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، الحرب الأولى

و قيام مملكة بيت المقدس ، ت : السيد الباز العربي ، ط.1 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1967م ، ج.1 ، ص.169-172 .

(4)- محمود سعيد عمران ، المرجع السابق ، ص.18 .

(5)- ابن الوردي(أبو حفص زين الدين عمر بن المظفر)،تتمة المختصر في أخبار البشر، ج.2، ت.(أحمد رفعت)

البدراوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1977م، ص.571.

(**)-النورمان :ينحدر أصول ا لنورمان كباقي سكان شمال وسط أوروبا من سلالة جرمانية ، واعتادوا الملاحة ببحر البلطيق وبحر الشمال ، وإن لم يكن معظمهم بحارة بل من الفلاحين .وكانت المناطق التي يسكنوها قاحلة ومخيفة، لهذا =

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

التي كانت عرضة لتهديد السلاجقة ، و بدأ بتحريض الأمراء الأتراك ضد بعضهم البعض ، حيث عقد معاهدة تحالف سنة 477هـ/1084م مع سليمان ابن قتليмыш (Soleiman ibn Koutoulmich) ، وتمكن هذا الأخير بهذا الحلف من الاستيلاء على أنطاكيا ، ثم الزحف على حلب ، التي استنجد أميرها (أمير حلب) بتتس الذي قضي على سليمان .⁽¹⁾ وكانت نتيجة ذلك انتشار الفوضى في أرجاء الأناضول .

تمكن الإمبراطور البيزنطي بالفعل من زرع التفرقة بين الأتراك السلاجقة ، إذ ظلت نيقية لمدة ست سنوات في حوزة أحد المتمردين الأتراك و هو أبو القاسم .⁽²⁾ إلا أن السلطان ملكشاه استطاع أن يسيطر على أمور هذه الدولة ، و عزل أبا القاسم ، وولى مكانه قليج أرسلان الأول بن سليمان .

بلغت الدولة السلجوقية قمة مجدها في المجالين الداخلي و الخارجي في عهدي ألب أرسلان و ملكشاه ، و يعود الفضل في قوتهما الداخلية إلى جهود الوزير نظام الملك^(*) الذي يعتبر من أعظم الوزراء السلاجقة ،⁽⁴⁾ والذي قتل من طرف إسماعيلي نزارى سنة 495 هـ / 1092م .⁽⁵⁾

=كانو مضطرين إلى غزو المناطق الجنوبية.- , Cotterill (H.B.) ; **Medieval Italy during a a years** ,

Art and literature ,Geogre (G.) , Harrap , London , 1915 , p.399

(1)- رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، ج.1 ، ص. 118 .

(2)- نفسه ، ص.118.

(*)- على بن حسن ، ولد قرب مشهد (مدينة الرضا في إيران) ، وقد اختلف المؤرخون حول نسبه ومكان مولده ، وقد تعلم اللغة العربية والقرآن وفقه الشافعية بطوس (مدينة بخرسان) وتعلم علوم الحديث في مدن خراسان مثل مرويه بنيسابور و تقرب من عائلة السلطان طغرل بك ، ثم اشتغل في الوزارة في عهد ألب أرسلان وابنه ملكشاه . حتى سنة 466هـ/1073م.- أنظر : - ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.9 ، ص.264-267؛ ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص.1128. ؛ (ياقوت) الحموي ، المصدر السابق ، ج.4 ، ص.49-50. ؛ البنداري ، المصدر السابق ، ص.57-61؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.8 ، ص.472.؛ Sykes (P.) , op.cit , pp 30 – 31

(4)- البنداري ، المصدر السابق (آل سلجوق) ، ص.31- . ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.8 ، ص.481.

(5)- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.8 ، ص.476. ؛ الحسيني (صدر الدين) ، أخبار الدولة السلجوقية ، تصحيح : محمد إقبال ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1985م ، ص.65.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

والذي كلفه الحسن بن الصباح (1).

بدأ الضعف يسري في كيان الدولة السلجوقية خاصة بعد وفاة ملكشاه ، الذي كان يتحكم بزمام الأمور و يسيطر على الدولة ، وبعد وفاته، دبت الحرب الداخلية بين أبنائه طيلة عشر سنوات و انتهى الأمر بانقسام ملكه إلى ثلاث دويلات متناثرة ، فهناك سلاجقة : الأناضول (الروم) وإيران (فارس) و سورية (الشام).⁽²⁾ فسلاجقة الأناضول (الروم) تمكن الإمبراطور البيزنطي من التدخل في شؤونهم و الإمعان في تفرقتهم وخاصة و أن "قليج أرسلان" كان في نزاع مستمر مع إمارتي أزمير و الدانشمند و لم يستطع السيطرة على البلاد.⁽³⁾ أما سلاجقة إيران دخلوا في مشاكل و حروب داخلية زعزعت سيادتهم في إيران و العراق ، وبدأ الصراع حول العرش عقب وفاة ملكشاه ، إذ أسند هذا العرش إلى برقياروق Barkiyaroq (487هـ - 498هـ/1094م-1104م) ، الذي نازعه فيه عمه تنتش بن سليمان حاكم الشام،⁽⁴⁾ ودخلا في حرب انتهت بموت تنتش سنة 488هـ/1095م.⁽⁵⁾ و لم يستطع ولده رضوان بن سليمان صاحب حلب و دقاق بن سليمان صاحب دمشق أن يسيطروا على الأوضاع المتدهورة،⁽⁶⁾ بسبب الصراع بينهما على السلطة والصراع بين حكام الشام من السلاجقة وقوادهم،⁽⁷⁾ فانتقلت سيادة بيت المقدس إلى سقمان بن أرتق ،

-
- (1)- أحمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص. 18 – 19 .
 - (2)- النقاش (زكي) ، العلاقات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية بين العرب و الإفرنج خلال الحروب الصليبية ، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، 1365هـ/1946م ، ص. 09 – 11 .
 - (3)- أحمد اليوسف (عبد القادر) ، نفس المرجع ، ص. 25-26 .
 - (4)- ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ، ج. 1 ، تحقيق :عبد القادر طليمات ، القاهرة ، 1963م ، ص. 4؛ المقدسي (أبو شامة) ، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، القاهرة ، 1962م ، ص. 24؛ القلقشندي (أبو العباس) ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ج. 4 ، القاهرة ، 1963م ، ص. 170.
 - (5)- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج. 10 ، ص. 90؛ أبو الفداء ، المصدر السابق ، ج. 2 ، ص. 206؛ الحسيني ، المصدر السابق ، ص. 76.
 - (6)- شبارو (عصام محمد) ، المرجع السابق ، ص. 28-29 .
 - (7)- عن صراع الإخوة وعن حكام السلاجقة وعن قوادهم أنظر :-ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص. 133؛ ابن العديم ، المصدر السابق ، ج. 2 ، ص. 127؛ أبو الفداء ، نفس المصدر ، ج. 42 ، ص. 18؛ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج. 4 ، ص. 18.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

والذي لم تكن حكومته قوية بل اتسمت بالظلم والطغيان،⁽¹⁾ ناهيك عن الإمارات العربيتين الأخرين و هما طرابلس التي استقل بها القاضي بن عمار عن الفاطميين منذ سنة 486هـ/1089م ، و شيرز التي أسسها علي بن منقذ عام 474هـ/1081م . فدخلت الإمارات السلجوقية و العربية في صراعات حادة 460-461هـ/1096-1097م ،⁽²⁾ حيث انتهز الفاطميون ذلك الظرف فاحتلوا بيت المقدس يوم الأربعاء 15 رمضان عام 491هـ/ 26 آب من عام 1098م ،⁽³⁾ وذلك عندما قام الأفضل بن بدر الجمالي بحصارها وبها الأمير التركماني سقمان بن أرتق ما بين 491هـ/1098م-497هـ/1104م وأخوه إيلغازي وجماعة من أقاربهما ،⁽⁴⁾ وانتهى الحصار باستسلام المدينة للفاطميين.⁽⁵⁾

لو قدر للمسلمين أن يتفوقوا و يتحدوا لما استطاع الصليبيون أن يفعلوا ما فعلوا ، و لو قدر للسلاجقة خاصة لم شملهم ضد العدو المشترك و ترك النزاعات الداخلية جانبا لما أصاب الصليبيون القدس أبدا كما سيذكر لاحقا. زيادة على هذه الأحداث نجد أن انقسام بلاد الشام إلى عدة مقاطعات ،⁽⁶⁾ حيث لم يكن للشيعنة و السنة وحدة يتسم بها الفاطميون والعباسيون ، إضافة إلى وجود الدروز بجنوب لبنان، و النصرانية في شمالها. كما كانت هناك حركة أخرى ألا وهي الإسماعيلية النزارية و التي أطلق عليها الغرب تسمية الحشاشين ،والذين ساهموا في إسقاط الخلافة الإسلامية .

(1)- ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص.97 ، 109 .

(2)- ابن العديم ،المصدر السابق ،ج.2 ،ص.107.

(3)- أحمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص.26 – 27 .

(4)- الحنبلي (مجير الدين) ،المصدر السابق ،ج.1، ص.444.

(5)- محاسنة (محمد حسن) وآخرون، تاريخ مدينة القدس، ط.1، دار حنين للنشر والتوزيع، عمان، 2002م، ص146.

(6)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص. 160 – 161.

2- أوضاع الإمبراطورية البيزنطية و أروبا المسيحية قبيل الحملة الصليبية الأولى :

كانت أوضاع المشرق البيزنطي و الغرب اللاتيني لا تختلف عن المشرق الإسلامي ، لكنهم أحسنوا استغلال ضعف المسلمين على عكسهم لم يحركوا ساكنا . ولكي نتطرق إلى المسيحيين الغربيين ، يجب أن نعرف أولا علاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية التي تمثل المسيحيين في المشرق ، وأوضاعها الداخلية والعسكرية ، ثم نستعرض أوضاع الغرب اللاتيني قبيل الحرب الصليبية الأولى .

(أ)- أوضاع الإمبراطورية البيزنطية قبل الحملة الصليبية الأولى :

لقد كانت الإمبراطورية البيزنطية تمثل الخط الدفاعي للمسيحية في المشرق إلا أنها ضعفت بسبب الصراعات الداخلية و الهزائم الخارجية الفادحة على يد المسلمين أي الأتراك السلاجقة وغيرهم من القبائل المجاورة لها ، خاصة و يعود ذلك إلى عدة عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية إضافة إلى سوء الأحوال العسكرية كما سنرى في هذا الفصل:

1- الأوضاع السياسية :

تعتبر فترة ما بعد الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني قاهر البلغار (Basil II le Bulgaroctone 976 م - 1025م) ، والذي يدعى بجزار بلغاريا بداية نهاية مجد الإمبراطورية البيزنطية ، إذ بعد وفاته اعتلى العرش أخوه قنسطنطين الثامن Constantin VIII (1025م - 1028م) الذي كان على عكس شقيقه ، إذ كان يفتقر إلى الخبرة والدراية بشؤون حكم الدولة ، فأبعد الموظفين الأكفاء وقادة الجيش عن الحكم ،⁽¹⁾ وانشغل بحياة اللهو والعبث مع رفاق السوء والذين يدعون بالطواشي ، وقام بتسليم المناصب العليا لهم ،⁽²⁾ مما اثر على السياسة الداخلية والخارجية خاصة وأن قادة الجيش أصبح افتقروا إلى الطموح للوصول للسلطة وخاصة وأنهم تخلوا عن محاربة أعدائهم وفضلوا سياسة دفع الإتاوات

(1)- العريني (السيد الباز) ، المرجع السابق ، ص.816.

(2)- Ostrogorsky (G.) , A History of the the Byzantine states , translate by Hussey ,Oxford ,

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

والغرامات لتجنب الدخول في الحرب معهم،⁽¹⁾ مما أفقد من هيبة الإمبراطورية البيزنطية لدى جيرانها وأعدائها. وعند وفاته نجحت ابنته الإمبراطورة زوى (Zoe) في الوصول إلى العرش بمساعدة أزواجها الثلاث وهم عل التوالي رومانوس الثالث أرجيروس Romain III Argyre (1028م-1034م) وميخائيل الرابع البفلاجوني Michel IV Paphlagonien (1034م-1041م) ثم قنسطنطين التاسع مونوماخوس Constantin IX Monomaque (1041م-1041م) وبذلك أصبحت سلطة الإمبراطورية البيزنطية في يد النساء وملوك ضعاف،⁽³⁾ فازدادت الأوضاع سوءا،⁽⁴⁾ حيث أنه عند وفاة زوى سنة 1050م من المفروض أن أختها ثيودورا (Théodora) هي من تستلم العرش لكن قنسطنطين التاسع حال دون ذلك، وعند وفاته سنة 1055م انتقلت السلطة إلى صاحبة الحق الشرعي سنة 1055م إلى 1057 وهي آخر ممثل من الأسرة المقدونية (867م-1056م)،⁽⁵⁾ وبوفاة ثيودورا سنة 1055م ازدادت الأوضاع الداخلية والخارجية تدهورا في عهدها، إذ احتدم الصراع على السلطة بين الطبقة الأرستقراطية المالكة للأراضي وبين الفئة العسكرية،⁽⁶⁾ وهذا لم يكن وليد الصدفة بل ظهر منذ عهد قنسطنطين الثامن والذي قام بإبعاد فريق الأسر الارستقراطية المدعمة من طرف قادة الجيش، الأمر الذي ترتب عنه ضعف الجيش بسبب توقف هذه الأسر عن دفع الأموال للجند والقادة.⁽⁷⁾ وهكذا أصبحت السلطة في يد فريق الحكومة المركزية والذين كانوا يحكمون تحت لواء أباطرة سلالة البيت المقدوني وإبعاد

(1)- Ibid.

(2)- Vasiliev (A.A.). ;**The byzantine empire** , Madisson ,1956 ,t.1 , p.351.

(3) - حسنين (محمد ربيع)،دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية،دار النهضة العربية،القاهرة،1403هـ/1983م،ص.163.

(4)- الناصري (سيد أحمد)،الروم تاريخهم وحضارتهم وعلاقاتهم بالمشرق العربي،القاهرة،1993م،ص.347.

(5)- Ostrogorsky (G.), op.cit, p.288.

(6)- الناصري (سيد أحمد)،المرجع السابق،ص.307.

(7)- نفسه،ص.359.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

القادة العسكريين ،⁽²⁾ وحتى أنهم – رجال فريق الحكومة المركزية - أحكموا السيطرة على البطريك العجوز ميخائيل السادس ستراتوتيك Michel VI le Stratiotique (1056م- 1057م) ، وبهذا تضاعف أكثر شأن العسكريين ،⁽³⁾ ويعتبر نتويجه انتصارا لتيار المدني على حساب التيار العسكري ، الأمر الذي دفع برجال الجيش إلى القدوم إلى بيزنطة لينالوا حصتهم من هذا الإمبراطور ، ومن بين هؤلاء نجد إسحاق الأول كومنين (Isaac I Comnène basileus 1057م-1059م) ،⁽⁴⁾ إلا أن الإمبراطور عمد إلى محاربتهم ، فانجر عن ذلك قيام ثورة لخلعه عن السلطة ،⁽⁵⁾ وانتهت بتتويج إسحاق كومنين إمبراطورا وهو قائد الجيوش من الحزب الأسر الارستقراطية ،⁽⁶⁾ ويعتبر انتصاره أول انتصار على التيار المدني - تيار الحكومة المركزية- إذ حاول أن يقضي على الاضطرابات الداخلية ، وان يقيم حكومة عسكرية ،⁽⁷⁾ إلا أن سياسته العسكرية الصارمة وحرمان كبار رجال الجيش والعسكريين من الوصول إلى المناصب العليا في الدولة، جعلته يصطدم بالحزب المدني وهم من أصحاب ملاك الأراضي الذي تحالف مع رجال الكنيسة الذين دعموا إسحاق في الوصول إلى عرش الإمبراطورية ،^(*) إلا أنهم بهذا التحالف قرروا التخلص من هذا الإمبراطور، فدخلوا في صراع معه ، ولما انتابه اليأس من هذا الأمر ومن المرض تخلى عن العرش لصديقه قنسطنطين العاشر دوقاس Constantin X Doukas (1059م- 1067م) ،⁽⁷⁾ والذي كان زعيم الأرستقراطية المدنية ، وكان على اتصال برجال

(1)- الباز العريني (السيد) ،الدولة البيزنطية (323م -1081م) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،1982م ،ص.769.

(2)- نفس المرجع ، ص.770.

(3) - Ostrogorsky (G.), op.cit , p.298 .

(4) - Idem.

(5) - Bréhier (L.). ,L'Eglise et L'Orient au moyen âge-Les croisades ,Paris ,1938 , p.262.

(6) - Ibid. .p266.

(*)-كان البطريك كريلولاريوس يطمح إلى الجمع بين السلطة الدينية والمدنية ،الأمر الذي يدفع بالامبراطور اسحاق إلى عقد مجمع ديني ،أعدت فيه بنود الاتهام ضد كريلولاريوس ،وهي الخروج عن الدين ، الاستبداد ، القتل ، تدنيس الأماكن المقدسة ، غير أن البطريك كريلولاريوس توفي وهو في طريقه للمثول أمام المجمع الديني ، الأمر الذي أثار أتباعه على الإمبراطور. أنظر :- مرسي الشيخ (محمد محمد) ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،1994م ،ص.312.

(7) - Ostrogorsky (G.), op .cit, p.298 .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

الدين مما جعله يبتعد عن المؤسسة العسكرية والذي انعكس سلبا على الأوضاع الداخلية و الخارجية (1).

إن معظم الأباطرة اتبعوا تقريبا نفس السياسة تجاه فئة الجيش ، و قاموا بإبعادهم واحتقروهم ومنعوا عنهم النفقات والرواتب ، الأمر الذي ترتب عنه تراجع القوة العسكرية وازدياد الأخطار الخارجية ولم يستطعوا التحكم في زمام الأمور الداخلية بل بات الوضع يزداد سوءا من عهد إلى عهد . و عند وفاة قنسطنطين العاشر خلفته زوجته إيدوسيا (Eudokia) في الحكم ، والتي رأت الحل للأوضاع السائدة في اللجوء إلى القوة العسكرية ،فتزوجت بالقائد العسكري رومانوس الرابع ديوجنين (1068م-1071م) ، وتوج إمبراطورا في جانفي 1068م ،(2) وعمل على إعادة هيبية الإمبراطورية البيزنطية والدفاع عنها ، إلا أنه انتهى به الأمر بتسميل عينيه من طرف خصومه بعد هزيمته أمام الأتراك السلاجقة عام 1071م ،(3) فاعتلى ابن قنسطنطين دوقاس العرش وهو ميخائيل السابع دوقاس Michel VII Doukas (1071م-1078م) ،الذي اهتم بالشعر والفلسفة و إدارة الحكومة ، مما سمح بظهور الفتن والثورات داخل الإمبراطورية ،وبهذا دخلت عهد التفكك الحقيقي ، مما ساعد القائد نقفور بوتانياتيس Nicéphor III Botaniatès (1078م-1081م) على عزل الإمبراطور ميخائيل السابع ،(4) والذي لم يستطع التحكم في إدارة الحكم ، فانتشرت في عهده الفوضى أكثر ، ودخلت بذلك الإمبراطورية في عصر الفوضى والاضمحلال على كل الجوانب . وفي هذا الوقت كان من قادة جيشه أليكسوس كومنوس الذي ثار على القائد بوتانياتيس واعتلى العرش سنة 1081م .(1) في الواقع ، تعد فترة أليكسيوس العرش من

(1)- الناصري (سيد أحمد) ، المرجع السابق ، ص.369.

(2)- الباز العريني (السيد) ، المرجع السابق ، ص.736.

(3)- البنديري ،المصدر السابق ،ص.10. ؛ابن القلانسي ، المصدر السابق ،ص.99.

(4) Vasiliev (A .A.) ; op.cit, t.1 ,p.353. ؛ Ostrogorsky (G.) , loc.cit , p.248.

(5)- الباز العريني (السيد) ،المرجع السابق ،ص.835.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

المراحل الصعبة التي باتت تمر بها الإمبراطورية ، وذلك على الصعيدين الداخلي من جهة والخارجي من جهة أخرى . إذ كان عليه مواجهة أعداء الإمبراطورية الذين يحيطون بها من كل الجوانب ، كالأتراك في الشرق والنورمان في الجنوب والبجناك والغز في الشمال.

(2)- الأوضاع الدينية :

على الرغم من الثورات التي اندلعت في الإمبراطورية البيزنطية عقب وفاة باسيل الثاني ، من التناحر والتنازع الداخلي ، وعلى الرغم من الأخطار الخارجية التي ما فتئت تهدد الإمبراطورية البيزنطية من كل الجوانب ، إلا أن هذه الفترة شهدت حدثا بالغ الأهمية ، إذ يعد الانشقاق الديني (1054م) بين الكنيستين الكاثوليكية في الغرب والأرثوذكسية في الشرق حدثا مفصليا في تاريخ العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية وبين العالم الغربي.

في سنة 1043م تولى ميخائيل كرولاريوس Michel Kérularios (1043-1058م) بطريركية القسطنطينية ،⁽¹⁾ و الذي اشتهر بالكبرياء و كثرة الطموح و كان حريصا أيضا على تنظيم تقاليد الكنسية و كذا بلوغ الزعامة والسيطرة على الكنيستين،⁽²⁾ ولم يكن يرضى بالزعامة الدينية لروما ، ورأى أن عليه مواصلة النضال ضد هذه الأخيرة بعد المهادنة التي كانت بينهم منذ القرن التاسع ميلادي .⁽³⁾ وفي هذا الظرف كان يتولى كرسي البابوية في روما البابا ليو التاسع (Léon IX) الذي رغب هو الآخر في إحياء السلطة البابوية والحرص على أن تكون لها السيادة الكنسية ،⁽⁴⁾ ولم يكتف بذلك بل اقتنع بضرورة مد نفوذه الروحي إلى الكنيسة البيزنطية في جنوب إيطاليا ، وعمل على إزالة السيادة البيزنطية

(1)- البطريريك : معناه في المسيحية رئيس الأساقفة في الكنائس الأرثوذكسية ، فالبطريريك هو أسقف مقدم ، وله حق الولاية على جميع الأساقفة ، بمن فيهم رؤساء الأساقفة .-أنظر :- (أسد) رستم ، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ج.، المكتبة البولسية، بيروت، 1988م، ص405.

(2)- Grumel (V). Les préliminaires du Schisme de Michel Cérulaire ou question romaine avant (1054) , Vol. x , Revue des études Byzantines , 1952 , p.5-23.

(3)- Ostrogorsky (G.) , op.cit,p.297

(4)- Vasiliev (A .A.) , op.cit, T.1 , p.353.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

فيها والاعتراف بالنورمان كسادة عليها،⁽¹⁾ الأمر الذي أغضب المسيحيين الشرقيين . إضافة إلى أن في صيف سنة 1054م أرسل البابا ليو التاسع وفدا رفيع المستوى ، وكان يقوده الكاردينال^(*) Humbert Cardinal légat لكي يشرح رأي البابوية للبطريرك البيزنطي كريولاريوس،⁽²⁾ وبادلهم البطريرك بنفس المعاملة ، مما زادة من شدة الأزمة ، إذ بلغ الخلاف ذروته بين الطرفين ، وامتدت إلى التفاصيل الجزئية مثل المذهب والقوس وعدم زواج رجال الدين،⁽³⁾ لأن الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية تؤمن بانبثاق الروح القدس من الأب وحده أما الكنيسة الكاثوليكية تؤمن بانبثاق الروح القدس من الأب و الابن ، كما نجد أيضا من مظاهر هذا الخلاف أن رجال الكنيسة الغربية يستعملون الخبز المخمر في القداس ، وعكفوا على صيام الثبوت و أباحوا لقساوستهم حلق اللحية على عكس الكنيسة الشرقية .⁽⁴⁾ إن هذه الخلافات لم تكن نتيجة الصدفة وإنما كانت نتيجة لعلاقات جافة عبر قرون ماضية أي أنها خلافات تقليدية ، ولكن الأمر الذي أغضب البطريرك ورفض أن يقدم أية تنازلات هو أن الوفد البيزنطي أكد خلال هذا اللقاء أحقية روما في السيادة على الكنيسة الشرقية.⁽⁵⁾ فوضع همبرت على مذبح كنيسة صوفيا قرار الحرمان واللعنة على ميخائل ، والذي بدوره أصدر قرارا بحرمان المندوبين البابويين،⁽⁶⁾ وقد كان هدفه قبل ذلك ضم الكنائس الأرمنية^(**) التي ساد بها استخدام تقاليد وعادات مختلفة ، ولما رفضت الامتثال لأوامره أمر

(*)- الكاردينال (ج. كرادلة) هو مركز رسمي لأسقف مسؤول في الكنيسة الكاثوليكية، وهو عضو في مجمع الكرادلة ، ويتم تعيين الكرادلة من قبل البابا . يتولى الكرادلة مهمة انتخاب البابا القادم في حال وفاة البابا لكن يستثنى من هذا الانتخاب الكرادلة الذين يبلغون من العمر ثمانين عاماً أو أكثر. الكاردينال هو رجل دين مهمته انتخاب البابا .

(1)- (السيد الباز) العريني، المرجع السابق، ص.760-761.

(2)- Vasiliev (A. A.), op.cit, T.1 ,p.338.

(3)- فيشر ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، تعريب : مصطفى زيادة و السيد الباز العريني ، 1950م ، القاهرة ، مصر ، ص. 175 .

(4)- توفيق (عمر كمال) ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، الإسكندرية ، 1967م ، ص.130.

(5)- Grumel (V.), op.cit ,p.123.

(6)- (عبد القادر) أحمد اليوسف ، الإمبراطورية البيزنطية ، بيروت ، 1966 ، ص.ص. 128-129.

(**)- ضمت إلى الإمبراطورية البيزنطية .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

بإغلاقها (1) كما أخذ مجلس البطريريك يصدر قرارات ببطلان تقاليد اللاتين و عاداتهم و غلق كنائسهم في القسطنطينية فانفصلت نهائيا الكنيسة الشرقية عن الغربية وكان ذلك سنة 1054م (2).

وعلى هذا النحو وقعت القطيعة الدينية بين الكنيستين الشرقية والغربية والتي لعبت دورا بارزا في بناء ستار حديدي بين الجانبين ،وأصبح من الواضح انه لا توجد نية واضحة للتعاون بين الطرفين ،(3) على الرغم من أن بيزنطة كانت بحاجة ماسة إلى مساعدة الغرب الأوربي (4).

و لم تتحسن العلاقات بين الكنيستين الشرقية و الغربية إلا قليلا في السنوات العشر التالية ، بعدما تم عزل ميخائيل كرولاوريوس سنة 1059م ، فتم بذلك إعادة فتح الكنائس اللاتينية في القسطنطينية (5) وفي سنة 1073م تم انتخاب الكاردينال هيلدبراند (Cardinal Hildibrand) ليكون بابا على كنيسة روما باسم جريجوري السابع (1073م-1085م)،(6) إرتأى ميخائيل السابع أن من الخير أن يبادة إلى إظهار المحبة و المودة ،لهذا أرسل كتابا إلى البابا الجديد لتهنئته فيه بانتخابه وعبر عن رغبته في توثيق الصلة بينهما ، فابتهج البابا بذلك و اقتنع بأنه صادق فيما عرضه (7) ولما أطلعته مبعوثيه بالأوضاع التي كانت سائدة في القسطنطينية وما جاورها ، وقف جريجوري السابع على الوضع في آسيا فقرر طرد المسلمين منها ، فرأى أن الحرب المقدسة التي أحرزت نجاحا

(1)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1، ص. 146 – 147 .

(2)- نفسه ،ص.147؛ تاوضريس (إسحاق عبيد) ،روما وبيزنطة ،من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة

قسطنطين 869م-1204م ،دار المعارف ،القاهرة ،مصر ،1970م ،ص.25-33.

(3)- جوزيف (نسيم جوزيف) ،المرجع السابق ،ص.116-117.

(4)- توفيق (عمر كمال) ،المرجع السابق ،ص.131.

(5)- (ستيفن) ،المرجع السابق ،ص.147.

(6)- Jugie (M.) , Le schisme Byzantin , Paris , 1994 , pp.186-187.

(7)- Cécile (M.) , Les croisades ,Vendôme impression France ,2006 ,p.18-19.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

كبيراً عند اندلاعها في إسبانيا الإسلامية ، والتي كانت تسمى بحروب الاسترداد (Recoquista)،⁽¹⁾ إذ حفزت تلك الانتصارات التي أضحى يحققها المسيحيون في الغرب على المسلمين في الأندلس ، فسعت حثيثاً إلى نقل هذه الحرب إلى أراضي المشرق الإسلامي بسيادة،⁽²⁾ والتحالف مع البيزنطيين لطرده المسلمين في الأماكن المقدسة.⁽³⁾ ولما تم خلع ميخائيل السابع عن العرش بادر البابا بقطع المغتصب "نقفور بوتانياتيس 1081/1078م ، و لما حل أليكسوس كومنين سنة 1081م امتد قرار الحرمان الكنسي إلى الإمبراطور الجديد،^(*) لكن أليكسيوس الأول كتب إليه رسالة يلتمس فيها استرداد الثقة و يطلب منه المساعدة لوقف اعتداءات القائد النورماني روبرت قيسكارد (Robert Guiscard) ، غير أنه لم يجد الإجابة المرجوة ، فأغلق الكنائس اللاتينية بالقسطنطينية .⁽⁴⁾ و لما توفي جريجوري السابع سنة 1085م اعتلى البابا أوربان الثاني الكرسي الرسولي تغيرت الأوضاع بين الكنيستين الأرثوذكسية الشرقية والكاثوليكية الغربية.

3- الأوضاع العسكرية للإمبراطورية البيزنطية:

شهدت القوة العسكرية بعد وفاة باسيل الثاني تراجعاً كبيراً ، بسبب إبعاد قادة الجيش عن

(1)- رمضان (عبد العظيم) ، الصراع ب ن العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية ، دار المعارف ، القاهرة ، 1983م ، ص ص. 39، 66، 74.

(2)- Flori (J.) , **La première croisade** , éd. Complexe ,Bruxelles , 2001 , pp.17-19 .

(3)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1، ص. 148 – 150 .

(4)- كان الإمبراطور البيزنطي و الإمبراطور الألماني معاقبين بالحرمان الكنسي لهذا طلب الإمبراطور البيزنطي التحالف مع إمبراطور ألمانيا أنظر :- Le Goff (J.) , **L'Europe est elle née au moyen age ?** , éd. Seuil , 2003 , pp.86-
*-الحرمان الكنسي، هو عقوبة تنزلها الكنيسة بحق البعض من أبنائها "بهدف الحصول على التوبة"، وينتهي الحرمان بإعلان التوبة. إن الحرمان الذي ينصّ عليه الكتاب المقدس، يفضي إلى قطع الصلة بين الشخص والكنيسة، وبالتالي الصلة في الإيمان مع سائر المسيحيين . ينقسم الحرمان إلى نوعين، الحرم الصغير، وبموجبه يمنع المرء من التقدم لنيل أحد الأسرار السبعة المقدسة، لكن تقام عليه أشباه الأسرار بما فيها صلاة الجنازة. الحرمان الصغير يكون تلقائياً، فنصح شخص بالإجهاض أو حصّته على الانتحار مثلاً، يؤدي تلقائياً إلى الحرم الصغير وقطع الشركة مع الكنيسة الجامعة. أما الحرم الكبير، يمنع بموجبه المرء من أي عمل كنسي أو روحاني، حتى إشهار التوبة، ويكون شخصياً، ويضعه البابا أو مجمع مسكوني؛ غير أنه قد يكون عامّاً أيضاً، فمثلاً حكمت الكنيسة الكاثوليكية على أتباع الأحزاب الشيوعية الذين أنكروا وجود الله وحاربوا الدين بالحرمان الكبير. أنظر :- مطر (نعمة الله) ، فتاوى لاهوتية، جامعة الروح القدس، لبنان، 1966م، ص. 76.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

الحكم، الأمر الذي ينعكس على الوضع في الداخل والخارج . إذ أنه منذ عهد قنسطنطين الثامن قام بطرد الموظفين الأكفاء الذين عملوا في خدمة باسيل الثاني ، فانعكس ذلك على السياسة الخارجية للإمبراطورية،⁽¹⁾ كما أدى حرص الموظفين الجدد على الهيمنة على السلطة ، مما أثار كراهية القادة العسكريين وأصبحوا يبحثون عن السبل للوصول إلى السلطة وتغيير الأوضاع السائدة ، وراحوا يشتررون السلم من الأعداء ودفع الإتاوات لهم بدل محاربتهم والاشتباك معهم في معارك،⁽²⁾ ولهذا تقلصت الهيبة البيزنطية وتقلصت مساحة الإمبراطورية لدى جيرانها وأعدائها . ولم تتحسن أحوال الجند في عهد الأباطرة الآخرين ، وازداد تراجع الأوضاع العسكرية البيزنطية ، وخاصة وأن الأخطار الخارجية ظهرت وقت ضعف الإمبراطورية البيزنطية . وبخصوص هذه الأخطار نجد :

أ-البشناق (البجناك) والكومان والغز :

تعرضت الإمبراطورية البيزنطية في البلقان إلى هجمات قبائل البشناق (Petchenèques) ، وهم من القبائل الهمجية ذات الأصول التركية، والتي كانت تجوب البلاد من وراء نهر الدانوب فكانوا يجتازون هذا النهر من أجل الإغارة على الإمبراطورية البيزنطية.⁽³⁾ وقد عرفهم البيزنطيون قبل القرن الحادي عشر، كما أنه لم يقتصر دورهم على الإغارة فحسب بل كانت تربطهم مع بيزنطة علاقات تجارية حيث يأتون إليها بجلود الحيوانات . غير أن هجماتهم استمرت على بيزنطة منذ تولي الإمبراطور قسطنطين الثامن (1025م-1028م) حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي.⁽⁴⁾ ففي سنة 1033م اجتاز

(1) - Ostrogorsky (G.) ,op.cit,p .288 .

(2) - Ibid , p.302.

(3) رنسيما (ستيفن) ، الحضارة البيزنطية ، ت: عبد العزيز توفيق جاويد ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،

1961م، ص.111 .

(4) - الباز العربي (السيد) ، المرجع السابق ، ص.795.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

البشناق نهر الدانوب ، فأغاروا على أقاليم بيزنطة في بلغاريا وترافينيا،⁽¹⁾ فأصبحوا يشكلون خطرا على الإمبراطورية ، بالرغم من أن أباطرة الإمبراطورية حاولوا كبح جماحهم لكن دون جدوى. وفي أواخر عهد قنسطنطين مونوماخوس تكبد جيشه هزيمة ساحقة أمام البشناق ، فاضطر الإمبراطور إلى عقد معاهدة سلام معهم ، ومنحهم بموجبها أراضي في منطقة البلقان للاستقرار بها ،⁽²⁾ لتعرف هذه المنطقة عقب ذلك توافد كبير لهذه العناصر .وبما أن البشناق لم يتعودوا على الاستقرار ، أصبحوا يشكلون أكثر أعداء الدولة البيزنطية خطورة في الشمال . ومما زاد من خطورتهم هو وصول قبائل جديدة من البشناق وأقاربهم من الغز (Oghouz) ، الذين ظهروا على ضفاف الدانوب عهد قنسطنطين العاشر دوقاس (1059م-1067م) - وذلك للإغارة على الأراضي البيزنطية ،⁽³⁾ فتحالف البشناق والغز للإغارة على الإمبراطورية ، لكن الإمبراطورية فشلت في إيقافهم .

وعندما قامت الحرب الأهلية داخل الإمبراطورية البيزنطية بعد خلع ميخائيل السابع عام (1078م) فسح المجال أمام البشناق للقيام بنهب الأراضي البيزنطية في البلقان⁽⁴⁾ ، وقد ألحقت هذه القبائل خسائر فادحة في موارد الإمبراطورية ، لأنهم يتفقون مع أعداء الإمبراطورية ويقومون بعمليات النهب والسلب.⁽⁵⁴⁾ وقد هاجم الكومان^(*) البشناق تراقيا واستطاع أليكسيوس الأول أن ينجو من الموت بصعوبة وذلك عندما حصل بينهم خلاف حول الغنائم سنة 1088م ، وبعدها استطاع أن يعقد هدنة مع أعدائه ، لكن البشناق عاودوا

(1)- Schlumberger (G.), *L'Épopée byzantine à la fin du xe siècle* , , Paris ,1896-1905,P.209.

(2)- Vasiliev (A .A.) , op.cit, T.1 ,p.325-326 .

(3)- Idem.

(4)- قاسم (عبده قاسم) ، المرجع السابق ، ص.84-85.

(5)- هسي (ج.م) ، *العالم البيزنطي* ، ط.2 ، ت. (رأفت) عبد الحميد ، دار المعارف ، القاهرة 1982، ص.172.
(*)- الكومان : قبائل البدو والرحل تركية بربرية معروفة باسم القبقاق وجهوا غاراتهم نحو الإمبراطورية البيزنطية طوال القرن الحادي عشر .- العريني الباز (السيد) ، *المشرق الأوسط والحروب الصليبية* ، ج.1، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1960م ، ص.49 .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

الهجوم على تراقيا عندما اتفقوا مع صاحب أزمير^(*)، أليكسوس واستطاع بدبلوماسية إثارة طائفة من البربر ضد الأخرى ، وعمد إلى عقد اتفاقية مع الكومان والروس وتوجيههم ضد حلفائهم⁽¹⁾، واستطاع بذلك إلحاق الهزيمة بالبشناق في 22 أبريل سنة 1091م⁽²⁾.

ب- الأتراك السلاجقة :

بدأت الغارات السلجوقية على الجبهات البيزنطية سنة 441هـ/1049م من نواحي أرمينيا ، إذ استولي طعزل بك على ملطية سنة 449هـ/1057م⁽³⁾، و تمكن ألب ارسلان خلال فترة حكمه من احتلال مدينتي أني (Any) و قارص اللتين تمثلان الخط الدفاعي الأول للإمبراطورية البيزنطية في تلك المنطقة⁽⁴⁾. أما الحادثة الحاسمة بين الطرفين فكانت قرب ملازكرت والتي كانت السبب الرئيسي في عزل رومانوس الرابع (كما سبق ذكره)، و تم تتويج ميخائيل السابع إمبراطورا على العرش ، وعرف هذا الإمبراطور بسياسة مهادنة للنورمان، والذي جدد سياسة رومانوس الرابع وسعى إلى صداقة الزعيم النورماني روبرت قيسكارد (Robert Guiscard) سنة 1072م و طالبه الامبراطور رومانوس بأن يزوج ابنته بأخيه قنسطنطين (Constantin) ، مقابل توثيق التحالف و الصداقة بينهما ضد

(*)- صاحب أزمير : أصبح جاكما على أزمير بعد وفاة سليمان بن قتلمش سنة 480هـ/1086م ، وضم إليه ولايات

ماقر لوميدلكي و بعض جزر بحر ايجه بحيث أسس ولاية أزمير الكبرى ، فخاف منه أليكسيوس كومينوس الأول .
- راييس تامارا تالبوت ، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ت . لطفى الخوري وإبراهيم الداوقوي ، مطبعة الإرشاد ،
بغداد 1968م ، ص.50.

(1)- كلاري (روبرت) ، فتح القسطنطينية ، ت. (حسن) حبشي ، الحروب الصليبية الأولى ، مطابع دار الكتاب، القاهرة
، مصر ، 1958م ، ص.150.

-العريني الباز (السيد)، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج.1، ص.82-83 .

(2) - (202- p, 1969, Sewer Books, Britain, E.R.A, transited by ; Anna) Comnena (The Alexiad) ;
205.

(3)- فيشر ، المرجع السابق ، ص. 173 - 175 .

(4)- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج.10، ص.26-28 و ص. 32-41 . ؛ العريني الباز (السيد) ، الدولة البيزنطية ،
ص.740-741.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

السلاجقة، إلا أن قيسكارد رفض ذلك⁽¹⁾ و حاول مرة أخرى سنة 467هـ/1074م فاقترح أن يتزوج ابنه من ابنته، فوافق الأمير النورماني عن هذا العرض، و كان هذا التحالف ضد الأتراك السلاجقة و طردهم من آسيا الصغرى، و لكن طموحات روبرت قيسكارد كانت اكبر من هذا،⁽²⁾ إذ أراد أن يتربع على العرش(كما سيأتي ذكره) و لذلك تم عزل ميخائيل عن العرش سنة 471هـ/1078م.⁽³⁾ و قبل ذلك بثلاث سنوات تواصلت انتصارات السلاجقة أي في سنة 468هـ/1075م.⁽⁴⁾ وأدركت بيزنطة أن خلاصها يأتي من الغرب الكاثوليكي، و أخذت الإمبراطورية تتطلع إليهم منذ ذلك التاريخ لإنقاذها من المخاطر الإسلامية بالدرجة الأولى و من المخاطر المتمثلة في القبائل البشناق و الكومان التي تهاجم الإمبراطورية من جهات الدانوب من جهة أخرى .

تمكن نقفور الثالث (1078-1081م) الذي يعتبر من أكبر ممثلي الحزب العسكري، من إخماد ثورة الصقالبة^(*) سنة 1076م . و في نوفمبر سنة 1077م، دخل أدرنة مسقط رأسه و أعلن نفسه إمبراطورا، وأرسل جيشا إلى القسطنطينية.⁽⁵⁾ و في نوفمبر سنة 1078م أعلن نفسه إمبراطورا رسميا و زحف نحو القسطنطينية بمساعدة القائد التركي السلجوقي سليمان بن قتليмыш، لأنه بالرغم من انتشار الفوضى بآسيا الصغرى، إلا أن السلاجقة لازالوا يحافظون على الأملاك البيزنطية هناك.⁽⁶⁾ و ما كاد أن يدخل نقفور الثالث

(1) Cecil (M.), op-cit , pp. 14-17 .

(2) - روبرت ديسكارد : دوق أبوليا، و لد بهوتفيل في نورمانديا غرب فرنسا إلى جنوب ايطاليا وحاول إقامة دولة نورماندية على حساب بيزنطة بعد أن زحفت قواته إلى القسطنطينية ثم رجع إلى ايطاليا لظروف تستدعي ذلك .انظر: عاشور سعيد ،

الحركة الصليبية، القاهرة، 1982م ج.1، ص.123-124

(3) - حاطوم (نور الدين) ، المرجع السابق ، ص.830 .

(4) - فيشر ، المرجع السابق ، ص. 175 – 176 .

(*) - الصقالبة هو اسم أطلق على الرقيق من أصل روسي، كما ذكر أنّ هنالك صقالبة رُوس، وصقالبة بلغار، و هم شعوب تعيش بالقرب من بلاد الخزر في أعالي جبال الروم، ويقال أنّ الصقالبة من مناطق تقع ما بين القسطنطينية، وبلغار، وينقسم الصقالبة إلى صقالبة الغرب: وهم البولنديين، والسلوفاكيين، والتشيكين، بالإضافة إلى بعض العناصر في شرق ألمانيا. و صقالبة الشرق: ويشتمل هذا الفرع على الروس الكبار، والروس البيض(البروسيين)، والروس الصغار (الأوكرانيين). وصقالبة الجنوب : ويشتمل هذا الفرع على البلغاريين، والمقدونيّين، والصربيّين، والكرواتيّين، والسلوفيّين. أنظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج 21: المسلمون في الإمبراطورية الروسية، بيروت: المكتب الإسلامي، صفحة 16.

(5) Ostrogorsky (G.), op.cit , p. 307 -308.

(6) Idem .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

بقواته إلى نيقية في مارس سنة 1078م حتى اندلعت الثورة في العاصمة البيزنطية والتي دعمتها الكنيسة ، مما دفع بميخائيل السابع⁽¹⁾ للتخلي عن العرش و لجأ إلى أحد الأديرة . فاستنجد أهل القسطنطينية بنقفور الثالث و توجهوا إمبراطورا ، فاتهمه البطريريك كوزموس الأول (Cosmas Ier 1075م -1081م) بأنه لا يستطيع أن ينقذ الموقف ولا أن يصلح الأوضاع الداخلية.

و لم تكن فترة حكمه سوى المرحلة الأخيرة من التفكك الذي تعرضت له الإمبراطورية ، حيث لم يلبث الأمر حتى شب القتال بين القادة العسكريين حول الوصول إلى السلطة العليا ، و ظفر بذلك أليكسيوس الأول كومنوس سنة 1081م .

و يعتبر اعتلاء أليكسيوس الأول العرش البيزنطي نهاية لعصر الفوضى التي سادت الإمبراطورية منذ انقضاء الأسرة المقدونية و كان آخرهم إسحاق كومنين⁽²⁾ . و مع ذلك فقد ورث أليكسيوس الأول تركة محملة بالمسؤوليات الكبيرة خاصة على الصعيد الخارجي ، إذ اضطر إلى أن يواصل القتال باستمرار من كل جهة ،⁽³⁾ فهناك النورمان^(*)

(1)- هو الإمبراطور الذي تولى الحكم مباشرة بعد خلع رومانوس الرابع و الذي طلب من جريجوري السابع أن ينظم اجتماعا يجمع فيه المسيحيين لإنقاذ المسيحيين الشرقيين ، أنظر : Flori (J.) , op.cit , pp. 21 – 22 .
(2)- (السيد الباز) العريني ، الدولة البيزنطية 323 – 1081م ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1986 ، ملحق 1 : عن أباطرة الدولة البيزنطية حتى سنة 1081م ، ص. 896-893 .
(3)- (ستيفن) رنسمان ، الحضارة البيزنطية ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، 1961م ، ص.50-51 .

(*)- لفظ أطلق على سكان شبه جزيرة إسكندناوة، الدنمارك ،السويد والنرويج ،وبقية العناصر الجرمانية الأخرى التي كانت تقيم على حوض بحر البلطيق .كما يعني هذا اللفظ سكان الشمال ، أو رجال الشمال (Manni -Nord). وهم قراصنة الفيكنج الذين غزوا إنجلترا وفرنسا خلال القرن التاسع الميلادي . حيث اعترف ملك إنجلترا ألفريد العظيم (Alfred the Great 849-899م) بسلطة الفيكنج في شمال إنجلترا ، وأطلقوا عليهم الأريين (Ariens) . كما قام ملك فرنسا شارل البسيط (Charles le Simple 893-922م) هو الآخر بالتنازل على بعض الأقاليم الشمالية على مدخل نهر السوم (Soume) إلى جنوب إقليم بريتاني(Brittanny) إلى رولو (Rollo) الذي يعتبره النورمان كأول دوق لهم .وعرفت تلك المنطقة بنورمانديا . ولم يريدوا أن يتدخل أحد في شؤون دوقيتهم ، كما استخدموا علمائهم الديرين واهتموا بالكنيسة .أنظر العريني (السيد الباز) ، لشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج.1 ، دار النهضة العربية ، 1963م ، ص.50 . ؛ - الحموري (محمد محمود مح مد) ، اللومبارديون في التاريخ و الحضارة ، الطبعة الأولى، المعارف 1119 كورنيش النيل ن القاهرة ، 1972م ، ص.296-320 .؛ - Lucien Musset , Les peuples Scandinaves au Moyen Age , (P.U.F. Paris , 1951.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

من جهة ، والبشناق و الكومان من جهات الدانوب و السلاجقة من جهة آسيا الصغرى .⁽¹⁾ فقد أغار النورمان سنة 1081م على سواحل البلقان ، احتلوا دورازو (Durazzo)^(*) سنة 1082م ، وهددوا بالاستيلاء على القسطنطينية ذاتها ، لهذا تحالف أليكسيوس الأول مع البنادقة لمحاربة الخطر المشترك ،⁽²⁾ و منح البنادقة مقابل ذلك امتيازات اقتصادية واسعة في الإمبراطورية ، مما عاد بالسلب على السلطات البيزنطية فيما بعد . وبذلك تمكن أليكسيوس الأول من السيطرة على الكومان^(**) و البجناق .^(***) وبهذا بدأ يواجه المشاكل الدفاعية التي تعترضه ،⁽³⁾ و تمكن من استرجاع نيقوميديا (Nicomédie) إلا أن الأوضاع الداخلية ازدادت سوءا .⁽⁴⁾

إن المصاعب الداخلية و الخارجية التي واجهتها الإمبراطورية البيزنطية في فترة 1081-1090م ، كانت لها تأثيرات على المدى البعيد بالنسبة لكل من الإمبراطورية والغرب الأوروبي على حد سواء ، كما أنها تعتبر جملة من أسباب الاندفاع الصليبي نحو ذلك الجهاد . و كان ذلك أثناء انعقاد مجلس بياكنزا (Piacenza) مارس 1095م ، أين فجر فكرة الحركة الصليبية .⁽⁵⁾

ب)- أوضاع الغرب الأوروبي اللاتيني مع نهاية القرن (11م):

تكمن بواعث الحملة الصليبية الأولى في جملة من العوامل الدينية و الاقتصادية والاجتماعية و السياسية و العسكرية والتي لا يمكن حصرها وإنما تحتاج إلى دراسات

(1)- Cécil (M.) , op.cit ,pp.14-16 .

(*)- مدينة بلغارية خلال حكم القيصر ميخائيل سنة 1054م .أنظر :- الشارترى (فوشيه) ، تاريخ الحملة إلى القدس ، ط1 ، ترجمة :زياد جميل العلي ، المركز العربي لتوزيع المطبوعات ، بيروت -لبنان 1990،ص.89.

(2)- Cécil (M.) , op-cit , pp.16.

(**)- الكومان : قبائل تركية بربرية معروفة باسم القبجاق وجهوا غاراتهم نحو الإمبراطورية البيزنطية طوال القرن الحادي عشر . أنظر : - العريني الباز (السيد) ، الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج1،ص.49 .

(3)- Ibid , pp16 – 17 .

(4)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى ، النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص. 48 – 49 .

(5)- نفسه ،ص.50.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

أكاديمية معمقة في هذا المجال ،لأنه الأمر الذي يتكرر حاليا في المشرق الأوسط والغرب الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية.

1- الأوضاع الدينية :

لقد تباينت الراء بين مؤيد ومعارض ، حول تحديد دور أليكسيوس كومنين في الدعوة إلى الحروب الصليبية . يرى أصحاب هذا الرأي أن الإمبراطور أليكسيوس ، دعى الغرب اللاتيني إلى القيام بحملة عسكرية مشتركة ضد المشرق الإسلامي من أجل إنقاذ مركز المقاومة المسيحي الأول الصامد أمام القوات الإسلامية منذ عدة قرون .⁽¹⁾ ويستدل أصحاب هذا الرأي بخطاب يقال أن أليكسيوس الأول أرسله حوالي سنة 1087م-1088م مع روبرت دي فلاندر Robert Comte de Flandre (1071-1093م) صاحب الأراضي المنخفضة بعد مروره عبر القسطنطينية في طريقه إلى بلاده بالغرب الأوروبي.⁽²⁾ وهناك من يعارض هذا الرأي مثل شالندون فرديناند (Ferdinand Chalandon) ، وحجتهم في ذلك ، أن الخطاب ربما تم تزويره في الغرب .⁽³⁾ لذلك أسرعت الكنيسة الغربية لتلبية الطلب البيزنطي فهي فرصة للاستحواذ على القبر المقدس و تخليص الأراضي المقدسة من السيطرة الإسلامية .⁽⁴⁾ و كان ذلك فرصة للبابا أوربان الثاني للظهور في صورة الزعيم الأوحد للشعوب المسيحية كافة في الكنيسة الغربية الكاثوليكية تحت زعامة البابا على أن يتم ذلك تحت ستار محاربة المسلمين .⁽⁵⁾

(1)- عمران (محمود سعيد) ، المرجع السابق ، ص. 21 – 22 .

(2) Recueil des Historiens des Croisades , Historiens Occidentaux ,5 Vol. ,Paris ,Imprimerie National (2 ,1844-1895 , p.131-132.

(3)- Chalandon (F.), Alexis Comnène ,Essai sur le Règne d'Alexis 1^{er}.Comnène, Paris ,1912 ,p.156.

(4)- رنسمان (ستيفن) ، تاريخ الحروب الصليبية ، الحرب الأولى و قيام مملكة بيت المقدس ، ج.1 ، ص. 21-22 .

(5)- نفسه.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

إضافة إلى هذين العاملين نجد عامل آخر ألا وهو حماية وتأمين سلامة الحجاج المسيحيين عند الوصول إلى الأراضي المقدسة،⁽¹⁾ وذلك بعد نداء بطرس الناسك الذي كان من أشهر حجاج بيت المقدس ، هذا المسيحي الذي لم يمنعه وجود السلاجقة في بيت المقدس من زيارة القدس و كنيسة القيامة ، و عند عودته إلى أوروبا أصبح داعيا للحرب بدافع حماية الحجاج المضطهدين في الأراضي المقدسة ، فبادر بالدعوة إلى حمايتهم و السهر على راحتهم لأنهم يتعرضون إلى مضايقات عند مرورهم إلى الأراضي الإسلامية .⁽²⁾ فقد تشدد مثلا الحاكم بأمر الله في بداية الأمر مع المسيحيين و أمر بتهديم كنيسة القيامة سنة 415هـ/1021م و الكنائس الأخرى ، و كان سبب ذلك هو الرد على الإمبراطورية البيزنطية . إلا أن الأمور تحسنت بين البيزنطيين و الفاطميين في النصف الثاني من القرن (5هـ/11م)،⁽³⁾ و ذلك على إثر اتفاق الإمبراطور "قسطنطين التاسع Constantin IX (1046-1055م) مع الخليفة المستنصر حول ترميم كنيسة القيامة ، كما أجاز الفاطميون للمسيحيين بإقامة مستشفى القديس يوحنا (Saint Jean) ، لذا فإن الأخبار التي انتشرت في أوروبا قبيل الحروب

(1)- كان من عادة الحجاج في العصور الوسطى شد الرحال إلى الأماكن المقدسة بغية التبرك للبعض والشفاء من بعض الأمراض التي كثرت في ذلك الزمن ، تهذيب النفوس و تربيتها للبعض الآخر، بعيدا عن هذه الآثار، تبقى الأمنية الوحيدة بالنسبة للحجاج إلى الأرض المقدسة هو تتبع خطوات المسيح منذ لحظة ولادته في بيت لحم إلى حين بعثه ، مستعينا بتعاليم الكتاب المقدس ، لذا لم يتوقف توافد الحجاج المسيحيين نحو القدس بالرغم من بعد الطريق و صعوبته ، و في سنة 471هـ / 1073م استولى الأتراك السلاجقة على القدس ، و منعوا الحجاج من زيارة الضريح المقدس (المسيح) مما ولد في نفوس المسيحيين شعورا بالغضب، ولكنهم كانوا يدفعون غرامة مالية عند عبورهم الأراضي البيزنطية ولا يدفعونها عند مرورهم بالأراضي الإسلامية .-أنظر: Oursel (R.) , op-cit. , pp. 30 – 31 .

(2)- Flori (J.) , op.cit. , pp.17-20.

(3)- Bréhier (L.), *L’Eglise et l’Orient au moyen âge, les croisades* , Paris , 1928 , pp.32-38. ; - Gallimard(F. B.), *Les chevaliers de Malte , des hommes de fer et de foi* , éd.

Isabelle de Coulibeuf , pp.11-13.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

الصليبية عما يلاقيه الحجاج المسيحيون في بيت المقدس،⁽¹⁾ و التي تحولت فيما بعد إلى مركز فرقة الاستبائية^(*) العسكرية.⁽²⁾ المسيحيون في الأراضي الإسلامية فيه شيء من المبالغة ، لأنه مهما كان تعصب الحكام المسلمين و ظلمهم فإن الدين الإسلامي لا يسمح بذلك لقوله تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُوْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لِأَنَّهَا لَا انْفِصَامَ لَهَا وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " .⁽³⁾ إلا أن مسألة الحجاج المسيحيين واضطهادهم من طرف المسلمين أثار الشعور الديني الانتقامي بين الأوروبيين،⁽⁴⁾ خاصة بعد خطبة البابا أوربان الثاني.^(**) إلا أن هذا لا يمنعنا من القول بأن حالة الاضطراب والانحلال اللذان استوليا على المشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية كانت تضاف بعض زوار بيت المقدس .

كانت مسألة السلام في أوروبا المسيحية مرتبطة بقضية الحرب المقدسة ضد الكفرة أي المسلمين في نظرهم،⁽⁵⁾ لذلك عمل البابا أوربان الثاني على توجيه عدة خطابات خاصة للأمراء و الإقطاعيين و طبقة الفرسان والنبلاء طالبا إياهم بتقديم الدعم المادي و المعنوي

(1)- Gallimard (F. B.) ,op .cit. , pp.13-17.

(*)-الاستبائية: جماعة من الرهبان صهروا على رعاية المسيحيين الفقراء والمرضى في بيت المقدس داخل مستشفى أقيم لهذا الغرض ،بني أمام كنيسة القيامة قبيل الحروب الصليبية ، فلما نجحت الحملة الصليبية الأولى في الشام أواخر القرن 5هـ/11م ، واستقر الصليبيون في ممتلكاتهم الجديدة تحولت إلى هيئة حربية . انظر: -سلطان سعد (سامي) ،الاستبائية في رودس (1022م-1310م) ، (رسالة لنيل شهادة الدكتوراه،تحت إشراف د/سعيد عبد الفتاح عاشور)،جامعة القاهرة ،1975م،ص.13.

(2)- Le goff (J.) , op. cit. , p. 86 .

(3)- الآية 256 ، سورة البقرة .

(4)- أي أن الشعور الديني المحض كان موجودا ، أنظر :- الحريري (سيد على) ، الأخبار السنوية في الحروب الصليبية ، 10القاهرة ، مصر ، 1329 هـ ، ص. 9-12 .

(**)- للمزيد من التفاصيل عن خطبة البابا اوربان الثاني :أنظر الملحق رقم 02 ،ص.277.

(5)- شلبي (احمد) ، المرجع السابق ،ج.5 ، ص.430 .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

لهذه الحروب، لأنه يرى فيها وسيلة يصل بها إلى المشرق الإسلامي ، ثم إن مشاركة الفرسان في الحروب الصليبية استجابة لنداء البابا معناه خضوع الملوك الإقطاعيين لسلطانه (1).

2- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

على الرغم من كل ما كتبه المؤرخون الأوروبيون عن الحج والحرب المقدسة، فإنه سيكون من الخطأ أن نقول أن الأوضاع الدينية كانت وحدها وراء الحرب الصليبية، (2) وذلك لأن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية قد ساهمت مع الدافع الديني الذي كان أقل أهمية في دفع قوى المجتمع الأوروبي للمساهمة في الحملة الصليبية الأولى .

– الأوضاع الاقتصادية :

طرأت على أوروبا في القرن 11م بوادر نشاط اقتصادي دفعت بهم بالمسيحيين الأوروبيين إلى التطلع نحو آفاق جديدة داخل و خارج أوروبا ، بسبب تزايد النمو الديموغرافي مما أثر سلبا على الاقتصاد و كذلك نقص الأراضي الزراعية و تزايد الطلب عليها، (3) بسبب تبني دول الغرب الأوروبي لسياسة استصلاح الأراضي عن طريق قطع الغابات و تجفيف المستنقعات ، و تكرار موجات الجفاف و القحط خاصة في فرنسا ، و كان ذلك من أسباب تدمير إمارة نورمانديا ، فسار النورمانديون يبحثون عن أراضي جديدة تتوافر فيها الخيرات و تقل فيها الأخطار خاصة بعد حدوث أزمة خانقة في المنتجات الزراعية (4) ولم يكن أمام الملك الفرنسي خلال القرنين العاشر و الحادي عشر الميلاديين أي سلطة على دوقية (*) نورمانديا ولا في كونتية تلوزة (5) ولذلك اختار البابا أوربان الثاني فرنسا لتكون

(1) Cécile (M.) , op.cit. , pp 6-7.

(2) - قاسم (عبده قاسم) ، الخلفية الإيديولوجية ، ص. 88-87 .

(3) - أحمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص. 41 – 42 .

(4) - Cécil (M.) , op.cit. , pp. 7-9 .

(4)-

(*) - إما أن تكون أراضي أو إقطاعية أو منطقة نفوذ يحكمها دوق أو دوقية

(5) - كانتور (نورمان) ، التاريخ الوسيط ، قصة حضارة- البداية و النهاية ، ترجمة وتعليق : قاسم عبده قاسم ، ط.2 ، دار المعارف ، 1986م ، بيروت ، ج.2 ، ص.329 .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

المكان الذي يطلق فيه دعوته الصليبية⁽¹⁾ فألمانيا كانت تعاني من تمرد بعض الأمراء على الإمبراطورين هنري الثالث (1039-1056م) وابنه هنري الرابع (1056-1106م)، مما جعل ألمانيا تعاني من التوترات الداخلية و الخارجية كالصراع مع البابوية⁽²⁾ و في إنجلترا فقد كان الملك يسيطر على الأوضاع الداخلية⁽³⁾ إضافة إلى اندفاع البابا أربان الثاني إلى عقد أحلاف مع الجمهوريات الإيطالية جنوا ،بيزا و البندقية التي أرادت تحقيق السيطرة على الطرق التجارية البحرية و احتكار الأسواق في المشرق مقابل دعم الحروب الصليبية بالسلاح و المال⁽⁴⁾ و يقول المؤرخ شالندون فيرديناند : " إن الناظر في تاريخ أوروبا في القرن الحادي عشر و تطوراته الاقتصادية و خاصة مدن إيطاليا ، يدرك سر اهتمام تلك المدن بتهيئة السفن و نقل الصليبيين إلى المشرق..."⁽⁵⁾

أراد البابا أربان الثاني الحد من هذه الحروب⁽⁶⁾ و ذلك بفتح الأبواب أمام هؤلاء للهجرة عن طريق الحروب الصليبية، و لهذا كانت لها عدة أهداف أهمها : رغبة أمراء أوروبا في الحصول على أراضي خصبة و آمنة في المشرق الإسلامي للهروب من ديونهم أو تأجيل سدادها. و انتشار نظام عرف باسم برومجناتور (Promogeniture)⁽⁷⁾، و الذي خلف عددا كبيرا من الشبان المعدومين الذين طمعوا في الثراء و اقتناء الأملاك عن طريق

(1)- عمران (محمود سعيد) ، المرجع السابق ، ص. 19 – 20 .

(2)- كانتور (نورمان) ، نفس المرجع ، ص. 371-374 .

(3)- نفس المرجع ، ص. 375-389 .

(4) -

(5)- Chalandon (F.) , **Histoire de la première croisade jusqu'a l'élection de Godefroi de**

Bouillon , Paris , 1925 , pp. 2 – 5 .

(6)- يعود سبب هذه الحروب إلى قلة الأراضي و الإقطاعات التي لم تعد تكفي أفراد العائلات النبيلة المتزايدة . انظر :

- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، المرجع السابق ، ص 24 – 25 .

(7)- قانون برومجناتور ينص على منح أكبر أولاد السيد الإقطاعي امتيازاته و أقطاعه بعد الوالد و بذلك يصبح على باقي الأولاد السعي في اتجاه آخر للبحث عن إقطاعات خاصة بهم . انظر:- عمران (محمود سعيد) ، المرجع السابق ، ص. 20 .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

النزوح إلى المشرق،⁽¹⁾ وذلك من أجل تكوين الممالك و الإمارات على أراضيها .⁽²⁾

- الأوضاع الاجتماعية :

وجد الفلاحون و الرقيق في الحروب الصليبية فرصة للتحرر، وهي المنفذ الوحيد أمامهم للتخلص من البؤس و الفقر ،⁽³⁾ فانظموا إلى الحركة بنشاط و حماس .
كما خلفت الحروب بين الإقطاعيين فئة من الرجال احترفوا الحروب وهذا دفعهم إلى الرغبة في إشعال نار الحروب في أرض جديدة و بذلك يصبحون أبطالاً .⁽⁴⁾
وقد كان لنظام الفروسية السائد آنذاك أثر واضح في تشجيع غريزة حب الاطلاع و المخاطرات و المغامرات و إظهار الشجاعة و المهارة مما أحكمت نظامه تقاليد الفروسية في تلك العصور .⁽⁵⁾

(3)- الأوضاع السياسية و العسكرية:

تكمن الأسباب السياسية و العسكرية في أزمة الإمبراطورية البيزنطية في فترة 1071 - 1091م)، حيث وجه الأباطرة خلالها نداءات الاستنجاد و الاستغاثة إلى أوروبا اللاتينية طلبا لمساعدات عسكرية لمواجهة الأخطار المحيطة بها (كما ذكر سالفا) و خاصة و أن نيقية العاصمة السلجوقية مشرفة على بحر مرمرة في الضفة الشرقية ، بينما تقابلها القسطنطينية في الضفة الغربية ، لذلك استنجد الإمبراطور الإمبراطور أليكسيوس الأول كومنوس بالبابا أوربان الثاني .⁽⁶⁾

(1)- المطوي (العروسي محمود) ، المرجع السابق ، ص. 32 – 34 .

(2)- الإمبراطورية الرومانية الجرمانية هي التي أسسها شار لومان (Charlemagne) سنة 800م ، و استمرت من بعده متناقلة من عائلة إلى أخرى و من ألمانيا إلى إيطاليا . أنظر : Eginhard , **Vie de Charlemagne**, traduite par Louis Halphen ,éd. champion , , 1923 ,p.80.

(3)- عمران (محمود سعيد) ، نفس المرجع ، ص20.

(4) - (J.) Flori , **Croisade et chevalerie VI^e - XII^e siècle** , SNEL à liège , Bruxelles , 1992 , pp.109- 110.

(5)- عمران (محمود سعيد) ، نفس المرجع و الصفحة .

(6)- عبد القادر (أحمد اليوسف) ، المرجع السابق ، ص. 42 – 43 .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

و مثل ذلك الاستنجد يوجد في استغاثة ميخائيل السابع على إثر كارثة ملازكرت بالبابوية راجيا منها التوسط لدى أمراء وفرسان أوروبا لإيجاد فرق عسكرية أجيبة لمقاومة أعداء الدين،⁽¹⁾ إذ كان السائد في أوروبا أن القسطنطينية تمثل الخط الدفاعي الأول من جهة المشرق ضد المسلمين.⁽²⁾ وقد كرر الإمبراطور أليكسيوس الأول .

بالإضافة إلى هذه الأسباب نجد تضافر التنبؤات الدينية مع الدوافع السابقة في جعل الاشتراك في الحركة الصليبية أمرا مرغوبا فيه ، فقد انتشرت في هذا العصر تنبؤات بقرب ظهور السيد المسيح مرة أخرى ، و كان على كل شخص مسيحي أن يسرع بالتوبة قبل ضياع الفرصة و ذلك بالمشاركة في الحرب الصليبية الأولى .⁽³⁾

(ج)- الدعوة للحرب الصليبية :

يعتبر البابا أوربان الثاني(*) من أهم دعاة الحرب الصليبية الأولى نجد ، والذي يعتبر

(1) - Vasiliev (A.) , **History of the Byzantine empire**, Oxford , 1964, t.2, pp. 389 396 .

(2) - فيشر ، المرجع لسابق ، ص. 174 .

(3) - ماير (هانس إبرهارد) ، **تاريخ الحروب الصليبية** ، ترجمة : عماد الدين غانم ، منشورات مجمع الفاتح للجامعات ، ليبيا ، 1990م ، ص. 46 - 47 .

(*) اسمه الأصلي أودو لاجري، ولد سنة 1042م بالقرب من مدينة شاتيون على نهر المارون بفرنسا، وينحدر من أسرة نبيلة، وتلقى تعليما جيدا في سلك الرهبنة والكهنوت، و أصبح بابا الكاثوليك سنة 1088م . كانت شخصيته قوية ومؤثرة ، وكان السبب الذي أكسبه الشهرة هو القرار الذي اتخذه عام 1095م، حيث دعا في ذلك اليوم لاجتماع كنسي كبير في مدينة كليرمون، واحتشد ألوف الناس وألقى فيهم أخطر خطبة ألقاها إنسان في التاريخ، وقد ظل أثرها قرون عديدة، ففي تلك الخطبة احتج على السلاجقة والأتراك الذين احتلوا الأراضي المقدسة لما فيها من معابد وكنائس، وطالب جميع المسيحيين، بأن يشنوا حربا مقدسة لإنقاذ تلك الأراضي من أيدي المسلمين، وطلب منهم أيضا أن يقيموا هناك لأن أرضها أغنى وأرحب من أوروبا، وأعلن أنه سوف يغفر جميع ذنوب من يشارك بالحروب المقدسة . وتوفي عام 1099م بعد أسبوعين من استيلاء الصليبيين على المدينة المقدسة، ومات ولم يعلم نبأ النصر: أنظر

Young (Robin Darling), **The church fathers**, institut on religion and public life, 1999 ,

P.218-219.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

المحرك الرئيسي لها ، وهذا ما سنراه :

– دعوة البابا أوربان الثاني للحرب الصليبية :

إن فكرة محاربة المسلمين و استيلاء الأوروبيين على بلادهم قديمة دارت في عقول بعض الباباوات منذ قرن قبل الحروب الصليبية على المشرق ذاتها ، و على سبيل المثال دعوة البابا سلفستر الثاني قلبرت (Sylvestre II Guerbert d'Aurillac) (*) 999م- 1003م) العالم الغربي لإنقاذ بيت المقدس ، وكذلك البابا جريجوري السابع (1073م- 1085م)، (**) و الذي كان تواقا لحرب مقدسة ضد المسلمين في الشرق والغرب ، حيث تركت فترته آثارها السيئة في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى . كما أن فكرة الحرب ضد المسلمين ظهرت قبل دعاية البابا أوربان الثاني ، إذ يقول "هانس إ. ماير" : عن البابا جريجوري السابع ، بأنه كان شخصا جريئا ومن الرجال المشاكسين الذين نادرا ما جلسوا على تاج كنيسة القديس بطرس . (1) أما المؤرخ أولمان (Ullmann) فإنه يرى أن البابا جريجوري السابع عندما تولى العرش البابوي كان من أبرز الشخصيات الدينية في تاريخ البابوية : "إن جريجوري كان من الوجوه التاريخية التي يصعب محو بصماتها من

(*): ولد في أوفرنى (Auvergne) سنة 938 م ، و هو من أصل متواضع درس في دير القديس جيرو دورلاك (Saint Gerand d'Aurillac) ، و أكمل تكوينه في كاتلونيا ثم في برنس (Preins) سنة 972 م ، و كان يمزج بين القضايا الملكية والكنسية ، و منح له تاج فرنسا ، وفي 21 أبريل 999 ، أختير بابا و ترك تاج المملكة ، و توفي في روما 1003 . وانظر:- الحاج محمد (محمود) ، انتقال الطب العربي إلى الغرب، معابره وتأثيره، 1219هـ/1998م، د.ن ، ص.23-24.

(**): اسمه الحقيقي هيلدبراند (Hildebrand) ، وكان أصغر رجال الدين من طبقة الرهبانيين الذين اجتمعوا في الكنيسة الرومانية مع البابا ليو التاسع (Leo IX) (1049م-1054م) ومع نهاية فترة حكم البابا الاسكندر الثاني Alexander II (1061م- 1073 م) بقي الوحيد من رجال الدين على قيد الحياة .أ والذي وصل إلى العرش سنة 1073م واصدر قراره سنة 1075م العنف ضد التقليد العلماني المشار إليه مما أزعج هنري الرابع وبقية ملوك الغرب.

أنظر :- Mayer (H.I.) , op.cit , p.20. ؛ عاشور (سعيد عبد الفتاح)، اوربا العصور الوسطى ، ص.20.

(1)- Mayer (H.I.), op.cit , p.20.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

البابوية ولا حتى من مراحل التاريخ الأوروبي".⁽¹⁾ وما يهم في كل هذا ليس كل الأعمال التي قام بها جريجوري السابع والتي هي كثيرة ومتشعبة أثناء فترة حكمه ، لكن ما يهم هو صراع الكنيسة الرومانية مع الإمبراطورية لا سيما في عهد الإمبراطور هنري الرابع (1084م-1105م).⁽²⁾

أقدم البابا جريجوري السابع بين السنوات 1073-1075 على أول خطوة سياسية وهي التحضير لحملة عسكرية ضد الأتراك السلاجقة الذي استفحل خطرهم.⁽³⁾

ولعل الانشقاق الكنسي الكبير الذي حدث سنة 1054م بين الطرفين كان له أثرا كبيرا في جذب جريجوري السابع بالقرب أكثر من الإمبراطور البيزنطي ميخائيل السابع (1071م-1078م) للحد من ذلك الخلاف بين الكنيستين.⁽⁴⁾

أما الخطوة الثانية التي أقدم عليها هو دخوله في حلف مع الإمبراطور هنري الرابع (Henri IV) حتى صائفة وخريف سنة 1075م . كما سارع إلى كتابة خطاب وجهه للمسيحيين للدفاع عن القسطنطينية من خطر المسلمين.⁽⁵⁾ لكن ما منعه عن ذلك هو عودة حروبه مع الإمبراطورية الرومانية المقدسة أحالت دون تحقيق مشروعه.⁽⁶⁾

(1) Ullmann (W.), *A Short history of the Papacy in the Middle Ages*, first pub.,1972 ,Rep,1977 (U.S.A ,Bristol :Methuem & Co.Ltd,1982) ;p.147.

(2) - برز صراع عنيف بين الإمبراطور هنري الرابع و البابا جريجوري السابع الذي كان يبحث عن سيادة الكنيسة الرومانية على كل العالم خاصة على أباطرة وملوك الغرب المسيحي ،أما الإمبراطور "هنري الرابع" فضل إنسان طموح في أن يرى العكس ،أي أن تكون سيادته على كنائس الإمبراطورية هي فوق البابا ،من أجل ذلك اجتاز جبال الألب ثلاث مرات خلال فترة حكمه لتقويض سياسة البابوية ،لكنه لم يفعل،وانصاع في الأخير إلى سلطة الكنيسة.أنظر :- ريلي سميث (جون ثاني) ، *ما الحروب الصليبية* ، ترجمة : محمد فتحي شاعر ،جامعة المنوفية،بدون تاريخ ، ص. 83-85.

(3) - قاسم (قاسم عبده) ، المرجع السابق ،ص.88.

(4) - زيتون (عادل) ،*العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى* ،دار دمشق ،1980م.

(5) - (قاسم عبده قاسم) ، نفس المرجع ،ص.94-95.

(6) - جوزيف (نسيم يوسف) ، *العلاقات بين الشرق والغرب في العصر الوسيط* ، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1988م ،ص. 27. ؛ فيشر (هربرت) ، *تاريخ أوروبا العصور الوسطى* ،القسم الأول ، نقله إلى العربية :محمد مصطفى زيادة و السيد الباز العريني ،دار المعارف بمصر ، القاهرة ،1966م ،ص.120-120.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

ولعل ما دفعه إلى ذلك هو الصراع الذي قام بينه وبين الإمبراطور الروماني هنري الرابع ، إذ أن هذا الأخير كان حليف الإمبراطور البيزنطي ضد النورمان أصحاب البابوية ، لهذا قام البابا بعزل هنري الرابع الذي كان لا يهتم بتعاليم الكنيسة .⁽¹⁾ و بعد ذلك حدثت حروب كثيرة بينهما " ، فقام هنري الرابع بطرد البابا "جريجوري السابع" من روما بقوة ، و مات في المنفى سنة 1085م .⁽²⁾ و خلفه البابا فيكتور الرابع (Victor IV) حكم في (1086م- 1088م) إلا أن الكرادلة سرعان ما اختاروا البابا أوربان الثاني سنة 1088م .⁽³⁾ و بعد مجيء البابا أوربان الثاني الذي كان من أنصار سياسة جريجوري السابع بكل قوة ،⁽⁴⁾ وتعلم من دير كلوني ،^(*) وكان نتيجة ذلك استمرار الصراع بين البابا الجديد والامبراطور هنري الرابع (1056م-1105م) إلى غاية حلول سنة 1094م ، أين أصبحت روما تحت سيطرة البابا، و بدأ الإمبراطور الروماني هنري الرابع يفقد مراكز قوته بدءا بإيطاليا .⁽⁵⁾ و بعد ذلك اتخذ الباب أوربان الثاني خطوتين هامتين لتحريك الجماهير والحشود ضد المشرق الإسلامي ، فكانت الخطوة الأولى في مؤتمر بياكنزا في الجهات الشمالية من إيطاليا في مارس 1095م .^(**) وكانت الثانية في مؤتمر كليرمونت فيران بفرنسا في 27 نوفمبر 1095م .^(***)

-1) Cécile (M.) , op. cit , pp. 17 – 18 .

-2) حاطوم (نور الدين) ، المرجع السابق ، ص.820-832

-3) كان اسمه الحقيقي جيلبرت (Guilbert) ، و كان رئيسا لدير مونتي كاسيو ، و كان معروفا بضعفه . أنظر: - رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ص 101-102 .

-4) ريلي سميث (جون ثاني) ، الحروب الصليبية ، ترجمة : محمد فتحي شاعر، جامعة المنوفية، بدون تاريخ ، ص.83

-5) نفسه ، ص 53 – 54 .

*-) تأسس هذا الدير حوالي سنة 910م، في فرنسا على الطريقة البندكتية (ظهرت خلال القرن الخامس في إيطاليا)، كان يأتي من هذا الدير على وجه الخصوص الباباوات والأخبار ووزراء الدولة، مثل البابا أربان الثان ، ورجال الدين مثل بطرس التقي (Venerable the Peter) الذي قام بأول محاولة لترجم القرآن الكريم خلال القرن 12م، في طليطلة . وأخطر ما قام به هذا الدير هو من أشعل فتيل حروب الإسترداد في إسبانيا. وفي نهاية القرن 11 وبداية القرن 12م ، كانت طبقة رجال الدين الذين كانت لهم أكبر الاعتبارات ،الهيبة ،الأموال والسلطة في الغرب ، لم تكن من الباباوات ، وإنما من رهبان دير كلوني . يقع في وسط شرق فرنسا بحوالي 15 كلم إلى الشمال الغربي من مدينة ماسن (Mâcon). أنظر :- فيشر ،المرجع السابق ،ص.143-147.

**-) مدينة تقع في شمال إيطاليا و عقد فيها مجمع ديني برئاسة البابا أوربان الثاني في 17 مارس 1095م . أنظر: عاشور (سعيد عبد الفتاح)، الحركة الصليبية ، ج.1، ص.131 .

***-) كليرمونت : وهي مدينة تقع جنوب فرنسا اجتمع فيها البابا بحشد من رجال الدين الفرنسيين الذين دعى فيها إلى الحرب الصليبية. أنظر - قاسم (عبد قاسم) ، ماهية الحروب الصليبية ، ص.9 .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ/ 11م

فقد دعا في 17 مارس سنة 1095م إلى مجمع بمدينة بياكنزا (Piacenza بيتشنزا) أساقفة إيطاليا ، بورجنديا ، ألمانيا ، بافاريا وغيرهم من أساقفة ورجال الدين من الغرب المسيحي ، للنظر في المسائل الداخلية للكنيسة الرومانية ، لمناقشة بعض الأمور التي تتعلق بالكنيسة و إدانة البابا الذي كان ضده والذي عينه الإمبراطور "هنري الرابع" ،⁽¹⁾ كما دعا إلى ضرورة مساعدة الإمبراطورية البيزنطية عسكريا ، للتخلص من المسلمين و من أعدائهم النورمان من جهة إيطاليا نفسها ،⁽²⁾ فأظهر البابا روح العطف اتجاههم في إيطاليا،⁽³⁾ إذ انه وجدها فرصة ذهبية لتحقيق الوحدة بين الكنيستين الشرقية والغربية على رأسها البابا أربان الثاني ليكون الزعيم الأوحده للعالم المسيحي ، ومد جسور العلاقات بين الشرق والغرب المسيحيين.⁽⁴⁾

بالإضافة إلى ذلك حث على تحرير القبر المقدس و حماية الحجاج المسيحيين ، إلا أنه لم يحقق الاستجابة المطلوبة ،⁽⁵⁾ غير أنه نجح في توطيد وتقوية مركزه الديني في العالم المسيحي .⁽⁶⁾ وفي هذا اللقاء أو الاجتماع بالأساقفة ووصل وفد من الإمبراطور البيزنطي أليكسيوس إلى البابا أربان الثاني ، طالبا منه دعم البيزنطيين عسكريا لدفع خطر السلاجقة وتهديداتهم المستمرة لآسيا الصغرى وبلاد الأناضول .⁽⁷⁾

(1) - قاسم (عبده قاسم) ، ماهية الحروب الصليبية ، ص.77.

(2) - ارشيباد (ر.لويس) ، القوة البحرية والتجارية ، (في حوض البحر المتوسط 500-1100م) ، ترجمة : أحمد محمد عيسى ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص.377.

(3) - Duc de Castries , *La conquête de la Terre sainte par les croisés* , Paris, Albin Michel , 1973 , pp. 195-199. ترجمة : الطالب الباحث .

(4) - يوسف (جوزيف نسيم) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.25 ؛ عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1976م ، ص.84-85 ، أحمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص. 830 - 831 .

(5) - Krey(A.C.) ; "Urbain's Crusade-Success or Faillur", in, A.H.R., 01/1948 , vol.III , P.366.

(6) - Keen(M.), *The Pelecan History of Medieval Europe*, first pub, as A History of Medieval Europe , 1968 , Rep, 1971, (London: Penguin Books L,td, 1982), p.117

(7) - حقق الإمبراطور اليكسوس الأول عدة نجاحات على خصومه السلاجقة ، معتمدا على حرب العصابات ، على سواحل بحر مرمرة ، كما عقد في نفس الوقت معاهدة مع سلطانهم سليمان بن قتلمش (ت.1086م) لكي يتفرغ لمحاربة النورمان في جنوب إيطاليا. انظر: (عادل) زيتون ، العلاقات السيلسية والكنسية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، دار دمشق ، 1980م ، ص.87-89.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

قضى البابا أوربان الثاني بضعة أشهر في شمال إيطاليا ، اجتاز جبال الألب إلى أن وصل إلى بلاد الغال (فرنسا) صيف سنة 1095م، في رحلته إلى فرنسا انضم إليه أربع كرادلة واثان من البطارقة وعدد كبير من الأساقفة والمستشار الكبير البابوي يوحنا دي غتية (Hugues,abbé De Guitier) ، كما حل بمدينة بوي (Puy) واجتمع بأسقفها أدهيمار دي مونتاي (Adhemar De Monteil) الشخصية الروحية ، إذ كان أول من فكر به ليمثله في الحرب – حيث ألقى عليه واجبه الديني – لإخبارهم بمشروعه الصليبي ، قبل الإعلان عنه في مجمع كليرمونت . ومع حلول شهر أوت من عام 1095م حل البابا بإقليم سنت جيل (Saint Gilles) وهو المقر المفضل للكونت رايموند دي تولوزة (Raymond comte de Toulouse) مما لا شك فيه انه بحث معه أيضا مشروعه الصليبي ، ثم انتقل حوض الرون (Rhone) وبعدها إلى مدينة كليرمونت .⁽³⁾ اين فتح المجمع الديني بها في 18 من شهر نوفمبر والذي حضره عدد كبير من رجال الدين ،⁽⁴⁾ للنظر في المسائل الدينية .

و في 7نوفمبر من نفس السنة ، انتهى مجمه الشهير في كليرمونت فيران ، والذي حضره أغلب أساقفة العالم المسيحي وجاءه أغلب الناس من كل صوب،⁽⁵⁾ أي حضر المجتمع 12 من رؤساء الأساقفة و 84 أسقفا و 90من رجال الدين تقريبا كانوا كلهم من الفرنسيين أما المؤرخ شالندون فيريديناند فيرجح العدد إلى 190شخصا ،⁽⁶⁾ إذ فيها اعتلى

(1)- قاسم (عبده قاسم) ، المرجع السابق ، ص.77 .

(2)-الإدريسي (أبو عبد الله) ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، ج.1، القاهرة ، 2002م ، ص.357-358.

(3)-Krey(A.C.) ,op.cit, p.237 .

(4)-Rec.Hist.Crois.Hist.Occ., Vol,I,p.576.

(5)-Keen (M.),**The Pelican History of Medieval Europe** , First pub , as A History of Medieval Europe, 1968.Rep,1971 , (London :Penguin Books Ltd ,1982),p.117.

(6)-Chalondon (F.) ,**Histoire de la 1^{er} croisade jusqu'à L'élection de Godefroi de Bouillon** , -(Paris ,1925 ,p.24-25.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

البابا أوربان الثاني منصبه و خطب فيهم أقوى و أشهر الخطب في تاريخ العصور الوسطى ، و هذا مقطع من خطابه " ... لقد جعل الله أمامكم ميناء أمينا هادئا، فا دخلوه يمنحك الله أمنا دائما ، و لا يحول بينكم و بينه سوى متاعب خفيفة تقتحمونها لمكافحة الأتراك ، ... اذهبوا و قاتلوا أعداء الله... " (1) .

ويقول المؤرخ "فوشه الشارترى" (Foucher de Chartres) : " يا خدم الله في هذه الديار ، لقد أتيتكم أنا اوربان ، الحبر الأعظم ، بإذن من الله حبر العالم اجمع . في هذه الفترة العصبية الحرجة نذيرا من العناية الإلهية ، واني لآمل أن يكون وكلاء سرائر الله صالحين مؤمنين لا يثوبهم رياء ، أريدكم على الأخص أن تراعوا شؤون الكنيسة ، وان تحافظوا على شرائعها حتى لا تضرب هرطقيات المتاجرة بالدين ، جذورها بينكم ... " (2) .

أما وليم الصوري (Guillaum de Tyr) فيقول: " لقد دخل الكلاب إلى الأماكن المقدسة، وجرى تدنيس المقدسات ، و إذلال الناس عبدة الرب ... كما أن كنيسة القيامة ... تتحمل حكمهم ، وقد دنستها قذارة الذين ليس لهم نصيب في القيامة... لذلك سلحوا أنفسكم بغيره الرب أيها الإخوة ، وشدوا أحزمة سيوفكم على أوساطكم... فمن الأفضل أن نستشهد من أن نرى مصائب قومنا ونقف دون عمل أي شيء ، إننا ننصحكم ... و نأمركم بإزالة أثامكم ، في أن تتحملوا البلاء و المشقات مع إخواننا الذين يسكنون القدس ... " (3) .

كما أكد لمستمعيه أن هدفه الحقيقي كان محصورا في الرد الأخوي على الإمبراطور البيزنطي للمساعدة على أمل إحداث تقارب بين الكنيستين اللاتينية و الرومانية (4) .

(1)- أحمد (رضا بك) ، وثائق عن الحروب الصليبية ، ترجمة : محمد بورقيبة و محمد الصادق الزملي ، ط.3 ، دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع توني ، بدون تاريخ ، ص. 65 – 67 .

(2)- الشارترى (فوشيه) ، تاريخ الحملة إلى القدس ، ترجمة : زياد العسلي ، ط. ، بيروت ، 1909م ، ص. 32-35 .

(3)- (وليم) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية ، تعريب : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 1990م ، ج.1 ، ص. 169-173 .

(4)- ماير (ابرهارد هانس) ، المرجع السابق ، ص. 23 – 26 .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

و درس المجمع بصورة رئيسية قضايا كنسية داخلية تهم رجال الدين الفرنسيين - كما سبق ذكره- ، كما انشغل بالقضايا العامة للإصلاح الكنسي .(*)

و لكن هذه المرة كان اسم بيت المقدس قويا و مؤثرا إلى الحد الذي كان يطالب الجميع بشن حرب إستردادية ولا يعتبرها حربا عدوانية ،⁽¹⁾ فأيده جمهورا لمستمعين و أيدوا فكرة الاتجاه صوب بيت المقدس ،⁽²⁾ و بذلك استقر رأيهم على تحويل الحملة الصليبية الأولى إلى المدينة المقدسة ، إذ جعلها البابا أوربان الثاني الهدف الرئيسي .⁽³⁾

و بذلك ضرب على الوتر الحساس كما يقول المؤرخ المشارك في المجمع فوشيه الشارترى: من إثارة الحماسة الدينية و تزيين الاستشهاد في سبيل المسيح .⁽⁴⁾

فدوى الجمهور بالصيحة إنها مشيئة الله ،⁽⁴⁾ ففاق الحماس كل ما توقعه البابا أوربان الثاني ، إلا أنه يريد أن يحصل على تأييد من كبار السادة العلمانيين .

كما حث بصفة خاصة الفرسان على شن هذه الحرب ، وامتدح البابا شجاعة الفرنجة وقدراتهم القتالية ، وذكرهم بانجازات أسلافهم .⁽⁵⁾ وقد حضر المجمع حسب المؤرخ الفرنسي المعاصر فلوري جو نحو (310عضو) أي أعضاء من الأساقفة والقساوسة و عدد كبير من سكان الجهات المجاورة،⁽⁶⁾ وألقى البابا أوربان الثاني خطابا دعى فيه الناس بالتطوع للذهاب إلى بيت المقدس⁽⁷⁾ و مساعدة البيزنطيين بما يقاسيه المسيحيون من معاملة قاسية

(*)-و عن النص الكامل لخطاب البابا أوربان الثاني ارجع إلى الملحق رقم 02 ، ص.276.

(1)- ريلي سميث (جونثان) ، المرجع السابق ، ص. 29 – 30 .

(2)- الأندلسي (لسان الدين بن الخطيب) ، أعمال الأعلام ، تحقيق: أحمد مختار العبادي و محمد ابراهيم الكناني ، دار الكتاني ، دار البيضاء ، 1964م ، ص. 29-30.

(3)- ريلي سميث (جون ثاني) ، المرجع السابق ، ص. 29-30.

(4)- والجملة الأصلية هي باللاتينية (Deus le volt) و بالفرنسية (Dieu le veut) . انظر : Cécile (M.) , **op.cit** , pp.19-20 .

(5)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج. 1 ، ص. 162 – 163 .

(6)- Flori (J.) , **la première croisade** , p.33.

(7)- قاسم (عبد قاسم) ، المرجع السابق ، ص.92.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

على يد السلاجقة الأتراك،⁽¹⁾ ويزعم ويقول: (أن مملكة الإغريق قد مزقوها ففقدت أراض من السعة بحيث لا يمكن قطعها بمسيرة شهرين ، فعلى من اذن تقع مهمة الانتقام لهذه الخطايا وتحرير هذه الأرض إن لم تكن عليكم انتم...⁽²⁾).

ووجه البابا دعوته إلى الفرسان في فرنسا للتخلص من أعمال العنف التي يقومون بها بسبب ضعف السلطة المركزية وانعدام القانون في فرنسا فاستجاب الفرسان بأعداد كبيرة لنداء البابا.⁽³⁾

كما وجه دعوته إلى الفقراء والمحتاجين لتحريرهم من العوز.⁽⁴⁾ ووجه دعوته إلى الموسرين أيضا ، طالبا من الجميع الابتعاد عن مشاحناتهم في أوربا وان يوجهوا جهودهم ضد المسلمين في الشرق حيث يرعاهم الله ويبارك جهودهم ويغفر ذنوبهم،⁽⁵⁾ وقد ايد البابا جميع الحاضرين،⁽⁶⁾ رغم جهل السواد الأعظم فهم بحقيقة هذه الدعوة ، وحقيقة الدوافع المحركة لها . وقبل انتهاء خطاب البابا جاء أدهيمار دي مونتيل^(*) (Adhémar de Monteil) أسقف بوي فرقع أمام البابا ليكون أول المتطوعين،⁽⁷⁾ والذي عينه البابا كقائدا روحيا للحملة الصليبية الأولى . لقد كان مطلب بيزنطة يختلف عن أهداف الحركة

1- حتي (فيليب) ، تاريخ لبنان ، ط.2، ترجمة : أنيس فريحة ، دار الثقافة ، بيروت ، 1972م ، ص.343.

2- باركر (أرست) ، الحروب الصليبية ، ص.23 .

3- (A. C. Krey), 'A Neglected Passage in the Gesta and its Bearing on the Literature of the First Crusade', in The Crusaders and Other Historical Essays Presented to Dana C. Munro by his Former Students, ed. L. J. Paetow (New York, 1968) , pp.57-78.

4- مجتبا (العلي) ، مجلة النبا " الحروب الصليبية وصكوك الغفران " ، العدد 45 ، 2000م / 1421 هـ ، ص.6 .

5- نبيه (عائل) ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص.265 .

6- عاشور (سعيد) ، الحركة الصليبية ، ص.132-133 .

* - أسقف لابي الذي عينه البابا أوربان الثاني الرئيس الروحي للحملة بسبب حكمته وحسن تدبيره للجيش . انظر : - الشارترى (فوشيه) ، تاريخ الحملة الى القدس ، ص.37.

7- (العريني (الباز السيد) ، الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ص.154.

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

الصليبية إذ سعت بيزنطة إلى استرجاع الأراضي التي استولى عليها السلاجقة والتي كانت خاضعة لنفوذهم اليكسيوس الأول في مؤتمر بياكنزا جنودا مرتزقة تعمل تحت أمرته لقتال السلاجقة بينما كان ظاهر الحركة بالنسبة للغرب هو تحرير بيت المقدس .⁽¹⁾

واجتمع البابا مرة أخرى بأساقفته للقيام بمشاورات لوضع شروط الانخراط في هذه الحرب ، ونجد منها :العفو عن ذنوب الدنيا لكل من اشترك بنية خالصة في الحرب المقدسة . و أن كل ما يمتلكه المشتركون في القتال ، يكون تحت حماية الكنيسة أثناء غيابهم ، و يعتبر الأسقف المحلي المسئول عن سلامتها .⁽²⁾ و ينبغي على كل مقاتل أن يحمل إشارة الصليب، رمز التضحية و الوفاء، و كل من يتخذها (أي إشارة الصليب) ينبغي أن يوفي بالوعد بالمسير إلى بيت المقدس ، و إن لم يفعل يتعرض للقطع من الكنيسة .⁽³⁾ و لا ينبغي للرجال الدين حمل إشارة الصليب إلا بإذن من الأسقف أو رئيس الدير ، و ألا يشترك في الحملة المتقدمون في السن و المرضى ،⁽⁴⁾ و ان لا يشترك أيضا المتزوجون حديثا إلا بموافقة زوجاتهم .⁽⁵⁾

حدد زمن أول موعد الانطلاق في 15/498هـ / 1096م أي الصائفة القادمة والذي يصادف عيد العذراء ، و أن يكون اللقاء في القسطنطينية .⁽⁶⁾ وقرر البابا و باتفاق الجميع بأن يكون أسقف لي بويه أدهيمار دي مونتاي والذي كان

(1)- حبشي (حسن) ، الحروب الصليبية الأولى ، ص.51

(2)- عاقل (نبيه) ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص.266 .

(3)- Balar (M.) , **Croisades et Orient Latin XI^e - XIV^e siècle** ,éd ,: Armand Colin , Paris , 2001, -

p. 43 - 44 .

(4) Cécile (M.) , **op.cit** , pp. 20 -21 .

(5)- Folori (J.) , **op.cit** , pp. 20 – 21

(6)- Cécile (M.) , **op.cit** , p. 21 .

الفصل الأول ≡ أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الامبراطورية البيزنطية وأوروبا المسيحية في القرن 5هـ / 11م

مندوب البابا و رئيسا للحملة⁽¹⁾ و كان ذلك الأجل الطويل بين انعقاد المجمع و موعد السفر لغرضين هما: الأول انتظار فصل الصيف لأن المجمع عقد في الشتاء والثاني هو التهيؤ و التعبئة و زيادة الدعاية للحملة الصليبية⁽²⁾.

إن الحركة الصليبية لم تكن حركة عفوية ولم تقم على زعامة واحدة، كما روج لها، وإنما كانت حركة مجتمع بأكمله، قوامه رجال الدين ممثلين الكنيسة الرومانية المقدسة وبعض الأمراء والنبلاء الإقطاعيين⁽³⁾، مستغلين ذلك الضعف الذي أصاب الخلافات الإسلامية، ونظرا لسوء أحوال المسحيين فكانوا ينظرون إلى المشرق كأنها الأرض التي تفيض عسلا، وكذا لجلب الرأي العام المسيحيون إلى الخارج خاصة الأمراء الإقطاعيين الذي يبحثون عن مناطق نفوذ لإشباعهم رغباتهم. فهل ينجح البابا في إقامة حملة صليبية على المشرق العربي؟ وان كان كذلك ما نهجها؟ وما النتائج التي حققتها؟

(1) Chalandon (F.), **op.cit** , 1925, pp. 44-46 .

(2) - Gabrieli (F.), **Chronique arabes des croisades** , édSindbad , Paris ,1977 , pp. 26-28 .

(3) - قاسم (عبده قاسم) ، ماهية الحروب الصليبية ، ص.102 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

الفصل الثاني

الفصل الثاني

الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق

سنة (1100م)

1- الحملة الصليبية الأولى:

أ- دعوة بطرس الناسك و الحملة الشعبية ومسيرها (والموقف البيزنطي منها)

ب- تجمع القوات النظامية في القسطنطينية

ج- والموقف البيزنطي من كل فرقة .

2- سقوط بيت المقدس في يد الاتين 492هـ/1099م

أ- تأسيس الإمارات الصليبية

ب- سقوط بيت المقدس .

ج- تأسيس مملكة بيت المقدس سنة 1100م.

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

بتضافر الجهود و تهيؤ الأوضاع لصالح الغرب بعد التفرقة و الضعف اللذان انتشرا في الخلافت الإسلامية ، و بعد تمكن البابا أوربان الثاني من توحيد أوروبا، تسارع الصليبيون إلى المشرق الإسلامي منذ أواخر القرن (5هـ/11م) للاستيلاء على الأراضي وذلك من اجل تأسيس الممالك و الإمارات لحسابهم الخاص ، و لكنهم تستروا تحت اسم الدين و الرغبة في إنقاذ قبر المسيح و المقدسات المسيحية و حماية الحجاج الغربيين في فلسطين . على حين غفلة من المسلمين نزلت أول فرق الحملة الصليبية الأولى أي الحملة الشعبية التي كانت أولى الحملات بدعوة من والتر المفلس (Gautier Sans Avoir) وبطرس الناسك (Pierre L'Ermitte). وفي خضم أحداث الحملة الشعبية ، كانت حركة التجهيز الصليبي على قدم و ساق في فرنسا و ايطاليا و أوروبا اللاتينية من جانب الفرسان و الأمراء و الأشراف الذين حملوا الصليب ، فهي إذن حملة شعبية أخرى إلا أن هذه المرة منتظمة .

1-سير الحملة الصليبية الأولى وتأسيس الإمارات الصليبية :

أ- دعوة بطرس الناسك و ال حملة الشعبية ومصيرها (والموقف البيزنطي منها) : اتفق المسيحيون في مجمع كليرمونت فيران .(*) على أن يكون موعد السفر في 15 أوت 1096م ، وأن يكون اللقاء في القسطنطينية .(1) وقبل الموعد المضروب للسفر تكونت مجموعات صليبية شعبية ، كانت على غاية من الفوضى و الاضطراب ،ولا تخضع لقيادة منظمة ولاهي مستوفية لشروط القتال .(2) قد استجاب لنداء بطرس الناسك ولأمثاله كوالتر المفلس كما كانت أيضا كثرتهم من الفلاحين ،(3)

(*)- تقع في الجزء الشرقي من فرنسا،وتابعة لإقليم بوي دي دوم.

1-(D'aixe Albert. *Histoire des faits et gestes dans les régions d'outre-mer, depuis l'année 1095 jusqu'à 1120 de Jésus-Christ* , éd. Brière j. , Paris , 1824 , livre13 , pp.2-8 .

2-Flori (J.) , *op.cit* , pp.45-46 .

3-(Fontaine (M.), *La première croisade (de 1096 à 1327 ap J.C.)*,éd., Alemerre ,1910, pp.95-96

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

و كان اكثرهم عزل و مشاة معهم زوجاتهم و أطفالهم ،⁽¹⁾ من سكان المدن ،⁽²⁾ كما كان من بينهم قطاع طرق و مجرمين ، لهذا سميت بالحملة الشعبية.

ولم تكن الرابطة التي تجمع بين هؤلاء سوى رابطة الحماس الديني ،⁽³⁾ إذ تقول أنا كومنين (Anne Comnène): "التف حول بطرس جموع غفيرة ، وانوا متحمسين جدا للدين ، لقد امتلأت الطرقات بأناس نظرا لما يهدفون إليه...".⁽⁴⁾

انطلقت هذه الحملة في افريل 489هـ/1096م وسارت في اضطراب و فوضى مخترقة أوروبا الوسطى تنهب و تسلب، و اشتبكت مع أهالي بعض المدن التي لم ترحب بهم ،⁽⁵⁾ ونجد ذلك مثلا في هجوم المشارك في الحملة القائد الألماني أميك دي ليزينق (Emich comte de Leisingen) على اليهود في العديد من المدن الألمانية ، وقتل إحدى عشر زعيم ديني يهودي ، فساد الفزع بين اليهود في المدن الأخرى وخاصة في مدينة كولون (Cologne)^(*) في 29 افريل 1096م .⁽⁶⁾

كما شارك أيضا في هذا الهجوم ضد اليهود أفراد من جهة الراين الفرنسي ،⁽⁷⁾ و

(*)- تقع على نهر الراين بين مدينتي بون ودوسلدروف

(1)- Chelini (J) , **Histoire religieuse de l'Occident médiéval** , Librairie Armand Colin , Paris , 1968 , pp.255-256.

(2)- إذا كانت استجابة النبلاء و الفرسان متوقعة لدى البابا اوربان الثاني ، لكن لم يكن ينتظر تلك الاستجابة من الجماهير العامة التي فاقت كل التوقعات ، إذ كانت الظروف الاجتماعية المزرية وراء هذه الاستجابة الشعبية المذهلة ، وخاصة منهم الطبقة الدنيا في غرب أوروبا . انظر :- زابوروف (ميخائيل) ، **الصليبيون في الشرق** ، دار التقدم ، موسكو ، 1986م ، ص.46-50 .

(3)- ماير (هانس إيرهارد) ، المرجع السابق ، ص.70 .

(4)- Comnène Anne , Alixiade , éd. Paris , 1967 , T.2 , pp.206-208.

(5)- المطوي (محمود العروسي) ، المرجع السابق ، ص.47 .

(6)- Cécile (M.) , op . cit , pp.22-23.

(7)- D'Aixe Albert , op .cit , p.12 .

الفصل الثاني=الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

هناك عدد آخر من القادة الشعبيين الألمان ، ونخص بالذكر فولك مار (Folk-mar) و دي قوتشالك (De-Gottschalk) الذين اشتهروا بسلب اليهود و قتلهم جماعة ،⁽¹⁾ مما أثار حفيظة الملك المجري كونراد ^(*) Konrad (1087-1098م) فأمر بإبادتهم ولم ينج سوى بعض القادة الذين ساروا أعقاب بطرس الناسك .

أما فرقة والتر المفلس- وقد كانت أولى الفرق التي وصلت الى القسطنطينية ، ثم لتأتي فرقة بطرس الناسك - فقد لقوا ترحيبا في بلاد المجر و كان ذلك في 8 ماي 1096م، إذ انضمت إليه جموع غفيرة ،⁽²⁾ فأرسل والتر إلى ملك المجر كولمان يلتمس منه تزويده بالمؤن و اجتياز مملكته ، وقد برهن هذا الأخير عن مودته و صداقته في هذا الوقت ، إذ سمح لمقدمة جيش المفلس بالعبور دون مصاعب . على عكس ما حدث لمؤخرته في نهاية شهر ماي عند وصولهم إلى سلمن (Sellman) ،^(**) الحدود المجرية أين عبروا مدينة بلغراد (Belgrade) الحدود المجرية البيزنطية ،^(***) حيث قام عدد من الجنود الذين كانوا في مؤخرة الجيش الصليبي بنهب أسواق المدينة ، مما دفع بالقوات المجرية إلى استخدام السلاح وإلقاء القبض على بعضهم وقتل عددا كبيرا من رجال والتر المفلس .⁽³⁾

أما الأوائل الذين كانوا مع والتر المفلس بدؤوا يمارسون أعمال النهب والسلب عند وصولهم إلى بلغاريا ، مما جعل البلغار يهاجمونهم ويقتلون عددا كبيرا منهم ،⁽⁴⁾

(1)- المطوي (محمود العروسي) ،المرجع السابق ،ص47.
(*)- ابن هاينريش الرابع ؛ ملك ألمانيا، خلال عهد والده (1087-1098م) ، و ملك إيطاليا ، (1093- 1098م) (1095-1101م) ثم تنازل عن الحكم بعد العصيان المدني . انظر :-

Medieval Europeans: studies in ethnic identity and national perspectives in medieval Europe By Alfred P. Smyth, Palgrave Macmillan (1998), p.64

Cécile (M.) , op.cit ,pp.22- 23.

(2)- تقع على نهر السيف قرب بلغراد وتسمى ماليفيلا – (وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج.1، ص.178.
(***)- وهي يوجوسلافيا عاصمة يوغسلافيا و صربيا تقع على نهر الدانوب والساف اسست سنة 1863 و اعيد تنظيمها سنة 1905 ثم سنة 1954 (غربال ، محمد شفيق واخرون ، الموسوعة العربية الميسرة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1987م .

(3)- Flori (J.) , op.cit , p.48 .

(4)- (قاسم (عبدہ قاسم) ، ماهية الحروب الصليبية، ص.96.

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

وهرب الناجون إلى الغابات حيث مكثوا لعدة أيام حتى وصلوا في النهاية تحت أسوار العاصمة البيزنطية⁽¹⁾. فتصدت لهم القوات البيزنطية وأجبرتهم عسكريا على المحافظة على حسن السلوك أثناء السير بعد أن قتلوا منهم عددا كبيرا⁽²⁾.
أما ما تبقى من فرقة بطرس الناسك فقد سارت في نفس مسار فرقة المفلس ، إذ هاجموا على مدينة سلمن و قاموا باحتلالها ، فخشي بطرس مما قد يقوم به الملك المجري "كولمان" من رد فعل انتقامي فساروا إلى الاختباء داخل غابات المجر إلى أن وصلوا إلى الحدود البيزنطية⁽³⁾. و لما وصلوا إلى مدينة بلغراد التي هجرها أهلها خوفا من تكرار مأساة سلمن ، خاف قائد حامية مدينة نيش (Nish)^(*) وهو نيقطا ، فاتخذ حذره من هذه الجموع و استعد عسكريا لمواجهةهم عند الضرورة⁽⁴⁾. وسارت الحملة تحت حراسة بيزنطية مشددة ، وما أن أوشكت مؤخرة الجيش الصليبي من الابتعاد عن ضواحي المدينة ، حتى أحرقوا مساكن القرويين مع سكانها الأحياء في داخلها ، ونهبوا وسلبوا كل ما وجدوه في طريقهم . الأمر الذي أرغم الجيش البيزنطي على الهجوم عليهم ، فأبيد العدد الأكبر من أصحاب بطرس وواصل ما تبقى من الفرقة السير إلى القسطنطينية في 01 أوت 1096م⁽⁵⁾. لقد نادى البابا اوربان الثاني إلى الحرب الصليبية الأولى ، وحدد الموعد للسفر ، لكن بطرس الناسك لم يكن صبورا لانتظار ذلك التاريخ ، فجمع جيشا كبيرا لا يخضع لأي قانون أو تنظيم ، وانطلقوا إلى الشرق . وسميت هذه الحملة بالشعبية الغير المنتظمة .

(1) - Fontaine (M.) , loc.cit , pp.99-102.

(2) - قاسم (عبد قاسم) ، ماهية الحروب الصليبية ، ص.96 .

(3) - رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.181 .

(4) - قاسم (عبد قاسم) ، ، ص.97 .

(*) - وهي مدينة تقع على نهر مورافا في قلب شبه جزيرة البلقان -يوسف (نسيم جوزيف) ، العرب والروم واللاتين ، ص.157.

(5) - نفسه .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

*- الموقف البيزنطي من الحملة الشعبية :

عند وصول فرقة والترالمفلس تحت أسوار القسطنطينية - كما ذكر سالفا- ، أمر الإمبراطور أليكسيوس الأول كومنوس بأن يعسكروا خارج المدينة انتظارا لوصول جيش بطرس الناسك⁽¹⁾.

ولما وصلت فرقة هذا الأخير ، اندهش الإمبراطور لما كانوا عليه من فوضى واضطراب ، فأمر بأن لا يمكث الصليبيون بالمدن البيزنطية أكثر من ثلاث أيام⁽²⁾ وسرعان ما انقض جيش الراهب بطرس الناسك على القرى المجاورة لمعسكرهم ، إذ نهبوا وحرقوا دورها وكنائسها⁽³⁾.

فخشي الإمبراطور البيزنطي "اليكسوس" على عاصمته القسطنطينية ،⁽⁴⁾ فسارع إلى تقديم المؤن والمساعدات أثناء اجتيازهم للإمبراطورية ، واتخذ التدابير اللازمة لمنعهم من تخريب القرى وسلب السكان ونهبهم ،⁽⁵⁾ لهذا وجد نفسه مضطرا لأن ينقلهم على المراكب إلى الضفة الشرقية للبوسفور^(*) وبحر مرمره^(**)⁽⁶⁾.

فانقسم الصليبيون إلى فريقين : تألف الأول من الفرنسيين بما فيهم بطرس و المفلس، و تألف الآخر من الألمان و الايطاليين ، وراح الطرفان يتسابقان في السلب و النهب و القتل في القرى المجاورة دون تمييز بين الفوارق الدينية⁽⁷⁾. و دفعت بهم تلك الانتصارات إلى الاقتراب من جهات نيقية العاصمة السلجوقية ،

(1)- زابوروف (ميخائيل) ، المرجع السابق ، ص.54-55 .

(2)- قاسم (قاسم عبده) ، المرجع السابق ، ص.97 .

(3)- تاوضروس عبيد (إسحاق) ، روما وبيزنطة ، من قطعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين 869-1204م ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1970م ، ص.90 .

(4)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.174-175 .

(5)- Richard (J.) , **Histoire des croisades** , éd . Fayard , Paris , 1996 , p.57.

(*)- هو مضيق يصل بين البحر الأسود وبحر مرمره.

(**)-يصل بين البحر الأسود عن طريق مضيق البوسفور وبحر إيجه عن طريق الدردنيل

(6)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.174-175 .

(7)- Flori (J.) , op.cit , p.56.

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

إذ احتل الألمان و الايطاليون قلعة زريكود ، أين فرضت الجيوش السلجوقية بزعامة قليج أرسلان ، الحصار عليها فقطعت عنهم التموين و خاصة المياه ، لذلك اضطروا إلى الاستسلام فكان مصيرهم القتل و العبودية .⁽¹⁾

أما الفريق الفرنسي فقد فزع عند سماعه بما حل بإخوانهم الصليبيين فتشاوروا في الأمر و غلبت كافة القائلين بضرورة الخروج للعدو و الأخذ بالثأر، و ما إن ابتعدوا عن معسكرهم حتى اصطدموا بالقوات السلجوقية ،⁽²⁾ وكانت النتيجة فقدان الآلاف من الصليبيين من بينهم و التز المفلس .

أما بطرس الناسك فكان قد ضاق من تصرفات هذه الجموع التي لا تخضع للقيادة فعاد قبل المعركة إلى القسطنطينية .⁽³⁾

هكذا انتهت مسيرة الفقراء على يد الأتراك السلجقة ، ولم يحققوا أي هدف من أهدافهم ، إلا أنها كانت ذات مغزى ، إذ أدرك الأمراء و أبناء الطبقة الإقطاعية أهمية الإعداد لهذه الحملة .

ب - تجمع القوات النظامية في القسطنطينية :

إن الحملة الصليبية الأولى تمثلت في الزحف الصليبي بقيادة الأمراء و الزعماء الإقطاعيين الذين حملوا الصليب ولم يكن هؤلاء الزعماء ملوكا .⁽¹⁾ كما انضم الكثير من النبلاء إلى صفوف المقاتلين ، و كانوا غالبيتهم من الفرنسيين لهذا نجد بعض المؤرخين يسمون الصليبيين بالإفرنج أو الحروب الفرنجية لتغلب هذا العنصر عليها.⁽²⁾

(1) - Michaud (J.F.) , **Histoire de la première croisade** , éd. Michaud Jeune , Paris , T.1 , 1^{ère} partie - (157-158 pp. ,

(2) - (قاسم (عبد قاسم) ، المرجع السابق ، ص. 98 .

(3) - زغزوت (فتحي) ، **النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي** ، ط.1 ، الأندلس الجديدة للنشر و التوزيع ، شبرا مصر ، 1430هـ/2009م ، ص. 204 .

(1) - زيوروف (ميخائيل) ، المرجع السابق ، ص. 54-55 .

(2) - كان ملك فرنسا فيليب الأول (Philipp I) و ملك إنجلترا قيوم الثاني (Guillaume II) و إمبراطور ألمانيا هنري الرابع مطرودين من رحمة الكنيسة ، أي فرض عليهم الحرمان الكنسي عندما كان اوربان الثاني يدعو للحرب المقدسة . انظر: - شاكرا (محمود) ، المرجع السابق ، ج. 6 ، ص. 254-257 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

1- مسيرة الحملة النظامية بقيادة الأمراء والفرسان: (*)

في الوقت الذي كانت فيه الحملة الشعبية الغير النظامية تقنى على آخرها ، كانت البابوية والفرسان مشغولين بالاستعداد للخروج بالحملة في موعدها المحدد من قبل .⁽¹⁾ وقد كانت مشكلة التمويل هي أكبر المشكلات التي واجهتهم ، لهذا كان على كل واحد منهم أن يبحث عن حل لهذه المشكلة بطريقته الخاصة .⁽²⁾ ولما تم التجهيز وحان موعد السفر فسارت الجيوش الصليبية على النظام التالي :⁽³⁾

1- حملة هيو دي فارمندوا (Hugues de Vermandois) :

كان الابن الأول للملك الفرنسي "هنري الأول (Henri I)" ،⁽⁴⁾ وشقيق الملك الفرنسي "فيليب الأول" (Philippe I) ،⁽⁵⁾ و جيشه هو أول الجيوش الصليبية التي وصلت إلى الأراضي البيزنطية ، وهو أصغرهما ، وجمع أتباعه في أواسط فرنسا وكان معه بعض الفرسان من ضياع أخيه الملك فيليب الأول .⁽⁶⁾

و قبل رحيله أوفد رسولا خاصا إلى القسطنطينية يطلب من الإمبراطور البيزنطي بأن يعد له الاحتفال الذي يليق بمقامه.⁽⁷⁾

انطلق هذا الجيش إلى إيطاليا في أواخر 489هـ/ أوت 1096م ، واجتازت فرقته روما ثم بحر الأدرياتيك وصولا إلى دورازو (Durazzo) ثم إلى القسطنطينية .

(*)- أحمد المغلوث (سامي بن عبد الله) ، أطلس الحملات الصليبية ، ط.1 ، الرياض ، 2009م ، ص.47. وللمزيد عن سير الحملة الصليبية الأولى ، ارجع إلى الملحق رقم 5 ، ص.278.

(1)- كانت الحملة الصليبية الأولى في الأغلب مغامرة فرنسية ، و من أجل هذا ظل الشرق الإسلامي- الأدنى إلى يومنا هذا يذكر حملة غرب أوروبا بحملة بلاد الفرنجة بالرغم من أن أولئك المؤرخين كانوا يفرقون بين الألمان و الانجليز و غيرهم من الشعوب . انظر : - (قاسم عبده) قاسم ، المرجع السابق ، ص.12-13 .

(2)- نفس المرجع ، ص.99 .

(3)- رنسمان (ستيفن) ، الحروب الصليبية ، ج.1 ، ص.208 .

(4)- Comnène Anna ، op.cit ، T.2 ، p.213 .

(5)- احمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص.59 .

(6)- تاوضروس عبيد (إسحاق) ، المرجع السابق ، ص.96 .

(7)- رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، ج.1 ، ص.208-209 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

(2)- حملة بقيادة قودفروا دو بويون (Godefroy de Bouillon) :

هو أمير اللورين السفلى ، كان من أنصار الملك هنري الرابع في حملاته الألمانية والإيطالية،⁽¹⁾ و كان العدو الأكبر للبابا جريجوري السابع ، و لتكفير عن أخطائه اشترك على رأس جيش كبير في الحملة النظامية .⁽²⁾ خرجت هذه الحملة من أعالي فرنسا و بالضبط من براينت (Brabant) . و قد كان معه أخوه بلدوين الأول (Baudouin I De Boulogne) الذي كان قائدا للجيش .^(*)

وعزم أن لا يسلك الطريق الذي اتفق الأمراء الصليبيون على أن يتخذوه،⁽³⁾ وهو

(1)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ص.211 .

(2)- قودفروا شرع بالزحف في صيف (1096م) . انظر :- الصوري (وليم) ، المصدر السابق ، ج.1، ص.195 .
(*)- بلدوين دي بلون : هو بلدوين دي بولون (Baudouin De Boulogne) ملك بيت المقدس (494هـ- 512هـ/1118م).الابن الثالث لأوستاش الثاني (Eustache II) والأخ الأصغر لجودي فروي (Godefroy De Bouillon) ، أو جودي فروي الثاني المقدس

، ولم تذكر المصادر سنة ولادته ، لكنه على الأرجح ولد بعد أخيه جودفروا ببضع سنين ، أي بعد سنة (1060م)، التحق بالكنيسة وتعلم في مدرسة رايمز الكبرى (Reims) شمال غالة ، منطقة اللورين الأدنى ، هذا ما جعله شغوقا بالثقافة – لكن مزاجه لم يكن من مزاج رجل الكنيسة ، فعاد إلى الحياة الدنيوية وأصبح من الفرسان العاملين تحت إمرة أخيه جودفروا في اللورين ، وتصفه الكتابات بأنه كان أطول من أخيه جودفروا ، ذو شعر غلب عليه السواد ، وبشرة ناصعة البياض ، فأما خلقه فيتصف بالبرودة ، ميال للأنهية والترف، مستسلم لشهواته ومجونته، وحين أعلن البابا أوربان الثاني عن الحملة الصليبية ، رحب بلدوين الأول بها - (إذ لم يهبه المستقبل حيث أنه حسب النظام الإقطاع السائد حينها فقط للابن الأكبر حق وراثة إقطاع أبيه ، و بلدوين الأول كان أصغر إخوته)- أنظر:- رنسمان (ستيفن)، تاريخ الحروب الصليبية ، ج.1 ، ص. 210، 212 ، ص.180، ص.282. وأخذ معه في سفروه زوجته النرمندية جودوير توسني (Godwere) وأطفالهما الصغار ، وكان عازما على عدم العودة ، أملا في إقامة مملكة له بالشرق. أنظر :- La

Grande Encyclopedie , T.5, L'Amauti. H. , éd. Paris S.D.p.864. ;

Grousset (R.), **Histoire des croisades** , pp.206,207, . ; Ibid, **L'épopée des croisades**, Club de librairie , Paris , 1939 , pp.46-47. ; Zoé Oldebourg , **Les croisades** , éd, Gallimard , L'U.R.S.S. , 1965 , p.136.

(3)- Balard (M.) , **Croisades et Orient Latin XI^e-XIV siècle** , éd. Armand Colin, Paris , 2001 , pp.43-45 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

الطريق الذي يجتاز ايطاليا⁽¹⁾ و اجتازت هذه الفرقة بلاد المجر بعد عقد زعيمهم الاتفاق مع الملك كولومان وتزويده له بالمؤن والمساعدات اللازمة على أن لا يمارس وفرقته أي عمل من أعمال العنف والسلب⁽²⁾، ثم بلغاريا ، ثم بلغراد إلى أن وصلوا إلى القسطنطينية في 23 ديسمبر 1096م أين وجدوا هيو دي فارمندوا قد وصل قبلهم⁽³⁾ . وقد كان جيش قودفروا دو بويون من اكبر الجيوش الصليبية .

(3)- حملة بقيادة روبرت دوق نورمانديا (Robert Duc de Normandie) :
شقيق قيوم الثاني(Guillaume II) ملك إنجلترا . كان روبرت يمتاز بالصراحة و الطيبة ، الأمر الذي أدى به إلى خسارة أملاكه بعد رجوعه من الأراضي المقدسة⁽⁴⁾ . جمع جيش هذه الحملة من غرب فرنسا و نورمندي وبعض مناطق الشمال و بعض نواحي بلجيكا ، وكان معه ابن عمه روبرت الثاني دوق الفلاندر (Robert II comte de Flandre) وزوج أخت الكونت ستيفن دو بلوا (Etienne comte de Blois) ،⁽⁵⁾ كما كان في حاشيته المؤرخ فوشيه الشارترى الذي أصبح قسلا لـ بلدوين دي بلون⁽⁶⁾ .
انطلقت هذه الحملة في أكتوبر 1096م ، و عبرت في البداية جبال الألب وصولا إلى هوريد (Ohrid) وصولا إلى القسطنطينية في افريل 1097م⁽⁷⁾ .

(4)- حملة بقيادة رايموند كونت دي تولوزة (Raymond Comte de Toulouse) :
يعرف بـ رايموند دي سان جيل (Raymond de Saint Gilles) ، وهو أول من تطوع

(1)- رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، ص.212-213 .

(2)- نفس المرجع ، ص.214 .

(3)- Gabrieli (F.) , op.cit , pp.27-28 .

(3)-

(4)- احمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص.58 .

(5)- ونجده في بعض الكتب بهذا الاسم ستيفن (Stefan) .

(6)- ماير (هانس ابرهارد) ، المرجع السابق ، ص.76-77 .

(7)- نفسه .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

من الأمراء في مؤتمر كليرمونت فيران وله تاريخ حافل لأسرته في محاربة المسلمين بالأندلس .⁽¹⁾ و كانت فرقته تحمل أكبر عددا و عدة ،⁽²⁾ وكانت من فرقة البروفانسيين والبورجانديين ، إذ تعتبر كونتيته التي ورثها عن أسلافه أغنى دوقية في فرنسا ، و بفضل زواجه من الأميرة ايلفيرا(Elvira) صاحبة أراجون (Aragon) اتسع نفوذه في اسبانيا ، و صاحب معه زوجته إلى الحرب ، وبذلك ارتبط بالبيت الملكي الاسباني .⁽³⁾ و اشترك في الكثير من الحروب المقدسة ضد المسلمين في اسبانيا ، وهو أول نبيل أعلن إقراره للحملة الصليبية ، إذ كان داعيا مغرورا ،⁽⁴⁾ و بدت له الحروب الصليبية وكأنها فرصة كبيرة في الحصول على الرئاسة ،⁽⁵⁾ واعتبر أن له الحق في القيادة وتعتبر حملته أيضا من أكبر الحملات .⁽⁶⁾

5- حملة بقيادة بوهمند دي تارنت (Bohémond de Tarente) :

هو أمير تانت و الابن الأكبر لروبرت قيسيكارد ،⁽⁷⁾ ويدعى أيضا بوهمند النورماندي ، اتصف بوهمند بالطموح و الخشونة و الكره للبيزنطيين ،⁽⁸⁾ لذلك لم يهتم لا هو ولا النورمان بدعوة البابا أوربان الثاني للحروب الصليبية . ويقول المؤرخ ماير :
"أنه كان نورماني النزعة أكثر منه صليبيا" ،⁽⁹⁾ إلا أن استمرار الحروب الأهلية

(1)- في مجمع كليرمونت فيران ، تم الإعلان عن الحرب الصليبية بالمشرق ، فأراد العديد من القساوسة الاسبان المشاركة فيها ، إلا أن البابا اوربان الثاني منعهم من ذلك ، ودفعهم للانشغال بالمسلمين في الأندلس ، إيمانا منه في تطويق المسلمين من كل الجهة، ولما أسفرت الحملة الصليبية الأولى عن نجاحها في المشرق ، أعلن البابا باسكال الثاني (Pascal II) عن مواصلة واستمرار الحرب ضد مسلمي الأندلس . انظر : - أشباخ يوسف الألماني ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، تحقيق : (عبد الله) عنان ، القاهرة ، مصر ، 1940م ، ج.1 ، ص.146.

(2)- Le Moine (Robert) , in, Rec.Hist.Cros.Hist.Occ., Vol,III .P.939.

(3)- Manstein. (R.) , Les croisades de 1^{er} au 12^{ème} siècle , Paris , 1908 , p.303.

(4)- احمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص.58 -وانظر Mayer (H.E.),op.cit.,p.45-46.

(5)- مؤنس (حسين) ، نور الدين محمود ، ط.1 ، القاهرة ، 1378هـ/1909م ، ص.17 .

(6)- Gabrieli (F.) , op.cit , p.27.

(7)- المؤرخ المجهول ،المصدر السابق،ص.25-27 . و أنظر : - Anna Comnène ,op.cit. ,p.162-163. أنظر

أيضا :- قاسم (قاسم عبده) ، المرجع السابق ، ص.99 .

(8)- المطوي (محمد العروسي) ، المرجع السابق ، ص.48 .

(9)- Emayer (H.),op.cit ,pp.45-46.

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

بسبب صراع أبناء روبرت قيسكارد على ممتلكاته⁽¹⁾ دفع ببوهمند أثناء وصول الصليبيين إلى شمالي إيطاليا إلى أن يقدم لنفسه مملكة على الساحل الشرقي للبحر المتوسط⁽²⁾، خاصة وأنه لم يحقق طموحاته في جنوب إيطاليا، و حضوره كانت أقل بكثير من الأمراء النورمان⁽³⁾. لذلك جهز جيشا وجمع ما يكفيه من الأموال لهذه الحملة، وكان بصحبته ابن أخته تنكريد (Tancrede)⁽⁴⁾. و كان جيشه أصغر من جيش قودي فروا دو بويون، غير انه يفوقه من عدته و تدريبه⁽⁵⁾.

انطلقت هذه الحملة عبر بحر الأدرياتيك في أكتوبر 1096م إلى سواحل ألبانيا، ثم اخترقت ولاية مقدونية^(*) (كاستوريا)⁽⁶⁾، ثم نزل بإقليم أبيروس، فارسل الملك البيزنطي رسلا لتوثيق العلاقة، و بالفعل حدث ذلك⁽⁷⁾. وبلغ القسطنطينية في (أفريل 1097م)⁽⁸⁾. وضمن هذه الفرقة الصليبية سجل حضور المؤرخ المجهول.

لقد كانت كل هذه الجموع كلما مرت بناحية، انضم إليها المتطوعون لحماية الصليب، فكونوا بذلك جمع عظيم العدد^(**). ولما وصلت إلى القسطنطينية عرض بوهمند على قودي فروا أن يستوليا على المدينة، لكن هذا الأخير رفض كونه لم

(1)- مؤرخ مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ت:حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1908، ص.23.

(2)- Yewdale (R.) , **Bohemonde1 prince of Antioche** , éd. Princeton , 1924 , pp.44-45 .

(3)- فد حرم بوهمند من وراثته عرش أبيه . انظر : - رنسمان (ستيفن) ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج.1 ، ص.222 .

(4)- نفسه ، ص.222-223 .

(5)- Balard (M.) , **op.cit.** , p.51 .

(*)- هو اسم لمصر باليونانية القديمة ولها سور طويل من جهة الشرق . أنظر :- ابن الفقيه (ابو بكر احمد بن ابراهيم

الهمداني) ، مختصر كتاب البلدان ، طبعة مدينة ليدن بمطابع برلين ، 1302هـ ، ص.116

(6)- Chalandon (F.) , **Histoire de la domination Normande en Italie et en Sicile** , Paris ,

1907 , T.II , pp.27-28 .

(7)- نفس المرجع ، ص.227 .

(8)- Gabrieli (F.) , **op.cit.** , pp.27-28 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

يأت إلا لقتال المسلمين⁽¹⁾ ولم تغب فكرة الاستيلاء على العاصمة البيزنطية في نفوس فرسان الغرب الآخرين ، فقد كانوا ينظرون بعين الدهشة و الحسد إلى الكنوز المخزونة في كنائس القسطنطينية⁽²¹⁾ . لكن ما موقف الإمبراطور البيزنطي من هذه الحشود ، وكيف كانت تصرفات هؤلاء .

ج- موقف الإمبراطور البيزنطي من القادة الصليبيين:

استنجد الإمبراطور البيزنطي بالغرب اللاتيني لقضاء على السلاجقة ، ولكنه لم يطلب أن تجتمع قوى الغرب المسيحي على أبواب عاصمته ، لذلك اختلفت مواقفه قبل أن يتفقوا ،⁽³⁾ و ذلك يعود لاختلاف وقت وصول كل من الحملات النظامية و اختلاف زعمائها .

ا- الموقف البيزنطي من هيو دي فارمندوا :

وصل إلى القسطنطينية في 15 أوت 1096م ، واستقبله أليكسوس الأول كومنوس استقبالا حارا ، وغمره بالهدايا الكثيرة إلا انه وضعه تحت رقابة مشددة ،⁽⁴⁾ واحتفظ به كرهينة في يديه ليساوم بها بقية القادة اللاتين الوافدين من الغرب⁽⁵⁾ . وكان وصوله قد أرغم أليكسيوس الأول على أن يختار بين أمرين: إما أن يعتبرهم حلفاء قد توافدوا للتعاقد معه على قهر العدو المشترك ثم اقتسام ما ينتزعونه بينهم ،⁽⁶⁾ و إما أن يكونوا أتباعا فيكون له الحق وحده من ممتلكات العدو⁽⁷⁾ . فقرر أن يتعامل مع القادة الصليبيين بانفراد ، واتفق مع كل منهم على حدا ،⁽⁸⁾ فكان هيو أول من اقسام يمين الولاء للإمبراطور⁽⁹⁾ .

(1)- عمران (محمود سعيد) ، المرجع السابق ، ص28 .

(2)- نفسه ، ص29 .

(3)- فيشر ، المرجع السابق ، ص175 .

(4)- Connéme Anna , op.cit , T..II , pp.213 -215.

(5)- تاوضروس عبيد (إسحاق) ، المرجع السابق ، ص.93 .

(6)- النفاش (زكي) ، المرجع السابق ، ص.19

(7)- نفسه .

(8)- قاسم (عبد قاسم) ، نفس المرجع ، ص.99-101 .

(9)- Flori (J.), op.cit. ,P.61.

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

ب-الموقف البيزنطي من قودفروا دو بويون :

اتخذت السلطات البيزنطية العدة و الحذر لاستقبال قودفروا دو بويون ،(*) و ذلك من أجل الحصول على عهد من قبله و أداء يمين الولاء . و طلب منه أن يعسكر خارج المدينة خوفا من جيشه الكبير على العاصمة .⁽¹⁾ فدعاه الإمبراطور إلى اللقاء ، إلا أن الزعيم الصليبي خاف ، فبدأ يراوغ ويماطل .

وتوترت العلاقات بين الطرفين حتى وصلت إلى القتال ،⁽²⁾ وخاصة وأن هيو ما يزال رهينة في يد الإمبراطور ، الأمر الذي دفع بجيش قودفروا بأن يهاجموا على مدينة سيلمبريا وينهبوها ،⁽³⁾ فأرسل أليكسيوس الأول رسلا إلى قودفروا يطلبون منه الكف عن أعمال السلب ضد المواطنين الأمنين ، واستجاب قودفروا لهذا المطلب .

وعند وصوله إلى القسطنطينية أرسل إليه هيو ليقنعه بضرورة الذهاب لزيارة الإمبراطور، إلا أن قودفروا رفض ذلك ولم يكن من السهل إقناعه ،⁽⁴⁾ ففرض الإمبراطور الحصار على جيشه ، و خاصة وان الإمبراطور البيزنطي علم بقدم جيش بوهمند دي تارنت إلى العاصمة البيزنطية ، فمنع الاتصال بين الطرفين ،⁽⁵⁾ و وقعت بين الجيشين عدة معارك ، والتي انتهت بهزيمة قودفروا ، مما أرغمه على أن يعترف بضعفه و أن يؤدي يمين الولاء .⁽⁶⁾ وأمره الإمبراطور بان يعبر البوسفور برفقة جنوده متجهين نحو أسيا الصغرى ، وأقام له مأدبة عشاء فاخرة ،وبعدها غادر الجيش الصليبي نحو

(*)- جود فرو دو بويون تقول عنه أنا كومنين : "أنه أول واحد باع أرضه بمنطقة اللورين وسار نحو بيت المقدس". أنظر Anna Comnène, op.cit ,p.44. :-

(1)-المؤرخ المجهول ، المصدر السابق ،ص.24.

(2)- Mayer (H. E.) ، **The crusades** , éd. Oxford , 1972 , p.48 .

(3)- تاوضروس عبيد (إسحاق) ، المرجع السابق ، ص.93 .

(4)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.216-217 .

(5)- Comnène Anna , op.cit. ,T.2 , p.215-220 .

(6)- مؤرخ مجهول ، نفس المصدر ، ص.24 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

نيقوميديا (Nicomédie) (1) ، بعدما تلقوا المساعدات اللازمة من الإمبراطور البيزنطي أليكسيوس الأول (*).

ج - الموقف البيزنطي من بوهمند دي تارنت :

وصل بوهمند إلى القسطنطينية في 09 أبريل 1097م بعد رحيل جيش قودفروا ، وكان بوهمند في نظر أليكسيوس الأول أشد الصليبيين خطورة ، نظرا لما تعرض له البيزنطيون من تجارب سابقة جعلتهم يدركون أن النورمان أعداء (2) . لذلك قرر أليكسيوس الأول بان يكون أول لقاء له مع الزعيم النورماني على انفراد ، لكي يكشف اتجاهه ونواياه (3) ، فوافق بوهمند على ذلك ، وعند لقائهما أجاب بوهمند على كل الأسئلة التي طرحت عليه بكل حكمة و أدب ، وقال لأليكسيوس الأول : "إن كنت في الماضي عدوك الآن أتيت عن كامل قناعتني بان أكون صديقا لجلالتكم ...". (4) وكان يود الحصول من الإمبراطور البيزنطي على تكليف رسمي بان يقود الحملة الصليبية ، غير أن هذا الطلب أثار حيرة أليكسيوس الأول ، إذ كان يخشى بوهمند ولا يثق فيه (5) فأجابه أليكسيوس الأول أنه لم يحن الوقت بعد لتعيين قائد ، و انه سوف يحصل على ذلك بفضل نشاطه و إخلاصه (6) فاقنتع بوهمند بهذا الوعد الذي شجعه على أن يمضي في مشروعه (7) ، ولم يجد الإمبراطور البيزنطي أليكسيوس الأول كومنين أية صعوبة في إقناع الأمير النورماني المعروف بطموحه المفرط بان يقسم له يمين الولاء (8).

(1)- Chalandon .(F.) , **Histoire de la première croisade** , pp119-129

(*)- عن مسير الصليبيين من القسطنطينية إلى آسيا الصغرى ، ارجع إلى الملحق رقم 06 ، ص.279

(2)- رنسمان(ستيفن) ، **تاريخ الحروب الصليبية** ، ج.1، ص.226-227 .

(3)- نفسه

(4)- Comnène Anna , **op.cit.** ,t.2 , p.231-236.

(5)- رنسمان(ستيفن) ، **تاريخ الحروب الصليبية** ، ج.1. ، ص.226-227 .

(6)- Comnène Anna , **loc.cit** ,T. II ,pp.233-234 .

(7)- De Caen (R.) , **Faits et gestes du prince Tancrede pendant l'expédition de Jérusalem** , éd

Brière , Paris , 1825 , p.23 .

(8)-مؤرخ مجهول ،المصدر السابق ، ص.30-31 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

في 26 افريل1097م عبر جيش بوهمند البوسفور ليلتحق بجيش قودفروا . أما تنكريد تجنب بذل يمين الولاة و كره سياسة قريبه بوهمند فعبر المدينة ليلا .⁽¹⁾

د- الموقف البيزنطي من رايوند كونت دي تولوزة :

أما الكونت رايوند دي تولوزة فقد أستقبل استقبالاً حافلاً في القسطنطينية ، و عرض عليه الإمبراطور البيزنطي أن يحلف يمين الولاة ، لكنه رفض و أصر على موقفه .⁽²⁾ وقد كان في ذلك الوقت . مقيماً خلف المدينة ، وكان يفكر في إعلان الحرب على الإمبراطور البيزنطي ، لكن قودفروا و بوهمند وبقية الأمراء رفضوا ذلك .⁽³⁾ ومن ثم استشار أديهمار دي مونتاي (Adhémar de Monteil) المندوب البابوي الذي كان من بين رجاله حول ما إذا يقسم يمين الولاة للإمبراطور أم لا ،⁽⁴⁾ فقرر و لقطع الشكوك و لكي لا يثير غضب الإمبراطور البيزنطي أن يقسم باحترام حياة ومكانة وشرف أليكسيوس الأول كومنين ولا أكثر .⁽⁵⁾ و أنه لم يأت كما قال ليخدم أمراً آخر غير الأمر الذي ترك من أجله وطنه ، وبقي وحده بذلك أمينا مخلصاً لروح الحرب الصليبية .⁽⁶⁾

هـ - الموقف البيزنطي من روبرت دوق نورمانديا :

وصل جيش روبرت دوق نورماندي (Robert duc de Normandie) و ستيفن دي بلوا (Etienne de Blois) إلى القسطنطينية في الوقت الذي قدم فيه بوهمند ،⁽⁷⁾

(1)- De Caen .(R.) , loc.cit. , pp.26-27 .

(2)- قاسم (عبده قاسم) ، المرجع السابق ، ص.100-101 .

(3)- ويقول المؤرخ المجهول : "...وأضاف"بوهمند العاقل إلى ذلك قوله انه إذا ارتكب كونت تولوزة أي اعتداء على الإمبراطور وخالف ما تعهد له الزعماء بالوفاء ، فانه سيقف في صف الإمبراطور . - مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.23 .

(4)- قاسم (عبده قاسم) ، نفس المرجع ، ص.101 .

(5)-مؤرخ مجهول ، نفس المصدر ، ص.24. ؛ زيتون (عادل) ، المرجع السابق ، ص.88..؛ تاوضروس عبيد (إسحاق) ، المرجع السابق ، ص.103 .

(6)- حاطوم (نور الدين) ، المرجع السابق ، ص.844-845.

(7)- رنسمان (ستيفن) ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج.1 ، ص.226-227 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

ووافق هؤلاء القادة على أداء يمين الولاء و التبعية للإمبراطور البيزنطي . بالغ أليكسيوس الأول في إكرامهم بثنى الوسائل والهدايا .⁽¹⁾ وبوصول هذه الحملة كانت نهاية المرحلة الأولى من حملة الفرسان .

انتهت المرحلة الأولى من الحملة الصليبية الأولى بحصول الإمبراطور البيزنطي أليكسيوس الأول على يمين الولاء من الأمراء ما عدا رايموند سان جيل الذي أقسم على احترام حياة وشرف الإمبراطور ولا غير ،⁽²⁾ وان يسترجع كل الأراضي التي فقدتها في آسيا الصغرى ،⁽³⁾ مقابل السماح لهم بالمرور عبر عاصمة الامبراطورية . ووعدهم بان يحمل الصليب ويقود اللاتين عبر آسيا الصغرى ، وان يؤمّن لهم مسالك عبورهم في الأراضي الإمبراطورية ، وان يزودهم بفرقة من فرسانه لمساعدتهم ضد الأتراك ،⁽⁴⁾ وقد أبرمت هذه المعادة في ماي 1097م و عرفت بمعاهدة القسطنطينية .⁽⁵⁾

وكان ذلك اللقاء هو اللقاء الأول في الشرق المسيحي . وعند بداية عبور القوات الصليبية مضيق البوسفور إلى آسيا الصغرى وعلى بعد أميال قليلة من القسطنطينية ، وجد الصليبيون أنفسهم في أرض المسلمين للمرة الأولى .⁽⁶⁾

وفي هذا الوقت بالضبط انظم إليهم بطرس الناسك ،⁽⁷⁾ الذي اعتذر للإمبراطور البيزنطي عن قبول العرض الصليبي بقيادة الحملة ، ولكنه زودهم بعدد من أدلاء والمرشدين ،⁽⁸⁾ كما انه ظل يرسل إليهم المؤن والإمدادات عن طريق البر والبحر .⁽⁹⁾

(1)- تاوضروس عبيد (إسحاق) ، المرجع السابق ، ص.103 .

(2)- النقاش (زكي) ، المرجع السابق ، ص.19 .

(3)- Gabrieli (F.) , op.cit. , pp.27-29 .

(4)- المطوي (محمد العروسي) ، المرجع السابق ، ص.49 .

(5)- تاوضروس عبيد (إسحاق) ، نفس المرجع ، ص.104 .

(6)- زغروت (فتحي) ، المرجع السابق ، ص.206 .

(7)- قاسم (عبد قاسم) ، نفس المرجع ، ص.101 .

(8)- حسن (إبراهيم حسن) ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج.4، القاهرة ، 1957م، ص.246.

(9)- قاسم(قاسم عبده)، نفس المرجع ، ص.101 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

(2)- سقوط بيت المقدس في يد اللاتين 492هـ/1099م وتأسيس المملكة :

مهما يكن من أمر ، لم يكن يعتقد أحدا ، أن تلك الحرب التي شنها الغرب المسيحي ضد المسلمين سرعان ما تحولت إلى حرب شرسة ضد إخوانهم في الإغريق والمجر و السلاف (الصقالبة) وغيرهم . وهذا يدل على ذلك الانقسام العقائدي بين الشرق والغرب وأيضا يدل على الاختلاف الحضاري المتباين بين الطرفين . لكن رغم إدراك الإمبراطور البيزنطي للموقف الخطير التي آلت إليه إمبراطوريته،⁽¹⁾ فقد سعى جاهدا إلى الاجتماع بهم -كما ذكر سابقا- والسماع إليهم وعليه استطاع أن ينتزع منهم تعهدات والتزامات بأن يعيدوا كل الأراضي التي سيحتلونها (وهم في طريقهم إلى آسيا الصغرى وبلاد الأناضول) والتي كانت سابقا تابعة له . فالسؤال المطروح ما مصير تلك الجيوش في آسيا الصغرى وما النتائج التي حققوها ، وكيف كانت العلاقة مع الإمبراطورية البيزنطية وكيف تمكنوا من تأسيس مملكة مسيحية في بيت المقدس؟

اتأسيس الإمارات الصليبية :

بعد اتفاق القادة الصليبيين مع الإمبراطور البيزنطي ، وعبورهم البوسفور إلى آسيا الصغرى وجد الصليبيون أنفسهم في الأراضي الإسلامية ، فوجدوا أنفسهم أمام الأتراك السلاجقة الذين ضنوا أن هذه الحملة كالحملة الشعبية السابقة ، وبذلك تمكنت الحملة الصليبية المنظمة من تحقيـق عدة انتصارات منذ البداية . حيث استطاعوا إسقاط عدة مدن أسيوية مسلمة دون أن يملكوها ، بعد معارك ضارية بينهم وبين المسلمين ، و تمثلت في :

(*)- سقوط نيقية في يد الصليبيين:

اجتاز الصليبيون بحر البوسفور في ماي1097م وعبروا إلى الشاطئ

(1)- اغلب القادة الصليبيين أدوا يمين الولاء أمام الإمبراطور إلا رايونداجيل الذي تأخر في ذلك إلى نهاية شهر افريل سنة 1097 م ، بعد تغيير بعض الشروط .انظر:-
Comnène (Anne) , op.cit,p.329-330.
وأنظر -جوزيف (نسيم يوسف) ، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى ،ص.210-211. وانظر :-
Mayer (H.E.), op.cit. ,p.49.

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

الأسوي في فترات متفاوتة و تجمعت في مدينة نيقوميديا ، وكان هدفهم الأول هو الاستيلاء على نيقية عاصمة الأتراك السلاجقة الروم ،(*) والتي كانت يحكمها قليج أرسلان .

كانت هذه المدينة تتحكم في الطريق الأساسي عبر الأناضول ، لهذا تم فرض حصار مشترك من القوات البيزنطية والقوات الصليبية حول هذه المدينة التي كان حاكمها غائبا ،⁽¹⁾ وعند عودته في حوالي 21/491هـ/21 ماي 1097م بجيشه من جهة الجنوب، بادر بمهاجمة الصليبيين ،⁽²⁾ و تحمل الصدمة رايوندا سان جيل و أدهيمار دي مونتاي ، و لم يتمكن بوهمند دي تارنت ولا قودفروا دو بويون من التخلي عن أماكن محاصرتهم من اجل مساعدة إخوانهم الصليبيين ، إلا أن روبرت الثاني دوق فلاندر قدم المساعدة و هزموا الأتراك . وبذلك أدرك السلطان السلجوقي مدى قوة الصليبيين وتفوقهم عليه و انه يجب أن يترك المدينة .⁽³⁾

وبعد ذلك شرع الصليبيون في الهجوم على المدينة من جميع نواحيها ، وبنوا الأبراج الخشبية ليتمكنوا من هدم أبراج المنطقة ، وتمكنوا في خلال فترة يومين من الاقتراب من المدينة بشجاعة وحماسة حتى قوصدت حيطانها ودككت أسوارها دكا .⁽⁴⁾ و استمر قذف الصليبيين لأسوار المدينة دون جدوى ، إلا أن الإمبراطور البيزنطي لم يرد أن يضم إلى أملاكه مدينة مخربة ، فأرسل القائد بوتوميت مانويل (Boutoumitès Manuel) ليرغمهم على الاستسلام .⁽⁵⁾ وبعد مفاوضات سرية بوتوميت و بين الأتراك

(*)- هم الأتراك السلاجقة الذين استقروا بآسيا الصغرى واستقلوا بعد زوال الإمبراطورية السلجوقية وكانت عاصمتهم الأولى نيقية . وبعد الحملة الصليبية الأولى أصبحت عاصمتهم قونية . انظر :- شبارو (عصام محمد) ، المرجع السابق ، ص.28-29 .

(1)- قاسم (عبد قاسم) ، المرجع السابق ، ص.101 .

(2)- Comnène Anna , op.cit. , T.3 , pp.7-8.

(3)- Idem .

(4)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.23-24 .

(5)- قاسم (عبد قاسم) ، المرجع السابق ، ص.101 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

استسلمت المدينة دون علم القوات اللاتينية،⁽¹⁾ مما أدى إلى تدمير القادة الصليبيين الذين حرموا من نهب المدينة التي حرسها الجيوش البيزنطية ، هذا بالإضافة إلى استغرابهم من معاملة أليكسوس الأول الرحيمة للسكان هناك،⁽²⁾ إلا أن الصليبيين كانوا مرغمين على تسليم نيقية وما جاورها للإمبراطور أليكسيوس الأول ، وذلك حسب العهد الذي قدموه له ، وبذلك استرجع ما فقده في شمال الأناضول.⁽³⁾ وعوض الإمبراطور قادة وجنودهم بالهدايا بدلا من الغنائم والأسلاب التي كانوا ينتظرون الحصول عليها عند استيلائهم على المدينة.⁽⁴⁾ ودعا القادة الصليبيين إلى الاجتماع في معسكره ، وكان بوهمند دي تارنت أول من لبي الدعوة ، وعاد ليتوسل الإمبراطور على أن يتعهد إليه بمنصب رئيس خدام المشرق البيزنطي ، ولكن طلبه قوبل بالرفض.⁽⁵⁾

وفي هذا المكان و الزمان أرغم بوهمند قريبه تنكريد على أن يؤدي يمين الولاء للإمبراطور البيزنطي ،وبعدها لبي الدعوة الفرسان الباقيين الذين كانت غنائمهم كثيرة.⁽⁶⁾ وكان كل هذا حافزا للصليبيين على مواصلة الزحف في الأراضي الأسيوية الإسلامية.^(*)

** - معركة دوريله (Dorylée):

بعد الاستيلاء على نيقية (Nicée) ، وبعد الحصول على الهدايا والمؤن ، واصل الصليبيون زحفهم في أسيا الصغرى بعد أسبوع من سقوط نيقية مختربة بلاد الأناضول،⁽⁷⁾ والتقى الصليبيون في سهل دورليه بجيش تركي قوي وكان ذلك

(1)- شلبي (أحمد) ، المرجع السابق ، ج.5 ، ص.445 .

(2)- احمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص.64 .

(3)- قد شجع سقوط نيقية المدن الايطالية(بيزا ، جنوة ، البندقية) في أن تشرع بدور فعال في عرض خدماتها على الصليبيين . انظر :-
Flori (J) . , op.cit , pp.75-76 .

(4)- (قاسم (عبد قاسم) ، نفس المرجع ، ص.102 .

(5)- تاوضروس عبيد (إسحاق) ، نفس المرجع ، ص.106 .

(6)- نفسه .

(*) - عن الأراضي التي استردها المسيحيون في أسيا أثناء الحرب الصليبية ، انظر إلى الملحق رقم 07 ، ص.280.

(7)- المطوي (محمد العروسي) ، المرجع السابق ، ص.51 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

في 492هـ / 1 جويلية 1097م .⁽¹⁾

ووقعت بين الجيشين معركة دامية دامت حوالي يوما كاملا ، و انتهت بفرار الأتراك بعد أن تخلوا عن غنائم كثيرة على أرض المعركة.⁽²⁾ و قبل وقوع معركة دروليه وجد الصليبيون أنفسهم لا يستطيعون شق الطريق معا ، فانقسموا إلى فريقين كانت المسافة الفاصلة بينهما تقدر بمسيرة يومين ،⁽³⁾ ففي اليوم الثالث تقدم الفريق الأول بقيادة القائد البيزنطي تاتكيوس (Tatikios) و بوهمند دي تارنت ورفاقه الذين اتجهوا إلى دوريله ،⁽⁴⁾ أين هاجمهم السلطان السلجوقي قليج أرسلان المتحالف مع الأمير الدانشمندي ، واندفعوا بصيحة الحرب .⁽⁵⁾ فسارع بوهمند إلى إرسال الفرسان على خيولهم بعيدا عن المعسكر الصليبي وذلك لمواجهة الأتراك السلاجقة الذين اغتتموا فرصة انقسام الصليبيين ،⁽⁶⁾ و طوقوا معسكرهم ، فخاف الصليبيون الذين أدركوا أن عددهم حصر له ،⁽⁷⁾ لذلك أوفدوا رسولا إلى الجيش الصليبي الثاني ، يحثه على التعجيل بالسير .⁽⁸⁾ وعندما انتصف النهار واشتدت الحرارة ، اخذ الصليبيون يرتابون بين الصمود إلى أن يصلوا رفقاتهم و إما أن يستسلموا .⁽⁹⁾ وفي هذه الأثناء كانت قذائف الأتراك تنهمر عليهم ، فعزموا على

(1)- و تعرف دوريليه حاليا بأسكيشهر .

(2)- Flori (J.) , *la première croisade* , pp.76-77 .

(3)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.38 .

(4)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ص.260-261 .

(5)- نفسه .

(6)- Flori (J.) , *op.cit* , p.75 .

(7)- يعتبر المؤرخ الفرنسي جون فلوري انقسام الصليبيين إلى فريقين غلطة لا يجب ارتكابها .

(8)- يقول المؤرخ المجهول : "فلما تم الفراغ من ذلك كله أحاط بنا الترك من كل جانب واخذوا قي قتالنا ورمينا بالحرايب و رشقنا بالنبال من مسافة عجيبة ، فاجمعنا أمرنا على الخروج لصددهم رغم عدم قدرتنا على مقاومتهم وعجزنا عن احتمال وطأة هذا العدد الغفير من الأعداء ... " - مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.39 .

(9)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.268 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

الاستشهاد إن اقتضت الأحوال ذلك⁽¹⁾. لكن القوات الصليبية الثانية لم تتوانى عن نجدة إخوانهم ، وكان أول من وصل قودفروا دو بويون و رايموندا جيل و هيو دي فارمندوا ثم بقية الفرسان ،⁽²⁾ فنتشج الصليبيون وقويت روحهم المعنوية، فاخذ بوهمند دي تارنت و روبرت الثاني النورمندي و ايتيان دو بلوا من الجهة اليسرى ، واتخذ قودفروا دو بويون و هيو دي فارمندوا من الجهة اليمنى ، بينما كان يتوسط الجبهة رايموندا جيل و روبرت الثاني دوق الفلاندر⁽³⁾. فشرع الأمراء بالهجوم على الأتراك ، الذين بادروا بالهروب بعد معركة دامية ، انتهت بانهزام الأتراك وانتصار الصليبيين،⁽⁴⁾ بالرغم من شراسة المقاومة السلجوقية⁽⁵⁾.

فقد الصليبيون عددا كبيرا من الفرسان بسبب لجوء قليج أرسلان (Kilidj Arslan) أثناء المعركة إلى حرب الأرض المحروقة حتى لقي الصليبيون العناء الكبير من العطش والتعب والجوع ،⁽⁶⁾ وبذلك انفتح أمام الصليبيين الطريق للتقدم خاصة وان قليج أرسلان لم يعد باستطاعته مواصلة المقاومة ، فأمر بإخلاء المدن التي تعترض طريق الصليبيين ، فاستولى هؤلاء على قونية (Iconium) بدون عناء ،⁽⁷⁾ لكن هناك مصاعب أخرى تنتظر الصليبيين ، لأن البلاد القاحلة بطبيعتها تحولت إلى صحراء حقيقية بعد أن غادرها الأتراك ،⁽⁸⁾ فعانى الجيش الأمرين الجوع و العطش ، فتوفي العديد من الفرسان و الأحصنة بسبب قلة المؤن و شدة الحرارة . خرج الصليبيون من هذه المملكة و دخلوا مملكة أرمينية الصغيرة ،⁽⁹⁾ حيث توجد فيها الأنهار و السكان المسيحيين الذين سهلوا

(1)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.268.

(2)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.39-40 .

(3)- رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، نفس الجزء ، نفس الصفحة .

(4)- مؤرخ مجهول ، نفس المصدر ، ص.41 .

(5)- المطوي (محمد العروسي) ، المرجع السابق ، ص.51 .

(6)-نفسه.

(7)-Flori (J) . , op.cit , pp.78-79 .

(8)- حاطوم (نور الدين) ، المرجع السابق ، ص.846-847 .

(9)- المطوي (محمد العروسي) ، نفس المرجع ، ص.51 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

عليهم التمويل ،⁽¹⁾ و اخذوا هرقله (Héraclée) في 491هـ/ أوت1097م ، والتي كانت تابعة لدانشمند .⁽²⁾

و بعد ذلك اختلف القادة الصليبيون بينهم وبين أنفسهم وبينهم وبين الجنرال البيزنطي تاتيكيوس في هرقله حول أفضل الطرق التي سيسلكونها نحو بلاد الشام ،⁽³⁾ إذ اقترح هذا الأخير طريق قيصرية (Cesarea) ثم مرعش (Marach) ، فوافقه أغلب القادة ماعدا تنكريد و بلدوين دي لوبون اللذان أخذهما الشغف و حب المغامرة إلى اتخاذ الطريق الآخر.^(*) وبذلك انفصلا عن الجيش الرئيسي و تسلقوا جبال طوروس (Taurus)،^(**) في حين أن الجيش الرئيسي للحملة شق طريقه عبر الجبال الأرمينية الوعرة مارا بقيصرية و مرعش .⁽⁴⁾ فراحا بلدوين دي بلون و تنكريد يبسطان نفوذهما ، ويتسابقان في بسط التفوق في المناطق الأرمينية مما أدى إلى اشتباكات فيما بينهما.⁽⁵⁾

و عند وصولهما إلى مدينة طرسوس (Tarsus) ، عرض بلدوين دي لوبون على تنكريد أن يهاجما سويا عليها لاقتسام غنائمها فيما بينهما ولكنهما لم يتفقا ،⁽⁶⁾ إذ أن تنكريد رفض أن ينهب إخوانه النصارى ، فخرج أشراف طرسوس وسلموا مدينتهم من تلقاء أنفسهم ، وقالوا للمتنازعين : "اقصروا علينا من استبسل أمس في محاربة الترك " .⁽⁷⁾ وبعد ذلك أدرك بلدوين دي لوبون أن كيليكيا (Cilicie) لا تكفي لتحقيق أطماعه

(1)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.44 .

(2)- احمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص.65 .

(3)- De Caen (R.), op.cit. , p.47 .

(*)—أما الطريق الذي سلكه الصليبيين الآخرين .أنظر - رنسمان(ستيفن) ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج.1 ، ص.366. ارجع إلى الملحق رقم 06 ، ص.279.

(**) - عن طريق الذي سلكه بلدوين الأول ، أنظر :-رنسمان(ستيفن) ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج.1 ، ص.206. و ارجع إلى الملحق رقم 07 ، ص.280.

(4)- تاوضروس (عبيد إسحاق) ، نفس المرجع ، ص.107 .

(5)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.44-45 .

(6)- نفس المصدر ، ص.45 .

(7)- تاوضروس عبيد (إسحاق) ، نفس المرجع ، ص.107.

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

الخاصة في الشرق ، لهذا اتجه نحو أرمينيا والأرمن . أما تنكريد اتجه لملاقاة الجيش الرئيسي الذي استمر بالزحف نحو الأراضي الإسلامية ، وكان هدفهم الرئيسي الاستيلاء بيت المقدس كما خططوا لذلك من قبل .وكم كانت دهشة المسلمين كبيرة بوصول هذه القوات الصليبية ، ولكنهم كانوا قادرين على إبادتهم ، غير أن العداوة و المنازعات الداخلية كانت قد استوطنت داخل أنفس حكام المنطقة ،⁽¹⁾ مما جعل من المسلمين عاجزين عن مواجهة القوات الصليبية .

حقق الصليبيون انتصارات عديدة على حساب الأتراك السلاجقة منها انتزاع نيقية منهم، الأمر الذي شجعهم على مواصلة الزحف والتقدم على حساب الأراضي الإسلامية ،خاصة وان المنطقة قد دب الصراع والتنافس بين حكام الخلافت الإسلامية . فإمارة حلب كان يحكمها رضوان (488-507هـ/1095-1113م) الموالي للفاطميين الشيعة ،⁽²⁾ وكان على عداء شديد مع حاكم إمارة دمشق دقاق (488-498هـ/1095-1104م) الموالي للعباسيين .

أما إمارة شيزر كانت تحت حكم بني منقذ ،^(*) على حين كانت طرابلس تحت حكم بني عمار الشيعيين ، ولم يبد أمراء المسلمين أمام الوضع القائم أية محاولة لإنهاء تلك الخلافت والعمل على توحيد الجبهة الإسلامية لمواجهة الغزو الفرنجي الذي بدأ يهددهم في عقر دارهم⁽³⁾ غير أن بيت المقدس فقد ظل بأيدي السلاجقة إلى أن ضعفوا واستعادها الفاطميون سنة 492هـ/1098م ، وسقط في يد الصليبيين بعد سنة من ذلك . وفي هذا الفصل سيأتي هناك توضيح كيف سقطت الروها و أنطاكيا ، وكيف تصرف الصليبيون مع الإمبراطور البيزنطي ، ومتى كيف سقطت بيت المقدس .

(1)-قاسم (عبده قاسم)، ماهية الحروب الصليبية ، ص.102.

(2)- نفسه ، ص.81 .

(*)- هذه الأسرة أنجبت أسامة بن منقذ ، صاحب كتاب الاعتبار ، الذي يعد مصدرا هاما للحروب الصليبية .

(3)- ابن العديم (عمر بن أحمد)، بغية الطلب في تاريخ حلب. ج.12، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت

، 1988م ، ص.129-130.

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

1- سقوط إمارة الروها في أيدي الصليبيين: (*)

لقد انفصل تنكريد و بلدوين دي لوبون عن الحملة الرئيسية ، وراحا يتسابقان في بسط نفوذهما في المناطق الأرمينية ، حيث اتجه الأول نحو أضنة (Adana) و المصيصة (Mamistra) اللتان سقطتا بيده ،⁽¹⁾ ولم يسعفه الحظ في الاستيلاء على أية جهة من أرمينيا بسبب الصراع و القتال مع بلدوين دي لوبون ،⁽²⁾ فاضطر إلى التوجه شرقا ، وفي طريقه إلى الالتحاق بالجيش الرئيسي في جهات أنطاكيا ، استولى على الاسكندرونة .⁽³⁾ أما بلدوين دي لوبون فقد اتجهت أنظاره نحو أرمينيا (***) و الأرمن ، و ساعده على تحقيق أحلامه مستشاره الأرميني باكارد (Packard) .⁽⁴⁾ و قد أسعفه الحظ الأكبر عندما استنجد به سكان الرها الذين كانوا من الأرمن المسيحيين ، إذ استنجد به أميرها الأرميني طوروس (Thoros) ، للصد تهديدات أمير الموصل كربوغا (Kourboqa atabeg de Mossoul)، و على هذا فان بلدوين دي لوبون لبي لطلب .⁽⁵⁾ وعند وصول بلدوين الأول رحبت الأرمن به ترحيبا كبيرا ، و تشجعوا للانقضاض على الحاميات التركية الموجودة

(*)- تشكل أهمية قصوى لدى الصليبيين حيث يعدونه مدينة مقدسة، لأن بها ما يزيد عن ثلاثمائة كنيسة، وأن بكنيستها العظمى يوجد محرم المسيح عيسى عليه السلام الذي مسح به وجهه فطبعت صورته عليه (كما يدعون). وهذا ما يفسر حرص الصليبيين على استرداد هذه المدينة عندما فتحها عماد الدين زنكي .أ نظر- الحموي (ياقوت) ، معجم البلدان ، ج. 1 ، ص. 1171؛ جوزيف (نسيم يوسف) ، العرب و اللاتين في الحرب الصليبية الأولى ، دار المعرفة ، الجامعة ، الإسكندرية ، 1989م ، ص. 235 .

(1)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص. 45 .

(2)- Hagenmeyer (H.) , **Chronologie de la première croisade** , Paris , 1902 , pp.532-533 .

(3)- احمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص. 65 .

(*)- تقع في منطقة القوقاز ، وكانت تربطها علاقات مع الإمبراطورية البيزنطية كتبادل السفارات .

(4)- كان باكارد في خدمة اليكسيوس الأول كومنين وقت حصار الصليبيين لمدينة نيقية . انظر :- تاوضروس عبيد

(إسحاق) ، المرجع السابق ، ص. 107 .

(5)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج. 1 ، ص. 279 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

في مدنهم .⁽¹⁾ و لم يكن لطوروس المسن ولد من صلبه فمد إلى تبني بلدوين الأول⁽²⁾، وبذلك أصبح وريثا شرعيا له بعد وفاته ، وهذا ما سهل عليه الاستيلاء على الروها بالحيلة و الغدر .⁽³⁾ إذ أبقى الأمير طوروس شبه سجين في القصر ، ولم يسمح له بالمغادرة إلى أي مكان ، مما أرغم الأمير طوروس على الهروب ، لكن محاولته باءت بالفشل ، إذ ألقى القبض عليه ، و قام بلدوين الأول بفتكه وقتله ،⁽⁴⁾ و بذلك ورث هذا الأخير العرش رسميا بعد موت أميره " طوروس " ، وبهذا تمكن الصليبيون من تأسيس أول إمارة لاتينية في الشرق ، وكان ذلك 491هـ/10مارس 1098م .⁽⁵⁾ ولما ذاع خبر انتصارات بلدوين الأول عمد الكثير من فرسان الغرب إلى تغيير خططهم فهناك من تخلى عن حصار أنطاكيا العنيف و الطويل ليتجه إلى الروها ليشارك بلدوين الأول حضه و نصيبه ،⁽⁶⁾ مما أثار غضب الأرمن .

بعد استيلاء الصليبيين على الروها واحتفاظهم بها ، نقضوا المعاهدة المبرمة مع الإمبراطور البيزنطي أليكسيوس الأول كومنين في القسطنطينية قبل عبور أراضيه ، ذلك لان الروها كانت ضمن ممتلكات الإمبراطورية ، قبل الغزو التركي السلجوقي ، فكانت بذلك من حق الإمبراطورية ، بالإضافة إلى الغدر الذي عامل به بلدوين الأول الأمير طوروس الذي كان في خدمة الإمبراطور البيزنطي .

(1)- شاكر (محمود) ، المصدر السابق ، ج.6 ، ص.254-256 .

(2)- كان طوروس موظفا في خدمة الإمبراطورية البيزنطية ، كما انه كان تابعا لبطيركية القسطنطينية . انظر :-

Hagenmeyer (H.) , Op.cit. , pp.218-220 .

(3)- Cécile.(M.) , op.cit ., p.80 .

(4)- Setton (W. H.) , **A history of the crusades** , éd. Penns , paris 1962 , T.2 , p.303 .

(5)- Cahen (C.) , **Orient et Occident aux temps des croisades** , Paris , 1983 , p.75 .

(6)- تاوضروس عبيد (إسحاق)، المرجع السابق ، ص.109 .

الفصل الثاني== الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

2 - سقوط إمارة أنطاكيا في أيدي الصليبيين :

في الوقت الذي سلك فيه بلدوين دي لوبون و تنكريد جبال طوروس عبر الجيش الرئيسي قيصرية ثم كوماننا ، المدينة الفخمة والزاهرة الثروة ، والتي سقطت في يد الجيوش الصليبية دون قتال بعد تخلي الدانشمند عنها ،⁽¹⁾ و بعد ذلك بلغوا مدينة جيكسو التي استسلم سكانها دون مقاومة ،⁽²⁾ و أكملوا طريقهم حتى وصلوا إلى مرعش التي منها انددروا إلى سهول أنطاكيا . ولم يخل طريق الصليبيين من بعض الإصطدامات مع الدانشمند ، إلا أنهم خسروا الكثير من الأرواح بسبب وعورة الطريق و شدة البرد ،⁽³⁾ بالإضافة إلى انسحاب القائد البيزنطي تاتكيوس عن طريق قبرص بحجة إمدادهم بالمواد الضرورية .⁽⁴⁾

كانت مدينة أنطاكيا تحت حكم ياغي سيان (Yaghi Siyan) السلجوقي الذي ظل في عرشها لمدة عشر سنوات و مات فيها دفاعا عنها ضد الصليبيين الذين زحفوا قاصدينها.⁽⁵⁾ و كانت أنطاكيا محصنة بأربع مائة برج ،⁽⁶⁾ لهذا اتفق الصليبيون أنهم لن يكون بوسعهم المسير جنوبا نحو فلسطين ما لم يقع بأيديهم الحصن الكبير أنطاكيا ،⁽⁷⁾ كما كان من رعايا "ياغي سيان المسيحيون الأرمن و السريان .⁽⁸⁾

ولما بلغت جيوش الصليبيين واد العاصي في 20/هـ491 أكتوبر1097م فرضوا

(1)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.46 .

(2)- نفسه .

(3)- احمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص.64-65 .

(4)- نفس المرجع ، ص.67 .

(5)- Comnène Anna , op.cit. , t.3 , pp.16-19 .

(6)- Flori (J) , op.cit. , pp.78-85 .

(7)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.304 .

(8)- نفسه .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

عليها حصارا شديدا ،⁽¹⁾ لكن ياغي سيان اتخذ التدابير اللازمة لمقاومة هذا الحصار.⁽²⁾ و ينكر المؤرخ المجهول أية مقاومة قوية للمسلمين فيها وهذا ما سهل عليهم دخولها ،⁽³⁾ لكن طول مدة الحصار و التي دامت سبعة أشهر تدل على عكس ذلك ،⁽⁴⁾ إذ عان الصليبيون من قسوة المناخ و من مجاعة رهيبة .⁽⁵⁾ ضف إلى ذلك هجوم ياغي سيان في 25/هـ/491 ديسمبر 1097م على الصليبيين الذين عسكروا شمال نهر العاصي (Pont de fer) ،⁽⁶⁾ و انتصاره عليهم بعد معركة عنيفة ، الأمر الذي زاد من معاناتهم . إلا أن راييموندا دي تولوزة استطاع أن ينقذ الموقف بهجومه على الأتراك ليلا ،⁽⁷⁾ بالإضافة إلى انسحاب الجنرال البيزنطي تاتكيوس و عودته إلى القسطنطينية بسبب اختلافه مع اللاتين حول كيفية الاستيلاء على أنطاكيا و اتهامهم له بالتحالف مع المسلمين ، و لعلمه بأن هناك مؤامرة على حياته .⁽⁸⁾ و تلا ذلك وقوع زلزال أرضي الذي نتج عنه نتائج وخيمة على المعسكر الصليبي ،⁽⁹⁾ إلا أن المساعدات الصليبية كانت أسرع و أكبر من تلك المسلمين الذين أصيبت صفوفهم التشتت و الضعف،⁽¹⁰⁾ و كره بعض الرعايا للأمير ياغي سيان .^(*) بالإضافة إلى دهاء و حكمة و حيلة بوهمند الذي أراد أن تكون أنطاكيا له وحده دون أن

(1)- حتي (فيليب) ، تاريخ العرب المطول ، دار الكشاف للطباعة والنشر و التوزيع ، ط4 ، بيروت ، 1965م ، ج.2 ، ص.754-755 .

(2)- المطوي (محمد العروسي) ، المرجع السابق ، ص.52 .

(3)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.52 .

(4)- Cahen (C.) , op.cit. , p.74 .

(5)-قاسم (عبده قاسم) ، المرجع السابق ، ص.103 .

(6)- Hagenmeyer (H.) , op.cit , pp.514-516 .

(7)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.86 .

(8)- Flori (J.) , op.cit. , pp.78-85 .

(9)- مؤرخ مجهول ، نفس المصدر ، ص.86 .

(10)- المطوي (محمود العروسي) ، المرجع السابق ، ص.52 .

(*)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.305 - للمزيد عن حصار أنطاكيا ، أنظر الملحق 08 ، ص.281 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

يشاركه في حكمها،⁽¹⁾ كما وثق علاقات الصداقة مع قائد أرميني الخائن المدعى فيروز (Firouz) الذي كان حاقدا على ياغي سيان،⁽²⁾ إذ عرض على بوهمند أن يفتح له البرج المعروف ببرج الأختين،^(*) والذي كان تتكريد يعسكر أمامه، وبذلك أصبح بوهمند واثقا من فتح المدينة، إلا أنه راح يعلن لزملائه اللاتين أن الأمور تزداد سوءا.⁽⁴⁾ وفي هذه الأثناء طلب ياغي سيان النجدة من أمير الموصل كربوغا،⁽⁵⁾ إلا أن هذا الأخير وصل بعد استيلاء بوهمند على المدينة في 491هـ/03 جوان 1098م،⁽⁶⁾ وهو وصل في اليوم الموالي،⁽⁷⁾ فقام كربوغا بتعيين أحمد بن مروان قائدا على أحد القلاع ففرض الحصار على المدينة، إلا أن بوهمند شن هجوما مضادا عنيفا على الجيش الإسلامي، انتهى بانسحاب كربوغا وانهزام جيشه،⁽⁸⁾ وقد كاتب بوهمند الإفرنج صاحب حلب وصاحب دمشق بأنهم لا يقصدون غير البلاد التي كانت بيد الروم ولا يطلبون سواها، مكررا منهم وخديعة حتى لا يساعدوا صاحب أنطاكيا.⁽⁹⁾ بهذا أصبح بوهمند حاكما على إمارة أنطاكيا بحكم انتصاره و دخوله المدينة،⁽¹⁰⁾ ووافق القادة على ذلك دون أن يهتموا بالتعهدات المقدمة للإمبراطور أليكسيوس الأول.⁽¹¹⁾ الأمر الذي أدى ذلك إلى رفع معنويات الفرنجة كثيرا، ولم يبقى أمام الصليبيين أي عائق لبلوغ بيت المقدس، خاصة وان الخلافة الفاطمية بمصر عرضت على القوات الصليبية الصلح و المسالمة،

(1)- تاوضروس عبيد (إسحاق)، المرجع السابق، ص.111 .

(2)- قاسم (عبد قاسم)، المرجع السابق، ص.104 .

(*)- عن موقع البرج انظر إلى خريطة الملحق رقم 08، ص.281.

(3)- إسحاق تاوضروس عبيد، نفس المرجع، ص.113 .

(4)- Cahen (C.) , op.cit , p.74 .

(5)- المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص.70؛ عاشور (سعيد عبد الفتاح)، المرجع السابق، ص.144-149.

(6)- ابن كثير، المصدر السابق، ج.12، ص.155 .

(7)- Flori (J.) , *La première croisade* , pp.84,86 .

(8)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج.8، ص.186 .

(9)- زيتون (عادل)، المرجع السابق، ص.147-213.

(10)- تاوضروس عبيد (إسحاق)، المرجع السابق، ص.113.

الفصل الثاني== الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

وتأمين الأماكن المقدسة ، وبذلك عقدت هدنة معهم عوض التصدي لهم ،⁽¹⁾ وانتصب بوهمند دي تارنت أميراً على أنطاكية ، أما بقية الصليبيين فإنهم اتجهوا إلى بيت المقدس بعد أن استراحوا واستجمعوا قواهم .

3- الموقف البيزنطي من انتصارات اللاتين :

لما علم أليكسيوس الأول كومنين بما تم في الرها وأنطاكية ، شعر بأن الصليبيين قد غدروا به ، و بأن المنح والأموال الطائلة التي قدمها لهم قد قوبلت من جانب زعماء الصليبيين بالجحود والتحدي الكبير .⁽²⁾ و كان أليكسيوس الأول كومنين قد نصح الصليبيين بفتح المفاوضات مع الخلافة الفاطمية عند وصولهم إلى سوريا ، إلا أن الصليبيين رفضوا العمل بنصائهم ، والدليل على هذا هو أن الخليفة الفاطمي المستعلي بالله (487 - 495هـ/1094-1101م)⁽³⁾ بعث وفداً إلى الصليبيين أثناء محاصرتهم لأنطاكية يعرض عليهم الصلح والمسالمة ، وتأمين أماكنهم المقدسة ، لم يجيبوه إلى ذلك ، فعاد الوفد الفاطمي الذي كان تحت زعامة الوزير "الأفضل بن بدر الجمالي" إلى البلاط الفاطمي ومعه وفداً من الصليبيين للتفاوض مرة أخرى ،⁽⁴⁾ فقام الخليفة الفاطمي بأسره ، وهي الحجة التي اتخذها الفرنجة لاتهام الإمبراطور البيزنطي بالتواطؤ مع المسلمين ،⁽⁵⁾ وراحوا يدعون أن الإمبراطور البيزنطي قد حرض الخليفة الفاطمي على أسر المبعوثين

(1)- المطوي (العروسي) ، المرجع السابق ، ص.52 .

(2)- في 10 اوت 1098م توفي المندوب البابوي ادهيمار دي مونتاي ودفن في أنطاكية . انظر :- تاوضروس عبيد (إسحاق) ، المرجع السابق ، نفس المرجع ، ص.119 .

(3)- هو المستعلي أبو القاسم احمد بن المستنصر تولى السلطة بعد وفاة أبيه أبو القاسم المستعلي بالله أحمد بن معد بن الظاهر بن علي بن منصور ، كان تاسع الخلفاء الفاطميين في مصر والمغرب والإمام التاسع عشر عند الإسماعيلية المستعلية. ولد في القاهرة في سبتمبر سنة 1074 م وتولى بعد موت أبيه المستنصر بالله متخذاً لقب المستعلي بالله ، وبويع في 3 يناير 1095 م .في عهده وقعت اشتباكات ومعارك ما بين أمير جيشه ووزيره الأفضل شاهنشاه بن بدر الدين الجمالي والصليبيين في بلاد الشام، استطاع الصليبيون بها الاستيلاء على القدس مجدداً. مات المستعلي بالله في مدينة القاهرة في عام 1101 م بعد حكم دام سبع سنوات وشهرين . انظر :- ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ط ، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع ، بيروت ، 1401هـ-1981م ، ج.4 ، ص.84 .

(4)- قاسم (عبد قاسم) ، المرجع السابق ، ص.105 .

(5)- تاوضروس عبيد (إسحاق) ، المرجع السابق ، ص.123 .

الفصل الثاني = الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

اللاتين الذين توجهوا إلى مصر .

في 492هـ/10 أفريل 1099م بعث الإمبراطور البيزنطي رسالة إلى القادة الصليبيين يطلب منهم الانتظار قرب طرابلس لأنه قادم إليهم لكي يواصلوا الزحف معا نحو بيت المقدس ،⁽¹⁾ بشرط أن يعيدوا إليه أنطاكيا . لم يوافق الزعماء الصليبيين على طلبه لشكهم في نواياه ماعدا رايmond كونت دي تولوزة ،⁽²⁾ إلا أن أغلبية القادة الصليبيين قرروا عدم الاستجابة للإمبراطور أليكسيوس كومنين ، والعمل على فتح بيت المقدس بأنفسهم مهما كانت التضحيات ،⁽³⁾ و دون أي تدخل من الجانب البيزنطي ، وبذلك ساءت الأحوال بين الصليبيين والبيزنطيين.⁽⁴⁾

(ب) - سقوط بيت المقدس: (*)

لقد كان احتلال أنطاكيا تجربة حية كشفت نوايا الفرنجة في حربهم الصليبية ، إذ أن ادعائهم بتحرير قبر المسيح ليس لم يكن إلا ستارا لأهدافهم و أطماعهم . ومهما كان من تستر عن نواياهم فلا يمكن إنكار ذلك الهدف الرئيسي الحقيقي الذي يكمن في رغبتهم في التوسع والسيطرة للقضاء على الوجود الإسلامي .

(1) - Stevenson (W.G.) , *The crusades in the East* , Cambridge, 1907, pp.32-33 .

(2) - تاوضروس عبيد (إسحاق) ، نفس المرجع ، ص.123 .

(3) - عبد القادر احمد اليوسف ، المرجع السابق ، ص70 .

(4) - تاوضروس عبيد (إسحاق) ، نفس المرجع والصفحة .

(* - القدس في اللغة تعني الطهارة ، التقديس ، التطهير والتبريك ، وهي مدينة كنعانية عرفت في بداية عهدنا باسم سالم وسميت مدينة السلام نسبة إلى ملكي صادق ، وعندما آلت المدينة للبيوسيين عرفت باسم بيوس . وأشار لها رسائل تل العمارنة باسم يايثي ، وهي تحريف لكلمة بيوس الكنعانية . وذكرها ياقوت الحموي باسم أورشليم أو أوريشليم أو أوريشلوم أو أوراسلم ، كما عرفت باسم صهيون ، وعندما استولى عليها الملك داوود عام (997 ق.م) عرفت باسمه ، ووردت في المصادر الأكادية باسم أورسالام ولما خضعت فلسطين لحكم اليونان عامي 333 ق.م ، سميت هيريوولياما (Hierosolymaa) . وفي عهد الامبراطور الروماني ايليس هدريانوس (Hidrianus-Aeliusse) ، دمرت أورشليم اثر ثورة باركوكبا (Barakokhba) ، التي اندلعت بين عامي 132-135 م وأطلق عليها أيضا إيليا كبيتولينا (Aelia Capitolina) ، ولم يغير المسلمون اسمها بعد فتحهم للمدينة . بينما ذكرها الرحالة الغربيون الذين زاروا المنطقة إبان الحكم الصليبي باسم لوز ، في حين يطلق اليهود عليها اسم أورشليم حتى هذه الأيام ، هذا فيما يخص الاسم ، أما من حيث الأهمية الدينية فان بيت المقدس تعد في نظر المسلمين فهي أولى القبلتين وبها ثالث الحرمين لشرفين ، وهي في نظر العالم أجمع المنطقة التي لها دلالة في كل من الديانات السماوية اليهودية والمسيحية والإسلامية =

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

1- السير الصليبي نحو بيت المقدس :

عين بوهمند أميراً على أنطاكيا بلا منازع ودون أن يهتم باليمين الذي أقسمه في القسطنطينية⁽¹⁾ أما باقي الفرسان استمروا و معهم قودفروا في السير جنوباً قاصدين بيت المقدس .^(*) ولم يحاول أمراء سوريا إثر ذلك مقاومة الغزاة في أراضيهم ، وكل ما

= وفي عام الألف ق.م تمكن داود ملك بني اسرئيل من احتلال (ييوس) بعد انتزاعها من سكانها الأصليين (اليبوسيين)، ثم احتلها العبرانيون طوال أربع قرون ، و لم تخل من عدة حروب كان العبرانيون يتبادلون خلالها مع المصريين السيطرة علي المدينة المقدسة خاصة في عهد فرعون مصر (924-945 ق.م) و الذي غزاها عام 926 ق.م ، ثم احتلها يوشيا ملك يهوذا سنة 609 ق.م . و في عام 332 ق.م احتل الاسكندر المقدوني أورشليم بعد أن هزم الفرس و انتزع منهم مملكتهم ، ثم آلت إلي الرومان 323 ق.م ، و أصبحت بذلك مدينة مسيحية عام (326 م) و ظلت كذلك إلى أن فتحها العرب المسلمون عام 636 م ، و تم ذلك علي يد عمرو بن العاص، وبذلك دخلت القدس في العالم الإسلامي و ظلت القدس في أيدي المسلمين إلى أن انتزعا الصليبيون عام 1099 / 492 و جعلوا منها مملكة صليبية . و استمرت كذلك حتى استردها القائد المسلم نصر الشرق صلاح الدين الأيوبي عام 581 هـ / 1187 م ، ثم احتلها الممالك بعد انقلاب ضد أحفاد صلاح الدين الأيوبي عام 651 هـ / 1253 م فالعثمانيون عام 922 هـ / 1516 م .

أنظر: - البكري (أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي)، «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج.3، تحقيق مصطفى السقا، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1996م، ص.844؛ ابن حوقل (أبو القاسم، محمد بن حوقل النصيبي)، «صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ت، ص.158؛ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، «لسان العرب (مادة القدس)»، ج.3، ط.3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994م؛ سوسة (أحمد)، «العرب واليهود في التاريخ، دار الحرية للطباعة، د.م.ط.، 1972، ص.89؛ الحموي (أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله)، «معجم البلدان، ج.1، ط.2، دار صادر، بيروت، لبنان، 1995م، ص.7 وص.402. - وارجع أيضا إلى :

-William of Tyre: **A History of Deeds Done Beyond the sea**, 2 vols. Trans by Emily twater Babcock and A.C.Krey , New York 1943 ,vol.I .pp.341.391.; Jacques de vitry: **The History of Jerusalem** , trans. By Aubrey Stewart, in P.P.T.S., vol. 11, London 1896.p.2.32.39.; Bahat,D.: **The illustarted Atlas of Jerusalem**, Jerusalem. 1998.pp.85. ; Boas ,A. **Jerusalem in the Time of the Crusades Society**, Landscape and art in the Holy City under Frankish rule, London and Newyork 2001 , p.5.

(1)- حاطوم (نور الدين) ، نفس المرجع ، ص. 849 .

(*)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.366. وللمزيد عن مسيرة الصليبيين من نيقية إلى بيت المقدس ارجع إلى الملحق رقم 07 ، ص.280.

الفصل الثاني== الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

هدفوا إليه هو رؤية حشود الأعداء تسير عبر أراضيهم بأقل خسارة ممكنة.⁽¹⁾ كانت القوات الصليبية قد احتلت الروها وأنطاكيا ، وواصلت مسيرتها نحو المدن الأخرى : كاللاذقية ، البارة ، إذ انه لما تم الاستيلاء على أنطاكيا عزموا التوجه مباشرة نحو بيت المقدس ،⁽²⁾ إلا أنهم تأخروا في الزحف بسبب الاختلاف بين القادة الصليبيين و المتمثل في تمسك بوهمند بالرغبة الملحة في حكم أنطاكيا و تحوله لخدمة مصالحه الشخصية و هنا طرحت مشكلة خرق اليمين.⁽³⁾ و استمر هذا الجدل دون أن يفرز عن أي اتفاق ، و في نفس الوقت وقع نقاش حول ما إذا يستأنفوا المسير نحو بيت المقدس أو يقتحمون مصر.⁽⁴⁾ إلا انه أمام ازدياد رغبة الحجاج في اقتحام بيت المقدس اقترح بعض القادة تهميش الخلاف و اللجوء إلى مناقشة هادفة بعيدا عن بوهمند و نزاعه مع رايmond وعن أطماعهما في أنطاكيا ، وتوصلوا في الأخير إلى التخلي عن غزو مصر.⁽⁵⁾ و فعلا تم الوصول إلى استئناف السير نحو بيت المقدس ، هذا ما أدّى إلى تخلي رايmond و بوهمند عن رأييهما و موافقتهما على قرار المجلس دون أن يحدد تاريخ الرحيل.⁽⁶⁾

في بداية الأمر تقرر مهاجمة حصن معرة النعمان و كان ذلك في سنة 492 هـ/28 نوفمبر 1098م أين شن كل من رايmond جيل و روبرت الثاني دوق الفلاندر هجوما خلف أسوار الحصن ، إلا أنهم فشلوا ،⁽⁷⁾ ثم عاودوا فرض حصار شديد على الحصن ابتداء من 11 ديسمبر من نفس السنة ، و الذي مكنهم بعد محاولات عديدة من الدخول إلى

(1)- احمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص.69 .

(2)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.364-367 .

(3)- Cahen (C.) , op.cit. , p.74 .

(4)- Ibid. , p.75 .

(5)- Idem .

(6)- رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، ج.1 ، ص.272 .

(7)- Cahen (C.) , op.cit. , p.74 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

الحصن،⁽¹⁾ واستولوا عليها وارتكبوا فيهم واحدة من أبشع المذابح،⁽²⁾ و مارسوا في معرة النعمان كل أنواع العنف و السلب و النهب.⁽³⁾ ولما بلغ الأمر الفظيع إلى الملك برقياروق صعب عليه الأمر ، فبعث إلى الأمراء ببغداد لكي يتجهزوا لمقاتلة الفرنجة ، لكنهم فشلوا في مواجهة الصليبيين.⁽⁴⁾

اختلف الصليبيون مرة أخرى حول موعد الزحف نحو بيت المقدس ، فبعث رايوندا إلى الزعماء الصليبيين يستعجلهم على الرحيل نحو بيت المقدس ، لكن لا أحد من القادة يرغب في السير إلى الضريح المقدس في هذا الوقت.⁽⁵⁾

وفي معرة النعمان قصد رايوندا جبل حصن كفرطاب وبقي فيه ثلاثة أيام أين انظم إليه عدد من الكونتات ، و هنا بعث إليه أمير شيزر يعلن رغبته في مساعدتهم بالأدلاء والمؤن والأموال.⁽⁶⁾ و هنا يظهر من جديد الخلاف بين بوهمند و رايوندا بسبب حصول الأول على القسط الأكبر من الغنائم،⁽⁷⁾ إلا أن بوهمند عاد إلى أنطاكيا وظفر بها لوحده . أما رايوندا ظفر بزعامة الصليبيين ، و صار بجيشه نحو بيت المقدس في 492هـ/13جانفي1099م ، والتحق به روبرت النورمندي و تنكريد متجهين نحو بيت المقدس.⁽⁸⁾

في طريق الصليبيين نحو بيت المقدس راحوا يجمعون المؤن والعدة إلى أن وصلوا إلى مدينة مصياف في 493هـ/ 22 جانفي 1099م ، لأنهم أدرك أهمية المؤن والعدة من أجل إنجاح عملهم العسكري ، ولهذا أولوا هذا الجانب أهمية . وفي 493هـ/23جانفي

(1)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.107 .

(2)- ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص.136-137 .

(3)- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.8 ، ص.187-188 .

(4)- ابن كثير ، المصدر السابق ، ج.12 ، ص.155 .

(5)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.107 .

(6)- نفسه .

(7)- رنسمان (ستيقن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.371-372 .

(8)- نفسه .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

1099م) وصلوا إلى رفانية فهاجموا حصن الأكراد ، إلا أنهم لقوا مقاومة عنيفة من قبل سكان الحصن ،⁽¹⁾ وبعد محاولة ثانية تمكنوا من اقتحام الأسوار بجيوشهم الضخمة ، مما أدى بهؤلاء إلى طلب الأمن والسلام ، وقد كان ذلك مقابل مؤن وأموال ضخمة .⁽²⁾ واصل الصليبيون الزحف حتى بلغوا في 492هـ/29 فيفري 1099م عرقة و هي مدينة محصنة والتي استعصى عليهم دخولها ، إلا أن المساعدات الجنوبية وصلت بعد حصار دام ثلاثة أشهر .⁽³⁾ وهذا ما مكن الصليبيين من احتلال المدينة وبعض المركز الأخرى .

(*)- سقوط طرابلس في أيدي الصليبيين :

لما بلغ الصليبيون طرابلس فرض قود فروا دو بويون الحصار عليها ، إلا أن خبرا عن جيش عباسي كبير في طريقه لمواجهة ، أرغمه على الانسحاب مرتعبا ، فطلب المساعدة من رايوندا جيل ،⁽⁴⁾ الذي لبي طلبه في 13ماي 1099م ، فطلب أميرها ابن عمار الأمن والسلام له ولأهل المدينة مقابل أموال وهدايا ثمينة ، وكان له ذلك .⁽⁵⁾

غادر الصليبيون طرابلس يوم 492هـ/16ماي 1099م واحتلوا المدن المجاورة منها مرقية و طرطوس ،⁽⁶⁾ ومن الملاحظ أن الصليبيين اتخذوا الطريق الساحلي ،⁽⁷⁾ واصلوا سيرهم إلى قلعة الباطرون ومنها إلى جبيل ،⁽⁸⁾ وبعدها بيروت التي قدمت للقوات الصليبية الهدايا وسمحوا لهم بالمرور عبر أراضيهم بشرط أن لا يخربوا المساحات

(1)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.180 .

(2)- نفس المرجع .

(3)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.112-113 .

(4)- كان رايوندا جيل في هذه الأثناء منشغلا في حصار عرفة . وللمزيد من التفاصيل ارجع إلى :- احمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص.69 .

(5)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.113 .

(6)- ماير (هانس إيرهارد) ، المرجع السابق ، ص.90 .

(7)- قاسم (عبد قاسم) ، المرجع السابق ، ص.106 .

(8)- Barret (G.) , Si je t'oublie Jérusalem , la prodigieuse aventure de la 1^{ère} croisade 1095-1099 ,

éd., Hachette , Paris , 1982 , p.336.

الفصل الثاني== الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

لزراعية،⁽¹⁾ لكن يبدو أن القوات الصليبية قد واجهت صعوبات جمة في صيدا، وهذا بسبب المقاومة الباسلة التي أبدتها أهالي المدينة ، إلا أن الصليبيون أرسلوا جيشا لمعاينة المقاومين،⁽²⁾ فأغاروا على المزارع ، و أتلّفوا المحاصيل ونهبوا القرى المجاورة .⁽³⁾ ثم تقدموا جنوبا حتى وصلوا إلى مدينة صور، ولم يهاجموها كما بقيت الحامية الإسلامية خلف أسوار المدينة،⁽⁴⁾ وأخيرا رحل الصليبيون من أمام المدينة في 23 ماي من نفس السنة و وصلوا سيرهم جنوبا حتى بلغوا ضواحي عكا،⁽⁵⁾ أين قدم حاكمها المسلم الهدايا للصليبيين طلبا للامان . وبعدها سارت القوات الصليبية جنوبا حتى حيفا،⁽⁶⁾ ثم وصلوا سيرهم نحو قيسارية ومنها انطلقوا إلى أرسوف .⁽⁷⁾ وأثناء تواجد الصليبيين عند أرسوف استولوا عليها بسهولة وخاصة و أن المدينة كانت بعيدة عن الساحل ولا يمكن للأسطول الفاطمي مساعدتها،⁽⁸⁾ ومن أرسوف توجه الصليبيون إلى الرملة^(*) في 492هـ/ جوان 1099م ، فاستسلمت حاكمها للصليبيين مقابل أمن و سلامة أهاليه ،⁽⁹⁾ وهي أول مدينة فلسطينية وقعت تحت سيطرة الصليبيين.^(**) وبعد هذا الانتصار عقد القادة الصليبيون مجلسا لانتخاب أسقف لرعاية كنيسة القديس جورج،⁽¹⁰⁾ وتم انتخاب قسيس نورمنديا

-
- (1)- عمران (محمود سعيد) ، المرجع السابق ، ص.32 .
 - (2)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.113 .
 - (3) عاشور (عبد الفتاح سعيد) ، المرجع السابق ، ص.239 .
 - (4)- عمران (محمود سعيد) ، نفس المرجع ، ص.32 .
 - (5)- Rousset (P.) , **Histoire des croisades** , Paris , 1957 , p.104 .
 - (6)- Barret (G.) , op.cit. , p.338 .
 - (7)- ماير (هانس إيرهارد) ، المرجع السابق ، ص.90 .
 - (8)- عمران (محمود سعيد) ، المرجع السابق ، ص.32 .
 - (*)- وهي مدينة دفن فيها القديس جورج (George) وذلك لأنه نعم بالشهادة في هذه البقعة . انظر :- مؤرخ مجهول ، نفس المصدر ، ص.114 . و انظر:- Barret (G.) , op.cit , p.339 .
 - (10)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.114 .
 - (**)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.366.وللمزيد عن سير الصليبيين في بلاد الشام ارجع إلى الملحق رقم 07، ص.280.
 - (11)- Barret (G.) , op.cit. , p.339 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

روبرت (Robert) أسقفا للكنيسة .⁽¹⁾ وهنا ظهر الجدل حول مواصلة الزحف نحو بيت المقدس أو التوجه نحو مصر ، إلا أن رأي التوجه نحو بيت المقدس هو الغالب .

و في 06/هـ/492 جوان 1099م انطلقت القوات الصليبية مباشرة نحو الأراضي المقدسة ، فاتخذ الجيش الصليبي الطريق القديم .

عند اجتياز الصليبيون قرية عمواس قدم إلى الأمراء رسول من مدينة بيت لحم يلتمسون منهم الخلاص من ظلم المسلمين ،⁽²⁾ فأسرع تنكريد و بلدوين الأول إليهم ، فخرج هؤلاء المسيحيين لاستقبالهم في موكب بهيج .⁽³⁾ بينما كان يجري استخلاص مسقط رأس المسيح و إعادته إلى الحكم المسيحي .

في 13/هـ/493 ماي 1099م دخل الصليبيون مدينة طرابلس وقضوا بها ثلاثة أيام، وسقطت بذلك مدينة طرابلس بسبب ضعف حاميتها العسكرية أو خوفا من هجمة الصليبيين ،⁽⁴⁾ فاشترى أميرها السلم والأمان ، فكانت من نصيب ريموند دي تولوز وأتباعه البروفانسيين الفرنسيين.

وفي هذه الأثناء كان الجيش الرئيسي يشق طريقه اتجاه "بيت المقدس" ،⁽⁵⁾ و وصلوا إليها في 07 جوان وعسكروا أمامها بعد مقاومة المسلمين وقتل عدد كبير من الصليبيين ، بشهادة من المؤرخ المجهول .⁽⁶⁾

ويذكر بعض المؤرخين أن الفاطميين استغلوا استغلالا خطيرا انشغال العباسيين والسلجوقيين بصد الحملات الصليبية وكذا الوضع الداخلي السيئ للعباسيين ، تحالفوا مع الصليبيين ضد المعسكر الإسلامي العباسي والسلجوقي على أن يقتسموا بلاد الشام معا

(1)- مؤرخ مجهول ، نفس المصدر والصفحة .

(2)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.391

(3)- عمران (محمود سعيد) ، المرجع السابق ، ص.32 .

(4)- المؤرخ المجهول ، نفس المصدر ، ص.113 .

(5)- رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، ج.1 ، ص.391-392 .

(6)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.114 .

الفصل الثاني== الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

ربما ، فيكون الشمال للصليبيين والجنوب للفاطميين ، وقد قبل الصليبيون هذا المشروع بكل تشجيع وتأيد.⁽¹⁾

2- حصار ودخول الصليبيين إلى بيت المقدس :

إنها مدينة مقدسة لها قيمة دينية لدى المسلمين و الصليبيين ، فهي لدى الصليبيين حق و رغبة تقديسية تحت اسم الدين و الرغبة في إنقاذ قبر المسيح لتحقيق رغبتهم الحقيقية.⁽²⁾ أما عند المسلمين فهي تراث الأجداد ، وهي المدينة التي تحتوي على أضخم المعامل و الحصون في العالم خلال القرون الوسطى ، مثل جبل صهيون ، برج داوود ، قبر مريم ، كنيسة القديس ستيفن (Steven) و كنيسة القيامة،⁽³⁾ و بها أيضا تقع كنيسة الجمانية و قبة الصخرة .

في منتصف جوان من سنة 493هـ/1099م عسكر الصليبيون أمام بيت المقدس ، إذ قام روبرت النورمندي بمحاصرة السور الشمالي تجاه باب الزهور(باب هيرود ، باب الساهرة) ، وفي يمينه يوجد روبرت دي فلاندر تجاه باب الأعمدة(باب القديس استفان)،⁽⁴⁾ أما قودفروا دو بويون اتخذ الركن الشمالي الغربي للمدينة حتى باب يافا ولحق به تنكريد الذي قدم من بيت لحم .⁽⁵⁾ أما راييموندا جيل فقد فرض حصارا شديدا من خط الدوق (البرج الذي تمركز عنده تنكريد) إلى سفح جبل صهيون ،⁽⁶⁾ إلا أن سيرهم كان بطيئا بسبب عمق الوادي الذي كان يتوسط المعسكر بالإضافة إلى حضانة أسوار هذه الجهة ، لكن راييموندا

(1)- عوفي (محمد سالم) ، العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقي ، ط.1

، 1982م ، ص.102.

(2)- جوزيف (نسيم يوسف) ، العرب و الروم و اللاتين زمن الحرب الصليبية الأولى، ص.287.

(3)- المطوي (محمود) العروسي ، المرجع السابق ، ص.54.

(4)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.393 .

(5)- نفس المرجع والجزء ، ص.395 .

(6)- جيل (رايموندا) ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ت:حسين محمد عطية ، ط.1 ، الإسكندرية ، 1990م ،

ص.235 .

الفصل الثاني== الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

اكتشف أن موقعه غير ملائم لمهاجمة المدينة، (*) فقرر أن يترك كنيسة جبل صهيون ، فأمر ألفونسو جوردن كونت(Alfonso Jordan) وأن ينقل قساما من قواته لكي تتمركز على الهضبة المبنية عليها المدينة .⁽¹⁾ إلا أن الكثير استاء من هذا الأمر و لم يصاحبوا رايوندا جيل إلا القلة ، فلجأ هذا الأخير لدفع مبالغ ضخمة لفرسانه ليلازمهم على المجيء معه .⁽²⁾ إلا أن جيوشه وجدت نفسها عاجزة عن تنفيذ حصار كامل حول المدينة بسبب طابعها الجغرافي ، وانخفاض معنويات الجند الذين هم آتون من بلاد باردة إلى بلاد قاحلة لا ظل فيها ،⁽³⁾ إضافة إلى لجوء المسلمين كوسيلة دفاعية إلى غلق الآبار وتدمير صهاريج المياه واستعدادا منهم لحصار طويل ،⁽⁴⁾ .وبالفعل أدى ذلك إلى تراجع وتخاذل بعض الصليبيين ، إلا أن رايوندا راح يذكرهم : " ... بالرب الذي يحول الأنهار إلى برية و عيون الماء لأرض جافة ... " .⁽⁵⁾

وقعت بين الصليبيين و المسلمين معركة ، انتهت بتحطيم السور الخارجي ، و تسلل البعض منهم إلى الداخل ، و لجأ الصليبيون للبحث عن المياه في الأماكن البعيدة ، لهذا استغل المسلمون خروجهم للإغارة عليهم مرات عديدة و الاستيلاء على قطعانهم ،⁽⁶⁾ الأمر الذي استعصى عنهم الدخول إلى بيت المقدس ، إذ امتد الحصار لأكثر من شهر لكن هذا لم ينقص من عزيمة الصليبيين للانقضاض على أسوار هذه المدينة المقدسة.⁽⁷⁾

*(J.) Barret , *Si je t'oublie Jérusalem , la prodigieuse aventure de la première croisade* , éd.Hachette , 1983 , p.344.

للمزيد عن موقع الأمراء الصليبيين ارجع إلى الملحق رقم 09 ، ص.282

(1)- سويد (ياسين) ، المرجع السابق ، ص.56.

(2)- جيل (رايموندا) ، نفس المصدر ، ص.237 .

(3)- سويد (ياسين) ، نفس المرجع ، ص.56.

(4)- (وليم) الصوري ، المصدر السابق ، ج.1 ، ص.413 .

(5)- رايوندا جيل ، نفس المصدر و الصفحة ؛ ويقول المؤرخ المجهول عن هذا الجفاف : "...وكننا في هذه اللحظة بالذات نكابذ الظمأ المميت حتى لقد كان الرجل منا يعجز عن أن يجد جرعة من الماء تروي غلته لقاء دينار" . انظر :- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.117 .

(6)- Grousset (R.) , op.cit. , p.153.

(7)- زغروت (فتحي) ، النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي، ط.1 ، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع ، شبرا مصر

، 1430هـ/2009م ، ص.220.

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

قام الأمراء الصليبيون في 492هـ/12 جوان 1099م بالحج إلى جبل صهيون ،⁽¹⁾ ولما تذرع الصليبيون بعدم الهجوم لأسباب تعود إلى نقص في أدوات القتال مما يجعلهم غير واثقين من نجاح الهجوم ، قال لهم احد الرهبان : "إذا توافر لكم الإيمان ، فسوف يهبكم الله النصر".⁽²⁾

اختار الصليبيون الوسائل التي يهاجمون بها المدينة حتى يتمكنوا من دخولها ،⁽³⁾ وأعطيت الأوامر للقوات للاستعداد للهجوم بكل العتاد المتوفر ،⁽⁴⁾ إذ أقام قودفروا دو بويون حصنا مجهزا بالآلات ، وفعل رايموندا جيل مثله ، وكانوا يجلبون الأخشاب من آفاق قاسية ، ولما رأى المسلمون ذلك حصنوا المدينة تحصينا كبيرا وقوموا الدفاع عن الأبراج ليلا .⁽⁵⁾ إلا أن القادة الصليبيون قرروا الهجوم على مدينة بيت المقدس في 492هـ/13 جوان 1099م .

وفي الوقت المتفق عليه ، انطلق الصليبيون لمهاجمة السور الخارجي للمدينة من الجهة الشمالية ، لكن صدموا بمقاومة قوية ،⁽⁶⁾ الأمر الذي جعل من القتال بين الصليبيين والمسلمين يستمر لساعات ، وانتهت المعركة بتغلب الصليبيين على المدافعين ، وأصبح السور الخارجي تحت سيطرة الفرنجة ، لكنهم لم تتوفر لديهم السلاح لتسلق السور الذي احتلوه ، فحاولوا تسلقه دون جدوى ، فقرروا الانسحاب ،⁽⁷⁾ لدراسة الوضع ، فأدركوا أنهم بحاجة ماسة إلى الإكثار من نصب آلات الحصار ، فقرروا في المجلس الذي انعقد في 492هـ/15 جوان 1099م ، أن يكفوا الهجوم حتى يتوفر لهم المنجنيقات والسلاح . وفي هذا الوقت بالضبط رست سفن مسيحية في ميناء يافا يوم 492هـ/17 جوان 1099م حاملة

(1)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.396 .

(2)- سويد (ياسين) ، المرجع السابق ، ص.61 .

(3)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.115-116 .

(4)- الصوري (وليم) ، المصدر السابق ، ج.1 ، ص.417 .

(5)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.117 .

(6)- رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، ج.1 ، ص.397 .

(7)- Grousset (R.) , op.cit , p.153 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

المؤن والأسلحة من بينها الحبال والمسامير والأقفال لصناعة أدوات وآلات الحصار .⁽¹⁾ فأرسل الصليبيون جيشاً لحماية المراكب الراسية،⁽²⁾ إلا أنهم اصطدموا بالجيش الإسلامي، فقتل الكثير من الصليبيين، و قتل حوالي ألفين من المسلمين و فر الباقون،⁽³⁾ كما أن أحد القادة الصليبيين استطاع بجيشه إرعاب المسلمين بإثارة الغبار بأرجل جيادهم فأتاروا الكثير من الغبار حتى ظن المسلمون أن قوة صليبية ضخمة آتية من الجهة الجنوبية و بذلك حقق الصليبيون انتصاراً في يافا .⁽⁴⁾

راح الفرنجة يحتفلون بانتصارهم تاركين تلك السفن دون حراسة، فاستغل المسلمون انشغالهم بهذا الاحتفال فنصبوا لهم كمينا،⁽⁵⁾ إلا أن قوات صليبية إضافية بقيادة رايوند بيلي (Raymond xPilet) و كاربنال (Carpinelle) قدمت لإمدادهم بالمساعدة الضرورية، و لم ينتبهوا لذلك إلا فجراً، أين كان الوقت قد فات للمواجهة .⁽⁷⁾

تمكنت إحدى السفينتين من الوصول إلى خارج أسوار بيت المقدس و لجأت السفينة الأخرى إلى اللاذقية .⁽⁸⁾ وبهذه المؤن، وبعد توغل تنكريد و روبرت دي فلاندر بأتباعهما في الغابات الواقعة في السامرة، و جلبهم لكتل وأواح الخشب، شرع الصليبيون في صناعة المجانيق و السلاالم اللازمة لشن الهجوم الحاسم على المدينة .⁽⁹⁾

في هذه الأثناء، وبينما كان الاستعداد للهجوم يجري بطيئاً في معسكرات الصليبيين، كانت معاناة هؤلاء من افتقارهم إلى الماء و الزاد تزداد،⁽¹⁰⁾ وذلك رغم مساعدة المسيحيين

(1)- رنسمان (ستيفن)، المرجع السابق، ج.1، ص.397 .

(3)- نفسه، ص.398 .

(4)- مؤرخ مجهول، المصدر السابق، ص.115-116 .

(5)- Barret (G.) , op.cit. ,p.349 .

(6)- عزوت (فتحي)، المرجع السابق، ص.205-222 .

(7)- Barret (G.) , op.cit , pp.349-350 .

(8)- رنسمان (ستيفن)، المرجع السابق، ج.1، ص.398 .

(9)- نفسه.

(10)- سويد (ياسين)، المرجع السابق، ص.63 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

من أهل البلاد للصليبيين .⁽¹⁾ علاوة على ذلك اشتد الخلاف بين قادة الحملة ، وبالخصوص بين رايوند كونت تولوزة و تنكريد حول أنطاكيا ، كما اشتد حول مسألة مستقبل القدس بعد احتلالها ،⁽²⁾ كما أن رجال الدين رفضوا انتخاب ملك على مكان تألم فيه الرب وتوج بتاج الشوك .⁽³⁾ و أمام هذه الخلافات المتكررة بين القادة الصليبيين قرر الكثير التخلي عن الحملة ، وكان ذلك في نفس الوقت الذي كان الجيش الإسلامي يستعد لإنفاذ المدينة المقدسة ، وكان هذا الجيش آتيا من مصر .⁽⁴⁾

لكن بفضل دعوات بطرس برثلمي (Pierre Barthélémy) و القسيس روبرت النورماندي اللذان أثرا على نفسية الصليبيين حتى تنكريد و رايوند تناسا الخلاف وأقسما على القتال من أجل الصليب .⁽⁵⁾

درس الصليبيون وضع أسوار بيت المقدس ، حيث أدركوا أن القسم الممتد من باب العمود (باب دمشق) إلى برج داوود من السور الخارجي لا يمكن اختراقه ، والقسم الشمالي الشرقي من السور أي باب العمود غربا حتى باب الساهرة لأن باب يهوشافاط شرقا لا يتمتع بهذه الحصانة لكنه يشرف على واد قدرون يستحيل اجتيازه ، إلا المنطقة الموجودة حول باب الساهرة ليست وعرة ولا هي محصنة ،^(*) بل هي ملائمة لتقدم آلات الحرب والجنود .⁽⁶⁾ و لما تبين للصليبيين ضعف الناحية الشرقية ، أخذوا في نقل الآلات والخشب والأسلحة والجنود يوم 492هـ/9جويلية1099م ،⁽⁷⁾ وانشغلوا بتجهيز الحصن .

(1)- أولئك الذين اظهروا الولاء للصليبيين ، فأضحوا أدلاء يرشدونهم إلى الينابيع والغابات الواقعة في الجهات المجاورة. انظر : -

Grousset (R.) , op.cit , pp.154-155 .

Barret (G.) , op.cit. , p.350 .

(2)-

(3)- جيل (رايموندا) ، المصدر السابق ، ص.240-239 .

(4)- ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص.136

(5)- رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، ص. 400 – 401 .

(6)- Barret (J.) ,op.cit.,p.344. لمزيد عن موقع هذه البيبان والأودية في بيت المقدس ارجع إلى الملحق رقم 09،

ص.282.

(7)- سويد (ياسين) ، المرجع السابق ، ص.64-65 .

Barret G . , op-cit , p353 .

(8)-

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

أما من الناحية الجنوبية بين كنيسة جبل صهيون والمدينة ، أخذ رايموندا جيل في ترميم آلاته،⁽¹⁾ أما تنكريد فتمركز مع قواته حول البرج الواقع في الزاوية الغربية من السور ، حيث سارع في بنائه،⁽²⁾ إضافة إلى برج روبرت كورت هوز (Robert Courteheuse) و روبرت فلاندر و قودفروا دو بويون الذي قام أيضا بترميم برجه ، إذ أقامه في الجهة الشرقية للسور .⁽³⁾

راح الصليبيون ينشئون الأبراج الضخمة ويحيكون جلود الثيران ويثبتونها بالمسامير في الأجزاء المكشوفة من الأبراج لحمايتها من النيران الإغريقية التي يستعملها المسلمون .⁽⁴⁾ وحسب رايموندا جيل فإن عدد المقاتلين الصليبيين قدر بحوالي ألف مائتي رجل من الأقوياء أي المشاة ، وحوالي ألف وثلاث مائة فارس، كلهم استقروا في المعسكر ،⁽⁵⁾ كما أنهم قرروا نقل محاورهم الهجومية من جهة إلى أخرى لتضليل المدافعين المسلمين،⁽⁶⁾ ولما وصل اليوم 11/492هـ/11 جويلية 1099م أصبحت الأبراج الخشبية جاهزة للحصار ، وبقي عليهم الهجوم .

بدأ الصليبيون هجومهم على مدينة بيت المقدس ليلة 13-14 جويلية 1099م ، بعد إعلان الأساقفة والقساوسة مواعظهم وخطبهم،⁽⁷⁾ ووجوب القيام بطواف احتفالي مصحوب بالصلوات وإخراج الصدقات والصيام ،⁽⁸⁾ غير أنهم لم يتمكنوا من إحراز أي تقدم طيلة يوم الخميس 14 جويلية ، إذ أنهم كانوا يردون على ما ترميه آلات

(1)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.117 .

(2)- Grousset (R). , op.cit p157 .

(3)- Barret (J.) ,op.cit.,p.344 ، وللمزيد عن البروج الثلاثة التي أقامها كل من قود فروا و رايموند و تنكريد ذات

شكل مربع ارجع إلى الملحق رقم 09 ، ص.282.

(4)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.400-401 .

(5)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.117 .

(6)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.244 .

(7)- سويد (ياسين) ، المرجع السابق ، ص.66 .

(8)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.117 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

الحرب ومعدات القذف التي يملكها المسلمون .⁽¹⁾ وبالرغم من ذلك استمر الصليبيون في هجومهم على المدينة بعدما قاموا بدفع أبراجهم قدما نحو الأسوار ، فانهمرت الأحجار من المقاذف وطارت الصخور في الهواء وتساقتت الأسهم المشتعلة على الآلات و تحصينات المسلمين .⁽²⁾

بالرغم من مقاومة المسلمين بقيادة افتخار الدولة لأبراج و صخور و الأسهم الصليبيين ، واستمرار القتال طوال الليل بين الطرفين ، إلا أن الصليبيين استطاعوا تحطيم السور الخارجي وردم الخندق،⁽³⁾ حيث استطاع قودفروا و شقيقه بلدوين دي بولون الاقتراب من السور الشمالي، و أقاموا جسرا سهل عليهم الاتصال بين البرج وقمة السور،⁽⁴⁾ واستمروا في هجومهم بكل قوة و عنف ، حتى تمكن زعيمين من جيشه وهما ليتود (Liétaud) و إنجيل برت (Engel Bert) من اقتحام السور في صبيحة يوم الخميس،⁽⁵⁾ فكانوا بذلك أول من دخل مدينة بيت المقدس . وبعد ذلك تدافع المهاجمون نحو السور يتسلقونه بسلالهم ، وعلى رأسهم روبرت دي فلاندر و روبرت النورماندي .⁽⁶⁾ و بعد ذلك وزع قودفروا المهام على قادة جيشه ، فأرسل منهم من يفتح باب العمود ، وفرقة أخرى اقتحمت المدينة من الشرق . أما تنكريد اتجه نحو الحرم الشريف حيث توجد قبة الصخرة .⁽⁷⁾ أما رايوندا جيل كان مرابطا في الوسط فقد قاد جيشه ، ودفع حصنه الخشبي حتى سقط السور ، إلا انه كان يوجد خندق بين الحصن والسور ، فأعلن منحه دينارا لكل من يلقي بثلاثة أحجار في الخندق ، حتى تم ردمه كما استسلم قائد برج

Barret (G.) , op.cit. , p.252 .

(1)-

(2)- سويد (ياسين) ، المرجع السابق ،ص.66 .

(3)- الصوري (وليم) ، المصدر السابق ، ج.1 ، ص.429 .

Barret (G.) , op.cit. , p.354 .

(4)-

(5)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.118 .

(6)- الصوري (وليم) ، المصدر السابق ، ج.1 ، ص.434 .

(7)- سويد (ياسين) ، نفس المرجع ، ص.68 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

داوود للكونت .(1)

وبعد مقاومة باسلة قادتها مختلف الأطياف الإسلامية كان الانتصار حليف الصليبيين ، إذ تمكنوا من دخول المدينة يوم 14 رجب 492هـ/15 جويلية 1099م بعد المحاولات العديدة من دخولها ، ولم ينج من المسلمين إلا فئة قليلة .(2)

3-نتائج استيلاء الصليبيين على بيت المقدس .

في يوم الجمعة 14 رجب 492هـ/15 جويلية 1099م ، تمكن الصليبيون من اقتحام المدينة ، (3) ولم ينج من بربريتهم سوى قائد الحامية الفاطمية افتخار الدولة وعدد من رجاله .(4) وبكى الصليبيون من شدة السرور والفرح ، كما سجدوا أمام قبر المخلص يسوع .(5) ورجعت بذلك كنيسة القيامة إلى أحضان المسيحيين.

إن أوربان الثاني الذي جند قوى الغرب ضد المسلمين ، لم يكتب له القدر أن يعيش تلك اللحظة ليقاسم الصليبيين نشوة الانتصار ، إذ أنه توفي قبل أشهر من ذلك الانجاز العظيم في نظر الغرب .(6)

بالرغم من فرحتهم إلا أنهم قاموا بالسلب والنهب والقتل لعدة أيام وفاض الدم ، وظلت الجثث مطروحة في شوارع بيت المقدس لعدة أيام .(7)

أقر مؤرخي الغرب و العرب بهذه الحادثة الشنيعة التي ألمت بالأمة الإسلامية ، ووصفها اغلبهم وان لم نقل جلهم بأنها أشنع مذبحة شهدها القرن 5هـ/11م ، إذ لم يسلم

(1)- المؤرخ المجهول ، نفس المصدر و الصفحة .

(2)- جيل (رايموندا) ، المصدر السابق ، ص.245-246 .

(3)-ابن القلانسي ، المصدر السابق ،ص.137

(4)- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج.4 ، ص.85 .

(5)- مؤرخ مجهول ،نفس المصدر ،ص.119

(6)- أما أوربان الثالث توفي مباشرة بعد سماع خبر هزيمة الصليبيين في معركة حطين 1187م ، توفي نتيجة صدمة

لسماعه الخبر، واسترجاع القدس على يد صلاح الدين اليوبي .أنظر : Mayer (H.E.) ,op.cit. ,p.61.

(7) - قاسم (عبده قاسم) ، المرجع السابق ، ص.106 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

الأسرى الذين احتموا براية تنكريد من القتل،⁽¹⁾ ولم يسلم المسلمون الذين احتموا ببرج داوود من القتل، إذ يقول ابن خلدون عن ذلك: "... واستباحوا أسبوعا ، إذ لجأ المسلمون إلى محراب داوود عليه السلام واعتصموا به إلى أن استترهم الفرنجة بالأمان وخرجوا إلى عسقلان وقتل بالمسجد عند الشجرة سبعون ألفا..." إذ انه يوضح كيف أعطى الصليبيون الأمان للمسلمين حتى خرجوا للهروب ، ثم غدروا بهم و قتلوهم .⁽²⁾

حتى المصادر اللاتينية لم تغفل عن ذكر هذه المجازر ، إذ يقول المؤرخ المجهول وهو شاهد عيان : "... فلما ولج حاجنا المدينة جدوا في قتل الشرقيين ومطاردتهم حتى قبة عمر ، حيث تجمعوا واستسلموا لرجالنا الذين اعملوا فيهم أفضع القتل طيلة اليوم بأكمله ،⁽³⁾ حتى فاض المعبد كله بدمائهم ، ولما تم لرجالنا الغلبة على الكفرة عثروا في المعبد على فئة كبيرة من الرجال والنساء ،⁽⁴⁾ فقتلوا البعض و ابقوا على الذين أحسنوا بهم الظن .⁽⁵⁾ أما ريموندا جيل فقد وصف المشهد الدموي في قمة التعبير : "... و شاهدنا أشياء عجيبة ، إذ قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين وأحرق عدد آخر بسهامهم المشتعلة ، كما عذب الآخرون عذابا رهيبا ثم احرقوا في النار ، و أرغموا على أن يلقوا أنفسهم من فوق الأبراج ، فتكدست الطرقات برؤوسهم وجثثهم التي تعم المدينة ... ، و أن تلك المذبحة هي عدالة إلهية لما قام به المسلمون في حق الصليبيين..."⁽⁶⁾ ويقول وليم الصوري : " ... وطاف بقية الجنود في المدينة بحثا عن التعساء الباقين على قيد الحياة ، ويمكنهم أن يكونوا مختبئين في مداخل ضيقة وطرق فرعية للنجاة من الموت ، وسحب هؤلاء على مرأى الجميع وذبحوا كالأغنام..."⁽⁷⁾ أما ابن الجوزي فقد اقر أن عدد القتلى في هذه المذبحة

(1)- احمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص. 71 .

(2)- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج. 4 ، ص. 85 .

(3) مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص. 118 .

(4)- وكان يقصد بالمعبد هيكل سيدنا سليمان .

(5)- نفس المصدر ، ص. 119 .

(6)- المصدر السابق ، ص. 247 .

(7)- المصدر السابق ، ج. 1 ، ص. 436-437 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

يقدر بسبعين ألفا،⁽¹⁾ وقد أكد ابن الأثير رواية "ابن الجوزي بقوله : " ... ما يزيد على سبعين ألفا ، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين و علمائهم وهزاتهم"⁽²⁾ ومن جهة "ابن كثير" يذكر : " ... أخذت الفرنجة لعنهم الله "بيت المقدس" شرفه الله ، وكانوا في نحو ألف ألف مقاتل وقتلوا قي وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين ..."⁽³⁾ ويؤكد ذلك مؤرخ آخر : ".... وقتل خلق كبير ، وجمع اليهود في الكنيسة واحرقوها عليهم ..."⁽⁴⁾ ، ومن جهته ابن العديم يذكر: " ... ودخل عسكر الإفرنج إلى البلد بعد الغرب ، حتى أصبح الصبح ، فاخترطوا سيوفهم ومالوا على الناس وقتلوا منهم خلقا وسبوا النساء والصبيان..."⁽⁵⁾ أي لما دخل الصليبيون شوارع المدينة اخذوا يقتلون كل من يصادفونه طوال ذلك اليوم، أما في اليوم الموالي أقتحم باب المسجد الأقصى من طرف الصليبيين فقتلوا جميع اللاجئين ، وفر يهود " بيت المقدس " جميعا إلى معبدهم الأكبر إلا أنهم لم ينجوا ، إذ اشتعلت النار في ذلك المعبد ولقي اليهود بداخله مصرعهم محترقين ،⁽⁶⁾ بحجة أنهم ساعدوا المسلمين ، ويؤكد ذلك ابن القلانسي قائلا : ".... وقتل خلق كبير ، وجمع اليهود في الكنيسة واحرقوها عليهم..."⁽⁷⁾ و يقول المؤرخ اللاتيني "فوشيه الشارترى": " ... وهرب بعض هؤلاء العرب إلى برج داود،.... وأغلق آخرون على أنفسهم معبد الربّ ومعبد سليمان، وتمّ شُ هجوم وحشي على المسلمين في فناء هذين المعبدَيْن، ولم يكن هناك مكانٌ يمكن أن ينجيهم من سيوف رجالنا ولو أنك كنت موجودًا هناك لغاصتَ قدمك حتى العقبين في دماء المذبوحين، ترى ماذا أقول؟ ولم ينجُ حتى النساء والأطفال، كم سيكون

-
- (1)- ابن الجوزي أبو الفرج ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دار صادر ، بيروت ، 1358هـ ، ج.9 ، ص108 .
 - (2)- المصدر السابق ، ج.10 ، ص.283-284 .
 - (3)- ابن كثير ، المصدر السابق ، ج.12 ، ص.156 .
 - (4)- ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص.137 .
 - (5)- ابن العديم (كما الدين أبو الحفصي)، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ج2، تحقيق : سامي الزهران، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1954م ، ص.142 ،
 - (6)- احمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص.71 .
 - (7)- ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص.222 .

الفصل الثاني = الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

مُدْهَشًا لو أَنَّكَ رأيتَ فرساننا ومشاتنا بعد أن اكتشفوا خداعَ المسلمين فشقوا بطونَ الذين ذبحوهم؛ ... ولنفس السبب قام رجالنا بعد أيام قلائل بجمع كومة من الجثث وأحرقوها حتى صارت رمادًا، حتى يمكنهم أن يجدوا بسهولة الذهب الذي ذكرنا خبره.... وبعد هذه المذبحة الكبيرة دخلوا بيوت السكان، واستولوا على كلِّ ما وجدوه فيها، وتمَّ هذا بطريقة جعلت كل من كان يدخل أولاً سواء كان فقيرًا أم غنيًّا لا يجد من يُنازعه من الفرنج الآخرين، وكان له أن يحتل المنزل أو القصر، ويمتلكه بكل ما فيه؛ وبهذه الطريقة صار كثيرون من الفقراء أثرياء".⁽¹⁾

ويصف المؤرخ اللاتيني "ريموندا جيل" ما شاهده قائلاً: "بدأ رجالنا يدخلون إلى القدس بجسارة وإقدام، وقد أراقوا من الدماء في ذلك اليوم كمية لا يمكن تخيلها"، وقال: "... ما إن استولى رجالنا على السور والأبراج... أطاحوا برؤوس أعدائهم، بينما رشقهم البعض الآخر بالسهام، بحيث سقطوا من الأبراج، على حين عذبهم البعض فترة طويلة بأن قذفوهم في النار أحياء، ... وكان المرءُ يَشُقُّ طريقه بصعوبة بين جثث الرجال والخيول، ولكن هذه كانت أمورًا صغيرة إذا ما قورنت بما جرى في معبد سليمان... ترى ما الذي حدث هناك؟! ... ولذا يكفي أن أقول: إنه في معبد سليمان كان الرجالُ يخوضون في الدماء حتى ركبهم وحزام ركابهم، والواقع أنه كان حكمًا عادلاً ومحترمًا من الرَّبِّ أن يمتلئَ هذا المكان بدماء الكفار؛ لأن هذا المكان طالما عانى من دنسهم، وامتلأت المدينة بالجثث والدماء، والآن تم الاستيلاء على المدينة وهي جديرة بكل أعمالنا السابقة، والمصاعب التي واجهناها؛ لترى إخلاص الحجاج في الضريح المقدس".⁽²⁾ وذكر المؤرخ النصراني وليم الصوري: "أن بيت المقدس أصبح مخاضة واسعة من دماء المسلمين، أثارت خوف الغزاة واشمئزازهم، وأنه لم يكن من الممكن النظر إلى تلك الأعداد الضخمة من القتلى دون

(1) - الشارترى (فوشيه)، المصدر السابق، ص. 70-75.

(2) - جيل (رايموندا): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس الآخرين، ت: حسن محمد عطية، ط. 1، الاسكندرية، 1990م، ص. 84 - 92 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

الإحساس بالرعب، ففي كل مكان ترى بقايا جثث القتلى مقطوعي الرؤوس والأيدي، وكانت الأرض مغطاةً بدماء القتلى".⁽¹⁾ ونقل المؤرخ الغربي "ويل ديورانت" عن حضروا تلك المذابح وشاركوا فيها قولهم: "إنَّ النساء كن يُقتلن طعنًا بالسيوف والحراب، والأطفال الرضع يختطفون بأرجلهم من أثناء أمهاتهم، ويُقذف بهم من فوق الأسوار، أو تُهَشَّم رؤوسهم بدقها بالعمد".⁽²⁾ تركت هذه المذبحة أثرا عميقا في جميع أنحاء العالم ، وخلت بذلك مدينة "بيت المقدس" من المسلمين واليهود . ويذكر المؤرخون الآخرون أن المذبحة لم ينج منها لا نساء ولا أطفال ،وعلى حد قول ستيفن رنسمان : "... انطلقوا في شوارع المدينة ، والى الدور و المساجد ،يقتلون كل من يصادفونه من الرجال والنساء والأطفال دون تمييز... ".⁽³⁾

هكذا إن سقطت القدس ، و أذرف الصليبيون دموعا من شدة الفرح ، وأحدثوا فيهم موجة فرح عارمة ،⁽⁴⁾ حيث يقول فيهم المؤرخ المجهول : "... إشتد السرور برجالنا بكوا من فرحتهم ، ثم سجدوا أمام قبر مخلصنا يسوع وقضوا واجباتهم الدينية إزاءه... ".⁽⁵⁾ وغنموا بالكنوز التي كانت داخل المدينة ، حيث أخذوا من المسجد الأقصى نيفا

(1)- الصوري (وليم) : المصدر السابق ،ص 185.

(2)- ديورانت (ويل) ، قصة الحضارة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ، 13-04-2013 م ، المجلد15، ص. 25 .

(3)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.404 .

(4)- كان مُسَيِّر هذه الحملة الصليبية ومهندسها البابا أوربان الثاني ، وأرسل القادة الصليبيون هذه الرسالة إليه يبشرونه بأخذهم لبيت المقدس ، وذبحهم المسلمين ، ولم يفرح بهذا الإنجاز الصليبي الذي جيش أوربة من أجله ؛ لأن المنية اختطفته قبل وصول الرسالة ؛ بل وقبل سقوط القدس في أيدي الصليبيين بأسبوعين . وللمزيد ارجع إلى : نوار (صلاح الدين) ، " العدوان الصليبي على العالم الاسلامي 1097 - 1121 م " ، الاسكندرية، دار الدعوة ، ط.1 ، دبت ،ص.124 .

(5)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.119.

الفصل الثاني== الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

وأربعين قنديلا من الفضة يزن كل واحد منها ثلاثة آلاف،⁽¹⁾ وستمائة درهم،⁽²⁾ وأخذوا نيفا وعشرين قنديلا من الذهب و من الثياب و غيره مما لا وعندما انتهوا من القتل والسلب والنهب،⁽³⁾ كانت أولى المهمات التي واجهتهم هي التخلص من الجثث التي فاحت منها الروائح النتنة في كل أنحاء المدينة،⁽⁴⁾ فعقد الصليبيون مجلسا وافقوا على قيام كل منهم بالصلوات و توزيع الصدقات،⁽⁵⁾ ويقول المؤرخ المجهول: "...وحيث أن عقد رجالنا مجلسا وانعقد إجماعهم على قيام كل منهم بالصلوات وتوزيع الصدقات كي يختار الله من بينهم واحدا يكون له الحكم على الباقيين وعلى المدينة".⁽⁶⁾

كما اعتنوا بجرحاهم وموتاهم ، وقد ساعدهم في ذلك فرسان القديس جون (Saint Jean) الذين كانوا قرب الضريح المقدس .⁽⁷⁾ و بعد ذلك واجهتهم مشكلة من يحكم بيت المقدس وخاصة و أن "البابا اوربان الثاني" قد توفي قبل سماعه بخبر سقوط بيت المقدس، و لم يذكر أي شيء حول مستقبل هذه المدينة بعد إسقاطها .⁽⁸⁾

وباحتلال بيت المقدس حقق الصليبيون هدفهم العلني من هذه الحرب أي تحرير قبر المسيح من أيدي المسلمين ، وحققوا هدفهم الحقيقي "الاستيلاء على ثروات الشرق" . أما المسلمين فقد أصيبوا بكارثة كبرى ، وخسروا أهم مركز ديني إسلامي وهو المسجد الأقصى ، إضافة إلى الأرواح الكثيرة التي زهقت بكل وحشية .

ومنذ احتلال بيت المقدس و استقرار الصليبيين فيها أخذت المساعدات والامدادات

(1)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.119 .

(2)- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج.4 ، ص.85 .

(3)- ابن الجوزي (أبو الفتوح) ، المصدر السابق ، ج.9 ، ص.108 .

(4)- قاسم (قاسم عبده) ، المرجع السابق ، ص.106 .

(5)- نفس المرجع ، ص.109 .

(6)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.119 .

(7)- عن هذا النظام و جذوره ، إرجع:- Gelimard (B.F.) , *Les chevaliers de Malte , des hommes de fer et*

de foi , éd. de Coulibeuf , pp .10-13 .

(8)- احمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص.73 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

المسيحية تتوارد عليها لتقوية حاميتها ، ولإتمام احتلال بقية السواحل الشامية .⁽¹⁾
حقق الصليبيون الهدف الأسمى الذي انطلقوا من أجله وهو " احتلال القدس عام 493هـ/1099م ، بالإضافة إلى عدة مناطق أخرى أصبحت تحت الحكم الصليبي كإمارة الروها وإمارة أنطاكيا ،إمارة طرابلس الشام ، - كما سبق ذكره- .

ومهما يكن من أمر ، فقد أسهمت القوة العسكرية الفرنجية الصليبية في قتل جميع سكان بيت المقدس ، فضلا عن السيطرة الكاملة على المدينة المقدسة، ولعل ذلك فتح الباب على مصراعيه أمام المستوطنين الفرنجة للاستقرار والتملك في مدينة بيت المقدس وفي ذلك يقول المؤرخ فوشيه الشارترى : "وبعد هذه المذبحة الكبيرة دخل الفرنجة بيوت السكان، واستولوا على كل ما وجدوه بها، وتم هذا بطريقة جعلت كل من يسبق إلى الدخول ، فقيرًا كان أم غنيا ، يستولي على البيت ولا يجد من ينازعه من الفرنجة الآخرين ، وكان له أن يحتل المنزل، أو القصر، ويمتلكه بكل ما فيه، كما لو كان ملكية خاصة له، وهكذا اتفقوا جميعا على هذا النمط من حقوق الملكية، وبهذه الطريقة صار كثيرون من الفقراء أغنياء" .⁽²⁾

تساءل المؤرخون عن سبب سرعة الاستيلاء على بيت المقدس ، والواقع أن ذلك لا يعود إلى قوتهم العسكرية فحسب ، بل لعبت الانقسامات في صفوف المسلمين أكبر دور في ذلك النجاح ، إذ أن الخلافات الإسلامية بين حكام المسلمين المحليين لها دورا كبير في الهزيمة التي تعرضوا لها ، كالانقسامات بين الفاطميين والسلاجقة الأتراك من جهة ، وظهور الصراع المذهبي بين السنة و الشيعة من جهة أخرى، و باءت المحاولات لطرد الصليبيين بالفشل كمحاولة الأفضل الفاطمي الذي وصل عسقلان ولكنه فر بعدها أمام الجيوش الصليبية المهولة ، والتي استكملت السيطرة على بعض البلاد الشامية والفالسطينية بعد ذلك .

(1)- عمران (محمود سعيد) ، المرجع السابق ، ص.34 .

(2)- Fulcher of Chartres. **A History of the Expedition to Jerusalem**, trans. by Frances Rita Ryan (Sisters of St. Joseph) konxville 1969, p.123.

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

فمن يتولى حكم بيت المقدس ، وكيف عاشت المدينة في ظل الحكم الصليبي .

ج- الصراع على حكم بيت المقدس و تأسيس مملكة صليبية فيه سنة 1100م:

لم تكن نشوة الانتصار لاحتلال بيت المقدس تنطفيء شعلتها ، حتى بدأت الخلافات الحادة بين الصليبيين حول حكم المدينة وطبيعة السيادة فيها بين العلمانية و الروحية . إذ كان يفكر في هذه المسألة كل صليبي ،⁽¹⁾ أي رأي يتفوق على الآخر. وكيف تأسست المملكة فيها وما علاقاتها بالإمارات الصليبية الأخرى.

1- الصراع بين الصليبيين على حكم بيت المقدس:

بعد الاستيلاء على بيت المقدس بدأ الجدل عن من يحكم المدينة المقدسة ، فاجتمع الزعماء الصليبيون العسكريون ورجال الدين ،⁽²⁾ لكي يقرروا ما ينبغي عمله في هذا الصدد . وكان التساؤل قائما حول ما إذا تكون الأرض المقدسة تحت سلطة رجل دين أم تحت سلطة رجل علماني . ولأصحاب الرأي الأول براهين عدة مثلا أن البابا أوربان الثاني هو من دعى وشجع الحرب الصليبية ،⁽³⁾ وأن أحوال الصليبيين كانت تخضع لقوانين قد حددتها الكنيسة ، كما أنهم يذكرون أن البابا كان قد عين أدهيمار دي مونتاي نائبا روحيا عنه على رأس الحملة الصليبية الأولى إلا أنه توفي قبل سقوط بيت المقدس ، ولذلك طالبوا بتعيين بطريرك لاتيني في بيت المقدس ،⁽⁴⁾ أي أن ينتخبوا أولا زعيما روحيا ثم ينتخبون حاكما علمانيا وان لم يفعلوا فلن يعترفوا بالرجل الذي تموا يختاره الأمراء .⁽⁵⁾

(1)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج. 1 ، ص. 407 .

(2)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص. 119 .

(3)- Heers (J.) , *Libérer Jérusalem (1095-1107), la première croisade*, édition : Périm, Paris, 1999 , pp.228-229.

(4)- Idem .

(5)- جيل (رايموندا) ، المصدر السابق ، ص. 257 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

و بعد نقاش حاد بينهم وقع الاختيار على قودفروا دو بويون حاكما على بيت المقدس،⁽¹⁾ وبعد وفاته إعتلى بلدوين دو بلون العرش ، و اتخذ لقب الملك وتكونت بذلك المملكة اللاتينية في بيت المقدس .⁽²⁾

لقد غادر الصليبيون أوطانهم سنة 1096م لم تكن لديهم فكرة واضحة عما سيفعلونه بالقدس بعد الاستيلاء عليها،⁽³⁾ بل أنهم لم يتوقعوا سرعة احتلال هذه المدينة حتى يهيئوا حاكما . كما أن البابا أوربان الثاني لم يحدد للصليبيين نظام الحكم في المدينة المقدسة ،⁽⁴⁾ إلا انه من الواجب أن يكون حاكم الدولة روجانيا كون أن البابا أوربان الثاني كان أعد و شجع الحملة الصليبية وانه كان المحرك الأساسي لهذه الحرب،⁽⁵⁾ وعين أدهيماردي مونتاي قبل وفاته نائبا عنه على رأس الحملة .⁽⁶⁾ إلا أن القادة رفضوا مقدما أية محاولة من هذا النوع على اعتبار أن القدس بحاجة إلى قائد عسكري له خبرة عسكرية ليدافع عنها.⁽⁷⁾ و كانت الكفة رجحت لصالح النبلاء ، و سلم رجال الدين بالأمر الواقع إلا أنهم طالبوا بتعيين البطريق أولا و إلا لن يعترف رجال الدين باختيار البارونات، إذ بعد موت ادهيماردي مونتاي عين غيوم دي أورانج "Guillaume de Orange" الذي نال أكثر الأساقفة احتراماً وأرفع مكانة . لكن هذا الأخير وقع في أسر المسلمين ، فبقيت مسألة تعيين البطريرك معلقة .⁽⁸⁾ وفي 492هـ/1 أوت 1099م تم تعيين أرنولد

(1)- قاسم (قاسم عبده) ، نفس المرجع ، ص.106 .

(2)- حبشي (حسن) ، الحرب الصليبية الأولى ، ط.2 ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، 1957م ، ص.186-187.

(3)- احمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص.73 .

(4) - Heers (J.) ; op .cit. , pp. 228 – 229.

(5)- قاسم (قاسم عبده) ، نفس المرجع ، ص.107-108.

(6)- احمد اليوسف (عبد القادر) ، نفس المرجع ، ص.73 – 74 .

(7)- جيل (رايموندا) ، نفس المصدر ، ص.257 .

(8) - Heers (J.) , op.cit. , p.229 .

الفصل الثاني=الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

مالكور" (Arnaud Malecorne) بطريك لأورشليم ،⁽¹⁾ والذي افتتح عهده بطرد القساوسة الشرقيين من كنيسة القبر المقدس ،⁽²⁾ وفي الواقع يحمل هذا التصرف المعادي حيال رجال الدين الشرقيين تبعات خطيرة من شأنها أن تنعكس سلبا ، دون شك على مستقبل الصليبيين في المنطقة برمتها .

في الماضي كان حاكم بيت المقدس الفاطمي افتخار الدولة قد طرد كافة المسيحيين منها قبيل الغزو الصليبي لها ، وبعد الغزو عاد هؤلاء المسيحيين إلى المدينة المقدسة ، فوجدوا أننول القاسي والمتعصب ، فغاض هؤلاء عليه .^(*) إلا أن ذلك لم يدم طويلا ، فبمجرد وصول دايمبرت (Diambert) إلى بيت المقدس لم يجد أي صعوبة لإثبات أن انتخاب أننول غير شرعي ، فقام بوقفه و عاد المنصب البطريركي فارغا .^(**) و لكن دايمبرت عمل جاهدا حتى حصل على المنصب ، و يذكر لنا المؤرخ المجهول انه من الممكن أن يكون قودفروا جمع حشدا لانتخاب "دايميرت" عن طريق إغراء المصوتين بهدايا ثمينة ،⁽³⁾ ليؤكد الأمر المؤرخ رايموندا جيل بإقراره أن قودفروا استسلم لمطالب الكنيسة.⁽⁴⁾ و يظهر ذلك بعد وقت قصير من خلال تنصيب دايمبرت بطريكاً.⁽⁵⁾ أما مسألة انتخاب الحاكم فقد وقع الاختيار بين قودفروا و رايموندا سان جيل ، و وقع صراع حاد انتهى باختيار قودفروا و انتخب حاكما عليها في 493 هـ / ديسمبر

(1)- Ibid. , pp.228-229 .

(2)- Ibid. , p.233 .

(*)- كان هؤلاء القساوسة يمثلون عدة فئات من إغريق أرثوذكس و غيرها من الجاليات المسيحية منهم الأرمن والأقباط . انظر : - تاوضروس عبيد (إسحاق) ، المرجع السابق ، ص.120 .

(**)- كان هؤلاء المسيحيون يملكون ما تملكه كنيسة أورشليم ، فرفضوا تسليمها لهذا البطريريك

- انظر : - نفس المرجع ، ص.125-126 .

(3)- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.120 .

(4)- جيل (رايموندا) ، المصدر السابق ، ص.257 – 258 .

(5)- Grousset (R.) , op.cit. , T.I , p.195 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

1099م⁽¹⁾. ولم يقع الاختيار على رايوندا جيل على الرغم مما كان يتمتع من مزايا، فاستاء لذلك ، و رفض أن يسلم برج داوود الذي كان بحوزته إلى الحاكم الجديد،⁽²⁾ إلا أن قودفروا تمكن من الاستيلاء عليه مما أزعج رايوندا كثيرا ، لأن هذا البرج يعد بالنسبة له مفتاح إقليم يهودا (Juda)،⁽³⁾ فقرر رايوندا سان جيل العودة إلى بلاده تلوزة.

2- اعتلاء قودفروا دو بويون عرش بيت المقدس وأعماله:

اختير قودفروا حاكما لبيت المقدس في 492هـ/ جويلية 1099م ، و رفض أن يتخذ لقب ملك أو أن يضع تاجا من ذهب على رأسه في مدينة قد تعذب فيها السيد المسيح،⁽⁴⁾ و فضل أن يلقب بحامي القبر المقدس ،⁽⁵⁾ و بعد ذلك شرع في تطبيق سياسته التوسعية .
(أ)- سياسة قودفروا دو بويون الاستيطانية :

سعى قودفروا لضم المزيد من الأراضي إلى بيت المقدس،⁽⁶⁾ و قد أدرك قودفروا أهمية بلاد الخليل ، إذ انه من الناحية العسكرية يعد من المناطق الداخلية التي ليست بحاجة إلى معاونة أسطول بحري للهجوم عليه ، كما أن هذا الأسطول خارج عن حماية الأسطول الفاطمي،⁽⁷⁾ فسارع لإخضاعه و خاصة بعد أن ظهرت أمامه مشكلة برج داوود مع الكونت رايوندا دي سان جيل . إضافة إلى وجود قادة صليبيين آخرين

(1)- Heers (J.) , op.cit. , p.233.

(2)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.413 .

(3)- أحمد (محمد السيد) ، الخليل والحرم الإبراهيمي عصر الحروب الصليبية (492هـ -583هـ/1099م -1187م) ، ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1392هـ / 1998م ، ص.102 .

(4)- Heers (J.) . , op.cit. , p 232 .

(5)- ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص. 138 .

(6)- أحمد (محمد السيد) ، نفس المرجع ، ص.102 .

(7)- نفس المرجع ، ص.104 .

الفصل الثاني== الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

ظهروا بمظهر المنافس له،⁽¹⁾ و بعد تمكنه من الاستيلاء على برج داوود،^(*) توجه على رأس فرسانه إلى بيت لحم لتنظيم صفوفه . و بعد أن أتم الاستعدادات اتجه نحو الجنوب ، فأخذت قرى الخليل تسقط في يده واحدة تلوى الآخرة .⁽²⁾ و بعدها هاجم مدينة الخليل و تم إسقاطها و طرد المسلمين منها ، فقام الصليبيون بتحويل المسجد الإبراهيمي إلى كنيسة سانت أبراهام (Saint Abraham).⁽³⁾

وفي 493هـ/ أوت 1099م تقدم الجيش المصري بقيادة الوزير الأفضل لمهاجمة الصليبيين، ولكنه فضل الانتظار في مدينة عسقلان،^(**) وذلك من أجل قدوم الأسطول المصري الذي كان يتولى حماية المدن الشامية الساحلية،⁽⁴⁾ و لما سمع أمراء و رجال الفرنجة بهذا قاموا بتجهيز جيش كبير بقيادة قودفروا متجهين نحو القوات العدو،⁽⁵⁾ فوصلوا إلى قيسارية ثم الرملة أين عثروا على أصحاب المنطقة فأرغموهم على الإفضاء ببيانات تتعلق بالمدينة .⁽⁶⁾ وبذلك نجحت القوات الصليبية في مفاجأة القوات الفاطمية والانتصار عليها ، وفر الوزير الأفضل متجها نحو مصر .⁽⁷⁾ بعد هذه معركة عسقلان تمكن الصليبيون من تثبيت أقدامهم في الأراضي المقدسة،⁽⁸⁾ و عادوا إلى أراضيها محملين بالذهب والفضة وأكداس من الأموال وكثير من شتى الحيوانات والأسلحة .⁽⁹⁾

1- احمد (محمد السيد) ، نفس المرجع ،ص.102.

*-برج داوود :نظرا لأهميته الاستراتيجية داخل بيت المقدس ، ومن يتحكم بهذا البرج بإمكانه السيطرة على المدينة المقدسة.

2- نفس المرجع ، ص.106 .

3- نفسه .

**- تقع على ساحل فلسطين على بعد اثني عشر كلم إلى شمال غزة ، و كانت خاضعة للسيادة الفاطمية ، و مثلت ميناء تجاريا مهما و قاعدة بحرية متقدمة للفاطميين في فلسطين . انظر :- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.1 ، ص.305. وللمزيد ارجع إلى الملحق رقم 08 ، ص.281.

4- عمران (محمود سعيد) ، المرجع السابق ، ص.35 .

5- أحمد (محمد السيد) ، نفس المرجع ، ص 106 .

6- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص120-121 .

7- ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص136-137 .

8- Grousset (R.) , *L'empire du Levant* , éd :Paris ,1946, p. 197 .

9- مؤرخ مجهول ، المصدر السابق ، ص.124-125.

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

و لكن النزاع بين رايوندي سان جيل و قودفروا لا يزال مستمرا ، إذ أن الأول عمل على عرقلة استكمال الثاني توسعات و انتصارات الثاني بالقرب من عسقلان ، و خاصة و أن البلد المقدس لا يملك سوى فتحة واحدة على واجهة يافا .⁽¹⁾

قام المسلمون في المدن الساحلية من أرسوف و عسقلان بالإغارة على المعسكرات الصليبية القريبة خاصة على مدينة الرملة التي لم تقو حاميتها الصغيرة من الصمود ،⁽²⁾ لذلك طلب قودفروا مساعدة البيزيين ، كما استعان ببعض قوات أنطاكيا ، الأمر الذي دفع بأمرأ كل من عسقلان و قيسارية و عكا إلى طلب الصلح مع الصليبيين مقابل منحهم الأموال .⁽³⁾ إلا أن قودفروا تمكن من استرجاع أنفاسه ، و استأنف هجومه على المدينة الساحلية أرسوف بعد رحيل رايوندي تولوزة و بقية القادة الصليبيين إلى الغرب الأوربي ، إذ ضرب الحصار على ميناءها في 493هـ/1099م ، إلا انه تراجع و ترك وراءه مائتي جندي شاة بدون أحصنة ليقوموا بهجمات يومية عبر ريف أرسوف ، و كان ذلك دائما في نفس الشهر و السنة .⁽⁴⁾ خرج رجال ارسوف لخدمة حقولهم ضنا منهم أن الحصار قد رفع ، إلا أنهم تعرضوا لهجوم من طرف مجموعة من فرسان الرملة ،⁽⁵⁾ فأسرع أهل أرسوف لطلب المساعدة من الوزير الفاطمي الأفضل ، فزوده بجيش، إلا أن الصليبيين علموا بذلك فقاموا بنصب كمين و وقعت تلك الحامية في 394هـ/مارس 1100م .⁽⁶⁾ وفي 493هـ/ جوان 1100م وصل إلى يافا أسطول بندي متكون من حوالي مائتي سفينة ، فضربوا الحصار على مدينة عكا بحرا ، و قودفروا حاصرها برا ،⁽⁷⁾ ولكن موت قودفروا في 493 / جويلية 1099 الذي حوّل الحملة إلى حيفا ،⁽⁸⁾ و التي

(1)- Grousset (R.) , **Histoire des croisades** ,T.I ,p.181.

(2)- عمران (محمود سعيد) ، المرجع السابق ، ص.34 .

(3)- نفسه ، ص.34

(4)- جيل (رايموندا) ، المصدر السابق ، ص. 258.

(5)- Grousset (R.) , **Histoire des croisades** , T.I , p.182.

(6)- Idem.

(7)- Idem.

(8)- عمران (محمود سعيد) ، المرجع السابق ، ص.34 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

سقطت في أيدي الصليبيين في 493هـ/ اوت1099م .

بعد النجاح الذي أحرزه الصليبيون في الاستيلاء على بيت المقدس ، خشي حكام بعض المدن الساحلية مثل أرسوف ، قيسارية ، عكا و صور على ان تلقى حواضرهم نفس مصير بيت المقدس ،⁽¹⁾ فأرسلت السفراء إلى بيت المقدس حاملة الهدايا إلى الملك بلدوين الأول – كما سيأتي لاحقا - وفد في 494هـ/25 مارس 1101م .⁽²⁾

ب)- السياسة الداخلية للحاكم قودفروا دو بويون :

كان أول ما فكر فيه قودفروا هو تشييد قلعة الخليل ، إذ أشرف على بناءها و اختار موقعها خارج المدينة بقليل ، و اتخذت هذه القلعة الطراز المعروف باسم القلاع الصغرى.⁽³⁾ وبتشييد هذه القلعة وضع قودفروا حجر الأساس لقيام إقطاعية صليبية ، لأن للقلاع أهمية كبرى في عالم العصور الوسطى ، فهي كأحد الملامح الجوهرية للنظام الإقطاعي .

أراد قودفروا أن يحيط نفسه بشلة من خيرة الفرسان اللاتين ويكونوا ذرعا واقيا لمملكته الجديدة .فعمد لجذب المقاتلين الصليبيين و ربطهم بالأراضي ، و من تلك الشخصيات نجد راوول دي فانبمال (Raoul de Fanpemelles) الذي حاز على قرية بيت فخار في إقليم الخليل .⁽⁴⁾ و نجد "جرار دي أفرس" (Gérard d'Averses) الذي برز في أحداث أرسوف ،⁽⁵⁾ بحيث قدم نفسه كرهينة للمسلمين وكان جزءا واسعا من الصلح الذي انتهى إليه أمر الحصار ، و عند عودته سالما منح له قودفروا قطعة ضخمة من الأراضي وكان ذلك في أواخر أكتوبر إلى منتصف ديسمبر من سنة 492-493هـ/1099م .⁽⁶⁾ بالإضافة إلى هؤلاء نجد جلدلند كاربنيل (Gelderland)

1- قاسم (عبده قاسم) ، المرجع السابق ، ص.107.

2- Grousset (R.) , op.cit , T.I, pp.180-181 .

3- احمد (محمد السيد) ، المرجع السابق ، ص.108 .

4- نفسه.

5- Stevenson (W.G.) , **The crusades in the East** , Cambridge , 1907 , p. 39.

6- عمران (محمود سعيد) ، الحملة الصليبية الخامسة ، الإسكندرية ، 1985 ، ص. 127 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

(Carpenel) المعروف في الزحف الصليبي على بيت المقدس ، و الذي اتجه إلى مدينة الخليل و سيطر على قلعتها .⁽¹⁾

قام قودفروا بفرض السيطرة الفعلية على الأهالي بجباية الضرائب ، فأعطى الطابع الجديد لبيت المقدس ، و كذا الإشراف على النواحي العمرانية ، الحربية والشؤون الاقتصادية ، كما قام بعقد اتفاقيات ودية مع بعض زعماء العرب الذين بعثوا بطلب السلام و الصداقة لضمان سلامة قوافلهم و تجارتهم مقابل حماية بيت المقدس .⁽²⁾ و يعتبر قودفروا دو بويون المشرع الأول لدستور القدس ، ويتضمن هذا الميثاق على مجموعة قوانين إقطاعية مستمدة من واقع الحياة في أوروبا آنذاك .⁽³⁾ هذا عن بعض أهم أعمال قودفروا التي قام بها قبل وفاته في 18/جويلية1100م عند حصاره لمدينة عكا .⁽⁴⁾ عند وفاة قودفروا لم يترك ورثة مباشرين ، إلا انه كان يريد أن يخلفه شقيقه بلدوين الأول ، وبعد وفاته طالب البطريق دايمبرت بان يتولى بلدوين الأول الحكم مذكرا بإرادة المتوفي .⁽⁵⁾ بيد انه رأى أن الفرصة حانت ليتولى بوهنمد الحكم ولا يجب التفريط فيها ، فاقترح على بوهنمد التاج ،⁽⁶⁾ وكان متيقنا من مساندة تنكريد له ، وكذلك معاونة الأسطول البونيفي المتواجد آنذاك في حيفاء ، إلا أن حزبا من الفرسان رفضوا ذلك ، فأرسلوا إلى بلدوين دو بويون شقيق قودفروا طالبين منه تولي الحكم ،⁽⁷⁾ فتمكنوا من تحقيق هدفهم وكسب المعركة ، وخاصة وأن الحظ كان إلى جانبهم ، إذ تم سجن ريموند دي سان جيل قرب اللاذقية وأسر بوهنمد على يد الأتراك ،⁽⁸⁾ فعمد المندوب البابوي

(1)- احمد(محمد السيد) ، نفس المرجع ، ص. 111 .

(2)- Grousset (R.) , op.cit., T.I, p. 181 .

(3)- احمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص75 .

(4)- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ط.3 ، ج.9 ، ص.43 .

(5)- Heers (J.), op.cit., pp.235- 236 .

(6)- باركر (أرنست) ، الحروب الصليبية ، ص.59 .

(7)- Heers (J.) , loc.cit. , pp. 236

(8)- الشارترى (فوشيه) ، المصدر السابق ، ص.84-85 .

الفصل الثاني==الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة (1100م)

الجديد الكاردينال موريس (Maurice) إلى استدعاء تنكريد ليحكم إمارة أنطاكيا بدلا من قريبه الأسير بوهمند دي تارنت (1).

3- تنصيب بلدوين دي لوبون ملكا على بيت المقدس:

بعد وفاة قودفروا أرسل لجلب اخيه بلدوين الأول ليحل مكانه ،و الذي قام بمغامرة كبيرة للالتحاق ببيت المقدس ،(2) وعند وصوله استقبله البارونات استقبالا حارا.(3) ولم يستطيع "دايمبرت أن يثير معارضة أي بارون على بلدوين الأول فرفض الانضمام إلى حفل الاستقبال ولجأ إلى دير على جبل صهيون .(4) وفي 493 هـ / الأحد 25 نوفمبر 1100م والذي يصادف عيد القديس مارتن (Martin)،(5) تم تنصيب بلدوين الأول ملكا على يد دايمبرت ، والذي كان مضطرا للعودة وتولى بنفسه تتويج بلدوين الأول ملكا على بيت المقدس ،(6) وبذلك تأسست مملكة بيت المقدس اللاتينية .(7)

بالرغم من عداة دايمبرت لبلدوين الأول ، إلا أن هذا الأخير لم يبادل الشعور نفسه،(8) غير أن دايمبرت أراد الانفرد بالقدس و رام الله ويافا ،(9) الأمر الذي أرغم بلدوين الأول إلى إصدار أمر بعزله سنة 497 هـ/1103م .

بعد مشقة وعناء استطاع الصليبيون ان يحققوا هدفهم ن مستعملين شتى الوسائل الدنيئة والمشينة منها كالغدر ،الخيانة ، البطش والحنث باليمين للامبراطور البيزنطي،(10) و نجحوا بفعل ما لم يستطع فعله اخرون ، وتمكنوا من تأسيس ثلاث امارات في المشرق وتأسيس مملكة صليبية في بيت المقدس.

(1)- Meyer (H.) , op.cit. , pp.319-320 .

(2)- يصف فوشيه الشارترى مصاعب الرحلة التي قام بها بلدوين الأول من الرها إلى بيت المقدس ، وكيف تعرض في طريقه لهجوم المسلمين ، وكيف أنهم كادوا ي في معركة قرب بيروت في 493هـ/26 أكتوبر 1100م . انظر : - الشارترى (فوشيه) ، المصدر السابق ، ص.85-86 .

(3)- Heers (J.) , **la première croisade** , Paris, 2013 ,p.235.

(4)- رنسمان (ستيفن) ،المرجع السابق ،ج.1 ،ص.408.

(5)-وهو يصادف عيد الميلاد عيسى (Noël)،انظر :

Grousset (R.) , **Histoire des croisades** , T.I , p. 288.

Heers (J.) , op.cit. , pp. 236 .

(6)-

(7)- رنسمان (ستيفن) ،نفس المرجع ،ج.1 ،ص.459.

(8)- (عبد القادر) أحمد اليوسف ن المرجع السابق ،ص.79.

(10)- (أرست) باركر ،المرجع السابق ،ص.39-40.

الفصل الثالث ≡ المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

الفصل الثالث

الفصل الثالث

المملكة الصليبية في بيت المقدس عهد ملوكها اللاتين

(493-577هـ/1100-1187م).

(1) - المملكة الصليبية في الفترة الأولى من الحكم الصليبي: (فترة القوة 1100-1131م)

أ- أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية عهد الملك بلدوين الأول

(1100م-1118م) .

ب- أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية عهد الملك بلدوين الثاني

(1118م-1131م) .

(2) - المملكة الصليبية في الفترة الثانية من الحكم الصليبي: (فترة الضعف)

أ- أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية عهد الملك فولك الأنجوي إلى عهد الملك

بلدوين الثالث (1131م-1162م)

ب- أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية عهد الملك عموري الأول إلى عهد ابنه

بلدوين الرابع (1162م-1185م)

ج- أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية من وفاة الملك بلدوين الرابع إلى

معركة حطين.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

توفي قودفروا في جويلية 1100م ، ولم يترك ورثة مباشرين ، إلا أن رغبته كانت في أن يخلفه شقيقه بلدوين دي بلون ، فمغامرة صعبة قام هذا الأخير للإحاق ببيت المقدس ، وعند وصوله استقبلوه استقبالا حارا ، وتم تتويجه ملكا على بيت المقدس ،⁽¹⁾ وبذلك تأسست مملكة صليبية في بيت المقدس ، مبددة بذلك جميع أمال دايمبرت في قيام حكومة ثيوقراطية^(*)، وغادر تنكريد فلسطين في شهر مارس/1101م قاصدا أنطاكيا بدعوة من أهلها له للقيام بالوصاية على إمارتهم ، أثناء أسر بوهمند دي تارنت ، وخلا بذلك الجوفي بيت المقدس للملك بلدوين الأول كي يسوسها كيفما شاء ، ووضع الدعائم لكي يكون الحكم وراثيا بين أيدي ملوك صليبيين لمدة ما يقارب قرن من الزمن . وهذا ما سنحاول استعراضه في هذا الفصل من بحثنا هذا ، حول أهم ما ميز سياسة كل ملك على حدا فما ميزة كل ملك وما مساوئ كل واحد منهم ، و على كم مرحلة مر حكم بيت المقدس ، هل كان الحكم فيها قويا ثم ما مصيرها بعد ذلك ، وما سبب انهيارها بعدما كانت قوية .

1- المملكة الصليبية في الفترة الأولى من الحكم الصليبي: (فترة القوة من 1100 إلى 1131م):

عاشت المملكة الصليبية تحت حكم الصليبيين بفترتين ، فترة القوة الصليبية التي مثلها حكم الملك بلدوين الأول الذي اهتم بتعمير بيت المقدس وبالتوسعات ، وأين حكم بلدوين الثاني الذي حافظ على ما كسبه بلدوين الأول واهتم بالأمر الداخلية كالاقتصادية وأمر القضاء ، لتأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة بداية الضعف إلى الانهيار التام للمملكة واسترجاعها من

(1)- Heers (J.) , *la premiere croisade* , éd.2013 ,p.23.

(*)- ثيوقراطية، بضم الياء أو الثيوقراطية تعني حكومة الكهنة أو حكومة دينية . تتكون كلمة ثيوقراطية من شقين مندمجين في اللغة اليونانية ، فالشق الأول ثيو وتعني الدين والشق الثاني قراطية تعني الحكم ، إذن هي نظام حكم يستمد الحاكم فيه سلطته مباشرة من الإله، حيث تكون الطبقة الحاكمة من الكهنة أو رجال الدين الذين يعتبروا موجهين من قبل الإله أو يمتلكون لتعاليم سماوية، وتكون الحكومة هي الكهنوت الديني ذاته أو على الأقل يسود رأي الكهنوت عليها. أنظر :- قاموس المورد البعلبكي، بيروت، لبنان ، 1967م .

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

طرف المسلمين بسبب حكم ملوك قصر وتولي أمهاتهم كوصايا عليهم ، أو ملوك مرضى وحكم أزواج البنات ، المهم أنه بدأ الصراع على السلطة حتى سقطت منهم.

1- أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية عهد الملك بلدوين الأول (1100م-1118م):

بعد أن استتب الأمر للملك بلدوين الأول ، ووضع يده على المملكة بدأت مرحلة لم تكن هينة أو يسيرة بالنسبة له ، إنها تتمثل في كيفية تنظيم هذه المملكة .

1- الحياة العسكرية :

أرسى بلدوين الأول بعد استلامه العرش دعائم المملكة ، وانشأ مؤسساتها وشن الحروب التوسعية ، وتحالف مع الأسطول الجنوبي ليستمد منه الدعم البحري لإخضاع المزيد من الأراضي ومن أجل ذلك قام الملك بلدوين الأول بإتباع سياسة توسعية منفردة ، وبإتباع سياسة داخلية مميزة ، مما جعل علاقات المملكة بالإمارات الصليبية تتميز بميزة خاصة . وقام في بداية الأمر بإرساء السياسة التوسعية على كل المدن والأراضي المجاورة للمملكة .

(أ)- التوسع في جنوب وسواحل الشام :

بعد سقوط حيفا في يد الصليبيين سنة 494هـ/أوت 1100م ، أرسل كل من حكام أرسوف ، قيسارية ، عكا و صور سفراء إلى مملكة بيت المقدس كانوا محملين بالهدايا إلى الملك بلدوين الأول ،⁽¹⁾ إلا أن هذه الهدايا لم تقدم طويلا ، لأنه في 495هـ/مارس 1101م شهد المسلمون أسطول جنويا قبالة حيفا . وفي 13 أبريل من نفس السنة رسا الأسطول في يافا،⁽²⁾ وكان من ضمن ركابه المندوب البابوي موريس (Maurice) .⁽³⁾ حيث قام الملك بلدوين

(1)- الشقيري (أحمد) ، المرجع السابق ، ص.55 .

(2) - الشارترى (فوشية) ، نفس المصدر ، ص. 114 - 115 .

(3) - كان أسقف مدينة بورتو الواقعة في البرتغال ، وهو مبعوث البابا باسكال الثاني (Pascale II) تولى العرش الرسولي من 1099م إلى 1118 م . أنظر : - رنسمان (ستيفن) ، تاريخ الحروب الصليبية - مملكة بيت المقدس 1100-1187 ، ط.1 ، لبنان ، 1968 م ، ج.2 ، ص. 120 .

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

الأول باستقباله ، وعقد التحالف مع هذا الأسطول الجنوبي من أجل مساعدته على أخذ أرسوف مقابل أن يأخذ الجنوبيين ثلث الغنائم من متاجر والأموال ، وأن يتحصلوا على شارع في حي السوق بكل مدينة يتم فتحها .⁽¹⁾ فتولى الجنوبيين مهاجمة المدينة بحرا و بلدوين الأول وجيشه برا ، وكانت النتيجة استسلام المدينة للملك بلدوين الأول ،⁽²⁾ مقابل الأمان وخروج الأهالي بأمعتهم . وافق الملك على ذلك وكلف حامية لحرستهم إلى أن وصلوا إلى عسقلان سنة 494هـ/ افريل 1101م .⁽³⁾

توجه الحلفاء نحو قيسارية ، وضربوا عليها الحصار في 495هـ/2ماي 1101م ، واعتمد أهلها على أسوارها ورفضت حاميتها الاستسلام ،⁽¹⁾ وظلت تقاوم إلى أن سقطت عنوة في 17 ماي من نفس السنة .⁽²⁾ فقد نهب الصليبيون المدينة و وقعت أعنف مذبحة بالمسجد الجامع الذي لجأ احتمت به جمع غفير من أهل المدينة وهم يلتمسون الرحمة ،⁽³⁾ ويقول فوشيه الشارترى : "...فقد أهلكناهم وأوردناهم حتفا ... " ،⁽⁴⁾ ويضيف أن بلدوي الأول أراد بفعل ذلك أن يظهر بأنه يحفظ عهد من يسأله ، ولا يرحم من يحاربه ،⁽⁵⁾ و نفذ الملك بلدوين الأول اتفاهه مع الجنوبيين .⁽⁶⁾

ولما بلغ الحاكم الفاطمي بخبر سقوط أرسوف و قيسارية ، أعد الوزير الأفضل جيشا

(1)- الشارترى (فوشية) ، المصدر السابق ، ص. 115 .

(2)- ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص.139 .

(3)- عمران (محمود سعيد) ، تاريخ الحروب الصليبية (1095-1391) ، ص.34 .

(1)- نفس المرجع ، ص. 35 .

(2)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.2 ، ص. 121 .

(3)- الشقيري (أحمد) ، المرجع السابق ، ص.58 .

(4)- الشارترى (فوشية) ، نفس المصدر ، ص. 115 – 116 .

(5)- نفس المصدر السابق، ص.116 .

(6) – عمران (محمود سعيد) ، نفس المرجع ، ص.35 .

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

كبيراً ، وأسند قيادته لقائده و مملوكه سعد الدولة القواسي وساروا نحو عسقلان ،⁽¹⁾ و التي بلغوها منتصف ماي من نفس السنة .⁽²⁾ وعندما سمع الملك بلدوين الأول بهذا الأمر ، اتجه بدوره إلى الرملة وأقام معسكره في مدينة يافا ، لمراقبة تحركات الجيش الفاطمي الذي كان يتلقى الإمدادات من مصر ،⁽³⁾ وظل مقيماً فيها طوال الصيف لقلّة عدد رجاله .⁽⁴⁾

وفي 495هـ / 8 سبتمبر 1101م تحرك الجيش المصري في طريقه إلى الرملة ، الأمر الذي أرغم الملك بلدوين الأول مهاجمة الجيش المصري رغم قلّة قواته ، إلا أنها كانت منظمة ،⁽⁵⁾ وبعد وقت قصير ، هُزم الجيش الفاطمي أو العبيدي وتراجع إلى عسقلان و قتل القائد الفاطمي سعد الدولة القواسي ،⁽⁶⁾ وسميت هذه المعركة بمعركة الرملة الأولى .⁽⁷⁾ أي أن بلدوين الأول كان فطنا بكل ما كان يحدث ن وكان عسكرياً ذكياً ، على عكس الجيش الفاطمي بالرغم من قوته فلم يكن منظم كالجيش الصليبي ، لهذا تمت هزيمتهم .

أما معركة الرملة الثانية فكانت سنة 496هـ/1102م ، إذ أن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي جدد الحملة مرة ثانية ،⁽⁸⁾ و أعد جيشاً ضخماً بقيادة ابنه شرف المعالي ، و ذلك من أجل الحصول على يافا البوابة الوحيدة للمملكة اللاتينية .⁽⁹⁾ وانتهت هذه المواجهة بانهيار قوات الملك بلدوين الأول ، و لم ينجوا منها إلا القلّة ومن بينهم بلدوين الأول الذي فر إلى مدينة أرسوف ودخلها في 496 هـ/1102م .⁽¹⁰⁾

(1)- غوانمة (يوسف حسن درويش) ، إمارة الكرك الأيوبية ، دار الفكر ، عمان ، دبت ، ص.68 .

(2)- رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، ج.2 ، ص.122 .

(3)- الشقيري (أحمد) ، المرجع السابق ، ص.59 .

(4)- رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، ج.2 ، ص.122 .

(5)- نفس المرجع والجزء ، ص.122-123 .

(6)- الشقيري (أحمد) ، نفس المرجع ، ص.59 .

(7)- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج.9 ، ص.67 .

(8)- الشقيري (أحمد) ، نفس المرجع ، ص.59 .

(9)- رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، ج.2 ، ص.123 .

(10)- الشارترري (فوشية) ، المصدر السابق ، ص.126 .

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

ولما وصلت القوات الفاطمية إلى أسوار الرملة ، قتلوا بعض الفرسان الصليبيين وأسروا البقية⁽¹⁾.

وفي نفس السنة بادر بلدوين الأول إلى إعادة تنظيم قواته في يافا ،⁽²⁾ وقام بإرسال راهب إلى مملكة بيت المقدس ، ولما وصل فرح الناس لما سمعوه من أخبار فقاموا على الفور بتجهيز أكبر عدد من الفرسان وأسرعوا إلى يافا .⁽³⁾ كما جاء إلى الملك بلدوين الأول أسطول صليبي لمساعدته ، وكان معظمه سفن إنجليزية ، والذي لم يكن ينتظره فأمدوه بما يحتاجه ،⁽⁴⁾ الأمر الذي شجعه على الخروج في 27 ماي من نفس السنة على رأس جيش لمقابلة الفاطميين ،⁽⁵⁾ فدارت معركة ضارية بين الطرفين ، انتهت بهزيمة الفاطميين وانسحابهم مرة أخرى .⁽⁶⁾

وفي ربيع سنة 497هـ/1103م قام الملك بلدوين الأول بحصار عكا ، إلا أنه فشل لمناعة حصونها وقوة عزيمة أهلها ،⁽⁷⁾ وعاود حصارها سنة 498هـ/1104م واستسلمت المدينة بعد مقاومة عنيفة .⁽⁸⁾ وبذلك أصبحت عكا الميناء الرئيسي للصليبيين على الساحل الشامي ، إذ أقاموا قواعد بحرية على الساحل مما مكنهم من الاتصال الدائم بأوروبا .⁽⁹⁾ وفي سنة 499هـ/1105م وقعت معركة الرملة الثالثة في سهول هذه الأخيرة ، وهي

(1) - رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، ص. 127 .

(2) - Michaud (J.F.), *Histoire des Croisades* ,vol.II ,Paris ,1817-1822, p.30.

(3) - رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، ص. 130 .

(4) - عمران (محمود سعيد) ، نفس المرجع ، ص. 37 .

(5) - رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، ج. 2 ، ص. 132 .

(6) - الشارترى (فوشيه) ، المصدر السابق ، ص. 128-129 .

(7) - الحريري (السيد) ، *الأخبار السنوية في الحروب الصليبية* ، ط : القاهرة ، 1317 هـ ، ص. 49 .

(8) - نفسه .

(9) - عوفي (محمد مؤنس) ، *العلاقات بين الشرق والغرب ، الحروب الصليبية 6-7هـ/12-13م* ، ط. 1 ، جامعة عين المكان

(شمس) ، القاهرة ، 1999م-2000م ، ص. 98 .

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

المحاولة الأخيرة للمسلمين لاسترداد فلسطين من الصليبيين ، بحيث جمع الوزير الأفضل في شهر أوت من نفس السنة، جيشا كبيرا بقيادة ابنه سناء الملك ، وعزموا أن يطلبوا المساعدة من حاكم دمشق طغتكين ، والذي أرسل ألف وثلاثمائة فارس من الرماة،⁽¹⁾ وبعد قتال عنيف ، انتهت المواجهة بانتصار الصليبيين ، وبذلك تم صد تلك الغزوات .⁽²⁾ وتهيأ عندئذ لبلدوين الأول الحرية لمواصلة توسيع حدود مملكته على حساب المدن الساحلية عسقلان في الجنوب وصور وبيروت في الشمال .⁽³⁾

وفي 502هـ/1108م خرج بلدوين الأول لمنازلة أهل صيدا بمساعدة الأسطول البيزي الذي يرى من الحروب الصليبية ،فرصة ذهبية لإشباع رغباتهم وبطونهم من خيرات الشرق . وفي هذه الأثناء انطلق من مصر أسطول بحري،⁽⁴⁾ والذي تمكن من إنزال هزيمة بالبيزيين في معركة بحرية خارج ميناء صيدا ، فكان على بلدوين الأول أن يرفع الحصار على المدينة دون أن يملكها .⁽⁵⁾ بالرغم من مساندة البيزيين لم ينجح بلدوين الأول هذه المرة.

(ب)- التوسع في شمال الشام :

فشل رايMONDA سان جيل في امتلاك بيت المقدس بسبب منافسة بلدوين الأول له ، ولم يستطع تكوين إمارة له في البارة ومعرة النعمان بسبب منافسة بوهمند له أيضا .⁽⁶⁾ لذلك رحل رايMONDA سان جيل إلى شمال الشام لكي يكون على مقربة من حلفائه البيزنطيين الذين دعموه بكل ما يلزم ، لهذا تمكن من احتلال مدينة اللاذقية وسلمها بدوره إلى الإمبراطور البيزنطي .⁽⁷⁾

(1)- عمران (محمود سعيد) ، نفس المرجع ، ص.37.

(2) - ماير (ايتش .ا.) ، تاريخ الحملات الصليبية ، ترجمة : محمد فتحي الشاعر ، ط. 1 ، القاهرة ، 1990م ، ص. 109 .

(3)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج. 2 ، ص. 148 .

(4)- نفسه.

(5)- ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص. 148 .

(6)- عمران (محمود سعيد) ، المرجع السابق ، ص.40 .

(7)- تاوضروس عبيد (إسحاق) ، المرجع السابق ، ص. 130 .

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

لأنه لم يخن الإمبراطور البيزنطي كما فعل القادة الآخرين الذين نقضوا اليمين الذي أدوه له . في سنة 497هـ/1103م سقطت مدينة طرطوس وجعلها الفرنجة قاعدة بحرية ومركزا مهما لنشاطاتها العسكرية،⁽¹⁾ وبعدها زحفوا نحو جبيل بمساعدة الأسطول الجنوبي،^(*) الذي يسعى للحصول على مكاسب تجارية واقتصادية على الموانئ العربية ببلاد الشام وآسيا الصغرى مثلها مثل بيزا ، فقاموا بمحاصرتها برا وبحرا، فاضطرت للاستسلام.^(**) وبعد أن استولى الصليبيون على طرطوس و جبيل تفرغوا لمهاجمة طرابلس التي كانت إمارة مستقلة يحكمها بنو عمار.⁽²⁾ وليس أمام الصليبيين إلا أن يستولوا عليها ويجعلوا منها عاصمة لدولة صليبية ثالثة بعد مملكة بيت المقدس و إمارة أنطاكيا . وكان أول ما فعله الصليبيون للاستيلاء عليها هو بناء قلعة تواجه طرابلس مباشرة على الجبال المقابلة،⁽³⁾ ثم فرضوا الحصار على المدينة ، إلا أنها استعصت عليهم.⁽⁴⁾ و استمر الحصار حوالي ستة سنوات ، الأمر الذي أدى إلى صعوبة دخول التجار إليها حاملين سلعهم ، وكانت النتيجة ان ارتفعت الأسعار ، فساءت أحوال أهل طرابلس.⁽⁵⁾ وأمام هذا الوضع المتردي لم يكن أمام أمير طرابلس فخر الملك بن عمار " من حل سوى الاستنجد بالخليفة الفاطمي المستظهر بالله وأمير دمشق لكن لم يستجيبا له ، وإنما اغتتم الفاطميون سفره واحتلوا طرابلس في صيف 499هـ/1108م.⁽⁶⁾ فقد خسر الصليبيون خلال هذا الحصار رايوندا سان جيل سنة 1105م ، فتولى قيادة الجيش قيوم جوردن (Jourdain Guillaume) ابن خالة رايوندا سان جيل الذي ظل محاصرا للمدينة،⁽⁷⁾ وتمكن

(1)- الشقيري (أحمد) ، نفس المرجع ، ص.68 .

(*)- عقد بلدوين الأول ملك بيت المقدس اتفاقية في 25 أبريل 1101م ، مع جنوة وبموجبها حصلت الجمهورية على حي وتلت أرباح المداخل في كل مدينة يحتلها الصليبيين .-أنظر :-

(*)- التي كانت تابعة لحكام طرابلس .

Ibid.

(2)-

(3)- أطلق عليها اسم صنجيل .

(4)- عمران (محمود سعيد) ، نفس المرجع ، ص.41 .

(5)- ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص.163 .

(6)- الشقيري (أحمد) ، نفس المرجع ، ص.72 .

(7)- عمران (محمود سعيد): نفس المرجع و الصفحة .

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

من الاستيلاء على حصن عرقة . وفي نفس سنة جاء إلى الشام أكبر أبناء رايوندا سان جيل وهو برتراند دي تولوزة (Bertrand de Toulouse) ، حيث اشتبك هذا الأخير مع قيوم الذي استعان بالأسطول الجنوبي ، الأمر الذي دفع بيرنارد للاستنجاد بالملك بلدوين الأول .⁽¹⁾

في سنة 503هـ/1109م استجاب الملك بلدوين الأول لنداء برتراند دي تولوزة وساعده ، وذلك من أجل فرض سيادته على بقية الإمارات الصليبية ، فدعاهما لحل النزاع بينهما ، وبالفعل تمكن من توحيد الصليبيين ، وتمكنوا بذلك من الاستيلاء على طرابلس ،⁽³⁾ و في مقابل ذلك ساعده برتراند دي تولوزة أوائل سنة 504هـ/1110م في هجومه على بيروت ،⁽⁴⁾ فاستولى عليها في 13 ماي من نفس السنة ، بعد مساندة أمير الرها جوسلين (Jocelin I^{er} de Courtenay) له .⁽⁵⁾ وعند عودة الملك بلدوين الأول إلى مملكته ، تلقى الإمدادات من الأسطول النرويجي بقيادة الملك سيجورد الأول (Sigurd I^{er} 1103- 1130 م) ،⁽⁶⁾ فقام بمعاودة حصار صيدا في 504هـ / أكتوبر 1110م ، وبعد شهرين كاملين من المقاومة الباسلة لأهلها ، سقطت المدينة في يد العدو يوم 4 ديسمبر من نفس السنة .⁽⁷⁾

هكذا تمكن الملك بلدوين الأول من صد الخطر الفاطمي من جهة بعد انتصاره عليهم في عدة معارك ، و من جهة أخرى تمكن بلدوين الأول أيضا من مواجهة الخطر السلجوقي ، والذين خاضوا بدورهم معارك ضارية معه أهمها : المعركة التي وقعت سنة 505هـ/1111م ، بحيث قام أهل الشام بإرسال طلب المساعدة إلى السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه (498-

(1)- نفس المرجع ، ص.41-42 .

(3)- الشقيري (أحمد) ، نفس المرجع ، ص.73 .

(4)- رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، ج.2 ، ص.149 – 150 .

(5)- ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص.167 .

(6)- الشارثري (فوشية) ، نفس المصدر ، ص.167 .

(7)- ماير (هانس ابرهارد) ، المرجع السابق ، ص.114 .

الفصل الثالث = المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

512هـ/1105-1118م) ببغداد و يطالبونه بوضع حد لتوسعات الصليبيين ،⁽¹⁾ فبادر السلطان محمد بإنشاء حلف إسلامي لمواجهة الصليبيين .⁽²⁾

سارت قوات الحلف بقيادة شرف الدين مودود صاحب الموصل^(*) سنة 505هـ/جوان 1111م في طريقها إلى تل باشر و التي حاصروها ، إلا أنهم رفعوا الحصار عليها دون أن يملكوها،⁽³⁾ و ذلك لأن رضوان صاحب حلب طلب المساعدة من مودود لرفع الحصار الذي ضربه تنكريد على مدينته . و لما وصلت القوات الإسلامية إلى حلب أغلق الأمير رضوان أبواب المدينة و لم يجتمع بهم ،⁽⁴⁾ فعادت القوات الإسلامية و اتجهت نحو شيزر ، بسبب حصار تنكريد لها . و لما علم الصليبيون بقدم المسلمين إليها انسحبوا إلى مدينة أفامية،^(**) أين أرسلوا إلى الملك بلدوين الأول طالبين النجدة ، فسار هذا الأخير على رأس جيش كبير لملاقاة المسلمين ، و لما رأوا قوات المسلمين انسحبوا أو عادوا إلى أفامية .⁽⁵⁾ إلا أن الأمور لم تسر على ما يرام في صفوف القوات الإسلامية ، إذ انسحبت بعض القوات الإسلامية عائدة إلى بلادها ، ولم يكن بوسع مودود فعل أي شيء ، فعاد إلى الموصل أين لقي حتفه ، وكان ذلك سنة 507هـ/1113م .⁽⁶⁾ و كذلك نجد من أشهر معارك بلدوين الأول مع الأتراك نجد معركة سنة 509هـ/1115م أين سير السلطان محمد ابنه مسعود إلى الموصل وليا عليها و معه الأمير أقتنسر البرسقي على رأس جيش كبير .⁽⁷⁾

-
- (1)- ابن كثير ، المصدر السابق ، ج. 12 ، ص. 99 - 101 .
 - (2)- عمران (محمود سعيد) ، نفس المرجع ، ص. 47 .
 - (3)- وللمزيد عن هذا الحلف ارجع إلى :- ابن الأثير ، نفس المصدر ، ج. 9 ، ص. 132 - 133 .
 - (*)- تقع محافظة نينوى في الجزء الشمالي الغربي من العراق، وتحدها من جهة الغرب سوريا، وتبلغ مساحتها 32.308 كلم مربع. وتقع مدينة الموصل شمالي العراق على بعد 400 كيلومتر شمال بغداد. أنظر : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج. 1 ، سولاق ، د.م.ط. ، ص. 499 .
 - (4)- ابن الأثير ، نفس المصدر ، ج. 9 ، ص. 281 .
 - (**)- عن موقع مدينة أفاميه ارجع إلى الملحق رقم 04 ، ص. 277 .
 - (5)- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج. 9 ، ص. 144 .
 - (6)- نفسه ، ص. 144 .
 - (7)- نفس المصدر ، ج. 9 ، ص. 178 .

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

وحدث هذا بعد مقتل مودود على يد أحد الباطنية ، فانزعجت القوات الإسلامية لهذا الأمر الذي دفع بأهل حلب إلى عدم استقبالهم ،⁽¹⁾ فسار البرسقي بقواته إلى حمص واستولى عليها ونهبها ، مما أغضب أهالي المدينة ،⁽²⁾ و هذا ما دفع بطغتكين حاكم دمشق المتحالف مع روجير دي سالرن (Roger de Salern) أمير أنطاكيا للاستنجاد بالملك بلدوين الأول ، الذي حضر بقواته ،⁽³⁾ فتظاهر البرسقي بالانسحاب ، فانصرفت قوات العدو ما عدا روجير الذي فاجأ المعسكر الإسلامي ،⁽⁴⁾ وكان نتيجة ذلك هو الانسحاب النهائي للبرسقي .⁽⁵⁾

انتهت آخر محاولات السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه لاستعادة بلاد الشام . أما بلدوين الأول تمكن بعد هذا من توسيع أراضي مملكته التي أصبحت تمتد من صحراء جنوبي البحر الميت حتى خليج العقبة ، و هي المنطقة المعروفة باسم وادي العربية .⁽⁶⁾ الأمر الذي دفع به للقيام بهذه الخطة الهجومية ، هو أن قبائل البدو في إقليم الأردن كانوا يواصلون غاراتهم على الصليبيين في بيت المقدس ،⁽⁷⁾ فأغار عليهم ودمر كهوفهم ومغاراتهم ، ونهب قطعانهم ومواشيهم ، وعاد إلى بيت المقدس محملاً بالغنائم . وقد استهواه فعل ذلك ، فلجأ إلى تهديد

(1)- (سعيد عبد الفتاح) عاشور ، المرجع السابق ، ص.266 .

(2)- (هانس ابرهارد) ماير ، المرجع السابق ، ص.114 . أنطاكيا وعن علاقته بالمملكة أنظر : (R.) Grousset .

Histoire des Croisades 1095-1130 ,L'anarchie musulmane ,T.I ,Imprimé en France ,2015 ,pp.519-524.

(3)- ظهير الدين طغتكين : اتابك الملك شمس الملوك دقاق بن تاج الدولة تتش بن السلطان ألب ارسلان السلجوقي ، فلما مات

دقاق استقل طغتكين بملك دمشق . انظر :- ابن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : جمال الدين الشباك ،

مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم ، وزارة المعارف المصرية ، إدارة الثقافة العامة ، مطبعة فؤاد الأول ، ج.1 ، ص.9 .

(4)- و لكنه عاد فجأة و اتجه إلى كفر طاب و استولى عليها عنوة . انظر:- ابن الأثير ، نفس المصدر ، ج.9 ، ص.159 .

(5)- نفسه .

(6)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، نفس المرجع ، ص.269 .

(7)- الشقيري (أحمد) ، نفس المرجع ، ص.80 .

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

القوافل التجارية بين دمشق والقاهرة ، فكان يهاجمها في وادي قام موسى جنوب البحر الميت و ينهب ما تحمله من ثروات.⁽¹⁾ وفي 509 هـ/1115م قام بلدوين الأول بحملة عسكرية ابتدأها من الخليل ، فدار حول الجهة الجنوبية للبحر الميت ، واصل زحفه حتى وادي عربة ،^(*) إلى أن وصل إلى الشوبك فاحتلها وشيد قلعة أطلق عليها اسم "جبل الملك".⁽²⁾

وفي العام التالي انطلق من هذا الحصن بجيشه صوب الجنوب حتى بلغ خليج العقبة على ساحل بحر الأحمر ، واحتل العقبة وانشأ فيها قلعة ، ثم أبحر إلى جزيرة إلى جزيرة فرعون ، فأقام فيها قلعة أخرى.⁽³⁾ ونتيجة ذلك تشجع بلدوين الأول للخروج نحو سيناء في اتجاه مصر، وخاصة وانه على علم بضعف الخلافة الفاطمية ، وتمكن من الوصول إلى مصب نهر النيل،⁽⁴⁾ دون أي مقاومة تذكر من طرف الفاطميين ، لكن القدر لم يشأ أن يسقط "بلدوين الأول" مصر ، فمرض ومات قرب العريش.⁽⁵⁾

شهدت هذه السنة 1118م وفاة الكثير من أعيان المسلمين ورجال المسيحيين في الشرق والغرب ممن لهم علاقة بالحركة الصليبية ، منهم : وفاة اليكسيوس الأول في 15 أوت من نفس السنة ،⁽⁶⁾ ووفاة السلطان السلجوقي محمد في فارس في 12 أبريل.⁽⁷⁾ لما استتب الملك بلدوين الأول في بيت المقدس ، وبعدما أصبحت حدود المملكة شاملة كل فلسطين ، ومعها كثير من أقاليم بلاد الشام ، أصبح الملك يتطلع إلى حدود أكثر اتساعا

(1)- ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص.158-218 .

(*)- يمتد واد عربة من البحر الميت إلى خليج العقبة .

(2)- Grousset (R.) , *Histoire des Croisades 1095-1130 , L'anarchie musulmane* , T.I , pp.507-508 .

(3)- (أحمد) الشقيري ، نفس المرجع ، ص.80 .

(4)- رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، ج.2 ، ص.159-160 .

(5)- أبو المحاسن ، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة* ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، دت ، ج.5 ، ص.171 .

(6)- الشارترى (فوشيه) ، المصدر السابق ، ص.162-163 .

(7)- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.9 ، ص.162-163 .

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

كمصر⁽¹⁾، لكن الموت استدركه قبل أن يحقق كل آماله ، إذ اعتراه مرض شديد ، وفي 512هـ/ 2 أبريل 1118م ، فتوفي في طريق العودة بالقرب من عسقلان .⁽²⁾ اهتم بلدوين الأول بإقامة القلاع لحماية مناطقه في المشرق ،⁽³⁾ كي تكون الدروع الواقية التي تحول دون سهولة اختراق واجتياز مناطقه في المشرق من جانب المسلمين ،⁽⁴⁾ ومن أشهر هذه القلاع نجد قلعة الشوبك أو مونتريال (Montréal) التي أقامها سنة 509هـ/1115م جنوبي بحر مرمرة .⁽⁵⁾ وفي سنة 510هـ/1116م أقام قلعة آيلة (ميناء ساحل خليج العقبة) للتحكم في الطريق البري للقوافل بين مصر والشام .⁽⁶⁾ و أقام أيضا إحدى القلاع بجزيرة فرعون ،⁽⁷⁾ و بذلك أصبح له قاعدة في البحر الأحمر .⁽⁸⁾ كما أقام قلعة منيعة جنوبي صور و قد دعاها : سكاند ليون (Scande Lion) ،⁽⁹⁾ و ذلك لإخضاع مدينة صور المنيعة للسيادة الصليبية ، و بهذه القلاع أصبح أمر مهاجمة مملكة بيت المقدس تحتاج إلى مجهود أكبر .⁽¹⁰⁾

2- الجانب الاجتماعي:

من بين الإجراءات الداخلية الأخرى التي اتخذها بلدوين الأول : هي تعمير مملكته بالسريان الأرثوذكس ،⁽¹¹⁾ لأن المملكة أصبحت شبه فارغة عند طرد المسلمين الخارجين عن

(1)- رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، ج.2 ، ص.170-173 .

(2)- الشقيري (احمد) ، نفس المرجع ، ص.79 .

(3)- عوفي (محمد مؤنس) ، المرجع السابق ، ص.104 .

(4)- الشارترى (فوشية) ، نفس المصدر ، ص.157 .

(5)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، المرجع السابق ، ص.266 .

(6)- الشقيري (احمد) ، نفس المرجع ، ص.79 .

(7)- ماير (ايش . ا .) ، نفس المرجع ، ص.111 .

(8)- الشارترى (فوشية) ، المصدر السابق ، ص.161 ، و يذكر أن هذا الاسم يفسر بأسد الحقل .

(9)- عوفي (محمد مؤنس) ، نفس المرجع ، ص.267 .

(10)- رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، ج.2 ، ص.163 .

(11)- Grousset (R.) , op.cit. , T.I , p.283.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

طاعته في الخليل ، بالإضافة إلى عودة الكثير من الحجاج الغربيين إلى أوطانهم ،⁽¹⁾ من المدن العربية لحراستها و غيرها ،⁽²⁾

وكانت القوة البشرية الموجودة في المملكة غير كافية لتثبيت أركانها ، عندئذ قام " بلدوين الأول" بفتح أبواب الهجرة أمام جميع الطوائف نحو المملكة وراسلهم سراسرا وأغراهم على الهجرة إلى المدينة المقدسة حتى اكتظت بأعداد كبيرة من الأرثوذكس و الأرمن .⁽³⁾ كما قام بتشجيع المصاهرة بين الفرنجة مما أدى إلى إنجاب عدد كبير من الأطفال الذين صاروا عدة للمملكة من الرجال العسكريين .⁽⁴⁾ بالإضافة إلى أن الملك بلدوين الأول أظهر التقارب مع المسلمين و اليهود الذين ارتضوا بان يكونوا من رعاياه ،⁽⁵⁾ إذ أجاز الزواج المختلط بين الفرنجة و المسلمين .⁽⁶⁾

3-الجانب الاقتصادي:

يبدو أن "بلدوين الأول واجه أزمة مالية حادة مردها المغانم التي وجدت و سلبت من المدن الإسلامية ، ومن أجل هذا العجز اعتمد على الرسوم المالية المفروضة على الحجاج والقوافل التجارية . و قام بتنظيم أمر جباية الضرائب في كل أرجاء المملكة .⁽⁷⁾ كما لجأ للحصول على موارد إضافية لخزينة المملكة إلى الأديرة المعروفة بالثراء الكبير ، ومن أمثلتها دير صهيون .⁽⁸⁾

(1) - Grousset (R.) , **l'empire de Levant** , éd. paris , 1946 , pp.310 -312 .

(2) - أنظر :الموسوعة الفلسطينية،هيئة الموسوعة ، (أحمد) المرعشلي ،عبد الهادي هاشم ،أنيس صيخ ، مج.3 ، ط.1 ، دمشق ،1984م ،ص.544.

(3) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، المرجع السابق ، ص. 270 .

(4) - رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج. 2 ، ص. 164

(5) - نفسه ،ص.164.

(6) - عوفي (محمد مؤنس) ، نفس المرجع ، ص. 109 .

(7) - (احمد محمد) السيد ، المرجع السابق ، ص. 116 .

(8) - عوفي (محمد مؤنس) ، نفس المرجع و الصفحة .

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

4- الجانب السياسي:

قام الملك بلدوين الأول بعقدة زيجات سياسة سياسية لتحقيق المكاسب المالية والسياسية لصالح مملكته مثل زواجه من أردا (Arda) ابنة احد القادة الأرمينيين وذلك لكسبه ولاء الأرمن له،⁽¹⁾ فهو إذن زواج سياسي . ويبدو أن زواجهما لم يستمر بسبب تهمة الخيانة الزوجية التي كانت أرادا الفاعلة لها ، وكان ذلك سنة 502هـ/1108م . وفي سنة 507 هـ/1113م تزوج من أرملة روجر صاحب صقليا وهي الأميرة أدلياد دي سالونة (Adélaïde de Salona) ،⁽²⁾ وذلك من أجل كسب النورمان ،⁽³⁾ و الاستفادة من الأسطول الصقلي ،⁽⁴⁾ كما أنها كانت تملك ثروة كفيلة بإعمار خزينة مملكة بيت المقدس .⁽⁵⁾ و بهذا تمكن من تحسين الأوضاع المالية للمملكة . إلا أن الملك بلدوين الأول لم يواصل مشاريعه كون الموت أدركته بعد مرض شديد أثناء محاولته لغزو مصر ، ومات في 511هـ/02 أبريل 1118م أثناء عودته إلى المملكة .⁽⁶⁾

كان الملك بلدوين الأول ذا أهمية بالغة في التاريخ ، وهذا راجع إلى كونه محاربا صليبيا وسياسيا حاذقا ، ومنظما ناجحا ومؤسسا للمملكة لها أهميتها في تاريخ العصر الذي عاش فيه ، كما أن سياسته التوسعية أكسبته أهمية خاصة بحيث تسلم مملكة بيت المقدس ، محدودة المساحة،⁽⁷⁾ فما هي إلا سنوات قليلة حتى حولها إلى مملكة قوية تشمل كل فلسطين تقريبا ، حيث تتمتع بساحل طويل على البحر المتوسط ، مما حقق لتلك المملكة اتصالا آمنا مع العالم

(1)- Grousset (R.), op.cit. , T.I, p. 297.

(2)- (ستيفن) رنسمان : تاريخ الحروب الصليبية ، مملكة بيت المقدس 110-1187م ، ج2 ، تر : السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1998م ، ص.166.

(3)- Ibid , p. 303 .

(4)- ماير (هانس ابرهارد) ، المرجع السابق ، ص.117 .

(5)- رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، ج 2 ، ص. 167 ؛ هانس ابرهارد ماير ، المرجع السابق ، ص.116 .

(6)- الشارنري (فوشية) ، نفس المصدر ، ص ص. 162 – 163

(7)- الشقيري (أحمد) ، المرجع السابق ، ص.79 .

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

الأوروبي ، إذ تمكن من السيطرة على وادي عربة و الضفة الشرقية للأردن والاستيلاء على أيلة في خليج العقبة ، بل وتوغل في الأراضي المصرية نفسها ، وبهذا نجح في تفكيك العالم الإسلامي في الشرق الأدنى .⁽¹⁾

5-الحياة الدينية :

تفطن الملك بلدوين الأول لقيمة الكنيسة الشرقية البطريركية في بيت المقدس،⁽²⁾ فحرص منذ بداية حكمه في بيت المقدس على بسط سيطرته عليها ، لكن اعترضه حينها بطريقها دايمبرت هذا الذي كان يسعى لإقامة حكومة ثيوقراطية بداية الأمر ، لكنه عاد وقبل غيرها بتتويجه لـ"بلدوين دي بلون" ملكا على بيت المقدس – كما سبق ذكره- إلا أن النزاع لم يلبث أن تجدد بين الطرفين في مارس 1101م.^(*)

بلغت أخبار النزاع مسامع البابا باسكال الثاني (Pascal II 1099م-1118م)- خليفة البابا أوربان الثاني - فأرسل مندوبا لتقصي الأمر وهو الكاردينال موريس (Maurice) أسقف بورت و(Porto) البرتغالية ، بالرغم من ذلك استمر الخلاف بينهما ، وانتهى في آخر الأمر بعزل دايمبرت عن البطريركية سنة 1102م ، واستخلف مكانه قسا جديدا هو إيبرمار (Ebremar de Théroanne).^(**) لم يرضى دايمبرت بهذا القرار فسعى بمساعدة نصيره بوهمند لإقناع البابا باسكال الثاني بإعادته إلى مكانه السابق ، وقد نجح فعلا في ذلك ، حيث أمر البابا

(1)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1972م، ص.171

(2)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.2 ، ص.132.

(*)- وسبب ذلك أن الملك بلدوين الأول طلب من البطريرك أن يسانده بأمواله في حربه ضد الفاطميين فقدم له دايمبرت القليل فقط ، مدعيا فراغ خزينته الكنيسة ، وظهر أنه يكذب بل خبا البقية من النقود.أنظر- Grousset (R.) , Histoire des croisades ,l'anarchie musulmane et la monarchie Franque , Librairie Plon , Paris , 1934 , pp.290-291 .

(*) – للمزيد عن حياة إبرمان ، إرجع: - رنسمان (ستيفن) ، تاريخ الحروب ، ج.2 ، ص.136.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

بالغاء القرار الصادر بعزل دايمبرت ، إلا أن المرض داهم دايمبرت وراح ضحيته يوم 15/06/1107م .⁽¹⁾ في مقابل ذلك كان البطريق الجديد إبيرمان قد يئس من تدخلات الملك بلدوين الأول على مستوى الكنيسة ، فحمل شكاويه ذلك إلى البابا باسكال الثاني في روما ، فأرسل هذا الأخير مندوبا ثانيا يدعى جيبيلين ديسبران (Gibelin de Sabran) - رئيس أساقفة آرل (Arles) - لتحقيق في الموضوع ، وانتهى الأمر باختياره ، باقتراح من الملك بلدوين الأول ،⁽²⁾ بطريقا على بيت المقدس سنة 1108م .⁽³⁾

وكان هذا البطريرك الجديد مسن ، فلم يلبث أن توفي في أبريل 1112م ، عندئذ تقرر اختيار آرنول مالكورن (Arnoul Malecorne) بطريقا جديدا على بيت المقدس .⁽⁴⁾ أخلص حينها آرنول لبلدوين الأول ويتفقان على كل الأمور المتعلقة بالكنيسة .

6- العلاقات الخارجية للمملكة الصليبية :

كانت مملكة بيت المقدس هي أعظم الإمارات الصليبية ،⁽⁵⁾ ولهذا كان حاكمه يُلقب بلقب الملك ، أما بقية الإمارات فهي تتبع مملكة بيت المقدس ، وان كانت تبعية لا اثر لها في الواقع.⁽⁶⁾ كما ارتفعت معنويات السكان الإمارات الايطالية فبدأت سفنهم تجوب أطراف البحر المتوسط وتقدم المساعدات والدعم للمملكة بصفة خاصة وللصليبيين بصفة عامة ، لذلك تميزت علاقاتها بالمملكة بصورة مميزة .⁽⁷⁾

1 - علاقة المملكة الصليبية مع الإمارات الصليبية الأخرى:

ادعى ملك بيت المقدس بنفسه السيادة على سائر إمارات الفرنجة بالشرق ، ولكنه لم

(1)- رنسمان (ستيفن) ، تاريخ الحروب ، ج.2 ، ص.137

(2)- نفسه ، ص.138 .

(3)- Grousset (R.), *L'épopée des croisades* ,Club de librairie ,Paris ,1939 ,p.90 .

(4)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، تاريخ العلاقات ، ص.273

(5)- كروزيه (موريس) ، تاريخ الحضارات العام ، ط.3 ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1994م ، المجلد الثالث ، ص.313 .

(6)- المطوي (محمود العروسي) ، المرجع السابق ، ص.57 .

(7)- شاكر (محمود) ، المصدر السابق ، ج.6 ، ص.255-257 .

الفصل الثالث = المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

يمارس الرقابة الفعلية على إمارات الرها وأنطاكيا وطرابلس التي تأسست إبان تقدم الصليبيين،⁽¹⁾ فلم يستطع الملك بلدوين الأول من تحقيق الوحدة بينها ، وتميزت بما يلي :

1- العلاقات مع إمارة الروها (Edesse) :

تعتبر إمتداد طبيعياً لبيت المقدس ،⁽²⁾ وقد تأسست سنة 492هـ/1098م من قبل بلدوين الأول ، وبعد تنصيبه ملكاً على بيت المقدس ناب عنه بلدوين دي برغ (Baudouin De Burgh) و صار فيما بعد بلدوين الثاني 1100-1118م وكان كتابع للملك بلدوين الأول .⁽³⁾ ومن بعده حكمها أمير تل باشر جوسلين الأول (Jocelin I^{er} Courtenay) ثم "جوسلين الثاني (Joclin II de Courtenay) وكانت دائماً تابعة لمملكة بيت المقدس .⁽⁴⁾ وموقعها في الشرق من الفرات جعلها تتصل ببلاد الأرمن وبالطريق التجاري العام الممتد على مجرى الفرات حتى الرقة والمتجه من ثم إلى أنطاكيا ودمشق ، مما جعلها أولى الإمارات التي تسقط في يد المسلمين مرة أخرى .⁽⁵⁾

2 – أنطاكيا (Antioche) (*) :

ساد الاعتقاد عند المعاصرين أنه ينبغي أن تكون أنطاكيا عاصمة المسيحية اللاتينية بالشرق ، إذ أن أنطاكيا تقع في إقليم من أخصب الأقاليم بالشرق ، كما أن بوهمند يعتبر من أكبر الرجال العبقريين في عصره .⁽⁶⁾ إلا أن الأمور الأكثر أهمية والتي أضفى عليها قودفوروا اهتمامه ، جعله أعلى مرتبة من بوهمند (حاكم أنطاكيا) ، وكذلك اجتذاب مملكة بيت

(*)- مدينة مُحصنة، تقع على ساحل البحر، كان بها أسواراً عاليةً وحوالي 400 برجاً يحمي المدينة ، كان قد بناها الأباطور جوستيان وهي قريبة من حدود الأباطورية البيزنطية. كانت تحيط بها جبال عالية من جهتي الجنوب والشرق، أما من الجهة الغربية يحدها نهر العاصي ومن الشمال المستنقعات واحراش ، كما تعتبر مدينة مقدسة وكرسي القديس بطرس يقول المؤرخ المجهول عن حصار الصليبيين للمدينة: "...ولم نجد مكاناً ميسراً لضرب الحصار من الناحية الأخرى، إذ كان يكتنفها جبل شامخ الذي لم يترك لنا شِعْبَ بالغ الضيق". أنظر:- مؤرخ مجهول، المصدر السابق، ص49-50.

(1)- كروزيه (موريس) ، المرجع السابق ، ص. 313 .

(2)- باركر (أرنست) ، الحروب الصليبية ، ص. 46 .

(3)- النقاش (زكي) ، نفس المرجع ، ص. 27 .

(4)- باركر (أرنست) ، نفس المرجع ، ص. 47 .

(5)- النقاش (زكي) ، المرجع السابق ، ص. 27 .

(6)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، المرجع السابق ، ج. 2 ، ص. 165 .

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

المقدس للكثير من الحجاج الذين بقوا مستقرين فيها ن زاد من قوة جيشها ، كل هذا جعلها أهم من أنطاكيا .⁽¹⁾ وكانت تابعة لمملكة بيت المقدس عندما كان تنكريد مشغولاً بالمنازعات مع جيرانه المسيحيين ،⁽²⁾ إلا أن بلدوين الأول جعل من بطريفة مملكته تتسع على حساب بطريفة أنطاكيا وذلك عند استيلائه على بيروت سنة 510هـ/1116م ، والتي كانت من المفروض أن تكون تابعة لأنطاكيا ، هذا ما أدى إلى نشوب النزاع بين بطريفة بيت المقدس و بطريفة أنطاكيا .⁽³⁾

3- إمارة طرابلس (*) :

بالرغم من أنها أسست على يد راييموند دي تولوزة و بمساندة الإمبراطور أليكسيوس الأول كومنين ، وباتفاق مع الجنوبيين ، إلا انه لم يتم الاستيلاء على عاصمتها إلا في سنة 503هـ/1109م .⁽⁴⁾ إلا انه وقع النزاع عليها ، الأمر الذي دفع بالملك بلدوين الأول لفك النزاع بين قريبه راييموند وابنه -كما ذكرنا سابقاً- ، أي بين قيوم جوردن و برتراند دي تولوزة ،⁽⁵⁾ فتدخل بلدوين الأول لفك النزاع ، فتولى بذلك برتراند السلطة ، وعلى اثر ذلك أصبحت إقطاعية تابعة لمملكة بيت المقدس.⁽⁶⁾

ب- علاقة المملكة الصليبية بالجمهوريات الإيطالية :

يعود توسع حدود مملكة بيت المقدس إلى مساعدة الجمهوريات الإيطالية البحرية

(1)- باركر (أرنست) ، المرجع السابق ، ص.40 .

(2)- (إيش . ابرهارد) ماير ، المرجع السابق ، ص. 108 .

(3)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، المرجع السابق ، ص. 273 .

(*)- هي مدينة لبنانية عاصمة محافظة الشمال تسمى بالفحاء. ثاني أكبر مدن لبنان بعد بيروت. تاريخياً نسب إليها اسم طرابلس الشام لتمييزها عن طرابلس الغرب ، و تقع على بعد 85 كيلومتر إلى الشمال من بيروت كما تبعد عن الحدود السورية نحو 40 كيلو متراً. يمتزج فيها الحاضر بالتاريخ. وعرفت طرابلس منذ القدم بموقعها الجغرافي المميز لأنها صلة الوصل ما بين الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط والداخل السوري والعربي، مما جعلها مركزاً تجارياً مهماً على مستوى المنطقة ومنطقة الشمال. للمزيد إرجع على :- Dar , *Les peuples et les civilisations du proche Orient* , Boulos (J.) , 1987, p. 308.

(4)- النقاش (زكي) ، نفس المرجع ، ص.28 .

(5)- عمران (محمود سعيد) ، نفس المرجع ، ص.41-42 .

(6)- (إيش . ابرهارد) ماير ، نفس المرجع ، ص. 107 .

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

بالخصوص ، إذ ساعدت جيش المملكة بقوة جيوشها وبالمهارة في طرق الحصار، فلو لا ذلك الدعم الكبير الذي تبنته الجمهوريات الإيطالية ، لما تمكن الصليبيون من التقديم في المنطقة ، مقابل أن تضمن لهم المملكة تأمين طرق تجارتهم البحرية لتسهيل عمل الجنوبيين ، البيزيين والبنادقة .⁽²⁾ وكانت جنوة أكثرهم أثرا في حياة مملكة بيت المقدس ،⁽³⁾ إذ أن سفن جنوة كانت بميناء سان سيمون (Saint Siméon) منذ سنة 491هـ/1098م ، وفي ميناء يافا في سنة 492هـ/1099م ، وذلك من أجل مساعدة الصليبيين.⁽⁴⁾ وفي سنة 493هـ/1100م قدم إلى يافا أسطولا بيزيا لمساندة الصليبيين .⁽⁵⁾ غير أن الجنوبيين هم الذين خدموا الملك بلدوين الأول أكثر من سائر الإيطاليين . كما استطاع الملك بلدوين الأول إن يستولي على صيدا بفضل مساعدة ملك النرويج سيجورد .⁽⁶⁾ إذن بمساندة هذه الجمهوريات التي ذكرناها للملك بلدوين الأول ، اتسعت مملكة بيت المقدس ، فأصبحت تشمل دفعة من الأرض امتدت على الساحل من بيروت إلى العريش ، أما جنوبا فامتدت إلى آيلة .⁽⁷⁾

حقا تمكن بلدوين الأول من تأسيس مملكة واسعة الأرجاء على حساب المسلمين ، ويعود ذلك إلى ضعف الخلافات الإسلامية والى الانقسامات المذهبية وفقدانهم للشعور بالكرامة القومية مثلما يحدث حاليا ، إضافة إلى مساندة البيزنطيين والأرمن لصليبيين .

ب- علاقة المملكة الصليبية بالجمهوريات الإيطالية:

تطلع تجار الجمهوريات خاصة منها البندقية (Venise)^(*) ، بيزا (Pise)^(**) و جنوة

(1)- باركر (أرنست) ، نفس المرجع ، ص.41 .
(2)- عن علاقات بيت المقدس بالجمهوريات الإيطالية أنظر إلى : Cahen (R.) , op.cit. , pp. 78-80 .
(3)- النقاش (زكي) ، المرجع السابق ، ص. 26 .
(4)- باركر (أرنست) ، نفس المرجع ، ص.43 .
(5)- كروزيه (موريس) ، المرجع السابق ، ص.315 .
(6)- باركر (أرنست) ، نفس المرجع ، ص.44 .
(7)- النقاش (زكي) ، المرجع السابق ، ص.27 .
(*)- هي مدينة ساحلية، مُمتدة على مجموعة من البحيرات والجزر الصغيرة. وتقع على رأس البحر 126 الجزر كلها إسم جزيرة فينيّا (Venetia) ومن هنا جاء اسم البندقية (Venise) . أنظر:- عادل زيتون، المرجع السابق ، ص.113 .
(**)- (بالإيطالية Genova) ، مدينة وميناء بحري شمال إيطاليا، عاصمة إقليم ليغوريا ومقاطعة جنوة. أنظر:- Steven (A.) Epstein , Labour and Port Life in Medieval Genoa , Mediterranean Historical Review 3, 1988, pp.40-140.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

(Génes)^(*)، للمكاسب التي ينالونها باشتراكهم في الحملة الصليبية الأولى ، والمتمثلة في السيطرة على الطرق التجارية للسلع الشرقية،^(**) فبادرت الأساطيل الجنوبية بمساعدة الفرنج في الاستيلاء على أنطاكية سنة 396هـ/1097م ،في حين تدخل البنادقة بعد ذلك بعامين في الاستيلاء على بيت المقدس عهد "جودفروا دوبيون"⁽¹⁾.

باعثلاء الملك بلدوين الأول عرش المملكة توافقت مصالحه وطموحات هذه الجمهوريات ، فكان يسعى لإخضاع المدن الساحلية الشامية فاحتاج في ذلك إلى أساطيل لنقل القوات والعتاد والإمدادات من الغرب اللاتيني إليها،ولضرب الحصار حولها من جهة البحر.⁽²⁾

وفي شهر أبريل 1101م أرسى أسطول جنوي في يافا ،فهرع الملك بلدوين الأول لاستقباله.^(***) وصحب قادته إلى بيت المقدس أين وقع معهم اتفاقية تقضي بأن يخدموه مدة فصل من السنة يتقاضون بالمقابل ثلث كل ما يجري الاستيلاء عليه من غنيمة المتاجر والأموال وأن يكون لهم شارع في حي السوق بكل مدينة يتم إخضاعها ،وبمجرد إتمام الاتفاقية تحرك الحلفاء لمنازلة المدن الساحلية الشامية ، فتولى بلدوين الأول مهاجمتها برا، بينما هاجمها الجنوبيين بحرا.⁽³⁾ فاستولوا على المدن الساحلية الشامية الواحدة تلو الأخرى . كما وقع مع البنادقة نفس الاتفاقية ، بالإضافة إلى أسطول نروجي.⁽⁴⁾

(*)- بالإيطالية (Pisa) ، مدينة إيطالية تقع في إقليم توسكانا على مقربة من البحر الأبيض المتوسط بين مدينتي فلورنسا و ليفورنو . وهي عاصمة مقاطعة بيزا . *Les villes d'Italie de la fin du Xe siècle au début du XIVe siècle*, T.I. Les villes de l'Italie byzantine (French) Paperback , 1969, p.55. Renouard (Y.)

(**)-و أورد جوزيف نسيم الشعار الذي رفعه البنادقة حينها ،وعرفوا به وقت ذاك قائلين : "لنكن أولا بنادقة، ثم لنكن بعد ذلك مسيحيين." ، وهذا دليل على أولوية المصلحة المادية عندهم على الباعث الديني . أنظر :- جوزيف (نسيم يوسف) ، *تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب* ، جامعة للطبع والنشر ، الإسكندرية ، 1989م ، ص.90 .

(1)-نفس المرجع ، ص.87-88 .

(2)-نفسه ، ص.89 .

(***)-وكان حتى ذلك الوقت يعتمد في قوته على أسطول بيزا الصغير الذي صحب عدوه "دايمبرت" الى بيت المقدس ، فأدرك "بلدوين الأول" أن أكثر مد بلانمه هو عقد تحالف مع الجنوبيين الذين يعتبرون أكبر المنافسين للبيزيين .أنظر:-(ستيفن) رنسمان، *تاريخ الحروب* ، ج.2، ص. 120 .

(3)-Grousset (R.) , *Histoire des croisades* ,PP. 221-222.

(4)-Archer (T. A.) and Lethbridge (C.) , *King Ford , The Crusades, The story of the Latin Kingdom of Jérusalem*, 5th Impression ,T. Fishers ,Umuin ,L.T.D.London ,1919, PP.135-137.

الفصل الثالث = المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

وفى الملك بلدوين الأول بوعوده لتجار هذه الجمهوريات الإيطالية ، فمنحهم امتيازات تجارية خاصة ، وتسهيلات عديدة ، حيث جعل لهم في كل مدينة من التي شاركوا في إخضاعها أحياء وأنظمة خاصة مستقلة -منها حتى إقامة كنائس خاصة بهم كالتى منحت للبنادقة بعكا- فمثلا كان يدير أمورهم بها فنصل تعيينه سلطات هذه الجمهوريات ، وقد كانت السفن الإيطالية تبحر من الموانئ الأوربية وهي محملة بالرقيق ، السلاح ، الخيول ، المنسوجات الصوفية ، الكتانية وغير ذلك من البضائع ، وتعود من موانئ الشام محملة أيضا بالبضائع الشرقية كالعطور ، السكر ، الفواكه والخمر ، الصوف ، والبهارات ، الأصبغة ، الأحجار الكريمة ، الزجاج ، الحرير وغيرها من السلع الأخرى .⁽¹⁾

يبدو مما سبق أن الملك بلدوين الأول كان يسعى جاهدا لدعم وربط الصلات بين الصليبيين الذين استقروا بالمشرق (في تلك الإمارات الصليبية) وبين الجمهوريات الإيطالية نظرا لدورها التجاري وحتى السياسي الذي لعبته أثناء الحملة الصليبية الأولى وما ترتب عنها ، وظلت تلك الجمهوريات عبارة عن جسر بين الشرق والغرب ، مما لا شك فيه أن الملك بلدوين الأول كان يدرك جيدا أن دعم هذه العلاقات يبقى أساسا في استمرار وتقوية الصليبيين بالمشرق.

ج- علاقة المملكة الصليبية بالإمبراطورية البيزنطية :

أخذت العلاقات بين الصليبيين والبيزنطيين تسوء منذ سنة 1101م ، بسبب ما توافر عند الفريقين من الارتياح وسوء الظن ،⁽²⁾ ذلك أنه حدث خلال السنة أن قدمت حملات صليبية جديدة من الغرب اللاتيني قاصدة بيت المقدس لاستكمال عمل الحملة الصليبية الأولى ، لكنها تعرضت لخسارة كبيرة أمام الأتراك بعد عبورها الأراضي البيزنطية فألقى الصليبيون حينها باللوم على البيزنطيين ، واعتبروهم مسؤولين عما حل بهم من الكارثة بدفعهم إياهم نحو كمين

(1)- فرح (نعيم) ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، مطبعة طبرين ، دمشق ، 1398هـ/1291م ، ص. 218.

(2)- رنسمان (ستيفن) ، تاريخ الحروب ، ج. 2 ، ص. 241.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

تركي سبق إعداده (أي أثناء سير الحملة الصليبية الأولى)، وبامتناعهم عن تقديم المساعدة اللازمة لهم⁽¹⁾ وفي واقع الأمر فان الصليبيين في هذه الحملة انتهجوا نهج الحملة الشعبية سنة 1096م التي قادها بطرس الناسك ، إذ بمجرد وصول جموعهم الأراضي البيزنطية اختل نظامهم ، وصعبت مهمة ضبطهم والسيطرة عليهم ، فأخذوا ينهجون القرى ، بل إنهم سلبوا حتى الكنائس ، الأمر الذي جعل الإمبراطور البيزنطي أليكسيوس كومنين لا يتحمس لهذه الحملات لأنه ما يلحقه من ضررها أكثر من نفعها . وهذا ما دفع بالملك بلدوين الأول لمراسلة الإمبراطور أليكسيوس الأول سنة 1102م يلتمس منه التأييد التام لكل حملة صليبية قادمة من الغرب اللاتيني إلى المشرق⁽²⁾.

ففي 1111م لما تهيأ بلدوين الأول لغزو مدينة صور ، تقدم الأسطول البيزنطي لمساعدته ، لكنهم لم يفعلوا أكثر من إعداد جيشه بالمؤن⁽³⁾.

إن ما سبب علاقة الملك بلدوين الأول بالإمبراطورية البيزنطية يعود في الأصل لعدة اعتبارات منها الدينية ، فالإمبراطورية كانت على المذهب الأرثوذكسي ، في حين كانت المملكة الناشئة ببيت المقدس على المذهب الكاثوليكي ، بالإضافة ذلك هناك اعتبارات سياسية تمثلت في رغبة الإمبراطور في استرجاع ما أخضعه الصليبيون من مدن كانت فيما سبق تابعة له، وكان يرغب حينها في مساعدة الملك بلدوين الأول له . هذا ولا ننسى ما خلفته الحملة الصليبية الأولى سنة 1096م وما تلا ذلك عامي 1100م-1101م في الأراضي البيزنطية من أعمال السلب والنهب ، كان لكل ما سبق أن يخلق نوعا من الارتياح على مستوى العلاقات، على الرغم من هذا فلا أن ننفي وجود بعض العلاقات الطيبة والتي تمثلت خاصة في بعض المساعدات التي قدمتها الإمبراطورية للملك بلدوين الأول في حروبه التوسعية.

(1)-نفسه ،ص.37-46.

(2)-نفسه ،ص.61.

(3) - , published , 3 éd. , Penguin Books , E.R.A. Sweeter , Translated by , *The Alexiade* , Anna Comnène , Britain ,1982 ,PP.440-445.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

د - علاقة المملكة الصليبية بالغرب اللاتيني :

أما عن علاقة ملك بلدوين الأول فقد اختلفت عن علاقته بالإمبراطورية البيزنطية ، وتميزت بالود والتعاون وتمثل ذلك في علاقته بالجمهوريات الإيطالية .
أما عن علاقته ببقية الغرب اللاتيني ، فكانت خاصة على مستوى تلك الوفود التي كانت تقصد دائما بيت المقدس للحج ، فكان من جانبه يوفر لها أمن الطريق ، وحسن الضيافة ، وكانت هي بدورها تتطوع لمساعدته في حروبه التوسعية .
فقد قدم لبيت المقدس سنة 1102م أسطول مكون من مائتي سفينة معظمها انجليزية ، تحوي عساكر وحجاج قدموا من إنجلترا وفرنسا وألمانيا ، وصلوا شهر ماي من نفس السنة إلى يافا فأمدوا الملك بلدوين الأول بما يحتاجه من سفن وعساكر إضافية⁽¹⁾ .
كما قدم إلى بيت المقدس سنة 1106م أسطول يحمل حجاج الانجليز و الدانمارك، وتلا ذلك سنة 1107م أسطول كبير من النرويج - كما ذكر سابقا- بقيادة ملكهم سيجورد (Sigurd) (1103م-1130م) الذي سلك الطريق البحري ،⁽²⁾ الذي ساعد الملك بلدوين في حصار صيدا الذي شرع فيه سنة 1110م وتم إخضاعها لحكم بلدوين الأول⁽³⁾ .
وهكذا استمرت علاقة الملك بلدوين الأول بالحجاج القادمين إلى بيت المقدس علاقة ود ومصالحة .

أما عن علاقة الملك بلدوين الأول بشبه جزيرة صقلية ، فقد تطلع الملك للزواج من ملكتها أديلايد (Adélaïde de Salona) أرملة الملك روجر الأول (Roger I 1091م-1101م)

(1) - Michaud (J. F.) , **Histoire des croisades ,Les grandes Monuments de l'histoire**, T.7, éd. présentée par :Robert Delort, Robert Leffont et le club Français du livre , Paris ,1970, PP. 207-208.

(2) - Mayer (H.E.) , op.cit. ,p.66.

(3) - Grousset (R.) , **Histoires des croisades** , éd. 1934,pp230-231. ; Michaud (J.) ,op.cit. ,p.34.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

التي حكمت صقلية وصية على ابنها الأكبر روجر الثاني مابين 1101م-1112م،⁽¹⁾ وكان الملك بلدوين الأول يطمح من وراء هذا الزواج تحقيق مكاسب عدة منها سياسية ومالية ، ومنها ضمان صداقة النورمان في جنوب ايطاليا وصقلية ،⁽²⁾ وطمعا من مساعدات الأسطول الصقلي له ، وكذلك أراد كسب الثروة الطائلة التي تملكها تلك الملكة والتي كانت كفيلة بإنعاش خزانة مملكة بيت المقدس .⁽³⁾ وبعد أن حصلت "أديلايد" على موافقة ابنها روجر الثاني على زواجها من بلدوين الأول ، على هذا الأخير أن يرث ابنها روجر الثاني عرش مملكته في حالة عدم إنجابها لمولود منه ،⁽⁴⁾ ووافق الملك على هذا الشرط - في حين ارتاب منه كل أباعه من الفرسان وأيضا رجال الكنيسة- فأبحرت العروس من صقلية إلى عكا في بداية شهر أوت 1113م في أسطول كبير يحمل ثروة طائلة من الذهب والفضة و التحف وغيرها .⁽¹⁾

وظل أتباع بلدوين الأول خائفين من هذا الزواج وسعوا لإبطال بإثارة فضيحة زوجته الثانية التي أراد أن يطلقها لكن لم يتم بعد ، فبذلك يكون قد خرق قانون الكنيسة بالزواج من امرأتين ،وعندها طرحت مسألة ولاية العهد النورمانية اثر إصابة الملك بمرض خطي ر في خريف 1116-1117م فرضت المعارضة - كل الفرسان بدعم من البطريرق أرنولف- أن يتقرر في مجمع كنسي عام طلاق أديلايد ، وعادت على إثرها إلى صقلية في ربيع 1117م .⁽⁶⁾

(1)- Archer (T.H.) , op.cit. , pp.134-135.

(2)- Grousset (R.) , op . cit. , éd . 1934 ,pp. 299 -301.

(3)- ماير (هانس)،المرجع السابق ، ص.117.

(4)-نفسه،ص.117.

(5)- رنسمان (ستيفن) ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج 2 ، ص.166-168.

(6)- Grousset (R.) , **histoires des croisades** ,pp. 302-303.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

ويرى المؤرخ هانس ماير أن هذه القضية تعتبر أول هزيمة يتعرض لها الملك داخليا، كما اعتبرت خطأ كبيرا في السياسة الخارجية،⁽¹⁾ وقد أثارت سخط البلاط الصقلي ولم تبد صقلية لمدة طويلة أي استعداد لدعم بيت المقدس،⁽²⁾ هذا من جهة ، أما من جهة أخرى فان الدارس أو الباحث في علاقة الملك بلدوين الأول بالإمارة النورمانية في صقلية (عبر هذا الزواج) ، ويجد بأنه استفاد الكثير منها خاصة في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها المملكة الناشئة ببيت المقدس ، فيبدوا أن حاجته لأموال طائلة كانت السبب الرئيسي في تحريك هذا الزواج.

استطاع الصليبيون بزعامة ملك بيت المقدس بلدوين الأول من انتهاج سياسة التعمير في بيت المقدس لمواجهة مشكلة العنصر البشري هناك ، كما انتهج من الناحية العسكرية سياسة سلسلة بناء القلاع العسكرية على الحدود الهامة ، ووضع حدا لطموحات البطريق دايمبرت والكنيسة عموما ، وعلى مستوى السياسة الخارجية اهتدى إلى ربط العلاقات مع الجمهوريات الايطالية (جنوة ، بيزا ، البندقية) التي مكنته من إخضاع الساحل الشامي ، وبسياسته التوسعية استطاع توسيع حدود المملكة لو أن الموت لم يدركه في ذي الحجة 511 هـ/ 02 أبريل 1118م لَدَخَلَ مصر . كل ما سبق ذكره تتجلى لنا حنكة وفطنة بلدوين الأول في مملكة بيت المقدس التي ظلت محافظته عليها لمدة طويلة من بعده بالرغم من تدهور الأوضاع من بعده - كما سيأتي لاحقا- إلى أن أتى صلاح الدين الأيوبي وحررها عام 581هـ/1187م - ويأتي ذكره فيما بعد - غير أن المملكة صغيرة نسبيا غالبا ما افتقرت إلى الدعم المالي والعسكري المتواصل من أوروبا، وسعت المملكة في خضم ذلك لإقامة علاقات مع الممالك

(1)- ماير (هانس) ،المرجع السابق ، ص.117.

(2)- رنسمان (ستيفان) ، نفس المرجع ،ص.170.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

الشرقية المسيحية كالإمبراطورية البيزنطية وأرمينيا، إلى جانب العادات والمؤسسات الغربية فقد تأثرت المملكة اجتماعيًا بالعادات والتقاليد الشرقية، فسكان المملكة إلى جانب الوافدين الفرنجة كانوا يتشكّلون أساسًا من المسلمين والأرثوذكس الشرقيين واليهود، فعلى العموم شكّلت هذه العناصر طبقة سفلى مهمشة في الإدارة والحقوق العامة مما سيشكل حروبًا أهلية بعد ذلك.

(ب) - أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية عهد الملك بلدوين الثاني (1118 م-1131 م)ك

بعد وفاة بلدوين الأول تولى الحكم بلدوين الثاني أي بلدوين دي ليبورج (1118م - 1131م) وفي أواخر عهده بدأت فترة ضعف مملكة بيت المقدس اللاتينية وتجلّى هذا الضعف في تدهور الأوضاع الاجتماعية، الاقتصادية، الأوضاع السياسية، الدينية والقضائية خاصة.

1-الحياة السياسية:

قامت الأرستقراطية الإقطاعية التي أضحت من خصائص النظام الإقطاعي في مملكة بيت المقدس المسيحية المتألّفة من مجموعة من النبلاء والفرسان،⁽¹⁾ وما الملك إلا زعيم لهؤلاء، ثم يليه أربعة أمراء و اثنا عشر آخرون حكموا بقية مدن المملكة، فقد كان لهؤلاء النبلاء سلطة واسعة على المملكة وقضاياها⁽²⁾، الشيء الذي قلل من نفوذ وسلطة الملك، إضافة إلى ذلك خضوع الملك للقانون الذي جعل مكانته مساوية لمكانة أفراد المجتمع⁽³⁾.

كما أن الملك كان يفتقر باستمرار للمال،⁽⁴⁾ هذا من جهة ومن جهة أخرى نظام المملكة

(1)- باركر (أرنست)، المرجع السابق، ص. 54.

(2)- نفس المرجع، ص. 54-55.

(3)- نفسه، ص. 55.

(4)- عوفي (محمود مؤنس)، المرجع السابق، ص. 130.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

المالي ودستورها لم يكن ثابتا لأنهم لم يسنوا لها قوانين ثابتة، وبالتالي لم يكن ببيت المال في المملكة اللاتينية إلا إدارة مفككة التنظيم⁽¹⁾.

2- الحياة الاقتصادية :

واصل بلدوين الثاني (1118م-1130م) على السياسة الاقتصادية التي انتهجها سلفه الملك بلدوين الأول، ففي عام 1120م خطا خطوة عظيمة بالنسبة لتجارة مملكة بيت المقدس، فقد أصدر بلدوين في ذلك العام قانونا منح فيه جميع اللاتين - سواء المقيمين أو الحجاج أو المتنقلين- إعفاءات تجارية ضخمة، منها الإعفاء التام من الرسوم الجمركية لكل بضاعة تدخل المملكة أو تصدر منها،⁽²⁾ وفي نفس الوقت أجاز بلدوين الثاني للمسيحيين الشرقيين السريان والروم والأرمن ، بالإضافة إلى العرب، بحرية الدخول إلى بيت المقدس لتصريف محاصيلهم دون دفع أي رسوم، والواقع أن إلغاء الرسوم الجمركية والمحلية التي قيّدت النشاط التجاري وأعاقته في العاصمة. و بسبب هذه الطوائف باعتبارها عناصر نشطة في المنطقة أدى إلى رفع من مستوى الاقتصادي في المملكة الفتية ، وحافظ على الدور الهام الذي لعبته هذه الأخيرة في النشاط التجاري خاصة في القرن الثالث عشر، وهذا ما يدل على ذكاء ملك بيت المقدس بلدوين الثاني على جميع الأصعدة.⁽³⁾

3- الحياة الاجتماعية :

تكوّن المجتمع الصليبي في بلاد الشام عامة ومملكة بيت المقدس خاصة من فئات مختلفة وغير منسجمة ويرجع سبب ذلك إلى تلك المجتمعات التي لم تكن على وفاق سواء في

(1)- رنسمان (ستيفن) ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج.2 ، ص.486

(2)- Grousset (R.), Histoire des croisades ,T.I , p.540.

(3)- Ibid. , pp.540-541.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

العادات أو التقاليد أو الاتجاهات ، ناهيك عن اختلاف الجنسيات الأوروبية وتعدد المذاهب بين الفرنجة النازلين بالشرق والقادمين من الغرب،⁽¹⁾ وكان الفرنجة الغربيون قليلين بعد عودة الكثير منهم إلى أوروبا بالرغم من مشاركة هؤلاء مع الشرقيين أحيانا في عاداتهم وتقاليدهم، إلا أنهم بقوا طبقة قليلة شكّلت من نفسها أرستقراطية حاكمة،⁽²⁾ ولم تكن هذه الطبقة تتعدّى ألفي رجلا وامرأة من النبلاء والفرسان وذلك لكثرة ضحاياها في الحروب المستمرة والظروف الصحيّة والمناخية التي لم يألّفوها كما كان هناك في الغرب.

بالإضافة إلى فئة المحاربين المتكونة من عامّة الناس الصليبيين الغربيين الذين تزوجوا من الصليبيات الشرقيات،⁽³⁾ وطبقة المسيحيين المحليين أغلبيتها من الأرمن الموازنة لسريان الأقباط والبيزنطيين الذين عانوا من كراهية واحتقار الصليبيين الغربيين لهم ، لخوفهم من تأمرهم مع الإمبراطورية البيزنطية ضد مصالحهم جراء الخلافات المذهبية،⁽⁴⁾ كما كان في المملكة الناشئة كثير من أسباب الضعف الأخرى، كوجود فرقة فرسان المعبد أو الهيكل وسليمان الرب والمسيح والداوية، ثم الماسونية فيما بعد، كلّها أسماء لمنظمة واحدة، نشأت في عام (1195م)؛ حيث نذر هيو دي بايانس (Hugues de Payens) وثمانية آخرون من الفرسان أنفسهم للرهبنة، وخدمة المسيحيين العسكرية،⁽⁵⁾ وحصلوا من بلدوين الثاني على مسكن لهم بالقرب من الموضع الذي كان فيه هيكل سليمان على زعمهم، وسُرعان

(1)- أحمد اليوسف (عبد القادر) ، العلاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر و الخامس عشر، بيروت، دبت، ص.84

(2)- محمود (السيد) ، تاريخ الحروب الصليبية، الإسكندرية ، 2000م ، ص.122.

(3)- Grousset (R.) , **Histoire des croisades** , vol.I , pp.315-316.

(4)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، المرجع السابق، ص331..

(5)- مقامي (نبيلة إبراهيم) ، فرق الرهبان والفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، مطبعة جامعة

القاهرة والكتاب الجامعي ، 1994م، ص.15-16.

الفصل الثالث = المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

ما أطلق عليهم اسم فرسان المعبد على زعمهم ، وسُرعان ما أطلق عليهم اسم فرسان المعبد، وفرسان المعبد فرنسيون من جمعية الأخوة الرهبانية للقديس تامبلر، وهؤلاء ارتدوا سرّاً عن النصرانية إلى عقيدة القابلات اليهودية الوثنية لعبدة الشيطان، ورايئهم بيضاء عليها صليب أحمر، أمّا الواحد من فرسان المعبد، فكان يلبس منزرّاً أبيض اللون على " حرملته " صليب أحمر. (1)

1)- كانت المملكة الفتية تتلقى معونة معتبرة من نظام الرهبان العسكريين باعتباره مستشفى . ذلك أن تجار أمالفي Amalfi كانوا قد حصلوا من المسلمين منذ عام 1048 م على إذن ببناء مستشفى في بيت المقدس لإيواء الفقراء أو المرضى من الحجاج. ثم نظم ريمند دوبي Raymond du Puy موظفي هذا المعبد تنظيمًا جديدًا فجعلهم هيئة دينية تركز حياتها للعبّاة، والفقير والطاعة، وحماية المسيحيين في فلسطين بالدفاع عنهم دفاعاً عسكرياً ، ومن ثم أصبح هؤلاء الفرسان فرسان مستشفى القديس يوحنا من أحسن الهيئات الخيرية في العالم المسيحي . وفي سنة 1119 نذر هيو بايانس وثمانية آخرون من فرسان الصليبيين أنفسهم للرهبنة، وخدمة المسيحيين العسكرية، وأن حصلوا من بلدوين الثاني على مسكن لهم بالقرب من الموضع الذي كان فيه هيكل سليمان، وسرعان ما أطلق عليهم اسم فرسان المعبد. ووضع لهم القديس برنار نظاماً صارماً لم يطيعوه زمناً طويلاً؛ وكان مما أتى عليهم به أنهم "أكثر الناس علماً بفن الحرب"، وأمرهم "ألا يغتسلوا إلا نادراً" وأن يقصوا شعر رؤوسهم. وكتب برنار إلى فرسان المعبد يقول "إنّ على المسيحي الذي يقتل غير المؤمن في الحرب المقدسة، أن يثق بما سينال من ثواب، وعليه أن يكون أشد وثوقاً من هذا الثواب إذا قتل هو نفسه، وإنّ المسيحي ليبتهج بموت الكافر لأن المسيح يبتهج بهذا الموت"، ومن الواجب على الناس أن يقتلوا وهم مرتاحو الضمير إذا كانوا يريدون النصر في الحروب. وكان الواحد من فرسان المستشفى يلبس منزرّاً أسود اللون، على كفه الأيسر صليب، أما الواحد من فرسان المعبد فكان يلبس منزرّاً أبيض على "حرملته" صليب أحمر. وكانت كلتا الطائفتين تكره الأخرى كرهاً مبعثه الدين. وانتقل فرسان المستشفى وفرسان المعبد من تمرير الحجاج إلى الهجوم على حصون المسلمين، مع أن فرسان المعبد لم يكونوا يزيدون على ثلاث مائة، وأن فرسان المستشفى كانوا حوالي 1180 م ، فقد كان لهم جميعاً شأن ظاهر في معارك الحروب الصليبية؛ وذاعت شهرتهم الحربية. وقامت الطائفتان بحملة واسعة لجمع المال، فتوالت عليهما الإعانات من الكنيسة والدولة، ومن الأغنياء والفقراء على السواء؛ فلم يحل القرن الثالث عشر حتى كانت كلتاها تمتلك في أوربا ضياعاً واسعة تشمل أديرة، وقرى، وبلداناً. وأدهشت كلتاها المسيحيين والمسلمين بما أنشأت من الحصون الواسعة في بلاد الشام، حيث كانوا يستمتعون بالتزلف مجتمعين، وسط متاعب الحروب وكدها، مع أنهم قد نذروا أنفسهم فرادي للفقير. وفي عام 1190م أنشأ ألمان فلسطين طائفة الفرسان التوتون بمعونة عدد قليل من الألمان في بلادهم الأصلية، وشيّدوا لهم مستشفى قرب عكا . كما يوجد فرسان الاستبارية (كما ذكر في السابق) وفرق دينية أخرى ==

الفصل الثالث = المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

كما نجد فئة المسلمين الذين هاجر منهم الكثير بعد الاستيلاء الصليبي، ولجلب البديل عمد الصليبيون على السياسية التعميرية كما رأينا سالفا (1).

إضافة إلى ترمد فئة التجار الإيطاليين المستقلين، الذين تمتّعوا بامتيازات المدن التجارية الإيطالية في النواحي القضائية، إذ لا يخضع تجار هذه المدن إلا لقوانين حكومة مدنها، (2) كما نجد فئة البدو الرحل العرب غالبا ما يتعرضون للقوافل الصليبية، وهناك فئة الرقيق والأفنان المتواجدة في المملكة، التي لا يمكن للصليبيين الاستغناء عنها جراء الخدمات المتنوعة التي كانت تؤديها. (3)

إذن تلك هي أهم الفئات التي تكوّن منها ذلك المجتمع غير المتجانس وكان هذا التباين سببا في إضعاف القوى الصليبية، مما قلّل من المقاومة ضد القوى المجاورة لهم من المسلمين من خلال الفشل والانهيال الذي شهدته المملكة، فنتج عن ذلك آفات اجتماعية عديدة منها: الرشوة

= شاركت بشكل أو بآخر بإسقاط المملكة والبعض الآخر دافع عنها. و يُخَيَّل كأنها منظمات مختلفة ، لكن بالتدقيق وتتبع تواريخ النشأة والظهور العلني بعد السرية، سيكتشف أنّ المنظمة واحدة هي " الرهبان الحربيون"، أتباعها يتعمدون تغيير اسمها لتحاكي التهم التي كانت تعلق بالاسم الذي قبلهم، كي لا يلاحقون وهم في طور النشأة، كما أنّهم بيرعون بدهاء في تنويع جمعياتهم ومنظماتهم، حتى يظن أنّها مُختلفة، لكن التحقيقات حول الأعضاء تُثبت التعاون الدائم. بقدر تعلق الامر بموضوع الرحالة الاجانب و المحليين وما كتبه من رحلات منذ الحروب الصليبية إلى بيت المقدس. وللمزيد أنظر :- مقامي (نبيلة إبراهيم)، المرجع السابق، ص.16-21؛ أنظر Thompson (J.W.) , **Economic and Social History of the Middle**

; Ages: (300-1300),éd. Century Company, 1928.p.386.

- فاروقي (ثريا)، **الدولة العثمانية والعالم المحيط بها** ، ت. حاتم الطحاوي، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2008م ، بتصرف ؛ ديورانت (ويل) ، **قصة الحضارة مملكة اورشليم اللاتينية** ، ت.موريس جلال، ط.1، المجلد الثالث، الكتاب الخامس، الباب السادس، دار الأهالي، دمشق، 2005م، ص 5301.

(1)- أحمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق، ص.84.

(2)- نفس المرجع، ص.84-85.

(3)- عاشور (سعيد) ، **الحركة الصليبية**، ج.1، القاهرة ، 1982م، ص.506-507.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

التي عرفت انتشارا كبيرا في المجتمع الصليبي،⁽¹⁾ كما انتشرت المفاصد والمساوئ الأخلاقية كانتشار الدّعارة في صفوف الصليبيين،⁽²⁾ كما كانت هنالك سفن صليبية تأتي من الغرب الأوربي بالعاشرات للترفيه عن الجنود، وحتى رجال الكنيسة كان من بينهم من يستعمل أماكن العبادة للدعارة من أجل ربح المال، فقاومت البابوية ذلك بشدة.⁽³⁾ إذ أقرّ أحد المؤرخين أن سبب الانحراف الذي أصاب المجتمع الصليبي يعود إلى الحرب الأهلية المستمرة وحياة الغربة لغيابهم الطويل عن الوطن الأم.⁽⁴⁾ بالإضافة إلى أن حياة البارونات جمعت ما اشتهرت به الفروسية الغربية من الإسراف والبذخ، إذ يلجأون بعد عودتهم من الحرب مباشرة لبيوتهم لحضور حفلات الانتصارات والرقص على نغمات الموسيقى الشرقية، وهو الأمر الذي انجرّ عنه فساد وانحلال خلقي.⁽⁵⁾ فمن خلال عرضنا لطبقات المجتمع الصليبي نستنتج أن التركيبة الاجتماعية غير منسجمة وغير متجانسة جراء الاختلافات المذهبية المسيحية والعربية الإسلامية، وكذا تعدّد الجنسيات الأمر الذي انجرّ عنه صراع حول تحقيق المصالح الذاتية سواء من جهة رجال الدين أو من جهة الأمراء.

-
- (1)- عبد الوهاب (حسن) ، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، الإسكندرية، 1997م، ص.93 وص.154
 - (2)- (محمود مؤنس) عوفي، المرجع السابق، ص.133.
 - (3)- الأصفهاني (عماد الدين) ، الفتح القسي في الفتح القدسي (حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس)، ط.1، دار المنار، 2004 م ، ص.180.
 - (4)- بن منقذ (أسامة) ، كتاب الاعتبار، دار الكتب العلمية ، لبنان، 1999 م، ص.135.
 - (5)- باركر (أرنست) ، المرجع السابق ، ط.2، ص.60.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

4- الحياة العسكرية :

بعد تولي بلدوين الثاني الملك ، توسعت حدود المملكة أكثر، خاصة بعد وفاة روجر أمير أنطاكيا سنة 1119م ، صارت الإمارة تحت وصاية بلدوين الثاني ، واستمرت حتى 1126م ، حين بلغ أميرها "بوهمند الثاني" سن الرشد، فتزوج ابنته، ولما توفي "بوهمند" سنة(1130م)، تولى الوصاية من جديد.⁽¹⁾

يعتبر فترة حكم بلدوين فترة اكتمال نمو المملكة ، فامتدت من بيروت شمالا، إلى العريش جنوبا، واعترف بسلطانها إمارات الفرنجة الثلاث الواقعة بالشمال.⁽²⁾

5- الأوضاع القضائية:

يعرف النظام القضائي في المملكة تعقيدا كبيرا وذلك لغياب تنظيم ثابت محكم قادر على الوقوف أمام ما يعترضه من قضايا جراء المشاكل السياسية والمنازعات فيما بينهم وذلك لتعدد المذاهب، ويتجلى ذلك بصورة واضحة في تلك المحاكم القضائية الكثيرة وأهمها: **محكمة الكنيسة:** والتي تختص عليها في القضاء من بين العامة استناد للعرف لأن الشريعة لم تكن مدونة هناك.⁽³⁾

المحكمة العليا: التي تعتبر المنبع الأكبر للقضاء بين الفئات الحربية ولم تكن مجلسا للملك بل محكمة للبارونات من أجل الحفاظ على حقوق النبلاء (الحفاظ على النظام الإقطاعي).⁽⁴⁾ وقد توسعت هيأتها ونفوذها من قضائية إلى تشريعية حتى الملك كان مقيدا بها في تسيير أمور البلاد واتخاذ القرارات وهذا ما نتج عنه منازعات كثيرة بين الأسر النبيلة.⁽⁴⁾

(1) - Michel (B.) , *Croisades et Orient Latin XI^e –XIV^e siècle*, Armand Colin , 2001,p.83.

(2)- باركر (أرنست) ، المرجع السابق ، ص.47-48.

(3)- النقاش (زكي) ، السابق ، ص. 35-36 .

(4)- باركر (أرنست) ، المرجع السابق ،ص.69.

(5)- محمود (السيد) ، *الحروب الصليبية* ، طبعة الإسكندرية ، 2000م ،ص.119.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

وهناك محاكم أخرى وهي :

المحكمة الوطنية: والتي تعتبر صاحبة السيادة في الشؤون المالية والقضائية برئاسة الكونت وهو من الفرسان الذي يرشح من طرف الملك.⁽¹⁾

محكمة الأشراف: وأخرى للمدنيين، كانت معفية من الرسوم والواجبات المالية.

المحكمة البرجوازية: وهي مختصة في الفصل في قضايا الفرنجة من غير النبلاء و لها نفوذ في القضايا الجنائية، وهذه الأخيرة نجدها في كل مدينة من المدن الصليبية الكبرى.⁽²⁾

المحاكم التجارية: والتي أقيمت في المدن التي كانت غالبية سكانها ايطاليين وقد خصصت للنظر في الشؤون التجارية.⁽³⁾

كما وجدت محاكم أخرى: في الموانئ التجارية والسفن برئاسة القناصل أو وكلائهم ، و لقد شكلت هذه المحاكم دولة داخل دولة بمؤسساتها الواسعة النفوذ والمحدودة الخدمات وذات امتيازات كثيرة من خلال إعفائها من الرسوم والواجبات المالية،⁽⁴⁾ الشيء الذي ولد حقدا وصراعا بين أصحاب المحاكم والنبلاء لمدة طويلة من الزمن كل هذا أضر بمصلحة الدولة وعرقلة تسيرها وتقدمها.⁽⁵⁾

هكذا إذن كانت الأوضاع في مملكة بيت المقدس في عهد بلدوين الثاني (1118م-1131م)، الذي أصبح ملكا عليها بعد وفاة عمّه بلدوين الأول ، وقد كان قبل أن يصبح ملكا

(1)- باركر (أرنست) ، نفس المرجع ونفس الصفحة.

(2)- محمود (السيد) ، نفس المرجع ،ص.119-120.

(3)- نفس المرجع ،ص.120.

(4)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، المرجع السابق ،ص.320 .

(5)- النقاش (زكي) ،المرجع السابق ، ص.036-37.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

أمير الرها في شمال سورية تابعاً لبلدوين الأول ، ثم عين ابن عمته جوسلين أميراً عليها ، الذي بدوره سقط أسيراً بيد التركمان عام 1122م ، مما اضطرّ بلدوين الثاني على تولي إمارة الرها ، إلا أنه وقع أسيراً بيد التركمان بعد أن أبيد جيشه في موضع كركر على نهر الفرات ، وقد احترم التركمان أسيرهم و أحسنوا معاملته ، فظلّ بلدوين الثاني أسيراً إلى أن أفرج عنه في نهاية عام 1124م ، مقابل فدية مقدارها مائة ألف بيزانت ، وعاد إلى بيت المقدس في أوائل أبريل عام 1125م ، الأمر الذي أفقده هيئته وانجرّ عن ذلك بداية تدهور الأوضاع الداخلية ثم تدهورت الأوضاع الخارجية، وعندما أحسّ بدنو أجله، استدعى ابنته وزوجها فولك ، وأمر النبلاء بقبولهما ملكين، وتمّ تتويجهما في 4 أيلول من عام 1131م .

(2)- المملكة الصليبية في الفترة الثانية من الحكم الصليبي:(فترة الضعف 1131-1187م):

أ- أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية عهد الملك فولك الأنجوي إلى عهد الملك بلدوين

الثالث(1131م -1162م)

1-الحياة الاجتماعية في المملكة عهد الملك فولك الأنجوي ::

عند اعتلاء فولك الأنجوي من (1131-1143م) العرش اندهش لما آل إليه حال المملكة من الفوضى التي لمست مختلف النواحي منها الاجتماعي والسياسي الاقتصادي - السالفة الذكر- بسبب تعدد الجنسيات واللغات والديانات خاصة بين الكاثوليك والأرثوذكس كذلك عرف السكان انقساماً بين عدّة أطراف كولاء الفرسان لرؤسائهم والبابوية وولاء السكان البسطاء إمّا للإمبراطورية البيزنطية أو لزعمائهم الروحانيين، هذا ما أدى إلى صعوبة وحدتها وتماسكها،⁽¹⁾ فرغم أنه تمّ تسوية خلافة بلدوين الثاني بالاعتراف الرسمي بابنته الكبرى ميلسندا (Mélisande) وزوجها فولك الأنجوي ملكاً في 14/09/1131م ، إلا أنّ هذا الأخير لقي صعوبة في تسيير المملكة بسبب كثرة معارضيهِ .⁽²⁾

(1)- أحمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق، ص.84.

(2)- ماير (اتش .إ.برهارد) ، المرجع السابق، ص.123.

2- الحياة السياسية في المملكة عهد الملك فولك الأنجوي :

صادف الملك عدّة مشاكل داخلية خاصة ما أصابه من خلافات مع زوجته ميلسندا و خلافات مع الإمارات اللاتينية الأخرى،⁽¹⁾ فقد رفض أمراء الإمارات الأخرى أن يرضوا به ملكا للمملكة، باعتبار أنه غريب عن الصليبيين، لذا فقد اشتدّ الخلاف بين هؤلاء في هذه الفترة فقد رفض بونس (Ponce de Tripoli) أمير طرابلس و جوسلين الثاني (Jocelin II de Courtenay) أمير الروها تأدية طاعتها له فعمدا على تدبير مؤامرات ضدّه.⁽²⁾

بالإضافة إلى أنّ حالة الإمارات الأخرى لم تكن أحسن حال من حال مملكة بيت المقدس إذ كانت تلك الإمارات، الرها، أنطاكيا و طرابلس في أيدي زعماء متنازعين لحد أن وصل البعض لعقد تحالفات مع المسلمين،⁽³⁾ فبينما كانت تلك الأوضاع المشحونة تسود بيت القادة الصليبيين كانت الجبهة الإسلامية تشتد وتقوى حول الصليبيين.⁽⁴⁾

كما أن الوضع وصل أشده بعد موت بوهمند الثاني 1130م ، هذا عندما آلت إمارته التي حسب ذلك القانون الفرنجي الذي يقضي حق الأميرة في تولية العرش بعد وفاة والدها تحت وصاية أرملة هذا ما عرف بتجربة حدائة السن ،⁽⁵⁾ فقد تزعمت أرملة أليس (Ellice) حزبا يؤيدها لتحصل على عرش المملكة تلك المرأة الأنانية الضعيفة الرأي التي لا تحسن إلا تدبير

(1)- معلوف (أمين) ، الحروب الصليبية كما رآها العرب ، ط.1 ، تح. عفيف دمشقية ، بيروت، 1998م، ص.167.

(2)- مؤنس (حسين) ، نور الدين محمود، ط.1، القاهرة ، 1378هـ/1958م، ص.156-157.

(3)- النقاش (زكي) ، المرجع السابق، ص.32-33.

(4)- شلبي (أحمد) ، موسوعة الحضارة الإسلامية ، مطابع الرجوى ، القاهرة، 1973م ، ص.452.

(5)- باركر (أرنست) ، المرجع السابق، ص.70.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

المؤامرات - حسب وصف الكثير من المؤرخين لها- عمدت إلى التحالف مع أمراء الإمارات الأخرى ضد الملك فولك الأنجوي. (1)

كما سعت بشتى الوسائل لتزويج ابنتها الأميرة كونستانس (Constance) من ابن الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنين (Manuel I^{er} Comnène 1143-1180م) والهدف كسب تأييد الإمبراطور، (3) وعندما كشف الملك خطتها أرغمها على التنازل عن أنطاكيا كلياً، (2) كما راسلت عماد الدين زنكي صاحب حلب والموصل من جهة ، ومن جهة ثانية عمل أمير طرابلس وأمير الروها بإشعال ثورة داخلية في أنطاكيا لتقويض سلطتهم هناك في الوقت الذي كانت فيه العناصر الإسلامية تهدّدهم من كل جهة. (4)

3-الحياة العسكرية والعلاقات مع المبراطورية البيزنطية :

وفي سنة 1131م وقع خلاف كبير بين الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثاني (Jean II Comnène le Beau 1118-1143م) و رايموند دي بواتيه (Raymond de Poitiers) ، حول مصير شيزر بعدما رفض هذا الأخير أي اتفاق مع الإمبراطور، (5) هذا ما أدى إلى تدهور العلاقة بينهما، فعمل الإمبراطور لأخذها بالقوة ولم يقف رايموند دي بواتيه مكتوف الأيدي بل لجأ بدوره لإحداث فوضى دينية داخلية في أنطاكيا بين الأرثوذكس و الكاثوليك ، (6) فنتج عنها مجزرة فضيعة راح ضحيتها الكثير في الوقت الذي سعت فيه الإمبراطورية بكل قواها لاستعادة أنطاكيا وبيت المقدس. (7)

(1)- مؤنس (حسين) ، المرجع نفسه، ص.179-180.

(2)- ماير (إتش.إبرهارد) ، المرجع السابق، ص.218.

(3)- رنسمان (ستيفن) ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج.2 ، ط.1، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1968م ، ص.300-301.

(4)- أحمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق، ص.84.

(5)- ماير (إتش.إبرهارد) ، نفس المرجع ، ص.217-219.

(6)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.2، ص.315-318.

(7)- أحمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق، ص.84.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

كان لغياب الوفاق والوحدة بين معظم القادة الصليبيين وتغلب الأطماع الذاتية على الصالح العام عاملاً هداماً لكيانها، ذلك أن تلك الخلافات والمنازعات زادت حداثتها أكثر في هذه الفترة،⁽¹⁾ كما أن غياب المقومات الحقيقية والحكومات الشرعية للدولة والتوتر الذي أصاب الإمارات الأخرى خاصة ما شاهدناه بين أنطاكيا ومملكة بيت المقدس كان عاملاً آخر ساهم في ضعف المملكة وقد كانت تلك العوامل تنتشر في المجتمع الصليبي منذ البداية رغم الدعوة المستمرة للوحدة.⁽²⁾

4- الحياة الاقتصادية في المملكة عهد الملك فولك الأنجوي ::

عمد فولك الأنجوي حوالي سنة 1140م إلى تشييد القلاع على الطرف الجنوبي للمملكة، فأمر بتشيد قلاع ضخمة،⁽³⁾ لصد الهجمات المصرية من عسقلان،⁽⁴⁾ فقام بتشيد حصن بينة ثم بلنشقارد (Blanchegarde) وحصن شيديه في بيت جبريل (Beth-Gibelin)، واتخذ نفس الخطوات في شمال بيت المقدس.⁽⁵⁾

أما سياسة فولك الأنجوي التجارية يقول ستيفن رنسمان "... فقد حافظ على التزاماته مع المدن الإيطالية، وعقد معاهدة سنة 1136م مع تجار مرسليليا، يؤدي بمقتضاه 400 دينار من خراج يافا، لتنفق في صيانة ما لتجار مرسليليا من منشآت بمملكة بيت المقدس".⁽⁶⁾

-
- (1)- فيشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، تح: مصطفى زياد والسيد الباز العريني، القاهرة، مصر، 1950م، ص. 183.
- (2)- نفسه، ص. 183-185.
- (3)- Grouset (R.), op.cit., T.II, p.154-155.
- (4) - رنسمان (ستيفن)، المرجع السابق، ج. 2، ص. 368.
- (5)- نفسه، ج. 2، ص. 369.
- (6)- رنسمان (ستيفن)، نفس المرجع، نفس الجزء، ص. 375.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

لم تشهد أيام فولك انجازات لصالح مملكة بيت المقدس بسبب نشاطات عماد الدين الزنكي الذي صرف جهوده نحو الروها بعدما أخفق أمام دمشق. كما شهدت فترة حكم فولك مشاكل كنسية كثيرة .

وفي 1143م تعرض فولك لحادث عن طريق سقوطه عن جواده مما أودى بحياته ، وأعلن بعده بلدوين الثالث ملكاً خامساً على عرش المملكة . وبموجب قانون وراثته العرش في مملكة بيت المقدس ، ينتقل الحكم إلى أكبر الإناث في حال عدم وجود ذكور، شرط أن تكون متزوجة وتحكم مناصفة مع زوجها.، وكانت ميليسندا الشخصية التي توفرت فيها هذه الشروط. فحكمت مناصفة مع زوجها فولك - كما سبق ذكره- حتى وفاته عام 1143م ثم استمرت كملكة وصية على عرش ابنها بلدوين الثالث حتى عام 1153م.⁽²⁾

*-المملكة الصليبية عهد الملك بلدوين الثالث بين (1143-1162م):

بعد وفاة والده فولك تولى الحكم بلدوين الثالث عند بلوغه سن الرشد. و في عهده وصلت الحملة الصليبية الثانية إلى القدس وانضمت إليها جيوش مملكة بيت المقدس بقيادة الملك بلدوين الثالث وهاجمت دمشق وهزمت وفشلت،⁽³⁾ وكان على خلاف دائم مع أمه الملكة "ميليسندا".

1-الحياة السياسية عهد بلدوين الثالث :

توفرت في بلدوين الثالث محاسن كثيرة في نظر الفرنجة ، وكان أول ملك لبيت المقدس

(1)- (ستيفن) رنسمان ، المرجع السابق ، ج.2 ، ص.375

(2)- بين منقذ (أسامة) ، المصدر السابق ، ص.182

(3)- طقوش (محمد سهيل) ، تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق) ، ط.1، دار النفائس للطباعة والنشر

والتوزيع- بيروت ، 2011م، ص. 314 .

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

الذي ولد في البلد - أي طفل الأرض المقدسة -⁽¹⁾ وعرف بمعرفته للأمور السياسية وأمور الحكم الملكي ، إلا أنه أراد أن يتخلص من وصاية أمه عليه لذلك صمم في عيد الفصح عام 1151م على تنويع نفسه متفرداً دون أمه التي طالبها بعزل نفسها ،⁽²⁾ لكنها رفضت واعتصمت في برج داوود، ثم تمّ التوصل إلى تسوية قضت أن تأخذ الأم القدس و نابلس، وأن يأخذ بلدوين الثاني صور و عكا ، ولكن لم يدم الاتفاق طويلاً حيث قبض بلدوين الثاني على أمه وأجبرها على التخلي عن القدس له و اقتنعت بإقطاعها في مدينة نابلس .⁽³⁾

2- الحياة العسكرية عهد بلدوين الثالث:

عانت المملكة الصليبية زمن بلدوين الثالث من نقص في القوات العسكرية بسبب قلّة الحملات الصليبية ، وقلّة في هجرة الحجاج اللاتين إلى بيت المقدس، خاصة بعد إخفاق الحملة الصليبية الثانية، واعتمد الملك بلدوين الثالث من ناحية أخرى في حماية المملكة والإمارات الصليبية على الداوية الاستبارية ، وهي الجماعات الدينية التي لعبت دوراً رديء السمعة في عسقلان.⁽⁴⁾

شهدت العلاقة بين نور الدين ومملكة بيت المقدس عهد بلدوين الثالث ، تفاوتاً كبيراً في ظل التنافس على التوسع ، إلى جانب الحروب، أبرمت عدة هدن غالباً ما كانت قصيرة بين الطرفين، أولها كان عام 549هـ/1155م ولمدة عام وفي العام التالي ، تجددت الهدنة فتم إرسال قطيعة للصليبيين قدرها ثمانية آلاف من الدنانير السورية، لكن بلدوين الثالث لم يلتزم ببندوها

(1) - Grouset (R.) ,op.cit. ,T.II ,p.300-301.

(2) - Idem., p.301.

(3) - Mayer (I.) . , op.cit. ,p .108-111.

(4) - رمضان (أحمد) ، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة، 1977، ص.78-79.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

وذلك بمهاجمته مراعي بانياس . كذلك فقد عقدت معاهدة بين الطرفين لمدة عامين في 1160م .
و في عام 564هـ/1170م اتجه نور الدين إلى عقد هدنة مع الملك عموري الأول ، و
عقدت هدنة أخرى ومدتها قصيرة ثلاثة أشهر عام 567هـ/ 1173م.⁽¹⁾

خلف الملك بلدوين الثالث أخوه أموري الأول ، لأنه توفي مسموماً بعد تناوله لدواء وصفه
له طبيب جاء من طرابلس ، والذي كان حاكمها يرغب في الانتقام منه ، فتوفي في شباط
1162م.⁽²⁾

ب- أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية عهد الملك عموري الأول إلى عهد ابنه بلدوين

الرابع (1162م-1185م)

تسلم عموري الأول أو أمالريك الأول ابن فولك الأنجوي حكم مملكة بيت المقدس بعد
وفاة أخيه بلدوين الثالث عام 1162م ، وكان عموري خصماً شديداً لحرية الكنيسة ،⁽³⁾ وكان
جشعاً بشكل لا يليق بملك ، وقد شغل منصب كونت (Comte) يافا ، كما منحه أخوه بلدوين
الثالث عسقلان، وتزوج من ابنة كونت الروها جوسلين الثاني ثم طلقها ، بسبب معارضة
بطريرك القدس لوجود قرابة بين الملك وزوجته من الدرجة الرابعة تحرم زواجهما خلف من
زوجته الأولى ابنة اسمها سيبيللا (Sibyle d'Anjou) ، و ولد هو بلدوين الرابع (
المجنوم).⁽⁴⁾

(1)- الصلابي (علي) ، الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والصليبي، ص.482.

(2)- براور (يوشع) ، الاستيطان الصليبي في القدس: مملكة بيت المقدس اللاتينية، تح. عبد الحافظ البناء، دار عين للنشر
والدراسات، الزقازيق 2001، ص.29-30.

(3)- باركر (أرنست) ، المرجع السابق، ص.80.

(4)- غيبون (إدوارد) ، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، نقله: سيد أمير علي، القاهرة - مصر، 1938م، ص.279.

الفصل الثالث = المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

1- الحياة السياسية عهد الملك أمالريك الأول :

بعد وفاة الملك بلدوين الثالث سنة 1162م خلفه في المدينة المقدسة أخوه الوحيد عموري والمعروف أمالريك. و حكم أحد عشر عاما و خمسة أشهر⁽¹⁾.

2-الحياة العسكرية عهد أمالريك الأول :

من أهم أعمال عموري الأول تمثل في عقد حلف مع الإمبراطورية البيزنطية لشن حملة على دمياط ، حيث اتفق الملك أمالريك الأول والإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنين على شن الهجوم على مصر واقتسامها مناصفة ، وبناءً عليه توجهت القوات البيزنطية بقيادة أندرنوبول (Andrinople) نحو دمياط للاستيلاء عليها و منها السير لغزو القاهرة ، لكن دمياط نجحت في رد الهجوم بفضل ما بذله صلاح الدين الأيوبي^(*) من جهود للدفاع عنها ،^(**) انسحب الأسطول البيزنطي وعاد إلى الإمبراطورية البيزنطية ، وفي الطريق تعرض لعاصفة ففقد عدداً كبيراً من السفن ، وبعد ذلك انسحب أمالريك الأول بعد حصار دام شهرين ، ثم اتجه نحو القسطنطينية وجدد الاتفاقية مع مانويل الأول كومنين من أجل شن حملة جديدة على

(1)- براور (يوشع) ، الاستيطان الصليبي في القدس: مملكة بيت المقدس اللاتينية، تح: عبد الحافظ البنا، دار عين للنشر

والدراسات، الزقازيق، 2001، ص.29-30.

(*)- الملك الناصر أبو المظفر صلاح الدين والدنيا يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب الثويني التكريتي (532 - 589هـ/1138-1193م) المشهور بلقب صلاح الدين الأيوبي قائد عسكري أسس الدولة الأيوبية التي وحدت مصر ، الشام ، الحجاز ،تهامة واليمن في ظل الراية العباسية ، وروي أن عبد القادر الجيلاني دعا له عندما رآه بالبركة فيه ، خلال "زيارة خفية" لنجم الدين أيوب وأسرته ببغداد سنة 533 هـ/1138م ، وهذا يفسر أتباعه الطريقة القادرية فيما بعد ، وبعض العلماء كالمقرئزي، وبعض المؤرخين قالوا: إنه كان أشعرياً، وإنه كان يصحب علماء لصوفية الأشاعرة لأخذ الرأي والمشورة، وأظهر العقيدة الأشعرية يشتهر صلاح الدين بتسامحه ومعاملته الإنسانية لأعدائه، لذا فهو من أكثر الأشخاص تقديراً واحتراماً في العالمين الشرقي الإسلامي والأوروبي المسيحي، حيث كتب المؤرخون الصليبيون عن بسالته في عدد من المواقف ، أبرزها عند حصاره لقلعة الكرك في مؤاب ، وكنتيجة لهذا حظي صلاح الدين باحترام خصومه لا سيما ملك إنكلترا ريتشارد الأول قلب الأسد، وبدلاً من أن يتحول لشخص مكروه في أوروبا الغربية ، أصبح رمزاً من رموز الفروسية والشجاعة ، وورد ذكره في عدد من القصص والأشعار الإنكليزية والفرنسية العائدة لفترة الحروب الصليبية. أنظر :- ابن خلكان ،وفيات العيان و انباء أبناء الزمان ، ج.7، دار صادر ،بيروت ،1994م ، ص.152. ؛ ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل)، البداية والنهاية، ج.16، بيروت ،1968م، ص. 440. ؛ Riley –Smith(J.) ,The Oxford History Illustrated of the Crusades , Oxford University Press , Oxford ,2001, p.366 ، العليكي ، بهيج عثمان ، المصور في التاريخ ، ج.6 ، دار العلم للملايين ، بيروت ،د.ت. ،ص.36.

(**)- كما سيذكر لاحقاً.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

مصر، لكن الأيام لم تسعفه للقيام بذلك.

(*)- المملكة عهد الملك بلدوين الرابع (1174م-1185م):

توفي أمالريك سنة 1174م فخلفه ابنه المريض بلدوين الرابع سنة 569هـ/1174م ، وكان طفلا مريضا بالجذام والبرص وسمي بالمجذوم فتولى الوصاية عليه رايmond الثالث أمير طرابلس ، وقد ألف بين الحكام الصليبيين .⁽¹⁾

1-الحياة الساسية للمملكة عهد الملك بلدوين الرابع:

كان لبلدوين الرابع أختا جميلة هي سيبيللا (Sibylle)، وهي الابنة الكبرى لأمالريك الأول ، كانت قد تزوجت وليم مونتفرات (Guillaume de Montferrat) أو (همفري الرابع) الذي توفي سنة 1177م ، بعد أن أنجبت سيبيللا منه بلدوين الخامس (1185م-1186م) توفي وهو طفلا .

قضى بلدوين الرابع طفولته وصباه في قصر أبيه بالقدس ،وقد أسند أمالريك مهمه تعليمه إلي المؤرخ وليام الصوري، الذي كان أول من اكتشف إصابته بمرض أثناء لعبه مع بعض الأطفال ولكنه لم يدرك كنه هذا المرض إلا بعد سنوات وتبين انه الجذام حين اتخذ صورته الكاملة .⁽²⁾ و تولى بلدوين الرابع حكم مملكة القدس وهو ابن 13 عام وكان ريموند الثالث ابن عم أمالريك حاكم طرابلس وصيا شرعيا عليه .

أبرم ريموند معاهده صلح مع صلاح الدين الأيوبي في عام 569هـ/1175م عامين قبل

(1)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج.11، بيروت ، 1966م ، ص.527.

(2)- Guillaume de Tyre , **Histoire des croisades** ,éd. Histoire Collection, Dans Guizot, : Collection des mémoires relatifs a l'histoire de France, 1824,p.1004,1006,1035.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

بلوغ بلدوين الرابع السن الذي يسمح له بأن يتولى فيه مهام ملكه رسمياً.

2- الحياة العسكرية للمملكة عهد بلدوين الرابع :

عند وصول بلدوين الرابع للحكم ، لم يلتزم بمعاهدة رايموند الثالث مع صلاح الدين الأيوبي وقام بغارات علي دمشق وسهل البقاع . ثم خطط بلدوين الرابع للهجوم على مصر ، مركز قوة صلاح الدين الأيوبي ، لذلك أرسل رينولد دي شاتيون (Renaud de Chatillon) إلى الإمبراطور البيزنطي امانويل الأول للحصول على دعم البحرية البيزنطية. وفي هذا الوقت وصل فيليب فلاندرز (Philippe de Flandres) ابن عم بلدوين الرابع في حملته صليبية.⁽²⁾ وفي نوفمبر 571هـ/1177م هزم الملك بلدوين الرابع صلاح الدين الأيوبي في معركة تل الجزر قرب الرملة انسحب على إثرها صلاح الدين إلي مصر.⁽³⁾

لكن فترة الانتصار هذه لم تكن لتستمر ، إذ توالى الهزائم علي بلدوين الرابع إثر إغاراته علي بانياس علي يد فروخشااه ابن أخ صلاح الدين، وأيضا إغاراته على نهر الليطاني في مواجه صلاح الدين والتي هرب منها بلدوين الرابع بصعوبة ، واسر في هذه المعركة رئيس فرسان المعبد (Grand Maître) ، بلدوين ايبيلين (Baudouin d'Ibelin) و هيو تبرياس (Hugues de Tiberias) أحد أبناء زوجة رايموند الثالث حاكم طرابلس.⁽⁴⁾

(1)- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.11 ، ص.627.

(2)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.2 ، ص.669.

(3) - . p.34 , Mas Latrie , Paris , éd.; Chronique d'Ernoul et de Bernard le Trésorier , Ernoul

(4)- رنسمان (ستيفن) ، نفس المرجع ، ج.2 ، ص.677.

(5)- نفسه ، ص.691.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

سعى بلدوين الرابع لزواج ثانٍ لشقيقته من أحد البارونات المقربين منه ، وهو ووليم دي السيف الطويل (Guillaum le Grand) ؛ تزامن هذا مع عودة الحروب مع صلاح الدين الأيوبي إثر خرق كونتية طرابلس للهدنة المبرمة بهجوم شنته على حماة ؛ فاندلعت المعركة بين الطرفين ، أين أثبت بلدوين الرابع أنه يصلح كقائد عسكري رغم مرضه ، إذ استطاع الانتصار على صلاح الدين الأيوبي في 571هـ/سبتمبر 1177م ؛⁽¹⁾ ثم قرر الملك حينها تزويج أخته من هيو الثالث القادم من فرنسا، غير أن الاضطرابات التي شاهدها فرنسا بين عامي 1179م - 1180م حالت دون مجيء هيو الثالث (Hugue III duc de Bourgogne) في أعقاب وفاة لويس السابع (Loui VII le Jeune 1137-1180م) ، مقابل ذلك كان آل إيبيلين ومعهم الحزب المعارض لسياسة أغنس دي كورتنيه (Agnès de Courtenay) - زوجة أمالريك - يسعيان لعقد زواج سبيلا من باليان الإيبيليني (Balian d'Ibelin) ، لكن أغنس سارعت لعقد زواج ابنتها سبيلا من غي دو لوزنيان (Guy de Lusignan) القادم حديثاً من فرنسا وبذلك أزيح ثقل آل إيبيلين وكذلك نفوذ بوهيموند الثالث، صاحب طرابلس .⁽²⁾

في عام 1184م قام بلدوين الرابع بتعيين ابن أخته ذو خمس سنوات بلدوين دي مونتفيرات (Baudouin Montferrat) ولي عهده وبعدها بعام قام بتعيينه مساعده له . و في ربيع 1185م مات بلدوين الرابع وتولي ولي عهد صاحب الخمس سنوات باسم بلدوين الخامس بوصايه رايموند حاكم طرابلس . تزوجت سبيلا لمرّة أخرى من فارس فرنسي وسيم هو غي دي لوزنيان سنة 1180م ، وقد أصبح هذا المغامر وصيا على مملكة بيت المقدس بحكم هذا الزواج ، و بعد وفاة بلدوين الخامس أصبح لوزنيان ملكا سنة 1186م .⁽²⁾

(1)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج. 2 ، ص. 663-664.

(2)- Guillaume de Tyre ,op.cit. , p.1008.

(3)- ماير (هانس أبرهارد) ، المرجع السابق، ص. 182.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

(ج) - أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية من وفاة الملك بلدوين الرابع إلى معركة حطين:

يعتبر تتويج غي دي لوزينيان على عرش مملكة بيت المقدس، انتماءا للوعد الذي قطعه لوزينيان على نفسه لريموند صاحب طرابلس في حالة وفاة بلدوين الخامس،⁽¹⁾ دون أن يترك وريثا لا يقرر ولا يحكم إلا البابا والإمبراطورية وملكا انجلترا وفرنسا،⁽²⁾ وقد ترتب عن هذا أن ازداد الانقسام في الجبهة الصليبية، بحيث أصبح هناك جبهتان، جبهة تضم سيبيللا وزوجها لوزينيان ومن معها من الصليبيين، وهؤلاء يرون أن المبادرة تكون لمواجهة حرب صلاح الدين والمسلمين،⁽³⁾ أما الجبهة الثانية التي تضم رايوند الثالث ومن معه، والذين يفضلون السياسية السلمية نظرا لإحساسهم بالضعف الذي أصابهم جميعا والانقسام الذي أصبح ظاهرا في مجتمعهم، لدرجة أن رايوند الثالث راسل صلاح الدين الأيوبي، وطلب منه المساعدة على بلوغ غرضه من الفرنجة،⁽⁴⁾ ووافقه جموع من الصليبيين. فاختلفت كلمتهم وتفرق شمل الصليبيين ومكث رايوند في طبرية وظهر بمظهر المتمرّد على مملكة بيت المقدس. ويبدو أن لجوء رايوند الثالث إلى صلاح الدين كان بسبب غضبه الشديد لاعتلاء لوزينيان عرش مملكة بيت المقدس بعد زواجه من سيبيللا، ولكن رايوند أحق منه بذلك الملك، أضف إلى ذلك مطالبته له بتقديم كل النفقات التي أنفقها حينما كان وصيا على الطفل بلدوين الخامس ابن سيبيللا،⁽⁵⁾ وهذا ما اعتبره رايوند إهانة لشخصه.⁽⁶⁾

(1)- Balard (M.), op.cit. , p.86.

(2)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج.11، ص.527؛ ماير (هانس إبرهارد)، المرجع السابق، ص.182.

(3)- Ernoul, op.cit. , p129. وللمزيد ارجع: - باركر (أرنست)، المرجع السابق، ص.81-82.

(4)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج.11، ص.527.

(5)- المقدسي (شامة شهاب الدين)، الروضتين في اخبار الدولتين: النورية والصلاحية، ج.1، ط.1، الهيئة المصرية،

القاهرة، 1962، ص.74.

(6)- رنسمان (ستيفن)، المرجع السابق، ج.1، ص.766.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

مما سبق: هناك سببين رئيسيين كانا نقطة تحول في مصير مملكة بيت المقدس الصليبية وهما :
الأول يتعلق بتعمد زواج الوريثات لمملكة بيت المقدس وانتقال الملك إلى الأزواج الذين لا صلة لهم بالمملكة وما ترتب على ذلك من تداخل وتمازج في حقوق الوراثة ، كما أنّ زواج سبيلا من غي دي لوزينيان هو الذي قرر المصير المحتوم للمملكة الصليبية . أما السبب الثاني : فيتمثل في نظام الانتخابات في الإمارات الصليبية وما نتج عنه من أحقاد وزيادة المنازعات بين الأسر الحاكمة .⁽¹⁾

(*)- علاقات ملوك بيت المقدس الخارجية:

كان للمملكة الصليبية في بيت المقدس علاقات مع كل من المسلمين والبيزنطيين واللاتين .

1- علاقات ملوك المملكة الصليبية مع الخلافة الإسلامية :

ترتكز سياسة فولك الإنجوي مع المسلمين على أساس الدبلوماسية، وهذا باستغلال بعض حكام المسلمين الغير المنخرطين تحت لواء دعاة الوحدة الإسلامية، بل فضلوا قيام ممالك خاصة بهم، مثل أتاكية دمشق، أو إمارة شيزر .⁽²⁾

و في هذه الفترة عرف المسلمون صحوة خاصة خلال فترة تولي بلدوين الثالث ، الأمر الذي أدى بهم إلى تغيير طبيعة العلاقات مع المسلمين، فعلاقة الملك الصليبي بأتابكية دمشق أخذت بعدين، أحدهما سلمي ، وآخر عدائي.⁽³⁾ فأما عن العلاقات السلمية، قد بدأت من جانب

(1)- المقدسي (شامة شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ج.1 ، ص.74.

(2)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.2، ص.311-314.

(3)- نفسه ، ص.385.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

أتابك دمشق معين الدين أنر عندما الذي أصبح حاكما يخشى على أتابكته من أمراء حلب خاصة عماد الدين زنكي و نور الدين محمود ،⁽¹⁾ الأمر الذي دفعه للاستعانة بالملك الصليبي فولك الإنجوي ضد عماد الدين زنكي سنة 534هـ -535هـ /1139م-1140م ، ونظرا لتخوف الصليبيين من عماد الدين و نور الدين ،⁽²⁾ عقدوا التحالف مع المسلمين 534هـ /1139م .

و توج في الأخير بزيارة الأمير أنر لبيت المقدس وحضي باستقبال حار من طرف ملك بيت المقدس . وكان الملك فولك يسعى لتحقيق هدفين رئيسيين وهما : ان يقنع الملك الأمراء الصليبيين بهذا التحالف ،⁽³⁾ والثاني أن يثبت لعماد الدين أن جمع شمل المسلمين أمر صعب تحقيقه ، خاصة وأن أتابكية دمشق ، تمثل خط الدفاع الأول عن بيت المقدس ناحية الشمال .⁽⁴⁾

غير أنه سرعان ما انقلبت الأوضاع وتبدلت الأحوال، وتحولت سياسة الود بين المملكة ودمشق ، إلى سياسة عدوانية من قبل المملكة اتجاه دمشق 542هـ/1147م ، وهذا عندما وصلت الحملة الصليبية الثانية إلى الشام ، بهدف استرداد الروها، الأمر الذي دفع بالملك بلدوين الثالث ، وأمه مليسندا إلى عقد مجلس صليبي في عام 543هـ/1148م ، وهذا بتوجيه الحملة إلى دمشق بدلا من الروها ، وهذا يعتبر خرقا صريحا للاتفاقية التي تمت بين أمير دمشق وملك بيت المقدس ،⁽⁵⁾ غير أن فشل الحملة على دمشق ، أدى بأمر دمشق أنر إلى معاودة التحالف مع الملك بلدوين الثالث سنة 544هـ/1149م ، يستمر لمدة سنتين ،⁽⁶⁾ كما منح هذا التحالف

(1)- بن منقذ (أسامة) ، الاعتبار، ص.64-65.

(2)-ابن العديم ، زبدة الحلب، ص.273-274.

(3)-ابن الأثير ، الكامل، ج.11، ص.73-74.

(4)-ابن واصل، مفرج الكروب، ج.1، ص.85-86.

(5)- William Of Tyre ,A History of the Done Beyond the sea ,vol .II ,New York ,1943,p.147.

(6)- أبو المحاسن، النجوم الزاهرة ، ج.5، ص.40.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

للملك الصليبي إلى تهديد الأعمال الحوارية والتابعة للموصل.⁽¹⁾

أصبحت أتابكية دمشق ، أشبه ما تكون تحت النفوذ والحماية الصليبية، وصار أهل دمشق يدفعون ضريبة سنوية،⁽²⁾ مقابل حماية المملكة الصليبية للأتابكة ضد أمير حلب "نور الدين محمود"، هذا الأخير استطاع أن يهزم جيوش الفريقين فقرر الأتابكة الدخول تحت طاعة نور الدين، والصلح معه سنة 546هـ/1151م.⁽³⁾

نتيجة لسياسة التقارب بين مملكة المقدس اللاتينية وأتابكية دمشق، أن تأخرت الوحدة الإسلامية التي سعى من أجلها الأتابك "عماد الدين زنكي، ومن بعده ابنه نور الدين .⁽⁴⁾ والنتيجة الثانية بينت النوايا السيئة للملك بلدوين الثالث الحقيقية اتجاه دمشق، والتي كانت هدفا من أهداف ملوك بيت المقدس، منذ قيام المملكة الصليبية، وأن الاستيلاء عليها أمر لا يقل أهمية عن عسقلان في جنوب المملكة.

أمّا عن علاقة حكام بيت المقدس بإمارة حلب ، فيمكن القول بأنه بعد أن تولى بلدوين الثالث العرش ، لقي الإمبراطور البيزنطي يوحنا كومنين (Jean II Comnène le Beau 1118م -1143م) حتفه أثناء رحلته إلى الشام ، والذي خلفه ابنه الصغير مانويل الأول كومنين ، وقد كان لهذه الأحداث ، بالإضافة إلى اشتداد الخلاف والجفاء بين أمير أنطاكية ريموندا بواتية ،

(1)- الأندلسي (ابن جبير الكناني) ، رحلة ابن جبير ، دار صادر،بيروت ، دبت، ص.222.

(2)- ابن القلانسي، نفس المصدر، ص.309

(3)-ابن القلانسي، نفس المصدر، ص.316.

(4)- ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ، تح: عبد القادر أحمد طلبيمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1963،

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

وكونت الرها جوسلين الثاني ، فقد تفتن عماد الدين زنكي للاستيلاء على الروها، لأنها كانت عقبة في طريقه ، مهددة حلب والموصل .⁽¹⁾

أمّا عن موقف مملكة بيت المقدس اتجاه الرها، فإن الملك بلدوين الثالث وأمه مليسندا- القائمة بأمر الوصاية - استجابا لنداء كونت الروها ، وأرسل على الفور جيشا لإنقاذ الرها ،⁽²⁾ غير أن جيشهم وصل متأخرا، ففتحت الرها في 539هـ/ 23 ديسمبر 1144م .⁽³⁾

استغل نور الدين محمود الموقف المتناقض من جانب مملكة بيت المقدس وأتابكية دمشق ، فوثق علاقته مع أنر، هذا الأخير عرض ابنته على نور الدين ، الذي كان يهدف إلى إفساد المعاهدة بين دمشق ومملكة بيت المقدس، وضم أتابكية دمشق إلى دولته .⁽⁴⁾ فأرسل معين الدين أنر تحذيرات إلى بلدوين الثالث من سياسته ، غير أن هذا الأخير لم يأبه، بل وأكثر من هذا خرج بلدوين الثالث بجيشه صوب حوران عام 541هـ/1147م . فطلب أنر المساعدة من نور الدين، فاستجاب لطلبه وهزم الصليبيون ،⁽⁵⁾ وبذلك ازدادت قوة المسلمين .⁽⁶⁾

الواقع أن الصليبيين قد خسروا أمرين من حملة بلدوين الثالث على حوران وهما: تحالفهم مع دمشق، وهو الأمر الذي عمل فولك الإنجوي دون هوادة للحفاظ عليه ، حتى يقطع الصلة بين الإمارات الإسلامية وآل زنكي ، و الثاني فقدان حكام مملكة بيت المقدس لتحالف أتابكية

(1)- ابن القلانسي، المصدر السابق، ص.314-315.

(2)- الجنزوري (علية) ، إمارة الرها الصليبية ، القاهرة ، 1986م ، ص.305.

- ابن الأثير، الكامل، ج.11، ص.98-99. ؛ ابن الأثير : الباهر، ص.69.

(4)- أبو شامة (عبد الرحمان) ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ج.2 ، واد النيل ، القاهرة ، 1288هـ ، ص.130-131.

(5)- ابن القلانسي، المصدر السابق، ص.289.

(6)- حبشي (حسن) ، نور الدين والصليبيون ، ص.44.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

دمشق .

إن فشل الحملة الصليبية الثانية كشفت القناع عن حالة التردّي التي وصل إليها المجتمع الصليبي وحمّاقة القائمين بأمر المملكة الصليبية في سياستهم اتجاه جيرانهم المسلمين،⁽¹⁾ وزادت المسلمين تماسكا وتقاربا ، كما أن بعض الصليبيين قد تحالفوا مع المسلمين ضد الصليبيين ، وخير دليل مافعله ريموند الثاني كونت طرابلس مع أحد الصليبيين ويدعى برتراند (Bertrand) الذي حاول تنصيب نفسه أميرا على طرابلس بالقوة.⁽²⁾

عقب رحيل الحملة الصليبية عن أرض الشام ، زادت ثقة نور الدين بنفسه ، فظفر بعدة حصون إفريقية سنة 543هـ/1149م ، فرد عليه ريموند بواتيه ، وتمكن من هزيمة المسلمين واسترجاع أفامية،⁽³⁾ غير أن نور الدين لم يتقبل ذلك فاجتمع مع أنر والخليفة العباسي بهدف مساندة ضد ريموند بواتية ، واجتمعوا بالقرب من معرة النعمان، واصطدموا بجيش ريموند ، وتمكنوا من إنزال الهزيمة به ، ولم ينج منهم إلا قليل، وقتل ريموند في صفر 544هـ/1150م⁽⁴⁾ توفي أنر سنة 543هـ/1149م ، فاعتبر نور الدين نفسه مسؤولا عن المسلمين ، وجهادهم ضد الصليبيين .

وفي 547هـ / أبريل 1153م تزوجت الأميرة كونستانس من أرؤوناط ، فأصبح أميرا على أنطاكية بحكم زواجه من كونستانس ، على أن يمارس السلطة حتى يبلغ بوهيمند الثالث سن الرشد ، فاطمأن بلدوين الثالث على أنطاكية، واندفع بنفسه صوب جنوب المملكة لمحاصرة

(1)- حبشي (حسن) ، نور الدين والصليبيون، ص.55.

(2)- مؤنس (حسين) ، نور الدين محمود، ص.225.

(3)- ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص.100.

(4)- المقدسي (أبو شامة) ، المصدر السابق ، ص.58.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

لمحاصرة عسقلان والاستيلاء عليها⁽¹⁾.

شرع بلدوين الثالث في حصار عسقلان سنة 547هـ/1153م ، وتمكن من الاستيلاء عليها في 19 أوت 1153م ، ليحولوا جامعها إلى كنيسة تحمل اسم القديس بولس (Saint Paul) ، ورغم ذلك فقد امتدح ابن القلانسي سلوك الملك اتجاه أهل عسقلان ، إذ سمح لهم بالخروج سالمين⁽²⁾.

باستيلاء الملك بلدوين الثالث على عسقلان ، يكون الصليبيون قد بسطوا نفوذهم على ساحل الشام وفلسطين بأجمعه من اسكندرونة في الشمال حتى غزة في الجنوب، الشيء الذي حرم الفاطميين من قاعدة بحرية طالما استخدموها في مهاجمة الممتلكات الصليبية في فلسطين.

(2) - علاقات ملوك المملكة الصليبية مع ملوك بيزنطة:

تميزت العلاقة بين ملوك بيزنطة وحكام مملكة بيت المقدس بالتذبذب ، فتارة سلام وأخرى عداء سيئة ، فقد شهدت توقيع معاهدات بين حام بيت المقدس وملوك الإمبراطورية البيزنطية ، و حددت العلاقة خاصة بين إمارة أنطاكية والإمبراطورية البيزنطية ، كما أن الصراع قد اشتد عهد الإمبراطور البيزنطي أليكسوس كومنين وعلاقته المتوترة مع بوهمند الأول⁽³⁾، التي سادها الكره الشديد ، بحيث لم يقبل بوهمند بينود معاهدة ديفول ، والتي تتضمن أن يكون للإمبراطورية البيزنطية الحق في أنطاكية ، وقد تواصلت علاقة الجفاء بينهما

(1)- ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج.2 ، ص.301-305.

(2)- ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص.305.

(3)- الصوري (وليم) ، الحروب الصليبية (1094-1184م) ، تر:حسن حبشي ، بيت المصرية للكتاب ، 1991م ،

ص ص.394-395.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

في حقبة روجر ، غير أن الإمبراطور الكسيوس كومنين أراد إيجاد طريقة أخرى- غير القوة- عن طريق الزواج السياسي لضم هذه الإمارة ، لكنها باءت بالفشل.

بموت روجر الأنطاكي ، وتولي بوهمند الثاني حكم أنطاكية ، تبدأ في تاريخ العلاقات الصليبية البيزنطية فترة جديدة ومختلفة ، فقد تولى بلدوين الثاني عرش مملكة بيت المقدس (1118م-1131م) ، في نفس الوقت أيضا ، ورحب بفكرة استبدال العلاقات العدائية بين الصليبيين والبيزنطيين بعلاقات سلمية عن طريق الزيجات السياسية ،⁽¹⁾ خاصة بعد تولي يوحنا الأول كومنين عرش الإمبراطورية البيزنطية ، غير أن هذا الزواج لم يتم بسبب إصرار يوحنا على أن يتم مع ابنة روجر الأنطاكي ، وهذا للسيطرة على أنطاكية ، فعمد الملك بلدوين الثاني بعد توليه الوصاية على أنطاكية و بعد مقتل روجر عام 1126م ، بتزويج ابنته أليكس (Alix) من بوهمند الثاني للتحكم في أنطاكية.

اشتد الصراع بين الملك الصليبي فولك الإنجوي ، والإمبراطور يوحنا الأول كومنين حول عرش أنطاكية الشاغر ، فقام باستقدام ريموند بواتيه ، وتمكن من إقناع أليكس بضرورة الزواج من ريموند وتم ذلك عام 1136م ، الأمر الذي أغضب يوحنا ، واعتبر ذلك انتهاكا صريحا لسيادته على أنطاكية من قبل الصليبيين، وبدأ "ريموند" يستعد للتدخل عسكريا ،⁽²⁾ ولعل الضعف الذي كانت تعرفه المملكة أنداك ساهم في تشجيع يوحنا على الهجوم عليها عام 1137م، فلم نجد موقفا موحدا من قبل مملكة بيت المقدس أو الإمارات الأخرى ، الشيء

(1)- la Monte (J.), *Feudal Monarchy in the latin kingdom of Jerusalem* , New-York ,1970 , pp.254-255.

(2)- ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص.255-266.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

الذي أدى بريموند بواتيه لأن يلقي بنفسه بين ذراعي الإمبراطور البيزنطي ، وأعلن تبعيته له .

وبعد وفاة الملك فولك الإنجوي عام 1143م ، اعتلى عرش المملكة ابنه القاصر بلدوين الثالث تحت وصاية أمه مليسند .

عرفت المملكة حالة من الضعف والانقسامات ، الأمر الذي أدى بريموند بواتيه إلى الاستنجد بالإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنين ، لذلك قرر الذهاب بنفسه إلى القسطنطينية يلتمس منه المساعدة ، غير أن الإمبراطور لم ينس تمرده على أبيه ، فأصرّ على إذلاله ، ورفض مقابله ، إلا بعد أن ركع الأمير الصليبي ريموند ذليلاً عند قبر أبيه يوحنا الأول كومنين ، إلا أن ريموند لم يستفد من هذه الزيارة شيئاً، ولقي حتفه على يد نور الدين محمود ، بعد حصار قلعة أنب سنة 1149م .⁽¹⁾

تزوج الملك بلدوين الثالث أخته كونستانس من أحد الأمراء الصليبيين ، وهذا راجع إلى عدم رغبة الملك في تدخل الإمبراطورية البيزنطية في شؤون أنطاكية ، بينما كان الإمبراطور يسعى إلى كسب أنطاكية إلى صفه ،⁽²⁾ وفي الأخير تزوجت الأميرة من شاب فرنسي يدعى رينو دي شاتيون - أرناط - (Renaud De Châtillon) في ماي 1153م ، وتم هذا الزواج بمباركة الملك بلدوين نفسه باعتبار أن رينو من أتباعه ،⁽³⁾ وتخلص بذلك من أطماع البيزنطيين .

سارع الملك بلدوين الثالث إلى تغيير سياسته ، فاتجه إلى الإمبراطورية البيزنطية فبعث

(1)- نفسه ،ص.373.

(2)-ابن الأثير، الباهر ، ص.305.

(3)- ابن القلانسي ، المصدر السابق، ص.231-232.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

بسفراء إلى الإمبراطور مانويل الأول كومنين ، طالبا منه الصفح والغفران ، كما طلب منه يد أميرة بيزنطة ثيودورا (Théodora) ، لكي يؤكد حسن نواياه ، أعلن الملك بلدوين الثالث عزمه على إخضاع أرناط لطاعة الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول .

تم زواج الملك بلدوين الثالث من ثيودورا في سبتمبر 1158م .⁽²⁾ و ترتب عن هذا الزواج تأكيد السيطرة البيزنطية على أنطاكية بصفة خاصة، كما ظهرت هذه السيطرة أيضا على مملكة بيت المقدس ، وهذا برضاية كلية من الملك بلدوين الثالث والنبلاء الطين لم تعد لديهم قوة الاعتراض ،⁽³⁾ كما استفادة الصليبيون من المساعدات البيزنطية .

أراد الملك بلدوين الثالث من خلال مصاهرته لمانويل الأول كومنين ، الاستفادة من القوة العسكرية البيزنطية لمواجهة تهديدات نور الدين محمود من جهة ، والتخلص من أرناط من جهة أخرى .

في حين أن الملك بلدوين الثالث لم يترك الفرصة تمر دون أن يغتنمها ، ولذلك التمس من الإمبراطور مانويل تخفيف الشروط التي فرضتها بيزنطة على إمارة أنطاكية ، فطلب تخفيض عدد الوحدات العسكرية ، التي ألزم الإمبراطور بها الأمير أرناط أن يقدمها عند الحاجة ، كما طلب الملك بلدوين الثالث من الإمبراطور البيزنطي أن يصرف النظر عن تعيين بطريكاً بيزنطياً على إمارة أنطاكية ، فأبدى الإمبراطور استجابة لتحقيق الأول ، فإنه رفض و بشدة

(2)- تاوضريس (إسحاق عبيد) ، روما وبيزنطة ، ص 214.

(3)- رستم (أسد) ، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، منشورات النور، 1928م، ج 2 ، ص 273.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

التنازل عن الطلب الثاني .⁽¹⁾

وفي جمادى الأولى من سنة 555هـ/1160م ، وقع أرناط في أسر نور الدين محمود ، عندما قام أرناط بمهاجمة ممتلكات المسلمين ، الواقعة بين مرعش ودلوك ، وظل في الأسر ستة عشر عاما،⁽²⁾ ولم يهتم بأمر افتدائه أحد، وقد أثار أسره مشكلة دستورية في أنطاكيا، حيث كان حاكما للإمارة باعتباره زوجا للأميرة كونستانس ، هذه الأخيرة زعمت أن السلطة عادت إليها، غير أن الرأي العام ساند حقوق ابنها، من زوجها الأول وهو بوهيمند ، الذي لم يتجاوز الخامسة عشر آنذاك .⁽³⁾

كان لزاما على الإمبراطور البيزنطي أن يحل مشكلة عرش أنطاكيا الشاغر، بالمقابل نجد ان أهل أنطاكيا ، خاصة الأمراء النورمان الذين اعتبروا أنفسهم مستقلين ذوي سيادة ، ونفس الشيء دفع بملك بيت المقدس إلى التدخل بطريقة أخرى، على أنهم أقارب لا سادة ، ومع ذلك نبتت فكرة في أنطاكيا جعلت الملك الصليبي سيذا، وليس الإمبراطور، فتم توجيه الدعوة إلى الملك بلدوين الثالث لحل المشكلة ، فأعلن بوهيمند الثالث أميرا شرعيا ، وعهد بالحكومة إلى البطريريك بيت المقدس "عموري دي نيزل (Amaury de Nesle) ، حتى يبلغ بوهيمند سن الرشد .⁽⁴⁾

إن اعتلاء أرناط عرش أنطاكية يمثل مرحلة جديدة في العلاقات الصليبية البيزنطية ، غير أن أسره وشغور منصب الإمارة ، مثل أيضا مرحلة خطيرة من مراحل العلاقات الصليبية

(1)- نفسه .

(2)- ابن القلانسي، المصدر السابق، ص.358.

(3)- حبشي (حسن) ، المرجع السابق، ص.87-88.

(4)- (السيد الباز) العريني، نمو طبقة النبلاء الإقطاعية ، بحث مستخرج من مجلة كلية الآداب ، القاهرة ، 1968، ص.13 .

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

البيزنطية .

أدرك الملك بلدوين الثالث أهمية التحالف مع حكام بيزنطة ، غير أن ما أحرزه مانويل من نجاحات في أنطاكية تجاوز ما كان يأمله . و يمكن القول أنه كان صراعا دبلوماسيا بين الجانبين انتهى بهزيمة الملوك الصليبيين، ويتجلى ذلك في استعادة بيزنطة لسيادتها على أنطاكية ، كما أظهر الإمبراطور مانويل حنكة سياسية كبيرة مع ريموند الثالث ، بحيث راعى شعوره ، بالإضافة إلى إخماد التهديدات الإسلامية لفترة معينة .

3 -علاقات ملوك المملكة الصليبية مع حكام الممالك الأوروبية :

عرفت العلاقة بين حكام مملكة بيت المقدس، والممالك الأوروبية نوعا من التمايز، فبالرغم من نجاح الحملة الصليبية الأولى ، وقيام أربع إمارات صليبية في بلاد الشام، إلا أنه لم يكن بمقدور هؤلاء اللاتين أن يحافظوا على فتوحاتهم ، خاصة مع تهديدات الأساطيل الإسلامية، الأمر الذي دفع بملوك بيت المقدس إلى الاعتماد على الأساطيل الإيطالية التجارية لاقتقاد الصليبيين لعنصر الأسطول ، في نقل الحجاج اللاتين الغربيين إلى الشرق ، وحماية الساحل الشرقي لحوض البحر المتوسط خاصة الممتلكات الصليبية التي تقع بطول الساحل (1) . غير أن المدن الإيطالية الثلاثة جنوة وبيزا والبندقية ، قد أسهمت بنصيب كبير ليس فقط في انتصارات الصليبيين في الشرق، بل وتقديم المساعدات اللازمة وقت الحاجة، والحفاظ على الكيان الصليبي في الشام، (2) حيث اعتمدوا على السفن الإيطالية لنقل حوائجهم ومستلزماتهم من مؤن غذائية ومنتجات نسيجية وحياد وأسلحة من الغرب اللاتيني مباشرة .

(1)- هايد (ف) ، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تح: أحمد محمد رضا، مراجعة وتقديم: عز الدين فودة،

مصر 1985م، ص.149.

(2)- رنسيما (ستيفن) ، الحروب الصليبية ، تر. السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت، 1417هـ/1997م، ج.3 ، ص.599.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

لعلّ هذه الفكرة تتضح كون تجارها أذكى رجال عصرهم في كسب المال، خاصة وأنهم لم يقاطعوا علاقاتهم مع المسلمين، وقد لعبت التجارة دوراً مميزاً في بنيان مملكة بيت المقدس الاقتصادي، وكانت هذه التجارة بصورة رئيسية مع الغرب اللاتيني، التي كانت في الغالب في أيدي التجار الإيطاليين⁽¹⁾. ومن أهم السلع التي قدموها لمملكة بيت المقدس، نجد السلاح والمؤن وآليات الحصار، وكذلك حجاج إلى الأراضي المقدسة،⁽²⁾ وقد نال التجار الغربيون حقوقاً وامتيازات واسعة، قسمت على ثلاث أنواع: فالنوع الأول ذو طابع إقليمي، فقد نال التجار الأوروبيون أحياءاً فيها بيوت سكنية، وكذلك مستودعات، وحمامات وكنيسة وسوق.⁽³⁾ و النوع الثاني تمثل في الصرف، وهو عبارة عن استثناءات متنوعة من النظام القانوني المحلي، فالتاجر أو الحرفي من جنوة مثلاً، لا يحاكم إلا بموجب قوانين جمهوريته، أو من قبل قنصليته.⁽⁴⁾ أما النوع الثالث تمثل في الإعفاء الضريبي، وإن كان إعفاء جزئي، كإعفاء من رسم المرفأ.

أمّا في المجال الديني، فقد علقت الجمهوريات الإيطالية أهمية كبيرة في اشتغال مواطنيها الوظائف الكهنوتية، وهنا برزت مسألة خطيرة، وتمثلت فيما حدث بين المطارنة والأساقفة في سوريا، والجمهوريات التجارية من منازعات، نتج عنها أن كهنة البنادقة في صور حاكموا أسقف الأبرشية أمام محكمة روما.⁽⁵⁾

كان للتجار الإيطاليين في بلاد الشام في نزاع متواصل مع الملوك وأصحاب المناصب المرموقة، من أجل الدفاع عن أموالهم وحقوقهم، ومن جهة أخرى سعت مملكة بيت المقدس

(1)- هايد (ف)، نفس المرجع، ص.159.

(2)- William of tyre.op.cit.,vol.II,pp.570-571 .

(3)- هايد (ف)، نفس المرجع، ص.165.

(4)-نفسه، ص.170-174.

(5)- نفسه، ص.172.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

إلى تقديم هذه الامتيازات، من أجل عرقلة مساعي سوريا ومصر من أجل تحقيق الوحدة الإسلامية .

إن الدوافع العسكرية لمملكة بيت المقدس تجاه الغرب اللاتيني ، كان من أهم أسباب سقوط إمارة الروها عام 538هـ/1144م في أيدي المسلمين ، وهو الدافع الذي تسبب في استنقاص الحملة الصليبية الثانية عام 1147م ، والتي ترأسها ملوك أوروبا ، وأثر هذه الحملة على العلاقات بين الشرق اللاتيني المسيحي والغرب الأوروبي ، والأمر الثاني الموقف السلبي للغرب اللاتيني اتجاه محاصرة الملك بلدوين الثالث لعسقلان عام 1153م ، وتأثيراته بين الطرفين ، وكذا بروز دوافع تجارية .

وحقيقة الأمر أن المد الصليبي الغربي إلى الشرق اللاتيني ، ليس بالشيء الجديد ، بحيث لم يتوقف منذ الحملة الصليبية الأولى ، فقد عرفت هذه الفترة رحلات من الحجاج المسيحيين التي لم تنقطع ، ماعدا بعد الحملة الفاشلة سنة 1101م ،⁽³⁾ التي ترأسها وليم الثاني ، وتبع ذلك حملة فاشلة أخرى ، خرج على رأسها جماعة من الإنجليز والفلمنكيين والدانيين سنة 1106م،⁽⁴⁾ الأمر الذي استغله الإيطاليون، وقاموا بإرسالهم لأساطيلهم ، لغاية الاستيلاء على موانئ لخدمة مصالحهم التجارية .

غير أن منذ زمن الملك بلدوين الأول لم يحضر إلا قلة من الحجاج المسيحيين الصغار أمثال باليان شارتر (Balian Charter) مؤسس أسرة ابلين ، أو من البارونات أمثال هيو دي بونز (Hugues du Puiset) ، أو مناسي دي هيرج (Manassé de Hierges) ، اللذان حاولا الاستفادة من صلة القرابة بالبيت الملكي لبيت المقدس .⁽⁵⁾

Albert of aixe ; op.cit.vol.VIII.pp.576-578.

(1)-

(2)- هايد (ف)، المرجع السابق، ص.156-158.

William of tyre.op.cit.vol.II.pp.206-208.

(3)-

(4)-

William of tyre.op.cit.vol.IIpp207.

(5)-

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

عندما بلغ نبأ سقوط الرها إلى الغرب اللاتيني سن(1144م)، ذهب الغرب الأوروبي إلى الإعداد لحملة صليبية جديدة قادها كل من الملك الفرنسي لويس السابع (Louis VII) ، بمباركة من البابا يوجينيوس الثالث (Eugene III) ، رغم معارضة البلاط الفرنسي لها. شهدت هذه الحملة سنة 1147م ، مشاركة كل من روجر الثاني ملك صقلية، وملك ألمانيا كونراد الثالث (Konrad III 1138-1152م)، والإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين ، غير أن قدوم روجر الثاني كان له أبعاد بحيث، كان يطالب بأنطاكيا لنفسه باعتباره وريثا لبوهيمند الأول ، وقد سبب قدومه إلى الأراضي المقدسة مشاكل عدة ومنها: مع ريموند بواتيه صاحب أنطاكيا ، وكذا عدائه مع كونراد الثالث ملك ألمانيا و مع مانويل كومنين ، بالإضافة إلى زواج لويس السابع من أليينور (Aliénor) وريثة دوقية أكويتين ، التي كان ريموند خالا لها ، وبالتالي رفضت مساعدات روجر الثاني ، حتى لا تكون ذريعة للتدخل في شؤون إمارة أنطاكيا .⁽¹⁾ الأکید من وراء هذه المساعدات راجع بالدرجة الأولى إلى بواعث اقتصادية محض، وكذا الحفاظ على سيادة مواطنيهم في بلاد الشام، وتوسيع حدودها،⁽²⁾ لكون البحر المتوسط طريقا رئيسيا للتجارة، وهذا سبب حمل ملوك غرب أوروبا إلى الاشتراك في صفوف الجيوش المشاركة في الحملات الصليبية.

إنّ القرار النهائي لبداية الحملة، وموعدها كان في 15 يونيو 1147م ،⁽³⁾ وبعد الهزائم التي تعرض لها الصليبيون من طرف السلاجقة ، عقد في 24 يونيو 1148م اجتماع حضره كل من لويس السابع و كونراد الثالث ومقربوهما ، مع وصية العرش مليسندا والملك بلدوين الثالث وأعيان القدس ، وغاب عن هذا اللقاء كل من ريموند دي بواتيه أمير أنطاكيا ، و ريموند الثاني

William of tyr ,op.cit.vol.II . pp.170.

-(1)

-(2) عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ، ج.1، ص.518-522.

William of tyr ,op.cit.vol.II . pp.163.

-(3)

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

كونت طرابلس ، و جوسلين الثاني كونت الروها .⁽¹⁾ تناول هذا المجلس الذي عقد في عكا خططا مختلفة للعمليات الحربية ، وفي الأخير تخلى القادة الصليبيون عن أقرب أهدافهم ، وهو استعادة الرها، وتخلو عن الحرب ضد أمير حلب ، ومضوا مع القوات التي تشكلت في مملكة بيت المقدس، يحاصرون دمشق، والتي كانت محصنة تحصينا منيعا، غير أن احتمال فتح دمشق لم يكن يطيب لبعض بارونات بيت المقدس،⁽²⁾ وهذا للنوايا الخبيثة لكل طرف ، وغياب وحدة الفكرة بين المحاصرين، ويروي أبو الفرج الأصفهاني وميخائيل السرياني ، أنه أرسلت من المدينة إلى مسكر المحاصرين، وإلى مملكة بيت المقدس بعثة سرية ،⁽³⁾ وكان مغزى نصائح المبعوثين تتلخص فيما يلي:- على بلدوين الثالث أن لا يأمل في البقاء إذا ثبت كونراد الثالث قدميه في دمشق، وعرض المبعوثين على الملك بلدوين الثالث 200 ألف دينار، لتخويف قادة الحملة الصليبية، وعلى بارون طبرية 100 ألف دينار، لكي يفتنع الملك الألماني بالانسحاب،⁽⁴⁾ وقد نجحوا في مسعاهم ففشل الحصار.

إنّ فشل الحملة الصليبية الثانية أسهم في انعدام الوفاق والوثام بين الجموع الصليبية، وخلافاتهم مع بارونات مملكة بيت المقدس والأمراء الصليبيين بصفة عامة ، وأصبحت العلاقة بين اللاتين في الشرق واللاتين في الغرب سيئة، وفضحت الأطماع الشخصية لدى الجانبين، أضف إلى كونها بينت مدى تهاون الغرب اللاتيني في مساعدة الصليبيين، وزادت قوة

(1) William of tyr., op.cit. vol.ii p.163 .

(2) -عمران (محمود سعيد) ، المرجع السابق، ص.162.

(3) -ابن القلانسي،المصدر السابق ، ص.298-299.

(4) -ابن الأثير، الكامل ، ج.11، ص.131.

(5) - (عماد الدين) الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق، ص.215.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

المسلمين،⁽¹⁾ ومما لا شك فيه، أن هذه النتائج مجتمعة كان لها الأثر البالغ على سياسة الملك بلدوين الثالث الخارجية والداخلية ، الأمر الذي دفع به إلى الاعتماد على دبلوماسية خاصة مع البيزنطيين ، وكان ذلك فيما يعرف بالزواج السياسي . أما سياسته الداخلية ، فكانت يغلب عليها الطابع الحربي ، خاصة في جنوب مملكة بيت المقدس ، إذ حاول الاستيلاء على عسقلان، كما أنها كانت تمثل جانبا من العلاقات بين مملكة بيت المقدس والغرب اللاتيني ، حيث اشترك لويس السابع مع الملك بلدوين الثالث في محاصرة مدينة عسقلان عام 1148م ،⁽²⁾ لكي يحقق نصرا على المسلمين ، يمكن به أن يبرر موقفه أمام الرأي العام الأوروبي ، لينسيه خيبات الأمل التي تعرضوا لها من قبل ،⁽³⁾ غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل .

كان بلدوين الثالث جادا في الاستيلاء على عسقلان ، فأعاد تجديد وتحصين غزة، وبنى فيها قلعة سنة 1150م ،⁽⁴⁾ ولعل حرصه على عسقلان كان له أبعاد خطيرة ، أبرزها تمثل في محاولة إعادة الثقة في نفوس المسيحيين، وإعادة ذكريات عصرهم الذهبي عهد بلدوين الأول وبلدوين الثاني ،⁽⁵⁾ وكذا تعبيد الطريق إلى مصر .^(*)

لقد جاء حصار عسقلان في يناير 1153م ، عقب انتهاء الحرب الأهلية التي وقعت بين الملكة مليسندا و الملك بلدوين الثالث حول إقرار عرش المملكة ، والنصر كان حليف الملك،

(1) - المقدسي (أبو شامة) ، المصدر السابق، ج.1، ص.39 .

(2) - Grousset (R.) , op.cit.vol.I.p.250.

(3) - تاوضريس (اسحاق عبيد) ، روما وبيزنطة، ص.206.

(4) - سمايل(فلي)، الحروب الصليبية ، تح: سامي هاشم ، بيروت، ط.1، 1982م ، ص.214-215.

(5) - مؤنس (حسين) ، نور الدين زنكي، ص.256.

(*) - كانت الأوضاع الداخلية في مصر مشجعة لبلدوين الثالث على التقدم جنوبا نحو مصر، كون الدولة الفاطمية تحتضر، ولكنه اكتفى بإلزام الفاطميين بدفع الجزية، ثم يتفرغ لاستكمال مشروعه. أنظر:- عاشور (فايد حماد) ، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ط.3، بيروت، 1985م ، ص.80.

الفصل الثالث == المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

الذي اتجه صوب الجنوب لتأمين حدود المملكة، التي طالما حرص ملوك بيت المقدس السابقين على تحقيقه،⁽¹⁾ وتمكن من ذلك في 19 أوت 1153م ، بعد مصاعب كبيرة، خاصة مع رفض الأساطيل التجارية الإيطالية مساندة بلدوين في حصار عسقلان،⁽²⁾ مما دفعه بالاتجاه نحو مارسيليا، وبالفعل شاركت الأساطيل المارسييلية في الحصار، ونقلت الحجاج إلى بيت المقدس، وقد حصلوا مقابل ذلك على أموال من طرف بلدوين الثالث باعتبارهم جنود مرتزقة،⁽³⁾ كما أن هذا الخيار جاء نتيجة عدم قيام القوة العسكرية ، التي كانت تعتمد عليها المملكة ممثلة في هيئتي الداوية و الاستبارية ، لم يقوما بالواجب المفروض عليهما في هذا الحصار، وخاصة قوة الداوية.⁽⁴⁾

هكذا اتسمت العلاقات بين مملكة بيت المقدس الصليبية والغرب اللاتيني بالفتور وانعدام الثقة المتبادلة ، مما أثر سلبا على مستقبل المملكة الصليبية في بيت المقدس باستثناء العملية الحربية التي تتعلق بعسقلان عام 1153م .

مرت مملكة بيت المقدس الصليبية بمرحلتين مرحلة قوة الملوك الملك بلدوين الأول الذي تميز بالسياسة التوسعية وعدائه لرجال الدين ، وبلدوين الثاني والذي اهتم بالحياة القضائية بالتالي يبحث عن العدالة الاجتماعية وحافظ على ما تركه له ابن عمه بلدوين الأول ، لتبدأ المرحلة الثانية بوفاة بلدوين الثاني واعتلاء فولك الأنجوي العرش هنا بدأت الفوضى الداخلية وبالتالي يؤدي الى ضعف في كل المجالات ، بسبب رفض البارونات حكمه ، ليدركه الموت وابنه لم يبلغ سن الرشد فاستلمت زوجته ميلسندا العرش بوصاية على ابنه بلدوين الثالث، الأمر

(1)- سمايل، المرجع السابق، ص.213.

(2)- هايد (ف)، المرجع السابق، ص.159.

(3)- سمايل، المرجع السابق، ص.99-100 .

(4)- أحمد (أحمد رمضان) ، إدارة الصراع مع الصليبيين، بحث مستخرج من مجلة المستقبل العربي، العدد8، سنة1987،

ص.75.

الفصل الثالث ≡ المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكها اللاتين 493-577هـ/1099-1187م

الذي أدى إلى الصراع بين الأم وابنها . ولو لا أن الموت أدرك بلدوين الثالث ، لقام بانجازات أكبر و اعظم ، ليخلفه أخوه أمالريك لأول وبعده بلدوين الرابع ، فقد عمت الفوضى داخليا وخارجيا ، وعرف المسلمون نهضة قوية . - كما سيأتي لاحقا- وتزامنا مع اضطراب الأوضاع عهد الملك غي لويزيان ، تعاضمت في الجبهة المقابلة قوة المسلمون الذين توحدوا من أجل تحرير بيت المقدس .

الفصل الرابع

الفصل الرابع:

الصراع الطليبي الإسلامي واسترجاع

المسلمين لبيت المقدس

1- اختلال التوازن بين القوى الطليبية والقوى الإسلامية في المشرق .

أ- نهضة آل زكي (بداية من استرجاع إمارة الروها)

ب- مشروع نور الدين محمود لتحرير بيت المقدس.

ج- صلاح الدين الأيوبي وقيام الدولة الأيوبية.

2- تحرير بيت المقدس من طرف صلاح الدين الأيوبي .

أ- توحيد صلاح الدين الأيوبي مصر والشام.

ب- فتح الساحل الفلسطيني من طرف صلاح الدين الأيوبي.

ج- تحرير بيت المقدس من طرف صلاح الدين الأيوبي .

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

في الوقت الذي كان على الصليبيين أن يكونوا على الوفاق وتحاشي المنازعات لاستكمال الغزو، كانوا غارقين في فوضى سياسية،⁽¹⁾ كان هو الوقت الذي استغله المسلمون لصالحهم، ويظهر ذلك جليا في بروز رجال رفضوا تلك السلطة والهيمنة الصليبية.

1- اختلال التوازن بين القوى الصليبية والقوى الإسلامية في المشرق:

أ- نهضة آل زنكي (بداية من استرجاع إمارة الروها):

رغم تلك الهزائم التي تلقاها المسلمين على يد الصليبيين، إلا أنهم استطاعوا في الأخير التنبؤ لضرورة الوحدة الإسلامية وقد رفع لواء هذه الوحدة عماد الدين الزنكي،⁽²⁾ الذي ولد سنة 477هـ/1055م، وكان أبوه من كبار القادة في عهد السلطان السلجوقي الملكشاه حتى لقب بقسيم الدولة.⁽³⁾ وكان الابن الوحيد لهذا القائد العظيم في الدولة السلجوقية، وقد تولى والده آق سنقر حلب سنة 479هـ/1057م،⁽⁴⁾ فكانت حلب مهد طفولته، ودربه والده على

(1)- كاهن (كلود)، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، تح: أحمد الشيخ، القاهرة، 1995م، ص.210.

(2)- المقدسي (أبو شامة شهاب الدين)، الروضتين في أخبار الدولتين: النورية والصلاحية، ج.1، ط.1، الهيئة

المصرية، القاهرة، 1962م، ص.74.

(3)- أبوه أب سعيد بن آق سنقر بن عبد الله آل ترغان ينتسب إلى قبائل السببايو التركمانية، وقد حضى بصحبة السلطان ملكشاه الأول. فقد نشأ الرجلان وترعرعا معا. ولما تسلم الملكشاه الحكم عينه حاجبا له، ووثق به حتى أفضى إليه بأسراره واعتمد عليه في مهمات خاصة، وكان من أبرز قادته، ثم عينه وليا على حلب فانتهى حكم القبائل العربية المتنازعة لهذه الإمارة، ويعد بذلك أول حاكم سلجوقي لحلب، فعمد لإصلاح الأوضاع المتدهورة، فقام بوضع الحدود الشرعية، وطارد اللصوص وقطاع الطرق وتخلص من المتطرفين، ففضى على الفوضى التي كانت متسربة في البلاد، بالإضافة إلى الكثير الأعمال الجليلة سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي فجعل من حلب قوية ومنظمة، وحتى التجار والعرب المتواجدين به يشهدون على حسن تدبيره وسيرته. انظر:- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح. حسان عباس، ج.1، دار صادر، بيروت، د.ت، ص.217-218؛ ابن الأثير، التاريخ الباهر في دولة الأتابكة، تحقيق: عبد القادر طليمات، طبعة القاهرة، 1963م، ص.4 و.15؛ طقوس (محمد سهيل)، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، ط.1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1419هـ/1999م، ص.47.

(4)- الصلابي (علي محمد)، الدولة الزنكية، ط.1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1428هـ/2007م، ص.24.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

فنون الفروسية منذ نعومة أظافره وعوده على تحمل صبر المشاق في الحرب وممارستها ، وكان يبدي شجاعة فائقة في مواجهة الصليبيين، كما ورث عن أبيه القوة التي تعرف بالعطف والتي لا تبقى على العدو خطر، وورث عنه التخطيط مثل الانسحاب في الحرب عندما لا يرى احد حوله، كما ورث التخطيط الذي يؤدي إلى حتف الخصم الذي يرسمه له الزنكي .⁽¹⁾

توفي والده وعمره 10 سنوات ولكن أمه عاشت حتى رأت ابنها يرث أبيه ويحكم الموصل، وفرحت عينيها إذ رآته- في السنة التي توفيت فيها- يحاصر دمشق التي قتل صاحبها تتش فهو الذي قتل زوجها آق سنقر .⁽²⁾

أما عن زوجاته فقد تزوج من ستة نساء ،⁽³⁾ أما أبناءه فهم سيف الدين الغازي وهو الأكبر ، و نور الدين محمود ، و قطب الدين مودود و نصرة الدين أمير أفيران .⁽⁴⁾ وجميع أولاده ظهرت عليهم النجابة وكانوا ذوي أخلاق حميدة وشجاعة فائقة وخاصة نور الدين محمود و سيف الدين غازي . وقد نظم الجيش بحيث كانت مؤسسة الجيش هي القوة

(1)- شاكِر (أحمد أبو زيد) ، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ، الجامعة اللبنانية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، د.ت ، ص.58.

(2)- توفيت سنة 524هـ بالموصل، وهناك أسطورة أوروبية سورية تقول أن أتابك الموصل من أصل فرنجي ويفترض أن أمه كانت الأميرة الجميلة النمساوية التي أسرت وقضت بقية أيامها في حريم آق سنقر وأن امرأة طيبة أوروبية تستطيع أن تند مثل هذا البطل ، ولكن هذه القصة غير صحيحة لأن أباه مات قبل سنوات من حدوث كارثة الغزو الصليبي، ولا يذكر لنا المؤرخون اسما لوالدته ولا أصلها حتى نستطيع أن نتعرف على أسباب اكتسابه اللون الأسمر مع أن المشهور عن الأتراك اللون الأبيض فلعله ورث هذه الصفات عن والدته. أنظر:- الصلابي (علي محمد) ، نفس المرجع ، ص.33.

(3)- أما عن نسائه فكانت الأولى أرملة الأمير كندغدي ، أما الثانية فكانت خاتون ابنة الملك رضوان والثالثة كانت صاحبة خلاط ابنة سقمان القطبي ، والرابعة كانت ابنة تمرتاش ، والخامسة كانت خاتون بنت جناح الدولة حسين ، أما السادسة فهي صفة الملك ابنة الأمير جاولي وأخت الملك دقاق لأمه. أنظر كل من :- ابن الأثير- التاريخ الباهر ، ص.24. ؛ المقدسي (أبو شامة شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ج.1 ، ص.80. ؛ ابن العديم ، المصدر السابق ، ص.244.

- حبشي (حسن) ، نور الدين و الصليبيون ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1948م ، ص.24 و ص.172. ؛ شاكِر (أحمد أبو زيد) ، المرجع السابق ، ص.59-60.

(4) - الصلابي (علي محمد) ، المرجع السابق ، ص.34-35.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

الضاربة للقضاء على الفوضى في الإمارات المحلية لكي يوحدتها في جبهة إسلامية متماسكة لكي يستطيع محاربة الصليبيين.⁽¹⁾

رفع عماد الدين زنكي لواء هذه الوحدة في الموصل وحلب، فكان العمل من أجل تحقيق الوحدة والحرية، و كانت الوسيلة الوحيدة لطرد الصليبيين المستوطنين .⁽²⁾ ولقد برز هذا القائد في الوقت الذي عرف الوجود الصليبي اضطربا جراء ما ذكر من قبل . ففي الوقت الذي كان على الصليبيين أن يكونوا على الوفاق وتحاشي المنازعات لاستكمال الغزو، كانوا غارقين في فوضى سياسية،⁽³⁾ فاستغل المسلمون ذلك لصالحهم، ويظهر ذلك جليا في بروز رجال رفضوا تلك الهيمنة الصليبية.

ففي سنة 517هـ/1123م، اتفق طغمتين^(*) حاكم دمشق مع الوزير الأفضل الفاطمي على عمل مشترك ضد الصليبيين، فهاجم الأول طبرية و أنزل الفاطميون أسطولا لمهاجمة يافا.⁽⁴⁾

وفي 522هـ/1128م أسند السلطان نور الدين محمود إمارة الموصل وحلب لعماد الدين الزنكي ابن آق سنقر، فاستطاع بفضل مكانته أن يجمع حوله عددا من المسلمين العرب و التركمان و الدروز لإنقاذ المملكة من الصليبيين.⁽⁵⁾

ولقد عرف هذا القائد بالشجاعة وجودة الرأي وحسن القيادة والانضباط والحكمة السياسية وبكفائه العسكرية وبرأيه السديد من لم شمل بعض العرب والأتراك.⁽⁶⁾

(1)- شاکر (أحمد أبو زيد)، نفس المرجع ، ص.62.

(2)- الأصفهاني (عماد الدين)، تاريخ آل سلجوق، ص.186.

(3)- كاهن (كلود)، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ت:أحمد الشيخ، القاهرة، 1995م، ص.210.

(*)- ابن عبد الله صاحب دمشق توفي سنة 1128م.

(4)- زايد (عبد الحميد)، القدس الخالدة، الطبعة مصر، د.ت، ص.218-219.

(5)- شلبي (أحمد)، المرجع السابق، ص.452.

(6)- النقاش (زكي)، المرجع السابق، ص.338.

الفصل الرابع ===== الصراع الطليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

كما عرف كيف يكسب الود من الأمراء والاطمئنان من العامة، فقد كان يتحاشى التدخل في الصراعات بين القادة المسلمين ويقف موقف حيادي لكي لا يعرض نفسه لمناوشات ليست في صالحه، فمثلاً عندما تعرض الأخوان مسعود السلجوقي وأخيه محمود السلجوقي لنزاع حول العرش عز عليه أن تقوم فتنه بينهما ولم يلجأ لاستغلال الوضع لصالحه بل سعى بكل الوسائل ليبعدهما عن ذلك، وراح يبحث عن وسيلة تنفع معهما للوفاق والتفاهم⁽¹⁾. وهذا ما عمد إليه أيضاً مع الخليفة المسترشد والسلطان السلجوقي محمود⁽²⁾.

وفي إطار الخطط التي تهدف لتوحيد القوى الإسلامية من أجل استرجاع المدن الإسلامية بادر عماد الدين بأعمال رمزية كان لها أثرها الإيجابي في اشتداد قواهم أولها زواجه من خاتون بنت ملك رضوان بن تنش صاحب حلب أرمله إيلغازي لتقوية مركزه الداخلي بهدف كسبهم إلى صفه⁽³⁾. وثانيها عمله المتواصل لكسب حق امتلاك الشام بأسرها وشمال العراق وفق وثيقة رسمية من السلطان السلجوقي محمود تثبت ملكيته، وهذا ما يؤكد أنه مؤسس الدولة مدعومة للدوام ليست أفق عابرة⁽⁴⁾.

ذاع صيته في البلاد الإسلامية فتهافت عليه جموع من المسلمين للمساندة، وكذا القادة المسلمين مثلما تقدم أمير حمص قریش بن جبرخان والسلطان بن منقذ صاحب شيراز لذلك أعلن ولائهما واستعدادهما لمساندة عماد الدين الزنكي⁽⁵⁾.

تمكن سنة 531هـ/1137م استطاع عماد الدين الزنكي كسب تأييد ودعم شهاب

(1)- عوفي (محمود مؤنس)، المرجع السابق، ص.150-151.

(2)- خليل (عماد الدين)، المرجع السابق، ص.39.

(3)- (حسن) حبشي، نور الدين زنكي، ص.24.

(4)- معلوف (أمين)، المرجع السابق، ص.165.

(5)- السيد (محمود)، المرجع السابق، ص.152.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

الدين ، صاحب دمشق بعد المصالحة بينهما .⁽¹⁾

كما لعب العلماء المسلمين دورا كبيرا في هذه الصحوة الإسلامية هؤلاء الذين رفضوا الرضوخ للوضع منذ البداية فكثيرا ما حاولوا تنبيه الأمراء المسلمين لذلك الخطر الصليبي مدنسين بالوضع داعيين الخلفاء المسلمين والقادة لتتاسي الخلافات والمضي قدما في الجهاد ضد عدو واحد وهو الصليبيين ، فحمل السلاح لم يكن هو الوسيلة الوحيدة التي استخدمها الفقهاء والعلماء في المقاومة ضد الصليبيين ، بل كان للوعظ والإرشاد والحث على الجهاد والتحريض والتوعية المستمرة بين الجنود ، ومشاركتهم ، وتبيان فضل الجهاد والمجاهدين عند الله ، وشحن الهمم والتشجيع والخطابة الدائمة فيهم، وتلاوة القرآن الكريم، كل ذلك كان له أكبر الأثر في تعزيز مقاومة الأهالي وحثها للالتفاف حول الزعماء والقادة،⁽²⁾ و المشاركة في صد العدوان ثم المشاركة الفعلية في معارك التحرير التي خاضتها الجيوش الإسلامية. وفعلا لم يمضي الكثير حتى قامت قوة إسلامية موحدة .⁽³⁾

تضافرت عدة عوامل ساهمت في الوحدة الإسلامية نتيجة الوضع الذي آل إليه الصليبيون من انهيار وضعف سياسي وتراجع عسكري ، بتأزم الوضع الداخلي للمملكة وفشل الحملة الصليبية الثانية وذلك بسبب تراخي الأمراء الصليبيين في مساندة الإمبراطور "يوحنا"،⁽⁴⁾ إذ كان العبء الأكبر وليس كله على كامل القوات البيزنطية التي قادت الحملة إذ لم نقل حملة بيزنطية خلال ذلك التحالف بين الإمبراطور و"رايموند " محالف بيزنطيا " صليبييا، كما أن يوحنا سعى كثيرا لضم أنطاكيا لأملاك بيزنطا فكان ذلك على حساب فقدانه لأراضي أخرى للإمبراطور.⁽⁵⁾

(1)-ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص.262.

(2)- عمران (محمود سعيد)، الحملة الصليبية الخامسة ،ص.23.

(3)- باشا (عمر موسى) ، الأدب في بلاد الشام :عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ، دار الفكر المعاصر ،بيروت ،

لبنان ،2004م ،ص.799.

(4)- شليبي (أحمد) ، المرجع السابق ،ص.452-453.

(5)- كاهن (كلود) ، المرجع السابق ،ص.210.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

وصل الخبر إلى المسلمين فسارع السلطان السلجوقي مسعود في غياب الإمبراطور عن الإمبراطورية لانشغاله بأمر عماد الدين وأمراء الصليبيين ، فقام بالهجوم على مدينة أضعه وهذا ما أغضب الإمبراطور ، فخاف كثيرا من إشكال الخطر على باقي مدنه .⁽¹⁾

كما كان الانقسام الذي أصاب الإمارات الصليبية والتنازع بين حكامها خاصة ما وقع بين أميراً أنطاكية بوهمند الثالث و حاكم مملكة بيت المقدس ، خوفاً من أن يعتلي أحد القادة منصب احد ما على الآخر ،⁽²⁾ كما حدث مع جوسلين صاحب الروها الذي يفوق عسكرياً عن قوة رايمود ونتاجها على إمارته ، فعمد للإيقاع بين الإمبراطور البيزنطي يوحنا وريمود وهذا ما دفع بالإمبراطور للتخلي عن شيزر الأنطاكية مطالباً بأنطاكية وقلعتها .⁽³⁾

تخلى القادة الصليبيون في الكثير من الأحيان عن واجباتهم العسكرية وعن مساندتهم للإمبراطور وخوفهم من القوات الإسلامية، نظراً لما لعبه عماد الدين من دور في إرهاب وتخويف الإمبراطور وإيقاع الخلاف بينه وبين القادة الصليبيين ، فأرسل مثلاً للملك بوهمند الثالث أن فرنجة الشام خائفين منه ، إن غادر مكانه سيتخلون عنه ، فرحل ملك الروم عنهم وأخذ معه آلات الحصار والمؤن وسار الاتابكة يتتبع خطوات العسكر فظهر الكثير ممن تخلف منهم فأخذوا جميع ما تركوه .⁽⁴⁾

بدأ عماد الدين الزنكي سنة 530هـ / 1135م هجماته على الحصون الصليبية شرقي نهر العاص وليتمكن من غزو معرة النعمان وكفرطاب كما لجأ بعد فروغه من ذلك إلى مهاجمة مدن شيزر وحمص وقيصرية .⁽⁵⁾

(1)- عمران (محمود سعيد) ، تاريخ الحروب الصليبية 1095-1291م، ص.62

(2)- شبير (محمد عثمان) ، بيت المقدس وما حوله من خصائصه العامة وأحكامه الفقهية ، ط. مكتبة الفلاح الكويت،

1407 هـ/ 1987م ، ص.19.

(3)- عمران (محمود سعيد) ، الحملة الصليبية الخامسة ، ص.23-24.

(4)- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.11، ص.58.

(5)- محمود (السيد) ، المرجع السابق ، ص.152.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

استطاع سيف الدين نائب عماد الدين زنكي سنة 530هـ/1135م من غزو أراضي أنطاكية حتى بلغت غزواته مائة قرية وصولاً للأنقية ، بالإضافة لحصوله على مؤن كثيرة،⁽¹⁾ كما هاجم اهالي دمشق بقيادة بزواش وعقد صلحا معهم ثم عاد إلى حلب.⁽²⁾ وأغار على إمارة طرابلس ، كما اشتبكت قواته بالصليبيين الذين كانوا تحت قيادة بونز أمير طرابلس في 531هـ/1137م عند قلعة سنجيل واستطاع المسلمون الاستيلاء على كثير من الغنائم.⁽³⁾ وفي نفس السنة من شهر جويلية التحق عماد الدين زنكي مع جيشه ضد القوات الصليبية وعاود الهجوم على حمص إلا أنهم فشلوا اثر المقاومة الشرسة التي أبدتها معين الدين من جهة ، وظهور تحالف صليبي بين فولك الأنجوي ملك بيت المقدس و رايموند الثاني أمير طرابلس .⁽⁴⁾ فاضطر عماد الدين زنكي إلى عقد هدنة مع الدمشقيين للتفرغ للصليبيين ،⁽⁵⁾ الذين احتشدوا في حصن بارين أو بعرين المنيع ،التي كانت حصينة بالجيش الصليبي ففرض عليها حصارا شديدا حتى أكل الصليبيين جواده الدوالي ،⁽⁶⁾ وفي مواجهم العسكرية هزم الصليبيين بحيث استطاع عماد الدين حبسهم لكي لا تصلهم أي أخبار أو مساندات ليرغم الملك فولك الأنجوي على الاستسلام ودفعه الفدية الحربية والتي تقدر بخمسين ألف دينار والتسليم بالقلعة والمدينة وبالفعل تم ذلك ،ولم يسمع فولك بوصول تلك المساعدات ولما سمع كان متأخرا حيث لا ينفع الندم .⁽⁷⁾

استطاع عماد الدين الاستيلاء عليها وغرس الأمانة في أوساط أهلها الذين

(1)- خليل (عماد الدين) ،المرجع السابق ،ص.121.

(2)- طقوس (محمد سهيل) ، المرجع السابق ،ص.118.

(3)- بن منقذ (أسامة) ، المصدر السابق،ص.97-98.

(4)- طقوس (محمد سهيل) ،نفس المرجع ،ص.118-119.

(5)-ابن القلانسي ،المصدر السابق ، ص.262.

(6)-ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج.11 ،ص.58.

(7)- ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج.11 ، ص.52.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

سروا كثيرا بسياسته العادلة،⁽¹⁾ فلما حدث الامتلاك حذر من أهلها من طالب بأملآكهم ، فطلب منهم كتابا فقالوا: " إن الفرنجة أخذوا ما لنا والكتب" فقال: "أطلبوا دفاتر حلب وكل من عليه خراج على ملك يسلم إليه" ففعلوا ، فرد لكل الناس أملاكه تلك أحسن الأفعال وأعدلها .⁽²⁾

راح الإمبراطور يوحنا بعد نكبة بارين يبحث عن تحالف مع راييموند الثالث و جوسلين أمير الروها لصد الهجمات الإسلامية، فاتجهت القوات الصليبية نحو أتاب (غرب مدينة حلب) التي استاء أهلها كثيرا من قدوم الصليبيين ، فعمدوا لإحراق خزائهم وتخريب مدنهم ولما سمع الأمير سيف الدولة حاكم حلب برحيلهم أسرع للتخليص أسراها وهذا ما رفع من معنويات المسلمين،⁽³⁾ كما عبر عن ذلك ابن القلانسي بقوله: "سر أهل حلب بهذه التوبة سرورا عظيما".⁽⁴⁾

وصل الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثاني عام 533هـ/1138م بقواته إلى شيزر أين استتجد أهلها بعماد الدين الذي استطاع شن هجوم ضدهم انتهى بفوز عسكري حتى عجز الصليبيين عن المقاومة .⁽⁵⁾

توفي الملك فولك الأنجوي سنة 537هـ/1143م فخلفه ابنه بلدوين الثالث ، كما آلت الروها لجوسلين الثاني الذي لم يهتم سوى في السعي وراء شهواته على حساب إهمال الأمر الدفاع عن الروها.⁽⁶⁾ وكثيرا ما تراخى في دفع مرتبات الجنود، وما زاد الوضع سوءا الحالة

(1)- نفس المصدر، ج. 11، ص. 52-53.

(2)- خليل (عماد الدين) ، المرجع السابق ، ص. 124-125.

(3)- عمران (محمود سعيد) ، تاريخ الحروب الصليبية 1095-1291م ، ص. 61-62.

(4)- ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص. 276.

(5)- (محمود سعيد) عمران ، تاريخ الحروب الصليبية 1095-1291م ، ص. 66.

(6)- خليل (عماد الدين) ، المرجع السابق ، ص. 146.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

التي آلت إليها تلك الإمارات بعد موت الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثاني (Jean II Comnène le Beau 1118-1143م).⁽¹⁾

لحقت بالصليبيين هزائم عسكرية كثيرة واضطرابات سياسية في صفوفهم ، الأمر الذي استغله عماد الدين الزنكي ، كما استغل الصليبيون الضعف الذي أصاب الجبهة الإسلامية في أواخر القرن 5هـ/11م ، فقد كانت الرها هدفا لعماد الدين لكن ذلك كان صعبا كثيرا لن الصليبيين كانوا متمسكين بها ولم يبدوا أي استعداد لفقدانها ، لذا عمد عماد الدين لتنفيذ خطته بعدما سمع برحيل جوسلين الثاني أميرها عنها، عبر الفرات غربا ،⁽²⁾ فزحف إليها ومعه أكثرية قواته دون أن يتخلف عنه أحدا.⁽³⁾ وعند وصولهم فرضوا على قلعة الرها حصارا ،⁽⁴⁾ فسارع جوسلين الثاني يستجد برايموند الثاني صاحب أنطاكيا والملكة ميلزاند صاحبة بيت المقدس ، فاشتد الحصار خاصة بعدما انظم لزنكي الكثير من المتطوعين في شمال العراق.⁽⁵⁾ فرغم مقاومة الصليبيين إلا أن الجيش الإسلامي بقيادة "عماد الدين" تمكنوا من الرها في (6 ربيع الآخر 540هـ/15 سبتمبر 1144م).⁽⁶⁾ و عامل أهلها وسكان الأرمن خاصة معاملة الحسنى والاحترام ،⁽⁷⁾ إذا أمر برد كل ما سلب من أهلها وإعادة لهم ما غنموه في الرها ، بذلك عادت المدينة لحالتها الأولى ، فجعل "عماد الدين" فيها عسكريا يحفظها ،⁽⁸⁾ كما واصل سيره إلى أن ملك سروج وسائر الأماكن التي كانت بيد

(1)- الصلابي (علي محمد) ، المرجع السابق ، ص.134.

(2)- النقاش (زكي) ، المرجع السابق ، ص.39.

(3)-ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.11 ، ص.99.

(4)- عمران (محمود سعيد) ، الحملة الصليبية الخامسة ، ص.605-606.

(5)- مؤنس (حسين) ، المرجع السابق ، ص.175.

(6)-ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص.279-280.

(7)- خليل (عماد الدين) ، المرجع السابق ، ص.152-153.

(8)-ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص.280.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

الفرنجة شرق الفرات إلا البيرة، التي استعصت عليه في البداية نظرا لحصانتها لكنه تمكن في الأخير من الاستيلاء عليها.⁽¹⁾

وهكذا وقعت أقدم الإمارات الصليبية في يد المسلمين وكان ذلك ما شجع المسلمين للمضي قدما لإعادة باقي الإمارات والأراضي الإسلامية ، ولقد أذهل هذا الانتصار القادة الصليبيين وأخافهم من الامتداد قدما للأمام فسارع راييموند دي بواتيه أمير أنطاكيا طالبا المساعدة من الإمبراطور مانويل الأول كومنين كما تسارعت وفود كثيرة تنشر الحديث في أوروبا طالبة مساعدات عسكرية.⁽²⁾

استطاع عماد الدين الزنكي استرجاع الروها في 6 ربيع الآخر 540هـ/15 سبتمبر 1144م. و كان من الممكن استرجاع غيرها من الإمارات لولا أن الموت عجلت به ، فبينما كان يعمل على حصار قلعة جعير في إحدى الليالي من سنة 541هـ/ 1145م أغار عليه أحد الفرسان بتوصيات من الفرنجة فقتله في غفلة في خيمته.⁽³⁾

استمر الجهاد الإسلامي بقيادة ابنه نور الدين محمود الذي لا يقل شأنًا عن أبيه في أعماله الجهادية ضد الصليبيين.⁽⁴⁾

عرف عهد نور الدين محمود مرحلة استكمال ما بدأه والده ، إذ عرف التاريخ بطل آخر كان له دورا هاما في الأعمال الجلييلة التي كوفئت في الأخير باسترجاع بيت المقدس سنة 583 هـ/1187م على يد البطل صلاح الدين الأيوبي.⁽⁵⁾

(1)-ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.11، ص.99.

(2)- أحمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص.110.

(3)-ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص.284.

(4)- بروكلمان(كارل) ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ج.1 ، ت. نبيه فارس و منير البعلبكي ، بيروت، 1948

-1950 م، ص.219.

(5)- زيتون (عبد الوهاب) ، المرجع السابق ، ص.163.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

ب- مشروع نور الدين محمود لتحرير بيت المقدس:

عندما قتل عماد الدين زنكي سنة 541هـ/1147م ، كان ابنه الأكبر سيف الدين غازي مقيما بشهرزور وهي إقطاع من قبل أبيه، بينما كان نور الدين عند قلعة جعبر،(*) بعد أن شهد مصرع أبيه، أخذ خاتمه من يده وسار ببعض العساكر إلى حلب فملكها ،وهي فو توابعها في ربيع الآخر سنة 541 هـ/1146 م ،⁽¹⁾ ولما كان عمره 30 سنة كان معه في قلعة جعبر الملك أرسلان ابن السلطان محمود السلجوقي .⁽²⁾ وقد ذكر المؤرخون أن السلطان آلب أرسلان حاول أن يحل محل عماد الزنكي في ملك البلاد ، وأن يبعد أولاده عنها ،فجمع الجنود وأعد العدة للتوجه إلى الموصل بقصد الاستيلاء عليها ،⁽³⁾ ولكن الوزير جمال الدين الأصفهاني قام بدور كبير في الحفاظ على الدولة الزنكية .⁽⁴⁾

بعد موت عماد الدين زنكي انقسمت الدولة الزنكية بين سيف الدين غازي الذي حكم الموصل والجزيرة الفراتية ، و نور الدين محمود الذي حكم حلب وما جاورها من مدن الشام.⁽⁵⁾ وكان نهر الخابور هو الحد الفاصل بين أملاك الأخوين . وأدى الوضع الجغرافي الشرقي إلى أن يرث غازي المشاكل الداخلية مع الخلافة العباسية والسلطة السلجوقية .⁽⁶⁾ فحكم الأول القسم الشرقي والثاني القسم الغربي متخذاً من مدينة حلب قاعدة لحكمه ، وقد ورث نور الدين محمود عائقين معقدين متمثلتين في أتابكة دمشق والإمارات الصليبية

(*)- تقع هذه القلعة على الفرات بين بالس والرقعة قرب صغين ، أنظر- الحموي (ياقوت) ، معجم البلدان ، ج.1 ، دار صادر

،بيروت، 1397هـ/1977م ، ص.142.

(1)-ابن العديم ، المصدر السابق ،ص.285.

(2)- ابن الأثير ،التاريخ الباهر في الدولة الأتابكة، ص.71-72.

(3)- المزيني (ابراهيم بن محمد احمد) ،الحياة العلمية في عهد الزنكي ، ط.1، الرياض ،1424هـ/2003م،ص.42.

(4)-النويري (شهاب الدين) ، نهاية الأدب في فنون الأدب ، تحقيق:سعيد عاشور ،طبعة القاهرة، 1980م ،ص.43.

(5)- الصلابي (علي محمد) ، المرجع السابق ،ص.170-174.

(6)-نفس المرجع ، ص.172.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

المنتشرة في بلاد الشام،⁽¹⁾ والتي صرف عماد الدين الزنكي معظم أيامه في معالجتها وهما قضية دمشق، والتي كان يحكمها البرهويين المتعاونون مع الصليبيين والإمارات اللاتينية المختلفة. وكانت العلاقة بين الأخوين متينة بحكم القرابة وبحكم تحقيق هدف واحد ألا وهو الجهاد ضد الصليبيين في بلاد الشام.⁽²⁾ وكانت حلب تشكل بالنسبة للموصل خط الدفاع الأول وصمام الأمان ضد أي خطر تتعرض له، لذلك نشأت علاقات جيدة بين سيف الدين غازي الأول صاحب الموصل وأخيه نور الدين محمود صاحب حلب.⁽³⁾

عرف نور الدين محمود في نظر المعاصرين بسيمة كبرى، هي حميئة الدينية المتأججة التي استطاع أن يبنيها بين المسلمين، وصمم إلى جانب هذه الروح على إعادة هذه الوحدة الروحية للإسلام وذلك بتأسيس المدارس الدينية وأعلن أن النصر مرهون بوحدة المسلمين السياسية، وهذا معناه عزل الأمراء المتقاعسين عن الجهاد أو المتعاونين مع الصليبيين،⁽⁴⁾ وكانت أتابكة دمشق تقف أمام محاولاته لتحقيق الوحدة الإسلامية ونجح بعد عدة محاولات في ضم دمشق في عام 549هـ/ 1154م محققاً بذلك وحدة المسلمين في بلاد الشام حيث زعامته وشكل ذلك أمراً بالغ الخطورة على أوضاع الصليبيين في بيت المقدس بشكل خاص.⁽⁵⁾ ثم التفت إلى تصفية الإمارات الصليبية الثانية التي قدمت إلى الشرق نتيجة سقوط إمارة الرها، ففتح عدة مدن في بلاد الشام وحاصر الصليبيين داخل المنطقة الجبلية الواقعة إلى الغرب من الأردن ونهر العاصي،⁽⁶⁾ ودخل نور الدين محمود في صراع دامي مع

(1)- المزيني (إبراهيم بن محمد حمد)، المرجع السابق، ص.44.

(2)- طقوس (محمد سهيل)، المرجع السابق، ص.168-169.

(3)- الصلابي (علي محمد)، المرجع السابق، ص.172.

(4)- ابن الأثير: الباهر في التاريخ، ص.86-87.

(5)- (عماد الدين) خليل، نور الدين محمود الرجل والتجربة، ط.1، دار القلم، دمشق، 1400هـ/1980م، ص.13.

(6)- ابن الأثير، الباهر في التاريخ، ص.107-108.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

إمارة بيت المقدس حول مصر التي كانت تتخبط في هذه الأثناء بالفوضى والاضطرابات بفعل النزاع على منصب الوزير في ظل ضعف الحكام الفاطميين.⁽¹⁾ وهدف إلى تحقيق غايتين هما سياسية واقتصادية، وذلك أنه بظم مصر إلى بلاد الشام مما سيجلب له حصار بيت المقدس من الشمال والجنوب، وفي المقابل فإنه وقوع بيت المقدس في يد ملك صليبي أمالريك الأول من شأنه أن يحاصر بلاد الشام من الجنوب والشمال، مما يشكل تهديدا حقيقيا لحركة الوحدة الإسلامية،⁽²⁾ بالإضافة إلى المصلحة الاقتصادية إذ لم يغيب عنه التفكير في تجارة مصر الضخمة وميناء الإسكندرية الكبير وحركة التجار بين الشرق والغرب.⁽³⁾

يبدو أن العلاقات بين الأخوين تعرضت لأزمة عابرة عقب وفاة والدهما بدليل أن "سيف الدين غازي" الأول أرسل إلى أخيه نور الدين محمود يدعو للحضور إليه إلا أن صاحب حلب تأخر في تلبية الدعوة معللا تصرفه في انهماك في محاربة الصليبيين.⁽⁴⁾ ولقد كانت هناك مجموعة من الأسباب ساهمت في فتر هذه العلاقة بين الأخوين، رأى "سيف الدين غازي" الأول أنه كان يجب على أخيه الوقوف إلى جانبه عندما تعرض الحكم الزنكي في الموصل إلى اضطرابات سياسية، أثارها الملك ألب أرسلان السلجوقي،⁽⁵⁾ فغضب سيف الدين غازي من هذا التصرف.⁽⁶⁾ هذا ما دفع بسيف الدين الأول إلى الإلحاح على أخيه نور الدين الاجتماع به وتسوية الأمور، وقد تصرف صاحب الموصل بحكمة لإزالة أسباب التوتر،⁽⁷⁾ ولم يعارض على استيلائه للروها التي كانت تدخل في منطقة نفوذه، كما

(1)- نفسه، ص.107.

(2)- Stevenson (W.G.), .op.cit. , pp.185-186.

(3)- طقوس (محمد الدين)، المرجع السابق، ص.170.

(4)- ابن الأثير، الباهر في التاريخ، نفسه، ص.108.

(5)- طقوس (محمد الدين)، نفس المرجع، ص.170.

(6)- ابن الأثير، الباهر في التاريخ، ص.87.

(7)- نفسه، ص.87.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

كما أرسل قوة عسكرية لمساندته إلا أنها وصلت بعد أن نجح نور الدين محمود في استعادتها.⁽¹⁾

استطاع الأخوان حل المشاكل التي كانت بينهما فتعاونوا على تحقيق هدفهم ، ويكمن هذا التعاون في اشتراك عساكر الموصل جنبا إلى جنب مع عساكر الشام في الجهاد ضد الصليبيين ، وذلك في الدفاع عن دمشق ضد الصليبيين الذين حاصرت قواتهم المدينة في الحملة الصليبية الثانية عام (543 هـ / 1148م)،⁽²⁾ ونجاحهم في حمل الصليبيين عن الرحيل عن دمشق، وكذلك فتح حصن العريمة، وطرد الصليبيين منه، وهزيمة الصليبيين في إنب وفتح أفاميه سنة (544 هـ / 1149م)، بعد حكمهم للموصل ثلاث سنين .⁽³⁾

يتحلى " نور الدين محمود " بالمسؤولية وحرص على تحرير البلاد من يد الصليبية وكان يسرع لسد أي قمع أو اعتداء من قبل الأعداء ، وفي هذا الضأن يذكر ابن الأثير : "كان "جوسلين الفرنجي" في ولايته غربي الفرات: تل باشر وما جاورها ، فراسل أهلها الروها وكان عامتهم من الأرمن، وواعدهم يوما يصل إليهم فيه فأجابوه إلى ذلك..."⁽⁴⁾ فسار في عساكره إليها وملكها وامتنتع عليه القلعة بمن فيها من المسلمين، وقاتلهم وجد في قتالهم فبلغ الخبر إلى نور الدين فسار مجددا إليها في العسكر الذي عنده،⁽⁵⁾ فلما سمع "جوسلين" بوصوله خرج عن الرها إلى بلده ، فدخل "نور الدين" المدينة ونهبها وسبى أهلها ، وأجلى من كان بها من الفرنجة .⁽⁶⁾

(1)-ابن واصل ، المصدر السابق ،ص.116.

(2)- نفسه .

(3)-نفسه،ص.116.

(4)-ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج.11،ص.86.

(5)-نفسه .

(6)- حبشي (حسن) ، نور الدين محمود ،ص.12-13.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

استطاع "نور الدين محمود" خلال فترة حكمه من إلحاق هزائم كثيرة بجيوش الفرنجة في معارك عديدة وكثيرة وعلمهم عدة دروس، وحرر الكثير من المدن والحصون والمواقع الإسلامية منهم، كما أنه روح الجهاد في نفوس أبناء الأمة ورفع معنوياتهم وتوحيد جهودهم وتوجيهها نحو تحرير الأراضي الإسلامية والمقدسة منها، وتحقيق الوحدة السياسية لشام وشمال العراق (الخلافة العباسية) ومصر وشبه جزيرة العرب.^(*) كما عمل على توفير الأمن والاستقرار لتهيأت الظروف المناسبة لتحقيق المنجزات الإدارية التي قامت على أساسها نهضة الأمة.⁽¹⁾ إذ أحسن اختيار الأكفاء من الرجال مثل أسد الدين شبريكوك-عم صلاح الدين الأيوبي- و مجد الدين ابن الداية وإخوته ، العماد الأصفهاني ، خالد بن محمد القيسراني ، محمد العيمادي ، الشيخ الأمير مخلص الدين وغيرهم.^(**)

قام بوضع تقسيم الوظائف الإدارية في دولته فأعطى لقب النائب و هو الذي ينوب عن نور الدين في إحدى الأقاليم التابعة لدولته.⁽²⁾ و الوزير هو رئيس الجهاز الإداري المركزي ، مسؤولا أمام نور الدين محمود عن جميع الدواوين والسجلات المتعلقة بالجند والبريد والخزينة.⁽³⁾ ووضع لقب المستوفي للذي يقدر أموال الدولة المستحقة ويجمعها من

(*)- عن علاقات نور الدين محمود الخارجية أنظر :- عوض (محمد مؤنس أحمد) ، فن الصراع الإسلامي الصليبي -

السياسة الخارجية للدولة النورية ، ط.1 ، عين للدراسات والبحوث ، مصر ، 1998م ، ص.58.

(1)- أبو الصيني (عبد القادر أحمد) ، دور نور الدين محمود في نهضة الأمة ومقاومة الفرنجة، الدار العربي والتراث

العلمي للدراسات العليا، بغداد ، العراق ، 2000م ، ص.206.

(**)- عن أهم رجال نور الدين محمود في دولته أنظر- ابن الجوزي (سبط) ، مرآة الزمان في وفيات الأعيان ، طبعة حيدر آباد الدكن ، الهند ، 1951م ، ص.280 و ص.324-325. - (عماد الدين) ، نور الدين محمود التجربة ، ط1، دار القلم

دمشق ، بيروت ، 1400هـ/1998م ، ص.170 و ص.55. - خليل حسن حبشي ، نور الدين محمود ، ص58-59.

(2)- أبو الصيني (عبد القادر أحمد) ، المرجع السابق ، ص.170-171.

(3)- نفسه ، ص.172.

الفصل الرابع ===== الصراع الطليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

مصادره ويقوم بحفظها.⁽¹⁾ أما الأمير الحاجب هو المسؤول عن ديوان الجيش من حيث حفظ السجلات التي تحوي أسماءهم ووظائفهم ورواتبهم واقطاعاتهم ،ويقوم بحل مشاكلهم .⁽²⁾ والشحنة (قائد الحامية) الحاكم الإداري للمدينة وهو الم سؤول عن الأمن والنظام فيها ،ويعين من قبل السلطان.⁽³⁾ ومنصب القاضي الذي كان يهتم نور الدين محمود بتنقيته من أحسن الفقهاء والعلماء وأولاه عناية فائقة ، وكان يتمتع باستقلال التام .⁽⁴⁾

قام أيضا بعدة أعمال جليلة أخرى كان من شأنها أن توحد المسلمين تحت راية الإسلام وعلى يد أحد أعظم رجاله صلاح الدين الأيوبي الذي أكمل مشاريع نور الدين محمود آل زنكي إلى أن وصل إلى تحرير بيت المقدس - كما سيأتي ذكره - .

ج- صلاح الدين الأيوبي وقيام الدولة الأيوبية.

نشأت الدولة الأيوبية في مصر ، وامتدت لتشمل الشام ،الحجاز ، اليمن ، النوبة وبعض أجزاء المغرب ، ويعتبر صلاح الدين يوسف بن أيوب مؤسسها ، كان ذلك بعد أن عين وزيرا للخليفة الفاطمي العاضد لدين الله (556هـ/1160م – 567هـ/1171م) ونائبا عن السلطان نور الدين محمود في مصر.

1- نسب صلاح الدين الأيوبي :

اختلفت الكثير من المصادر التاريخية في تحديد أصل أسرة صلاح الدين مروان بن علي بن الأيوبي ، فالمؤرخ ابن خلدون يرى أن هذه الأسرة من دولة بني زنكي وجدهم

(1)-نفسه .

(2)- ابن الأثير ،التاريخ الباهر ،ص.168.

(3)- بن قاضي شبهة (تقي الدين أحمد) ،الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تح.محمود زايد ، طبعة بيروت ،1971م

ص.147.

(4)- أبو الصيني (عبد القادر أحمد) ،نفس المرجع ،ص.176.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

أيوب بن شادي بن عشير و بن الحسين ابن علي بن أحمد بن علي بن عبد العزيز بن هدية بن الحصين بن الحارث بن سنان بن عمر مرة بن عوف الحميري الدوسي .⁽¹⁾ ومنهم من يرى أن أصلهم يعود إلى بلدة صغيرة الحجم ، في منطقة فارسية ، وأما البعض الآخر فيراهم من العرب المهاجرين من الجزيرة العربية ، ونسبهم إلى بني أمية ،⁽²⁾ أو من نسل الم بعوانيين وهو فرع من بني أمية ، فصالح الدين هو يوسف بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان الكردي ،⁽³⁾ أو من سلالة مروان بن محمد آخر الأمويين الذين كانت أمه كردية .⁽⁴⁾ ولكن من الأرجح أنهم من الأكراد ،^(*) و هناك من يقول أنه لم يدون لهذه الأسرة جد أو أب بعد "شادي" .⁽⁵⁾

أما عن المكان الذي أتت منه هذه الأسرة ، فقيل أنها من أطراف أرمينية استقرت في قبيلة تسمى قبيلة الهذبانية في بلدة دوين والتي خرج منها شادي نوقد صاحب رجل اسمه بهروز ،⁽⁶⁾ واستطاع هذا الخير الحصول على وظيفة حاكم بغداد ، وبعدها على قلعة تكريت من قبل السلطان مسعود السلجوقي ، فاسند حراستها إلى ابن صديقه نجم الدين أيوب -

(1)- ابن خلدون (عبد الرحمان) ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، المجلد 5 ، ط.1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992م ، ص.331.

(2)- الدومي (عبد الجواد) ، صلاح الدين الأيوبي ، ط.2 ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، د.ت ، ص.27-28.

(3)- نفس المرجع ، ص.28.

(4)- Lane (Pool), **Saladin and the fall the Ringdon of Jerusalem Rhayats** ,Beirut , 1964,p.4.

(*)-الأكراد :تعني كلمة الذئب ،وهي بذلك تدل على طبيعة بلاد الأكراد البجبلية التي كانت كما يظهر مأوى للذئاب ، أنظر

- الدومي (عبد الجواد) ، نفس المرجع ، ص.27.

(5)- المهتدي الزبدة (عبله) ، صلاح الدين وتحرير القدس ، ط.1 ، دار مجدلاوي ، عمان ، 1414هـ/1994م ، ص.73.

(6)- بهروز من أصل يوناني كان عبدا للسلاجقة ، ثم أصبح له مكانة في البلاط وكان مدرسا للأمير السلجوقي ، وقيل أن له علاقات مع بغداد. أنظر :- Lane(Pool), *ibid.*, p.5.

الفصل الرابع ===== الصراع الطليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

والد صلاح الدين- الذي بقي بها عدة سنين .⁽¹⁾

ولكن الوضع تغير بسبب إقدام نجم الدين أيوب على مساعدة عماد الدين زنكي قائد جيوش الموصل - كما سبق ذكره - وهذا عند مهاجمته لبغداد 526هـ/1132م ، وقد ضمّد أيوب جراح عماد الدين زنكي،⁽²⁾ وهذا ما أغضب بهروز (لأنه ساعد عدوه)، كما قتل أسد الدين شيريكوك -عم صلاح الدين- أحد رجاله ، فتحيل الفرص حتى طرده من تكريت سنة 532هـ/1138م .⁽³⁾

و في ليلة رحيل الأسرة عن تكريت ،⁽⁴⁾ ولد فيها ابن أيوب وهو يوسف بن أيوب بن شادي من بلدة دوين من أذربيجان سنة 532هـ/1137م .^(*) ويذكر ابن الأثير : أن نجم الدين أيوب لم يجد من يستقبله أحسن من عماد الدين الزنكي ، فاتجه إليه بالموصل ، وذكر أيضا أن عماد الدين استقبلهم و رحب وأكرم وفادتهم ، ثم أسند حكم بعلبك بعد فتحها سنة 534هـ/1139م إلى نجم الدين أيوب وقد كان أخاه أسد الدين شيريكوك قائدا لجيشه ،⁽⁵⁾ فلحق بعماد الدين الزنكي فأعطاهما إقطاعات جلييلة ، ثم جعل نجم الدين أيوب مستخلفا لقلعة بعلبك بعد فتحها .⁽⁶⁾

أمضى صلاح الدين الأيوبي صباه في بعلبك حتى بلغ سبع سنوات عام 541هـ/1146م ،

(1)- شلبي (محمود) ،"حياة صلاح الدين ، ط.1 ، دار الجبل ،بيروت ،1980م ، ص.35.

(2)-نفسه.

(3)- حتي (فيليب) ،صانعوا التاريخ العربي ،ط.1 ،تر: أنيس فريحة ، ومراجعة :محمود زايد ، دار الثقافة ،بيروت ،ص.163.

(4)- ابن خلدون (عبد الرحمان) ، المصدر السابق ،م5 ،ص.332-333.

(*)-عن مولد صلاح الدين الأيوبي بالتفصيل وعن رحيل أسرته أنظر إلى كتاب شهاب الدين المقدسي .

(5)-ابن الأثير ، المصدر السابق ، م11 ، ص.335.

(6)- البداراوي (زين الدين عمر ابن الوردي أجمد رفعت) ، تنمة المختصر في أخبار البشر ، ج2 ، د.ط،دار المعرفة ، بيروت ، د.ت ، ص.116-117.

الفصل الرابع ===== الصراع الطليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

وفي هذا العام قتل عماد الدين الزنكي من طرف صاحب دمشق فخر الدين طغتكين، والذي قام بمحاصرة بعلبك، وتم الاتفاق بينه وبين نجم الدين أيوب" على التنازل على بعلبك مقابل الحصول على إقطاعات (1).

توفي نجم الدين أيوب في دمشق، في حين رحل أخوه شيريكوك لخدمة نور الدين محمود زنكي في حلب، وأسند إليه قيادة الجيش، وسلمه مدينتي حمص و الرحبة (2). وبعد وفاة معين الدين أتر (حاكم دمشق) سنة 544هـ/1149م، خلفه نجم الدين أيوب، وذلك أن أيوب عرض مساعدته على نور الدين محمود في الحصول على دمشق سنة 549هـ/1154م، حيث راسل شيريكوك واقترح عليه فتح دمشق، فلبى الطلب وتم فتح دمشق، وأصبح بذلك أعظم أمراء دولته (3).

نال صلاح الدين أيوب قسطا وافرا من العلم، والفضل يعود لوالده الذي واضب على تعليمه في كل علوم عصره، فحفظ القرآن الكريم ودروس الفقه والحديث واللغة العربية والبلاغة والشعر (4) وقيل أنه جالس عند كبره مشايخ أهل العلم، وقد جمع له الشيخ قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمود بن مسعود النيسابوري عقيدة فيها ما يحتاج إليه (5) وقد كان كثير الصلاة مع الجماعة، وثبت أنه كان يعلم أولاده الصغار ما تعلمه من النيسابوري (*).

(1)- ابن خلدون (عبد الرحمان)، المصدر السابق، ج.5، ص.332-333.

(2)- ابن الوردي، المصدر السابق، ص.117.

(3)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج.11، ص.335-336.

(4)- Lane (Pool), op .cit. ,p.6.

(5)- المهدي الزبدة (عبلة)، المرجع السابق، ص.77.

(*)- القُطْبُ الإمام العلامة، شيخ الشافعية قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود الطريثي النيسابوري ولد سنة خمس وخمس مائة. وتفقه على أبيه، ومحمد بن يحيى تلميذ الغزالي، وعمر بن علي، عرف بسلطان وتفقه بمرور على أبي إسحاق إبراهيم بن محمد وسمع من هبة الله بن سهل السيدي، وعبد الجبار الخواري وتأدب على أبيه، =

الفصل الرابع ===== الصراع الطليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

مهد عماد الدين زنكي ثم من بعده ابنه نور الدين محمود لآل أيوب الدخول في خدمة المناصب العليا للدولة الزنكية ومن بعدها يأتي قيام الدولة الأيوبية إلي تعمل على توحيد الخلافتين الفاطمية والعباسية ثم بذلك تمهيد الطريق لتحرير الساحل الشامي ثم بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي ، فكيف تم ذلك ؟

(2)-قيام الدولة الأيوبية:

بعد فتح دمشق ،أصبح كل من الأخوين نجم الدين أيوب و أسد الدين شيريكوه من كبار قادة جيش نور الدين زنكي و أكبر جلسائه ، وبذلك مهد لهم الطريق لتأسيس دولتهم النورية .

رأى نور الدين محمود شجاعة أسد الدين شيريكوه فلم يجد أجدر وأحق منه من

= وبرع ، وتقدم ، وأفتى ، ووعظ في أيام مشايخه ، ودرس بنظامية نيسابور نيابة ، وصار من فحول المناظرين ، وبلغ رتبة الإمامة وقدم بغداد في سنة 538 ، فوعظ وناظر ، ثم سكن دمشق ، وقد رأى أبا نصر القشيري . وكان صاحب فنون ، أقبلوا عليه بدمشق في أيام أبي الفتح المصيبي ، ودرّس بالمجاهدية ، فلما توفي أبو الفتح ، ولي بعده تدريس الغزالية ، ثم انفصل إلى حلب ، فولي تدريس المدرستين اللتين أنشأهما نور الدين وأسد الدين ، ثم سار إلى همدان ، ودرس بها مدة ، ثم عاد إلى دمشق ، ودرس بالغزالية ثانيا ، وتفقه به الأصحاب . وكان حسن الأخلاق ، متوددا ، قليل التصنع . ثم سار إلى بغداد رسولا روى عنه : أبو المواهب بن صصرى ، وأخوه الحسين ، والتاج ابن حمويه ، وطائفة وأجاز للحافظ الضياء قال ابن عساكر : كان أبوه من طريثيث . كان أديبا يُقرئ الأدب ، قدم ووعظ ، وحصل له قبول ، وكان حسن النظر مواظبا على التدريس ، وقد تقرد برئاسة أصحاب الشافعي قال ابن النجار : قدم بغداد رسولا ، وتزوج بابنة أبي الفتوح الإسفراييني . أنشدني أبو الحسن القطيعي ، أنشدني أبو المعالي مسعود بن محمد الفقيه : يقولون : أسباب الفراغ ثلاثة ورابعها حَلْوُهُ وهو خيارها وقد ذكروا أمنا ومالا وصحة ولم يعلموا أن الشباب مدارها قلت : كان فصيحاً ، مفوها ، مفسرا ، فقيها ، خلافا ، درّس أيضا بالجاروخية وقيل : إنه وعظ بدمشق ، وطلب من الملك نور الدين أن يحضر مجلسه ، فحضره ، فأخذ يعظه ، ويناديه : يا محمود ، كما كان يفعل البرهان البلخي شيخ الحنفية ، فأمر الحاجب ، فطلع ، وأمره أن لا يناديه باسمه ، فقيل فيما بعد للملك ، فقال : إن البرهان كان إذا قال : يا محمود قفّ شعري هيبه له ، ويرق قلبي ، وهذا إذا قال ، قسا قلبي ، وضاق صدري . حكى هذه سبط ابن الجوزي وقال : كان القطب غريقا في بحار الدنيا . وبنى مسجدا ، ووقف كتبه -رحمه الله. أنظر:- المقرزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج.1، تعليق :محمد مصطفى زيادة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1934-1942م ، ص.43.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

قيادة جيشه في حملاته الخارجية،⁽¹⁾ فأرسله سنة 559هـ/1164م إلى مصر بعد استنجد شاور وزير العاضد لدين الله خليفة مصر بنور الدين،⁽²⁾ وذلك بسبب سوء الأحوال الداخلية وازدياد نفوذ الوزراء الذين كثرت في صفوفهم الاغتيالات.⁽³⁾ فتردد نور الدين في الأول خوفاً من الهجمات الصليبية، إلا أنه في الأخير وافق مقابل منحه ثلث جباية مصر وإقامة جيش له بها، بالإضافة طلب أن يكون شاور برفقة قائد جيشه شيريكوه، وأن يكون يرافق صلاح الدين عمه ليشغل الصليبيين عن التعرض له.⁽⁴⁾ وبذلك استطاع شيريكوه الوصول إلى مصر سالماً، فأعاد شاور إلى منصبه، وهرب منازعه في الوزارة وقطعوا رأسه.⁽⁵⁾

ما فتئ الخلاف حتى ظهر بين نور الدين و شاور، بسبب تخاذه هذا الأخير عن الوفاء بوعوده لنور الدين محمود، الأمر الذي دفع به ليأمر شيريكوه بأن يؤديه و يخضعه.⁽⁶⁾ لكن شاور سارع للاستنجد بملك بيت المقدس أمالريك الأول الذي لبي النداء،⁽⁷⁾ لكن شيريكوه كان على بلبيس وحكم البلاد الشرقية، مما ساعده على فرض حصار على الصليبيين لمدة ثلاثة أشهر.⁽⁸⁾

(1)- العسلي (بسام)، صلاح الدين الأيوبي، دار النفائس، بيروت، د.ت، ص64.

(2)-شاور: وزير العاضد عينه على مصر العليا فاتخذ من قرص قاعدة لحكمه أنظر-(كارل) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط.4، ت:نبيه أمين فارسو منير بعلبكي ن دار العلم للملايين، بيروت، 1965م، ص.351.

(3)- المقدسي (شهاب الدين)، المصدر السابق، ج.1، ص130.

(4)- ابن خلدون (عبد الرحمان): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط.1، م.5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م، ص.295.

(5)- (شهاب الدين)، نفس المصدر، ج.1، ص.130-131.

(6)- نفسه، ج.1، ص.131.

(7)- المقدسي (محمد سهيل) طقوس، المرجع السابق، ص.330.

(8)- بروكلمان (كارل)، المرجع السابق، ص.351.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

إضافة إلى وصول أخبار عن سقوط قلعة حارم على يد نور الدين سنة 559هـ/1164م ومسيرة إلى بانياس حتى ملكها،⁽¹⁾ فاضطر الصليبيون للعودة إلى ديارهم،⁽²⁾ فعاد شيريكوه إلى الشام لكن تفكيره بقي بمصر التي بقيت بيد شاور الأمر والناهي فيها.⁽³⁾ وبعد ثلاث سنوات وبالضبط في سنة 562هـ/1167م أعد نور الدين محمود القوات اللازمة بقيادة شيريكوه وابن أخيه صلاح الدين فأرسلهم إلى مصر،⁽⁴⁾ وهنا أيضا سارع للاستنجاد بالصليبيين ، فسارع ملك بيت المقدس أمالريك الأول،⁽⁵⁾ والذي كان في بانياس لاستغاثة شاور مقابل توقيع معاهدة وبالفعل تم ذلك.⁽⁶⁾

استطاع شيريكوه إحراز النصر في معركة البابين ، لكنه لم يكمل معاركه ، كونه سارع لإنقاذ ابن صلاح الدين في الإسكندرية،⁽⁷⁾ وفي طريقه إليه أخذ من القرى والسواد الأموال من دون قتال ، ثم مضى لمهاجمة الحامية الصليبية في الإسكندرية.⁽⁸⁾ فكبد الطرفين خسائر أرغمتها على التفاوض وعقد الصلح ومن بين شروطه أن يرفع الحصار عن الإسكندرية ، ويتبادلا تبادل الأسرى، كما نص على إخراج شيريكوه مع عسكره من مصر و عدم التعرض لهم في الطريق.⁽⁹⁾

لقد كان لمساعدة الصليبيين لمصر بعد توقيع تلك المعاهدة أثر بالغ الخطورة و باهض

(1)- طقوس (محمد سهيل) ، نفس المرجع ،ص.331.

(2)- خليل (عماد الدين) ، نور الدين محمود ،ص.95-98.

(3)-نفسه .

(4)- المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ج.2 ، ص.13.

(5)- الصوري (وليم) ، المصدر السابق ،ج.2 ، ص.896.

(6)- طقوس (محمد سهيل) ، نفس المرجع ،ص.334.

(7)-ابن الأثير ، التاريخ الباهر ،ص.132-133.

(8)- حتي (فيليب) ، المرجع السابق ،ص.164.

(9)- طقوس (محمد سهيل) ، نفس المرجع ،ص.350.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

الثنى ، إذ اشترط الصليبيون على المصريين في تلك المعاهدة أن يسمح لهم بإقامة حامية لهم في مصر ومقيما مفوضا عنهم فيها .⁽¹⁾ لكن شاور وكعادته لم يوفي بشروط المعاهدة ، مما أرغم الصليبيين على محاصرة القاهرة .⁽²⁾ فقام الملك العاضد بالاستتجاد بنور الدين ،⁽³⁾ فقام بدوره بإرسال جيشه إلى مصر للمرة الثالثة ، وكان الجيش بقيادة شريكوه برفقة صلاح الدين الذي سار مكرها نظرا لما قاساه بالإسكندرية في المرة الماضية .⁽⁴⁾

وفي هذه الأثناء أرسل الكامل شجاع ابن شاور إلى نور الدين يخبره بولائه وطاعته له، وتخصيص جزية سنوية فوافق نور الدين ،⁽⁵⁾ كما أن شاور خاف من الصليبيين ، فقام بحرق الفسطاط قرب القاهرة بعد إخراج أهلها سنة 565هـ/1168م .⁽⁶⁾

وبمقاومة الأهالي ، منع الأسطول الصليبي من التقدم صوب القاهرة ، و في تلك انتقل ملك بيت المقدس أمالريك الأول ليعسكر أمام القاهرة وضايقوا أهلها ،⁽⁷⁾ ولكنه تراجع بعد وصول الحملة النورية الثالثة على مصر بقيادة شيريكوه متجها نحو عكا سنة 565هـ/1169م ،⁽⁸⁾ ولما وصل شيريكوه إلى مصر ، استطاع الاستيلاء عليه في ظرف

(1)- بروكلمان (كارل) ، المرجع السابق ،ص.351.

(2)- أبو المحاسن (جمال الدين) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج.5 ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف

والترجمة ، مصر ، د.ت ، ص.349.

(3)- بروكلمان (كارل) ، نفس المرجع ،ص.351.

(4)- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.11 ، ص.343.

(5)- العسلي (بسام) ، المرجع السابق ،ص.76.

(6)- المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ج.1 ، ص.154.

(7)- الناصر (محمد حامد) ، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري عهد نور الدين وصلاح الدين ، ط.1 ، مكتبة

الكوثر ، الرياض ، 1419هـ/1998م ، ص.202.

(8)- شباروا (عصام محمد) ، السلاطين في المشرق العربي ، دار النهضة ، بيروت ، 1994م ، ص.116.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

سنة أيام من حصارها ،⁽¹⁾ فدخلها واستقبله العاضد استقبالا حارا وهذا ما أقلق شاور فأراد القضاء عليه ، ولكن به الكامل أفشى سر والده لصالح الدين ، وقد كان شاو كثير الزيارات لأسد الدين ، وفي إحدى هذه الزيارات قبض عليه ،⁽²⁾ وقتله لصالح الدين و أرسل برأسه إلى العاضد يوم 17 ربيع الأول 565هـ/ 1169م .⁽³⁾

وبعد مقتل شاور ، عين الخليفة العضد أسد الدين وزيرا ولقبه بالمنصور أمير الجيوش،⁽⁴⁾ و بذلك أباح للأهالي بنهب قص شاور وأوكل أمور الجيش كلها لصالح الدين.⁽⁵⁾ ولن لم تستمر وزارة أسد الدين سوى شهرين وخمسة أيام ، لأن الموت أدركه رحمه الله.⁽⁶⁾ الأمر الذي أدى إلى التنافس على منصب أسد الدين من قبل أكابر السلطان نور الدين مثل عين الدولة الياروقي ، قطب الدين خسرو ، سيف الدين علي بن أحمد المشطوب و شهاب الدين الحارمي الذي يقرب صلاح الدين بصفته خاله .⁽⁷⁾

ورغم هذه المنافسة إلا أن الخليفة العاضد أمر صلاح الدين بالحضور إلى قصره، وعينه مكان عمه أسد الدين شريكوه .⁽⁸⁾

(1)- المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ج.2 ، ص.55.

(2)- الناصر (محمد حامد) ، نفس المرجع ، ص.203.

(3)- المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ج.1 ، ص.156-157.

(4)- الناصر (محمد حامد) ، نفس المرجع ، ص.203.

(5)- بروكلمان (كارل) ، المرجع السابق ، ص.352.

(6)- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.11 ، ص.341 ؛ شباروا (عصام) ، المرجع السابق ، ص.131 ؛ حتي (فيليب) ، المرجع السابق ، ص.163.

(7)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1971م ، ص.706.

(8)- المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ج.1 ، ص.160.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

لقب العاضد صلاح الدين بالملك الناصر ، في حين وضعه نور الدين قائداً على الجيوش السورية ، وبقي في مصر بصفة نائب له في البلاد المصرية .⁽¹⁾

بدأ صلاح الدين عند توليه الوزارة بتوطيد حكمه في مصر ، هو جعل أفراد أسرته مكان الأشخاص المشكوك فيهم ، وانظم إليه أتباع عمه أسد الدين والأمراء الأكراد في مصر، ولم تمضي سنة حتى كان له جيشه ،⁽²⁾ بالإضافة إلى المساعدات العسكرية التي قدمها له نور الدين ، ومن بين هذه المساعدات وصل أخوه توران شاه بن أيوب .⁽³⁾ كما أنه بعث إلى نور الدين يستسمحه في إرساله له لأهله وإخوته وقرابته ، فأرسلهم إليه واشترط عليه السمع والطاعة له .⁽⁴⁾

وجه صلاح الدين نظره إلى الداخل و ألغى الضرائب والمكوس ،^(*) وأسند بيت المال لأبيه نجم الدين أيوب ، ومنح بعض الإقطاعات لأخوته ، مما زاد في إضعاف حكم الخليفة العاضد لدين الله (555- 567هـ/1160-1171م) وكسب بذلك محبة وود أهل مصر،⁽⁵⁾ وبهذا الصدد شهاب الدين المقدسي: "...بذل لهم الأموال ، مما كان أسد الدين قد جمعه ، وطلب من العاضد شيئاً يخرج به ، فلم يمكنه لأنه منعه فمال الناس إليه وأحبوه..."⁽⁶⁾

(1)- (فليب) حتي ، نفس المرجع ، ص164. ، و - (محمد حامد) الناصر ، المرجع السابق ، ص.204.

(2)- (عبلة المهدي) الزبدة ، المرجع السابق ، ص.78-79.

(3)- (علي محمد) الصلابي ، المرجع السابق ، ص.572.

(4)- (شهاب الدين) المقدسي ، المصدر السابق ، ج.1، ص.160-161.

(*)- المكوس بمعنى المال المأخوذ من صاحبه ظلماً. و المكوس تعني أيضا الضرائب وكلها تصب في نفس الاتجاه

(5)- (عبد القادر احمد) اليوسف ، المرجع السابق ، ص.130.

(6)- (شهاب الدين) المقدسي ، المصدر السابق ، ج.1، ص.161.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

لم يرغب صلاح الدين الأيوبي في رفض الوزارة حتى لا يخيب آمال الخليفة العاضد ، فاستمال الناس بإلغاء المكوس الفاطمية وبديل الأموال والهبات والخلع لهم وساساهم سياسة حسنة ، و لعل ما زاد الناس حبا له وتعلقا به ، مما مكنه من صد تلك الغارة التي شنها الصليبيون على دمياط سنة 565هـ/1169م وردهم خائبين عنها .⁽¹⁾

ولقد استاء الخليفة العاضد ولم يكن وحده المستاء من نفوذ صلاح الدين بل امتد إلى الجند السودانيين بزعامة الطواشي ومؤتمن الخلافة الخادم الحبشي جوهر بن عبد الله الذي كان يتحكم في القصر ،⁽²⁾ وكان يطمع أن يخلق مشاكل في الوزارة ولم يستطع ، حينها أراد التخلص من صلاح الدين الأيوبي ،⁽³⁾ ففكر في الاستغاثة بملك الصليبيين أمالريك الأول على أن يتم تقسيم مصر بين الثائرين والسودانيين وبين هؤلاء الصليبيين ،⁽⁴⁾ ولكنه لم ينجح لأن رجال صلاح الدين كشفوه في آخر لحظة ، ولهذا استسلم المؤتمن خوفا من عقاب صلاح الدين . وعند وصول الوقت المناسب بعث صلاح الدين بعض رجاله فقتلوه في 25 ذو القعدة 565هـ/1169م .⁽⁵⁾ فآثار هذا الأمر أعوانه من السودان .

هناك أيضا ذلك الاتفاق بين أمالريك الأول ملك مملكة بيت المقدس والإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين على غزو مصر واقتسامها ،⁽⁶⁾ فجهز الإمبراطور مانويل أسطولا بحريا كبيرا ليبحر اتجاه صور وعكا ليهاجم مصر عن طريق ميناء دمياط(*) ، وبرأ

(1)- ابن شداد (بهاء الدين) ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ط2 ، تح.(محمد) درويش ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، 1987/01/01م ، ص.41-43.

(2)- المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ج.1 ، ص.177.

(3)- نفس المصدر ونفس الجزء ، ص.178.

(4)- ابن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج.1 ، تح: الشيال (كمال الدين) ، القاهرة ، 1953م ، ص.175.

(5)- ابن واصل ، المصدر السابق ، ص.175-176 . ؛ المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ج.1 ، ص.178.

(6)- طقوس (محمد سهيل) ، المرجع السابق ، ص.381.7 ؛

(*)- ويقول المقرزي عن دمياط عند زيارته لها : " سقى عهد دمياط وحياهمن عهد فقد زادني ذكره وجد على وجد و لازلت الأنواء تسقي سحابها ديارا حكمت من حسنها جنة الخلد فيا حسن ..". أنظر - المقرزي ، المواعظ والاعتبار ، ص.282-283.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

بجيوش الصليبيين التي تزحف إلى دمياط والتي تحركت سنة 566هـ/1169م،⁽¹⁾ فوصلت إلى فرما بعد تسعة أيام ومنها واصل السير جنوب دمياط.⁽²⁾

استطاع "صلاح الدين" أن يتصدى لهذه الحملة بمساعدة نور الدين محمود بعدها أرسل الخليفة العاضد إلى نور الدين يطلب منه سحب جنوده الأتراك من القاهرة،⁽³⁾ بحجة أنهم بثوا الرعب في قلوب المصريين لكن نور الدين اعتذر إليه بأن بقاء هؤلاء الجنود أمر ضروري لحماية مصر من الغزو الصليبي.⁽⁴⁾

ولم يتوقف نصر صلاح الدين بالقضاء على مؤامرات جند السودان الذين يكونون جزء مهما من الجيش الفاطمي، بل أراد القضاء على النصارى الأرمن وهم الفرقة التالية للسودان قوة وعددا في الجيش الفاطمي،⁽⁵⁾ فأحرق دارا للأرمن بين القصرين وفيها عدد المعركة مع السودان، فلقوا جزاءهم عن ذلك، وأما من تبقى منهم فنفاهم صلاح الدين إلى الصعيد.⁽⁶⁾ وقال ابن الأثير عن هذا: "خرجت النعمة تطلب قرنين، فرجعت بلا أذنين".⁽⁷⁾

وهذا كله ساهم في تثبيت مكانة صلاح الدين الأيوبي عند المصريين، الذين دعموه أمام الصليبيين بتلك القوى، وغرس الأمان في نفوسهم والثقة في حاميتهم.

إن الانتصار الذي حققه صلاح الدين في حاميته لدمياط، دفع بالسلطان نور الدين محمود أن يلح على صلاح الدين الأيوبي بضرورة إسقاط الخلافة الفاطمية، لكن صلاح

(1)-حبشي (حسن)، نور الدين محمود والصليبيون، ص.134-140.

(2)- المقدسي (شهاب الدين)، نفس المصدر، ج.1، ص.181.

(3)-ابن الأثير، المصدر السابق، ج.9، ص.13-14.

(4)- ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص.107.

(5)- الصلابي (محمد)، المرجع السابق، ص.573.

(6)- نفسالمرجع، ص.573.

(7)-ابن الأثير، المصدر السابق، ج.11، ص.351-352.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

الدين كان يحرص على بقاء الخلافة الفاطمية ، وهذا حتى يكون بمثابة سلاح إذا تآزم الوضع بينه وبين نور الدين ،⁽¹⁾ ويذكر بهذا الصدد ابن الأثير : " ... كان "صالح الدين يكره قطع الخطبة لهم (العلويين) ويريد بقاءهم خوفا من نور الدين ، فإنه كان يخافه أن يدخل الديار المصرية ويأخذها منه ، فكان يريد أن يكون العاضد معه ، حتى إن قصده نور الدين امتنع به و بأهل مصر عليه ."⁽²⁾

علم صالح الدين بمدى تعلق الناس بالمذهب الشيعي الذي يؤمن به الفاطميين بمصر ، فبدأ يماطل في طلب سيده بحجة ميل مصر إلى العلوية ، بعد أن بادر إلى ذهنه أن نور الدين يريد به ضررا ،⁽³⁾ إلا أنه اختار ثورة الشيعة عليه على أن يغضب سيده ،⁽⁴⁾ وخاصة بعد الإنذار الذي بعثه نور الدين في صيف 567هـ/1171م ، بإقامة الخطبة باسم الخليفة العباسي المستنضي .⁽⁵⁾ و بدأ صالح الدين يمهد لذلك ، وقد ساعده الرجل الكبير القاضي الفاضل في وضع خطة بدقة متناهية ،⁽⁶⁾ وبدأ بتحويل دار المعونة ودار العدل في الفسطاط إلى مدارس للشافعية ،^(*) وإحلال قضاة الشافعية محل قضاة الشيعة في جميع البلاد ،⁽⁷⁾ وعزل المعلمون و الإسماعليون وولى الأصدقاء والأقارب المؤتمنين ،⁽⁸⁾ وأزال المذهب الشيعي وبدعهم مثل الأذان ، فهم يقولون حي العمل والأذان الحقيقي يقول حي على الفلاح ، ويعلق

(1)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ، ج.2 ، ص.722-723.

(2)- ابن الأثير ، نفس المصدر ، ج.11 ، ص.353.

(3)- أحمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص.133.

(4)- الناصر (محمد حامد) ، نفس المرجع ، ص.209.

(5)- نفسه ، ص.209.

(6)- الصلابي (محمد) ، المرجع السابق ، ص.581.

(7)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ، ج.2 ، ص.723.

(8)- حتي (فيليب) ، المرجع السابق ، ص.165.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

"المقرزي" بأن هذه أول وصمة دخلت على الدولة .⁽¹⁾

وفي خضم هذه الأحداث كان العاضد شديد المرض ، واستمر صلاح الدين الأيوبي في مشاريعه إلى أن تمت أول خطبة باسم الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (566-575هـ/1170-1180م) في أول جمعة من محرم 567هـ/1171 ،⁽²⁾ وقد توفي العاضد الفاطمي بعد ثلاثة أيام من إعلان المذهب السني ، دون أن يعلم بالأمر ، حيث منع صلاح الدين الأيوبي رجاله من إخبار العاضد أثناء مرضه .⁽³⁾ وقيل أن صلاح الدين تأثر بوفاة العاضد الفاطمي " قال : "لو علمنا أنه يموت في هذه الجمعة ، ما غصصنا برفع اسمه من الخطبة" .⁽⁴⁾

استمرت الوحدة الإسلامية السنية بعد سقوط الخلافة الفاطمية في مصر ، وهو الأمر الذي سرَّ المسلمين سرورا كبيرا ،⁽⁵⁾ فأقاموا الاحتفالات في بغداد عقر دار الخلافة العباسية،⁽⁶⁾ كما فرح بالخبر أهل القيروان والحجاز اللتان كانتا تابعتين لمصر ، مما زاد من قيمة صلاح الدين عند المسلمين ، وبذلك أصبح حامى الحرمين الشريفين ، أما اليمن فكانت شيعية ، لكنه لم يجد صعوبة في ضمها .⁽⁷⁾

وقد نصب صلاح الدين الأعلام السوداء على منابر الجوامع المصرية ، وكتب بها نسخة لإسقاط المكوس .⁽⁸⁾ وكل هذا كان يمهد لقيام الدولة الأيوبية .

(1)-المقرزي ،*اتعاظ الحنفاء بأخبار الأمة الفاطميين الخلفاء* ، ج.3، نج . محمد حلمي محمد أحمد ، طبعة دار الفكر العربي ،

القاهرة ، 1340هـ/1942م ، ص.317.

(2)-ابن الأثير ، *التاريخ الباهر* ، ص.156.

(3)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، *الحركة الصليبية* ، ج.2 ، ص.724-725.

(4)- المقدسي (شهاب الدين) ، *المصدر السابق* ، ج.1 ، ص.196.

(5)- الصلابي (محمد) ، *المرجع السابق* ، ص.586.

(6)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، *الحركة الصليبية* ، ج.2 ، ص.724-725.

(7)- حتي (فيليب) ، *المرجع السابق* ، ص.165.

(8)- المهتدي الزبدة (عبلة) ، *المرجع السابق* ، ص.85.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

بعد تلك القوة التي وصل إليها صلاح الدين وحب الناس له وإعجابهم لما وصله من تعاضم القوة ، واتساع سلطانه إلا أنه حرص على توطيد نفوذه في البلاد ، فقام بزيارة الإسكندرية لطمعه بالاستيلاء على برقة طمعا في ثروتها.⁽¹⁾

لقد كان لزاما على صلاح الدين أن يحدد موقفه من نور الدين في أمرين ، إما أن يضل تحت ولاء نور الدين محمود بصفته نائب له في مصر ، وفي نفس الوقت يقبل في أي لحظة إقالته من حكم مصر، وهو الأمر المحبذ عند والده نجم الدين أيوب فشجعه عليه ، نظرا لحيه وولائه لنور الدين محمود،⁽²⁾ أو إما أن يستقيل عن نور الدين ويجعل نفسه حاكما على مصر وبالتالي يتعرض لنور الدين.⁽³⁾ إلا أن صلاح الدين كان يتحاشى ملاقاته نور الدين ، فكانت المرة الأولى عند حصاره لحصن الشوبك -جنوب الكرك بفلسطين- سنة 567هـ/1171م ، إذ أراد نور الدين الالتقاء به لمساعدته،⁽⁴⁾ لكن صلاح الدين علم بمسيرته، فعاد إلى مصر،⁽⁵⁾ لأنه سمع بأن نور الدين ربما يريد به شرا، و اعتذر صلاح الدين منه بحجة أن أخيه كان بحاجة في محاربة أتباع الفاطميين (الشيعيين) بالصعيد،⁽⁶⁾ ولكن في حقيقة الأمر صلاح الدين ارتاب من أمره وفي لقاء نور الدين وإظهار طاعته وما سينجر عن ذلك من تحكمه فيه فأسرع بالعودة إلى مصر.

لم يقتنع نور الدين بما فعله صلاح الدين ، فبدأ يستعد للزحف على مصر لتأديب

(1)-المقرزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج.1، تعليق : محمد مصطفى زيادة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة

، 1934هـ/1942م ، ص.48.

(2)- المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ج.2 ، ص.228-229.

(3)- أبو حديد (محمد فريد) ، صلاح الدين الأيوبي وعصره ، سلسلة المعارف العامة ، مطبعة دار الكتب المصرية

بالقاهرة ، 1346هـ/1927م ، ص.73.

(4)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ، ج.2 ، ص.725-726.

(5)- أحمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص.133.

(6)- المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ج.2، ص.214-223.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

صلاح الدين الأيوبي،⁽¹⁾ وقد اجتمع صلاح الدين بأسرته وأمرائه لإيجاد حل ، فأشار عليه والده بأن يتريث ، وأن نور الدين سيده وحاكم هذه البلاد وانه عليه طاعته،⁽²⁾ وطلب منه أن يكتب إلى نور الدين اعتذارا يعبر فيه عن ولاءه له ، وأرسل له هدية ثمينة في حيوانات نادرة وجواهر وأقمشة وعطر .⁽³⁾ فقبل نور الدين الاعتذار وقال أن حفظ مصر أهم عندنا من غيره.⁽⁴⁾ و عمل صلاح الدين على ضم المغرب الأدنى لتحسين حدوده وكان ذلك سنة 568هـ/1173م ، بالإضافة إلى ثرواتها وخيراتها ، فدخل طرابلس وبرقة وبعض بلاد المغرب الأدنى ووصل حتى قابس .⁽⁵⁾

تحاشى صلاح الدين ملاقاته نور الدين للمرة الثانية خلال حصار الكرك سنة 668هـ/1173م ، والذي عاد إلى مصر بعد علمه بقدوم نور الدين ، وتحجج هذه المرة بمرض والده نجم الدين أيوب .⁽⁶⁾

فكر صلاح الدين وأسرته في البحث عن أرض يقصدونها في حالة اضطراب الأوضاع مع نور الدين ، لذا أرسل شمس الدولة توران شاه بن أيوب أواخر سنة 569هـ/1174م لفتح بلاد النوبة ولكنهم وجدوها قليلة الخيرات إلا أنهم فتحوها .⁽⁷⁾

علم نور الدين برجوع صلاح الدين عن حصار الكرك،⁽⁸⁾ فصمم نور الدين محمود

(1)- ابن خلدون (عبد الرحمان) ، المصدر السابق ، ج.5 ، ص.340-341.

(2)- المقدسي (شهاب الدين) ، نفس المصدر ، ج.2 ، ص.229.

(3)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ، ج.2 ، ص.728 وص.767-768.

(4)- أبو الصيني (عبد القادر أحمد) ، المرجع السابق ، ص.120.

(5)- الصلابي (محمد) ، المرجع السابق ، ص.602.

(6)- ابن خلدون (عبد الرحمان) ، المصدر السابق ، ج.1 ، ص.534.

(7)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ، ج.2 ، ص.728-729.

(8)- ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ص.159.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

على غزو مصر وأخذها من صلاح الدين ، ولكن الموت استدركه قبل تحقيق عزمه ، وتوفي يوم الأربعاء-11 شوال569هـ/1174م ،⁽¹⁾ ولولا وفاته في تلك الفترة بالذات (رحمه الله) لتأزم الوضع أكثر ولوقعت الأزمة الكبرى بينه وبين صلاح الدين .⁽²⁾

بعد وفاة نور الدين محمود زنكي عام 569هـ/1174م ، أصبح الطريق مفتوحا أمام صلاح الدين الأيوبي لإقامة دولة أيوبية ، واختلف الكثير من المؤرخين حول تحديد تاريخ بداية الأسرة الأيوبية ، وهناك من أرجعها إلى تولية صلاح الدين الوزارة من قبل الخليفة العاضد عام 564هـ/1169م .⁽³⁾ والأرجح أنها بدأت منذ وفاة نور الدين محمود 569هـ/1174م ، لذا فإن سنة الوفاة هي تاريخ ابتداء حكم الأسرة الأيوبية التي اعترف بها الخليفة العباسي المستضيء بالله عام 570هـ/1175م .⁽⁴⁾ ويمكن اعتبار فترة الخمس سنوات التي سبقت وفاة نور الدين محمود بمثابة فتوة تأسيس الدولة الأيوبية في مصر .⁽⁵⁾

عمل صلاح الدين على توطيد حكمه أكثر من خلال القيام بعدة فتوحات مهدت له الطريق في إقامة دولة إسلامية موحدة متخطيا في ذلك الكثير الصعوبات والمتاعب التي واجهته .

(2)- تحرير بيت المقدس من طرف صلاح الدين الأيوبي :

من أجل تحرير بيت المقدس ، عمل صلاح الدين على توحيد مصر والشام ، ولم يكن

(1)- (عبد القادر) أحمد اليوسف ، المرجع السابق ،ص.133.

(2)- الذهبي (سمش الدين) ، سير أعلام النبلاء ،ج.20 ،ط.2 ،تح. شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ،1402هـ/1982م ، ص.537.

(3)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ،ج.2 ،ص.729.

(4)- المهدي الزبدة (عبلة) ، المرجع السابق ،ص.78-79.

(5)- شباروا (عصام محمد) ، المرجع السابق ،ص.139-140.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

ذلك بالأمر الهين إذ واجهته عدة صعوبات من أجل تحقيق الوحدة ثم العمل من أجل تحرير بيت المقدس .

أ- توحيد صلاح الدين الأيوبي مصر والشام:

لم يكن توطيد الحكم على يد "صلاح الدين بمجرد القضاء على قوة المعارضة من السودان أو بإلغاء الخلافة الفاطمية في مصر ولا بوفاة نور الدين محمود ، فقد اعترضته عدة مؤامرات وخاصة الشيعة الفاطميين .

لم ينسى الشيعة أن صلاح الدين هو الذي أزال دولتهم الفاطمية في مصر ومهد للسنة من جديد ، واستعانوا في هذه المؤامرات بالصليبيين وكاتبوهم . فدبر الشيعة مؤامرة وهذا لإحياء الخلافة الفاطمية ورد الاعتبار للدعوة العلوية⁽¹⁾ . وكان ذلك في رمضان 569هـ/أفريل 1174م ، وقيل في صفر 570هـ/1174م⁽²⁾ ، وكان معظم هؤلاء المتآمرون من القوى المؤيدة للخلافة الفاطمية وهم من رجال القصر الفاطمي وأمراء وجنده من السودان⁽³⁾ ، وكان على رأسها الشاعر عمارة اليميني و عبد النعم الكاتب و القاضي العوريس وبعض من جند صلاح الدين المعارضين⁽⁴⁾ . ولإنجاح حركتهم اتصلوا برجال الإسماعيلية في مصر، وبالصليبيين بالشام وصقلية ، وقد أرسلوا إلى شيخ الجبل ومقدم الإسماعيلية يطلبون منه إرسال من يقتل صلاح الدين⁽⁵⁾ ، ويقوم الصليبيون بالشام أي ملك بيت المقدس وهو الملك أمالريك الأول بغزو مصر من ناحية الشرق برا ، في حين يقوم وليم الثاني

(1)- أبو المحاسن (جمال الدين) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج.6 ، وزارة الثقافة والأرشيف القومي ،

المؤسسة المصرية العامة ، ص.24.

(2)- المهتدي (عبلة) ، المرجع السابق ، ص.91.

(3)- ابن الأثير، المصدر السابق ، ج.11، ص.398-399.

(4)- أبو حديد (محمد فريد) ، المرجع السابق ، ص.86.

(5)- المقرزي ، السلوك لمعرفة الملوك ، ص.53.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

النورماندي بحصار الإسكندرية ، و يقوم المتآمرون في مصر بإشعال نار الثورة في القاهرة والفسطاط ، وبذلك يجد صلاح الدين نفسه بينهما (1).

أرسل أمالريك الأول كأول خطوة رسوله إلى مصر يحمل تحيات للملك صلاح الدين وقد جاء لتنفيذ خطة مع المتآمرين في الوقت نفسه أعد وليم الثاني أسطول ضخم من 600 سفينة بها ما يقارب 30 ألف محارب (2).

من حظ صلاح الدين اكتشاف أمرهم عن طريق إفشاء خطة المتآمرين من طرف أحدهم وهو الواغظ زين الدين علي بن النجا، (3) - وقيل اختلف معهم على المناصب فاطلع صلاح الدين على خطتهم- بالإضافة إلى أن الأقباط، (*) الذين راقبوا ذلك الرسول الصليبي ، تأكدوا من حقيقة المؤامرة، (4) ولما تأكد صلاح الدين من تلك المؤامرة قبض على رؤساء المتآمرين في رمضان 569هـ/ أبريل 1174م فصلبهم بعد أن حاكمهم وأقروا بفعالهم مثل عمارة اليمني (5).

فشلت المؤامرة ولم يعلم الصليبيون بهذا بسبب وفاة الملك أمالريك الأول و تعطل تقدم

(1) Lane (Poole) ,op.cit. , p. 126.

(2) - عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، المرجع السابق ، ج.2 ، ص.731.

(3) - أبو حديد (محمد فريد) ، المرجع السابق ، ص.83.

(*)- أقباط جمع قبطي، وقبل دخول العرب إلى مصر كانت كلمة "قبط" تدل على أهل مصر دون أن يكون للمعتقد الديني أثر على ذلك الاستخدام، إلا أنه بسبب كون السلطة كانت بأيدي أصحاب الديانة المسيحية وقت دخول العرب المسلمين مصر، فقد اكتسب الاسم بعدا دينيا تمييزا للمسيحيين عن غيرهم، حتى انحصرت كلمه قبطي علي مر العصور لتشير للمسيحيين في الأحاديث وكذلك في الخطاب الرسمي للدولة.ويتركز معظمهم في السودان وبعض دول المهجر.-أنظر إ. ل. بتشر ، تاريخ الأمة القبطية وكنيستها ، ترجمة إسكندر تادرس ، مطبعة مصر ، 1901 م ، ص.148- 149.

(4)-ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.11، ص399-400.

(5)- بن واصل (جمال الدين محمد) ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج.1، م.5 ، تج. (جمال الدين محمد) الشيال ، وزارة المعارف المصرية ، القاهرة ، 1952م ، ص.243-246.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

الأسطول من الشام لغزو ومصر، وفي 26- ذي الحجة 596هـ/28 جوان 1174م) ،⁽¹⁾ تقدم هذا الأسطول إلى الإسكندرية وحاصرها ، فاستتجد أهلها بصلاح الدين ودام حصار المدينة ثلاثة أيام وفشلت بذلك المؤامرة .⁽²⁾

انتهى صلاح الدين من إخماد تلك المؤامرة ، حتى قام بإرسال قواته من جديد إلى بلاد أسوان حدود النوبة لإخماد مؤامرة أخرى ،⁽³⁾ قام بها كنز الدولة من أهل الصعيد وهو أحد القادة الفاطميين الذي فر إلى أسوان بعد سقوط الخلافة الفاطمية ،⁽⁴⁾ حيث جمع أتباع الشيعة وجمع من السودان بعض أتباع الشيعة والناقمين على صلاح الدين واستقر بمنطقة قومص وقام بقتل كل من وجد من أهاليها (أتباع السنة) ،⁽⁵⁾ فراسل أهاليها صلاح الدين لإنقاذهم وأرسل أخيه الملك العادل سيف الدين ،⁽⁶⁾ حيث استطاع أن يقضي عليه وأتباعه في صفر 570هـ/أيلول 1174م .⁽⁷⁾

قضى صلاح الدين على مؤامرات الشيعة في مصر ، وظهر هناك تحالف الصليبيين مع فرقة الباطنية ،^(*) وممن تحالف مع الصليبيين نجد عمارة اليمني و لم يكن هو الوحيد

(1)- المهندي (عبلة) ، المرجع السابق ،ص.92.

(2)- أبو حديد (محمد فريد) ، المرجع السابق ، ص.83.

(3)-ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج.11 ،ص.412-413.

(4)- ابن واصل، مفرج الكروب ، ج.1، ص. 16-17.

(5)-المقرزي ، السلوك لمعرفة الملوك ،ص.57-58.

(6)- ابن الفداء (عماد الدين إسماعيل) ، المختصر في أخبار البشر ،ج.5 ، ط.1 ، دار البحار ، بيروت، 1380هـ/1960م ،

ص.60 و ص.65.

(7)- الحنبلي (شهاب الدين ابن العماد) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،م.4 ، تج . مصطفى عبد القادر بن عطا ، دار

الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 464هـ-588هـ ، ص.425.

(*)-هي الفرقة التي تنتسب إلى الشيعة، وحب آل البيت ، وتتخذ من ذلك ستارا وغطاء لخداع المسلمين مع إبطانهم للكفر المحض والباطنية اصطلاح عام يطلق على جمع من الطوائف والفرق المتعددة المتشعبة، وبينها قاسم مشترك هو=

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

الذي استعان بالأعداء ، وإنما هناك آخرون وهو ما قام به بعض غلاة الشيعة من الباطنية في الشام بالاستعانة بأمالريك الأول 569هـ/1174م قبل وفاته ، وقد امتازوا بالانحلال الخلقي، وهم يمتلكون عدة حصون في بلاد الشام ، مثل القدموس والعليفة والكهف و مصياف .⁽¹⁾ وطلب الباطنية من الصليبيين إعفائهم من الضريبة التي يفرضها عليهم الداوية (تبلغ ألفي دينار) وقد قام أمالريك الأول بذلك ، لكن هذا أثار غضب الداوية وقتلوا رسول الباطنية وبذلك وحد التوتر قبل تنفيذ المؤامرة فألغيت .⁽²⁾

ترك أمالريك الأول بعد وفاته ابنه بلدوين الرابع على عرش المملكة ابنه ، و الذي كان في الثالثة عشر م ن عمره عندما تولى العرش، وقد امتاز بالموهبة والمقدرة الفائقة - كما سبق ذكره - . وفي هذه السن توفرت فيه كل هذه الخصال وقاتل صلاح الدين ، بالرغم من إصابته بمرض الجدام أو البرص ، ومات وعمره أربعة وعشرين سنة .⁽³⁾ فترك السلطة لبعض وزرائه فتدرت أوضاع المملكة الصليبية في بيت المقدس ، وسادت الفوضى والفساد والتنافس بين أمرائه ، و استطاع أحدهم وهو رايmond الثالث أمير طرابلس أن ينفرد بأمر الحكم بوصفه وصيا على بلدوين الرابع الذي استطاع جلب محبة الناس ، وتسلم زمام الحكم سنة 569هـ/1174م .⁽³⁾

بعد وفاة نور الدين محمود ونجاح صلاح الدين في تقويض شوكة المتآمرين عليه ،

= الاعتقاد بالظاهر والباطن، وتأويل نصوص الشريعة تأويلا باطنا يتوافق مع معتقدات زعموا أنهم اختصوا بها وبمعرفتها دون سواهم وبهذا يعلم أن الباطنية ليست فرقة واحدة، وإنما فرق متعددة. وسبب تسميتهم بهذا الاسم لأنهم يزعمون أن لظواهر القرآن بواطن يعرفونها دون سواهم ، و قال الشهرستاني في سبب تسميتهم بهذا اللقب (إذ لزمهم بهذا اللقب لحكمهم بأن لكل شيء ظاهرا وباطنا، ولكل تنزيل تأويل.أنظر:- الشهرستاني (أبي بكر احمد) ، الملل والنحل، ج.1 ، تح: الكيلاني (محمد) ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع مستديرة المطار ، دبت ، ص.192.

(1)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ، ج.2 ، ص.734.

(2)- نفس المرجع ، ص.735.

(3)- ماير (هانس أبرهارد) ، المرجع السابق ، ص.182.

(4)- Grousset (R) ,op.cit, p.182.

الفصل الرابع ===== الصالح الطليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

فكر صلاح الدين في توحيد المناطق الإسلامية، وقد ساعدته عدة ظروف ومنها وفاة نور الدين الذي ترك خليفة له عمره إحدى عشر سنة وهو الملك الصالح إسماعيل وابنة صغيرة وزوجته عصمة الدين خاتون ابنة معين الدين أنر،⁽¹⁾ بالإضافة إلى ابن أخيه يوسف الدين غازي الثاني قطب الدين مودود بن زنكي أتابك الموصل والذي فرح لموت عمه.⁽²⁾

بايع أمراء دمشق الملك صالح إسماعيل خلفاً لأبيه بالشام،⁽³⁾ وقاموا ببعث رسائل تعزية بوفاة نور الدين والتهنئة بتوليته للعرش، ومن تلك الرسائل ما وصل إلى صلاح الدين.⁽⁴⁾ و قام صلاح الدين بإقامة العزاء ثلاثة أيام، وأقام الخطبة باسم الملك الصالح وضربت السكة باسمه،⁽⁵⁾ بالإضافة إلى إرسال كتاب أعرب فيه صلاح الدين عن تأثره البالغ بوفاة والده نور الدين،⁽⁶⁾ مضيفاً فيه ولاءه للملك الصالح إسماعيل وقيل أنه أرسل مع الكتاب دنانير مصرية عليها اسم الملك الصالح.⁽⁷⁾

كان في البلاد الشامية والجزيرة عواصم ثلاث أخذت القيادة في حوادث تلك الأيام وهي دمشق، حلب والموصل، وكان أول صوت أذن بالاضطراب في الدولة النورية أتيا كان من الموصل،⁽⁸⁾ إذ أن سيف الدين غازي ابن أخ نور الدين أسرع إلى الاستقلال بما يليه من البلاد وأعلن نفسه أميراً على الجزيرة وكان حوله من أمرائه من يحسن له أن يذهب

(1)- ابن الكثير : المصدر السابق، ج.12، ص.223-225. ؛ أبو حديد (محمد فريد)، المرجع السابق، ص.86.

(2)-المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ص.55-56. ؛ عاشور (سعيد عبد الفتاح)، المرجع السابق، ج.2، ص.738.

(3)- أبو حديد (محمد فريد)، نفس المرجع، ص.86.

(4)- البنداري (الفتح)، سنا لبرق الشامي، ج.1، تح. فتيحة النبراوي، ط. القاهرة، 1979م، ص.155.

(5)- النقاش (زكي)، المرجع السابق، ص.50.

(6)- Lane (pool), op.cit., pp.131-134.

(7)-ابن الأثير، المصدر السابق، ج.11، ص.405.

(8)- أبو حديد (محمد فريد)، نفس المرجع، ص.86-87.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

إلى الشام ويستولى عليها فليس بها من مانع،⁽¹⁾ وأمر أيضا بإعادة المكوس.⁽²⁾ لما علم صلاح الدين باحتلال سيف الدين غازي لبلاد الجزيرة أرسل للملك الصالح إسماعيل وأمرائه يعاتبهم على عدم الإرسال له لحماية أملاك سيده الصالح.⁽³⁾ والجدير بالذكر أنه وجد خلاف بين أمراء نور الدين حول الوصاية على الملك الصالح وخاصة بين شمس الدين علي بن الداية والأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن عبد المقدم،⁽⁴⁾ فقد قام ابن الداية بأخذ حلب واحتفظ ابن المقدم على شخص الملك الصالح في دمشق.⁽⁵⁾

استغل الملك أمالريك الأول بعد ذلك وفاة نور الدين ودخل بلاد الشام واحتل بانياس في أواخر شوال 569هـ/ماي 1174م، فخرج إليهم الأمير ابن المقدم على رأس الجيش الدمشقي ووقعت هدنة بينهما، انسحب خلالها الصليبيين مقابل مبالغ مالية والمخالفة ضد صلاح الدين.⁽⁶⁾

علم صلاح الدين بتلك المعاهدة غضب وأرسل إلى الملك الصالح يعبر عن استيائه واستصغر أهل الشام وعلم بضعفهم، وقيل أنه دعا علماء الدين لتحريك الرأي العام ضد هؤلاء الأمراء،⁽⁷⁾ حيث أرسل للقاضي شرف الدين بني أبي عصرون يطلب منه تنبيه الناس ضد الأمراء النوريين.⁽⁸⁾

-
- (1)- بروكلمان (كارل)، المرجع السابق، ص.353.
 - (2)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج.11، ص.406.
 - (3)- عاشور (سعيد عبد الفتاح)، الحركة الصليبية، ج.2، ص.738.
 - (4)- الطيب سليمان (نعمان)، منهج صلاح الدين في الحكم والقيادة، ط.1، مطبعة الحسن الإسلامية، القاهرة، 1411هـ/1991م، ص.153.
 - (5)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج.11، ص.233.
 - (6)- البنداري (الفتح)، سنا البرق الشامي، ص.4.
 - (7)- عاشور (سعيد عبد الفتاح)، الحركة الصليبية، ج.2، ص.739.
 - (8)- نفسه ص.405-407.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

تنافس آل الداية مع سعد الدين كمشتكين -وهو أحد أمراء نور الدين- الذي قبض على عليهم ، واستبد بالملك الصالح، وبدأ بتحريضه على صلاح الدين- والذي سار إلى دمشق، واستطاع الخروج بالصالح إسماعيل وأحضره إلى حلب في 23 ذي الحجة سنة 569 هـ/1174م،⁽¹⁾ وهذا ما اقلق ابن المقدم وبعض الأمراء، فبعثوا إلى يوسف الدين غازي وعرضوا عليه إعطاء دمشق،⁽²⁾ ولكن هذا الأخير أبى ذلك ، وهذا ما أدى بهم خوفا من الصليبيين ومن سعد كمشتكين،⁽³⁾ فلجأوا إلى صلاح الدين ودعوه ليستلم دمشق.⁽⁴⁾

جاءت تلك الدعوة مناسبة لطموحات صلاح الدين ورغبته في توحيد بلاد المسلمين ، فبعدما استخلف على مصر أخاه العادل انطلق نحو بلاد الشام.⁽⁵⁾ و في طريقه إلى هناك، وحتى لا يثير غضب الخليفة العباسية باعتباره السلطة العليا على المسلمين ، يعلمه بأن دخوله إلى دمشق هو حماية لممتلكات المسلمين وإقامة الوحدة الإسلامية لمواجهة الغزو الصليبي.⁽⁶⁾

وفي ربيع الثاني 570 هـ/1174م وصل مدينة بليس المصرية إلى حين وصل يوم الثلاثاء في ربيع الثاني 1174/570م دخلها سلميا ، ثم استقبل استقبالاً حاراً من قبل أهالي دمشق،⁽⁷⁾ وبيّن للناس أنه جاء إليهم لولاء للملك الصالح.⁽⁸⁾ وبعد ذلك عمل صلاح الدين

(1)-ابن الأثير ،التاريخ الباهر ،ص.75.

(2)- المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ج.1 ،ص.233.

(3)-ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج.11،ص.233.

(4)- Lane -Poole ,op.cit , p. 137.

(5)-ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج.11،ص.416.

(6)- ابن الوردي ، تنمة المختصر في أخبار البشر ،ج.6 ، ط.1 ، تح. البدرابي (أحمد رفعت) ، دار المعرفة ،بيروت ،

1389 هـ/1970م ،ص.78.

(7)-ابن الكثير ، المصدر السابق ،ج.12 ،ص.556.

(8)-ابن العماد الحنبلي ،المصدر السابق ،م.4 ، ص.419.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

علم كسب محبة الناس فقام بتوزيع الأموال والأراضي وإزالة المكوس ، والقضاء على المنكرات التي حصلت بعد وفاة نور الدين ، وبعد ذلك عين سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ليحكمها .⁽¹⁾

تفرغ صلاح الدين من دمشق ، فقصده حمص في 11 جمادى الثاني 570هـ/ديسمبر 1174 م ، ثم بعدها اتجه إلى حمادة في 28 جمادى الثانية/28 ديسمبر 1174م ، وأما قلعتها فكانت بيد الأمير عز الدين جورديك وامتنع عن التسليم ،⁽²⁾ فأرسل إليه صلاح الدين يطلب الصلح معه ، فقبل الأمير فسار هذا الأخير إلى حلب مع صلاح الدين واستخلف بالقلعة أخاه ليحفظها ،⁽³⁾ ولما وصل جورديك إلى حلب قبض عليه كمشتكين وحبسه ،^(*) فلما علم أخوه بذلك سلم القلعة إلى صلاح الدين .⁽⁴⁾ وواصل صلاح الدين إلى حلب ، وقد قاومه سكانها وخاصة بعد وقوف لملك الصالح في وسط الناس بيكي ويستبكي ويذكر الناس بفضل أبيه عليهم ،⁽⁵⁾ وقد قام سعد الدين مشتكين بالاستعانة بالباطنية والصليبيين ، واتصل بسنان مقدم الإسماعيلية والذين حاولوا اغتياله لكنه اكتشفهم ،⁽⁶⁾ وبعد ذلك أرسل إلى رايوند الثالث ووصي ملك بيت المقدس الذي هاجم صلاح الدين في حمص بعد أن أدرك قيام وحدة إسلامية بين القاهرة ودمشق وحلب .⁽⁷⁾

(1)-ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج.6 ، ص.78.

(2)-ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.11 ، ص.418. ؛ أبي الفداء ، المصدر السابق ، ج.5 ، ص.77.

(3)- أبو حديد (محمد فريد) ، المرجع السابق ، ص.93.

(4)- البنداري: سنا البرق الشامي ، ص.80.

(*)- عن طريق انتصارات صلاح الدين في استرجاع المدن الإسلامية. انظر الملحق رقم. 11 ، ص.286.

(5)- حتي (فيليب) ، المرجع السابق ، ص.162. ؛ سليمان (نعمان الطيب) ، المرجع السابق ، ص.159.

(6)-أبو الفداء ، المصدر السابق ، ج.5 ، ص.77. ؛ أحمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص.138.

Lane (Poole) ,op.cit. ,p. 138.

(7)-ابن الوردي ، المصدر السابق ، ج.2 ، ص.138.؛

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

ولما علم صلاح الدين بمهاجمة حمص فك حصاره عن حلب،⁽¹⁾ واتجه إلى المدينة المحاصرة في 8 رجب 570هـ/ أوت 1175م ، واستطاع إخراج الصليبيين منها.⁽²⁾ وفي طريقة فتح قلعة حمص وبعلبك وقلعتها في شهر رمضان 570هـ 1175م.⁽³⁾ وفي تلك الأثناء خاف سيف الدين غازي على أملاكه فبعثت بجيش على رأسه أخيه عز الدين مسعود لمساعدة كمشكتين في حلب،⁽⁴⁾ وعندما علم صلاح الدين بذلك أرسل إلى أخيه سيف الدين غازي" وهو صاحب سنجار وأطمعه في الملك،⁽⁵⁾ فحدث بذلك الانشقاق بين الأخوين حيث رفض عز الدين مسعود زنكي محاربة صلاح الدين، وهذا ما أدى إلى حصار سيف الدين قلعة سنجار في رمضان 570هـ/ 1175م.⁽⁶⁾

حاصرت القوات المتحالفة الحلبية والصليبية بعد ذلك مدينة حماة، وسرعان ما تركوها لشدة المقاومة، وبعدها التقى صلاح الدين وطلب الصلح مع كمشكتين.⁽⁷⁾ وقد قال لهم صلاح الدين: أنا أقنع بدمشق وحدها، وأقيم بها الخطبة للملك الصالح وأترك ما عداها لأرض الشام.⁽⁸⁾ ولكنهم وجدوا في تنازله هذا ضعفا منه، فطلبوا منه تسليم الرحبة التي كانت لابن عمه ناصر الدين محمد ابن شيريكوه، فرفض صلاح الدين الأيوبي تسليم الرحمة.⁽⁹⁾ فأعلن صلاح الدين الحرب في 19 رمضان 570هـ/ 14 أبريل 1175م وانتصر

(1)- ابن كثير، المصدر السابق، ج.12، ص.257.

(2)- عاشور (سعيد عبد الفتاح)، الحركة الصليبية، ج.2، ص.747.

(3)- أبو حديد (محمد فريد)، نفس المرجع، ص.95.

(4)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج.11، ص.419؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج.5، ص.77.

(5)- ابن الوردي، نفس المصدر السابق، ج.2، ص.139.

(6)- ابن الأثير، نفس المصدر، ج.11، ص.420.

(7)- أبو الفداء، المصدر السابق، ج.5، ص.77.

(8)- ابن كثير، المصدر السابق، ج.12، ص.257.

(9)- (المهتدي الزبدة عبلة)، المرجع السابق، ص.102.

الفصل الرابع ===== الصراع الطليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

فيها وتبعهم حتى حلب،⁽¹⁾ وأمر بقطع الخطبة للملك الصالح، و عوضها بالملك الناصر صلاح الدين بعد ذكر اسم الخليفة العباسي ببغداد.⁽²⁾ و انسحب صلاح الدين من حلب في 10 شوال 570هـ/1175م،⁽³⁾ وبذلك ربح صلاح الدين الكثير، فقد تخلى عن تبعيته للملك الصالح وأصبح الحاكم الفعلي لسوريا ومصر.⁽⁴⁾

أرسل الخليفة العباسي الخلع النسبة والتشريفات والأعلام السود وإعطائه كامل السلطات على بلاده مصر سوريا.⁽⁵⁾

رحل صلاح الدين عن حماة متجها إلى دمشق التي وصل إليها في 16 صفر 572هـ/1176م، أين قام بالزواج من عصمت الدين خاتون ابنة معين الدين أنر وأرملة نور الدين محمود وأم الملك الصالح إسماعيل،⁽⁶⁾ ولم يمكث صلاح الدين في دمشق بعد زواجه سوى ليلتين،^(*) وغادر بعدها إلى مصر.⁽⁷⁾

وقيل أن زواج صلاح الدين الأيوبي من عصمت الدين أرملة نور الدين، كان زواجا

(1)- ابن شداد (بهاء الدين)، المصدر السابق، ص.51.

(2)- عوفي (محمد مؤنس)، المرجع السابق، ص.208.

(3)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج.11، ص.422.

(4)- ابن كثير، نفس المصدر، ج.12، ص.291.؛ حتي (فيليب)، المرجع السابق، ص.163.

(5)- Lane (Poole) , op.cit. , p.142.

(6)- المقدسي (شهاب الدين)، المصدر السابق، ج.1، ص.263-264.

(*)- لأنه لم يكن مطمئنا على مصر خاصة وأن خطر الحشاشين (فرقة شيعية) لا يزال قائما، إذ أنه تعرض لمحاولة الاعتقال من طرف احد جنوده التابع للحشاشين، لكنه كشف أمرهم سنة 572هـ/1176م خلال حصاره لقلعة أعزاز، لذلك عزم على قمعهم وحرقتهم في مقرهم بمصياف، وبعد ذلك عقد معاهدة صلح مع الإسماعيلية. أنظر:- أبو الفداء، المصدر السابق، ج.5، ص.80.؛ النقاش (زكي)، المرجع السابق، ص.50.؛ حتي (فيليب)، المرجع السابق، ص.163.

(7)- البنداري، المصدر السابق، ص.203-231.؛ المهدي (عبلة)، المرجع السابق، ص.104.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

سياسيا ،وليجعل من نفسه وريثا لكامل ممتلكات نور الدين زنكي،(*) وكذلك التقريب من أسرة نور الدين ، وذلك بتوطيد العلاقة مع الملك الصالح إسماعيلى .(1)

وبعد ذلك قام ببناء قلعة الجبل وإحاطة السور على القاهرة ومصر،(2) خوفا من هجمات الجيوش الصليبية. لأنه بعد ما حققه من انتصارات على الحشاشين والصليبيين ،وبعدما أصبح ملكا على كل من الشام ومصر ،أرعب الصليبيين ، فبمجرد خروجه من الشام سنة 1175هـ/571م ضن الصليبيون أنه يقصدهم ، فسارعوا إلى عقد هدنة مع صلاح الدين ،(3) لكن الصليبيين نقضوا تلك الهدنة ، وذلك أن بلدوين الرابع طلب من الدول الأوروبية لمساعدته في الحرب ضد صلاح الدين ،(4) فهاجم بلدوين الرابع كل من حمص وحماة التي كان بها أخوه توران شاه وخاله شهاب الدين الحارمي ، الذي كان مريضا ، ولكن المسلمين استطاعوا ردعهم والانتصار عليهم بعد محاصرتهم أربعة أيام لحماءة .(5)

ولما علم صلاح الدين خرج من القاهرة في جمادى الأول 573هـ/ 1177م ، و وصل

(*)- قبل هذا الزواج وقع تحالف بين صلاح الدين"والحلبيين ، الأمر الذي لم يعجب سيف الدين غازي الثاني ، فعاتب الحلبيين ، وجرت الحرب بينهما ، وحالف النصر صلاح الدين وقام بفتح الحصون والقلاع حول حلب ليسهل عليه دخوله ،مثل بزاعة ومنبج ، وعاود محاصرة حلب في 15 ذي الحجة 571هـ/1176م حتى مطلع 572هـ/1176م حينما طلب الحلبيون الصلح فقبل صلاح الدين مقابل أن تبقى بلاد الشام ومصر له ، وأما حلب فتبقى للملك الصالح ، وأعطى قلعة أعزاز لأخت الصالح الصغرى لأنها طلبت منه ذلك . أنظر :- المقرزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ،ص.62؛ -أبو الفداء ، المصدر السابق ،ج.5،ص.79؛ حتي (فيليب) ، المرجع السابق ، ص.163.

(1)- المقدسي (شهاب الدين) ،المصدر السابق ،ج.1،ص.263-264.

(2)- أبو الفداء ، نفس المصدر ،ج.5 ، ص.80؛ ابن الكثير ، المصدر السابق ، ج.12 ، ص.262؛ عوفي (محمد مؤنس) ،المرجع السابق ،ص.209.

(3)-ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج.11 ،ص.435.

(4)- المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ،ج.1 ، ص.275 .

(5)- أبو الفداء ،المصدر السابق ، ص.80.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

إلى بلبيس وبعدها دخل واستولى عليها ومن ثم أغار على المدن والمعازل الصليبية ، أخذ الصليبيون وانبسطوا واسترسلوا وتوسط السلطان لبلاد ،⁽¹⁾ وفي طريقهم أحرق المسلمون الرملة حتى وصلوا إلى الجهات الواقعة بين أرسوف ونابلس ، وفي نفس الوقت الذي اهتم فيه المسلمون بجمع الغنائم ،⁽²⁾ بقي صلاح الدين في الرملة بالقرب من تل الصافية هاجمه الصليبيون ، فانهزم المسلمين، واستطاع صلاح الدين النجاة هو وبعض جنده ،⁽³⁾ وعادوا إلى مصر التي وصلوها في جمادى الثاني من نفس السنة ،⁽⁴⁾ وفي نفس الوقت استولى الملك الصالح على حارم وقبض على كمشتكين ،⁽⁵⁾ وكان صلاح الدين مشغولا بحصار بعلبك لأخذها من ابن المقدم لأخيه توران شاه .⁽⁶⁾

أعلن صلاح الدين الحرب على الصليبيين 574هـ/1179م ،⁽⁷⁾ وانتصر عليهم وفتح بيت الأحزان وهدمه .⁽⁸⁾ بعدها قام بالاستيلاء على صور وصيدا وبيروت ، بل هاجم عكا .⁽⁹⁾ فلما رأى بلدوين الرابع ذلك طلب عقد هدنة فكانت ذلك في 575هـ/1180م ، وهاجم أيضا إمارة طرابلس ، مما أرغم أميرها على عقد هدنة .⁽¹⁰⁾

(1)-ابن واصل ،المصدر السابق ،ج.2،ص.59.

(2)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ، ج.2 ،ص.758.

(3)- أبو حديد (محمد فريد) ، نفس المرجع ،ص.120.

(4)-المقرزي ،السلوك لمعرفة دول الملوك ،ج.1 ، ص.64.

(5)- (شهاب الدين) المقدسي ، المصدر السابق ،ج.1 ، ص.274-275.

(6)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ،ج.2 ،ص.759.

(7)-أبو الفداء ، نفس المصدر ،ج.5 ، ص.82 . ؛ المقرزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج.2 ،ص.67.

(8)- المقرزي ،السلوك لمعرفة دول الملوك ،ج.2 ،ص.68.

(9)- المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ،ج.2،ص.14.

(10)- سميل (رسي) ،الحروب الصليبية ،تر.سامي هشام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط.1 ،بيروت

،1982م ، ص.36.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

يبدو أن عمر الهدنة التي تم توقيعها مع ملك بيت المقدس لم تدم طويلا ، لأن رينود دي شاتيون أو المعروف بأرناط ة عند العرب ،⁽¹⁾ قام بالاستيلاء على القوافل التجارية الإسلامية القادمة من مصر ،⁽²⁾ كما زحف نحو صحراء العرب لاحتلال المدينة المنورة سنة 577هـ/1182م ،⁽³⁾ ولكن فرخشاہ ابن أخ صلاح الدين ونائبه في دمشق لم يمنحه ذلك عن طريق غزو الأردن ، مما جعل أرناؤوط يعود للدفاع عنها ،⁽⁴⁾ وهذا أدى إلى توتر العلاقات بين الصليبيين و المسلمين و ملك بيت المقدس .⁽⁵⁾ واستحوذ المسلمون على سفن مسيحية على شاطئ دمياط ،⁽⁶⁾ واستطاع صلاح الدين سنة 580هـ/1184م فتح نابلس وسبطينة وجنين .⁽⁷⁾

توفي سيف الدين غازي أمير الموصل في 3 صفر 576هـ/أوت 1180م ، و خلفه أخاه عز الدين مسعود 575هـ-579هـ/1180م-1193م .⁽⁸⁾

توفي الملك الصالح كذلك في رجب 577هـ/1181م ،⁽⁹⁾ و سلم إمارته إلى ابن عمه عز

(1)- أرناؤوط: كان أمير أنطاكيا ،أسر عند المسلمين سنين طويلة ،وهو شاب فرنسي مغامر وقد اقتزن بكونستانس صاحبة أنطاكيا عام 547هـ/1153م ، ووقع في الأسر في يد المسلمين 556هـ/1160م ، وأطلق سراحه سنة 572هـ/1176 أي لمدة 16 سنة. أنظر :- عوفي (محمد مؤنس) ، المرجع السابق ، ص.36 . ؛ Stevenson ,op.cit, p.164.

(3)- المهتدي الزبدة (عبلة) ، المرجع السابق ،ص.107؛ عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ، ج.2 ،ص.769.

(4)- عوفي (محمد مؤنس) ، نفس المرجع ،ص.212.

(5)-المقرزي ، المصدر السابق ، ج.2 ، ص.72.

(6)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ، ج.2 ،ص.771.

(7)-ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج.2 ،ص.114. ؛ عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ، ج.2 ،ص.771-772.

(8)-أبو الفداء ،المصدر السابق ،ج.5 ،ص.86.

(9)-ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج.11 ، ص.506-507؛ سميل (رسي) ، نفس المرجع ، ص.36.

الفصل الرابع ===== الصراع الطليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

الدين مسعود مودود 578هـ-579هـ/1182م-1183م،⁽¹⁾ وهنا ظهر الخلاف بين هذا الخير وأخيه عماد الدين زنكي II صاحب سنجار الذي طلب حلب مقابل سنجار، وقد هدده بتسليم سنجار إلى صلاح الدين، لذا اضطر عز الدين إلى قبول العرض.⁽²⁾

اتجه صلاح الدين لحصار حلب ونازلها ثلاثة أيام،⁽³⁾ ثم غزا بعدها إقليم الجزيرة واستولى على الرها عام 587هـ/1182م، وبعدها حاصر الموصل ولكنه لم يدخلها لشدة تحصيناتها،⁽⁴⁾ فعرض على صاحبها الصلح مقابل الاستيلاء على حلب ولا يتدخل فيها.⁽⁵⁾ ثم سار إلى سنجار واستولى عليها،⁽⁶⁾ ثم تقدم صلاح الدين لحصار حلب في محرم 579هـ/1183م، و سلمه صاحبها عماد الدين زنكي الثاني سرا مقابل إعطائه سنجار، فوافق صلاح الدين وزاده كذلك الخابور ونصيبين والرقعة والسروج وأن يكون تابع له في صفر 57هـ/جوان 1183م، بعدها استسلمت حامية حارم في نفس الشهر والعام.⁽⁷⁾

أما الموصل ففرض حصارا عليها ربيع الثاني 581هـ/جويلية 1185م،⁽⁸⁾ وفي تلك الأثناء فتح مدينة ميافرقين وبعدها ديار بكر،⁽⁹⁾ وقد شدد حصاره على الموصل واقترح عز الدين مسعود تسليمها مقابل أن يبقى حاكما على الموصل فوافق صلاح الدين على أن

(1)-ابن كثير، المصدر السابق، ج.12، ص.274؛ المقدسي (شهاب الدين)، المصدر السابق، ج.2، ص.21.

(2)-ابن الأثير، المصدر السابق، ج.11، ص.474.

(3)-المقرزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج.1، ص.78.

(4)-ابن الأثير، نفس المصدر، ج.11، ص.484-485.

(5)-نفسه، ص.487.

(6)-المقدسي (شهاب الدين)، نفس المصدر، ج.2، ص.31.

(7)-نفسه، ص.43 و- ابن الأثير، نفس المصدر، ج.11، ص.498-499.

(8)-ابن الأثير، المصدر السابق، ج.11، ص.511.

(9)-المقرزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج.1، ص.89-90.

الفصل الرابع ===== الصراع الطليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

يبقى تابعا له ويخطب باسمه ويضرب السكة أيضا (1).

عاد صلاح الدين الأيوبي إلى دمشق وعين ابنه الملك الظاهر غياث الدين غازي نائبا عنه في حلب وانتقل بعد ذلك للتخطيط في إيجاد الطريقة المثلى لطرد الغرباء من التراب الإسلامي (2).

وفي الأخير وبعد توحيد صلاح الدين لبلاد الشام ومصر ، بدأ يخطط للمعركة التاريخية العظمى والكبرى لتحرير بيت المقدس والساحل الفلسطيني وكيف سيحافظ على الوحدة الإسلامية .

نجح صلاح الدين الأيوبي في توحيد البلاد الإسلامية بعد جهد كبير ، حيث أصبحت تمتد من النيل إلى الفرات ومن بلاد النوبة واليمن جنوبا إلى بلاد الأرمن شمالا ومن برقة غربا إلى الموصل وبلاد الجزيرة شرقا ، وبعده وجه أنظاره لتحرير الأراضي الإسلامية وخاصة منه بيت المقدس (*).

ب- فتح الساحل الفلسطيني من طرف صلاح الدين الأيوبي:

كانت علاقة صلاح الدين بالإفرنج عبارة من اتفاقيات أبرمت بينهما وقد كان مرغما عليه ، بهدف منح جيشه استراحة لاستكمال التوحيد ، وآخر تلك المعاهدات معاهدة الأربع سنوات 581هـ-585هـ/1185م-1189م (3).

كانت ظروف مملكة بيت المقدس سيئة بسبب وفاة الملك بلدوين الرابع فخلفه بلدوين الخامس الذي مات هو أيضا - كما ذكر من قبل- ، ثم خلفه غي دي لوزينيان بعد زواجه من

(1)- ابن الأثير ، نفس المصدر ، ج.11، ص.515-517.

(2)- المقرزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج.1 ، ص.91.

(*)-حتي (فيليب) ، المرجع السابق ، ص.191. وللمزيد عن طريق فتوحات صلاح الدين ، ارجع إلى الملحق رقم 11 ، ص.286.

(3)- سليمان (نعمان الطيب) ، المرجع السابق ، ص.113-115.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

سبيلا . (1)

وكانت هذه الظروف مواتية لصالح الدين لبدء الجهاد ، لكنه لم يتسرع إلى غاية قيام أرناؤوط بالاستيلاء على قافلة متجهة من مصر نحو الشام 582هـ-1187م . وبذلك نقض المعاهدة الموقعة بين صلاح الدين و ملك بيت المقدس قبل سنة . (2)

وبعد وصول الخبر إلى صلاح الدين أرسل إلى ملك بيت المقدس ليذكره بالهدنة ومطالبها أرناؤوط بإرجاع ما سلبه من القافلة على أساس الهدنة ، (3) فرفض هذا الأخير ذلكن، على أساس أن الهدنة مع صلاح الدين لا تعنيه ، فثار دم السلطان . (4)

أعلن صلاح الدين الجهاد ، وأرسل لجميع القوى الإسلامية للسير لحرب أرناؤوط، وقيل أن عدد الجيش الذي تم تجنيده بلغ اثنا عشر ألف فارس . (5)

وفي هذه الأثناء كانت قوافل الحجاج قادمة من مكة في 583هـ/1187م ، فخشي صلاح الدين أن يعترضها أرناؤوط ، (6) فخرج مسرعا من دمشق متجها إلى الجنوب وقيل أن أخته كانت في تلك القوافل ، (7) وقد ترك ابنه الأفضل عند رأس الماء القريبة من دمشق لتجميع القوات وحشد جيوشه . (8)

(1)- المهتدي الزبدة (عبلة) ، المرجع السابق ، ص.115.

(2)- المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ج.2 ، ص.75.

(3)- (نعمان الطيب) سليمان ، نفس المرجع السابق ، ص.115.

(4)- المقدسي (شهاب الدين) ، نفس المصدر ، ج.2 ، ص.75.

(5)- أبو حديد (محمد فريد) ، المرجع السابق ، ص.128.

(6)- يحي محمد (عمر) ، مغامرة الصليبي أرناؤوط الفاشلة لغزو الحجاز (٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) ، جامعة الملك عبد العزيز ، دت ، ص.6-15.

(7)- ابن واصل ، مصدر سابق ، ج. 2 ، ص. 312

(8)- ابن كثير ، المصدر السابق ، ج.12 ، ص.284.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

بعد ما اطمأن صلاح الدين على تلك القوافل ، وتأكد من وصولها إلى مصر بأمان ، توجه بفرقة من العساكر لمواجهة لكرك ، لكنه تراجع عنها لحصانتها فخاف ورحل عنها،⁽¹⁾ وعاد إلى رأس الماء ليتلقى قوات الأفضل الذي كان قد فتح في تلك الفترة - أثناء حصار الكرك - منطقة الجليل وقتل الصليبيين في صفورية.⁽²⁾

توجه صلاح الدين بجيوشه من حوارن ثم عبر الأردنى 583هـ/1187م وعسكر نصف جيشه على حدود طبرية وهاجم النصف الأخر طبرية نفسها.⁽³⁾

وجه غي دي لوزينيان أوامر لقادة جيوشه المرابطة في صفورية بهدف السير نحو المسلمين في طبرية ، وكان هذا ذكاء من صلاح الدين علي إجبارهم للمسير إليه ، حتى يتبعهم ولذا هاجم طبرية ليتركوا مراكز في صفورية ، ورغم معارضة رايمود الثالث للصليبيين من خطورة تلك الخطوة إلا أنهم لم يسمعوه.⁽⁴⁾

اطمأن بذلك بال صلاح الدين وعمل على استدراجهم إليهم ، ووصل الخبر بأن الفرنجة ركبوا ووثبوا فسرَّ السلطان وقال: "جاءنا ما نريد ونحن بأس شديد وإذا صحت كسرتهم فطبرية وجميع الساحل ما دونه ما نع ولا عن فتحه وازع".⁽⁵⁾ بعد أن استولى صلاح الدين

(1)- بذلت عدة محاولات إسلامية لاستخلاص الكرك ، ولكنها استعصت عليهم لحصانتها ، ولم ينجحوا في الاستيلاء عليها إلا بعد فتح بيت المقدس ومقتل أرناؤوط ، لمزيد من التفاصيل عن هذه المحاولات أنظر ، - غوانمه (يوسف درويش) ،

أمانة الكرك الأيوبية، دار الفكر ، عمان ١٩٨٢ م ، ص.65-94.

(2)-ابن الأثير المصدر السابق ، ج.11 ، ص.530-531؛ ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن) ، المصدر السابق ، ج.6، ص.29.

(* ويذكر أن معظم الصليبيين سقطوا في هذه المعركة بين قتلى وأسرى، وكان من جملة الأسرى مقدم الإيستارية وعدد كبير من فرسانهم ، وعندما أراد الداوية نجدتهم، لم يتمكنوا ونجا مقدم الداوية "جيراردى ريد فورث بصعوبة.أنظر:-

King (E.), The Knight Hospitaliers in the Holly Land ,London,1931 ,p.120.

(3)- أحمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص.141.

(4)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ، ج.2 ، ص.804.

(5)- المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ج.2 ، ص.76.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

على طبرية، استعصت عليه القلعة فغادر إلى غرب طبرية تاركاً حامية لحماية طبرية، وقد تمركز في الغرب لمنع الماء عن الصليبيين وخاصة أنها فترة حر. (1)

وصل الصليبيون إلى جبل طبرية يوم الجمعة ربيع الثاني 583هـ / 03-07-1187م، ونظراً للتعب الذي أنهكهم فضلوا المبيت والقتال صباحاً، اشتعل صلاح الدين ذلك وحاصرهم وفي الصباح، وأمر بإشعال النار في الأعشاب والأشواك المحيطة بالصليبيين في قرون حطين، (2) فلما كان الليل أقام طائفة من العسكر فسار إلى طبرية فملكها من ليلته عنوة ونهبها أو حرقها. (3)

لما شعر الصليبيون بالحر والعطش، لم يقووا على القتال، بالإضافة إلى استسلام قاداتهم وقتل الكثير منهم، (4) كذلك جمع صلاح الدين الأسرى ولم ينج منهم سوى القليل مثل رايوند الثالث أمير طرابلس مع بعض رجاله ولكنه مات لحسرتة على الهزيمة، (5) لأن سهام المسلمين أخذتهم فكثرت فيهم المجروحين ونخرت قواهم وسلبهم العطش فانهزموا. (6)

بعد انتهاء المعركة صلى صلاح الدين صلاة الشكر لله، (7) ومن ثم نصب الخيمة وجلس فرحاً مسروراً، ثم استحضر الملك غي دي لوزينيان والأمير جيراردي مقدم الداوية الأمير أرنأووط. (8) وناول صلاح الدين الملك غي دي لوزينيان شراباً مثلجاً فشرب منه، ثم ناول

(1)- ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن)، المصدر السابق، ج.6، ص.31.

(2)- ابن كثير، المصدر السابق، ج.12، ص.284؛ ابن خلدون (عبد الرحمان)، المصدر السابق، ج.5، ص.365.

(3)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج.11، ص.533.

(4)- أبو حديد (محمد فريد)، المرجع السابق، ص.133-135.

(5)- ابن الأثير، نفس المصدر، ج.11، ص.537؛ Grousset (R.), op.cit. ; p. 184.

(6)- ابن واصل، مفرج الكروب، ج.2، ص.190؛ عاشور (سعيد عبد الفتاح)، المرجع السابق، ج.2، ص.804.

(7)- رنسمان (ستيفن)، تاريخ الحروب الصليبية، ط.1، ج.2، ص.740-741.

(8)- أبو حديد (محمد فريد)، المرجع السابق، ص.137؛ رنسمان (ستيفن)، المرجع السابق، ج.2، ص.741-742.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

بعضها للأمير أرناؤوط ثم عرض عليه الإسلام فلم يفعل⁽¹⁾. بعدها استجوب أرناؤوط مذكر إياه بخطاياها ، وذكره بأن شربه للماء ليس أمان له ،⁽²⁾ وقال أن هذا الملعون لم يشرب الماء بإذني فيكون أمانا له ، ثم قتله بسيفه وأمر بقتل بعض الأسرى ونقل بعض أمرائهم إلى دمشق.⁽³⁾

لقد كان صدى انتصار صلاح الدين في معركة حطين مدويا بالنسبة للصليبيين فقد كانت نكسة عظيمة لهم لم يشهدوا تاريخهم الحربي فقد ضاعت هيبتهم ،^(*) وفقدوا أفضل أمرائهم وفرسانهم ،⁽⁴⁾ أما المسلمون فقد فرحوا حتى ذرفت دموعهم وهلّلوا بالنصر المجيد. وفي صلاح الدين بقسمه الذي أقسمه بحق أرناؤوط وهو أن يقتله بيده ، جزاء ما اقترفه من مجازر في حق المسلمين ، ومغامراته ضد مقدساتهم. و بمقتل أرناؤوط انفتح الطريق إلى بيت المقدس التي بقيت زهاء قرن في أسر الصليبيين ، وإلى حصن الشوبك والكرك ،⁽⁵⁾ وبقي البحر الأحمر بحيرة عربية بعيدة عن طموحات وتطلعات الصليبيين ومغامراتهم طوال فترة الحروب الصليبية.

بعد هذه الانتصارات في هذه المعارك حز في نفس صلاح الدين الرغبة في استكمال

(1)- ابن الوردي (زين الدين عمر) ، تنمة المختصر في أخبار البشر ، ج.2، ط.1، تح. (أحمد رفعت) البدرابي ، دار المعرفة ، بيروت ، 1389هـ/1966م ، ص.365-366 . ؛ ابن خلدون (عبد الرحمان) ، المصدر السابق ، ج.5، ص.365-366.

(2)-ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.11، ص.537-538 .؛ المقرئزي ، السلوك ، ج. 1 ، ص. 93 .

(3)- ابن خلدون (عبد الرحمان) ، نفس المصدر ، ج.5، ص.365-366 . ؛ لامب (هارولد) ، شعلة الإسلام ، ترجمة:يعقوب (محمود عبد الله) ، دار المتنبى ، بغداد ، 1967 م ، ص.113.

(*)-عن موقع معركة حطين ، انظر المهتدي الزبدة (عبله) ، المرجع السابق ن ص.120. وللمزيد ارجع إلى الملحق رقم. 12، ص. 287.

(4)- رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.2، ص.741-742 .

(5)- (يوسف حسن) درويش غوانمه ، إمارة الكرك الأيوبية ، ط.2 ، دار الفكر ، عمان ، 1426هـ/1986م ، ص.158.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

الفتح عن طريق تحرير المدينة المقدسة وطرد الصليبيين منها، وقد رأى أن عليه فتح مدن الساحل للقضاء على القوات الصليبية التي توجد في تلك الحصون والقلاع بالإضافة إلى منعهم من تلقي الإمدادات من تلك المدن الساحلية في حالة هجومه على بيت المقدس .

كانت الإستراتيجية التي اعتمدها صلاح الدين تتمثل في سعيه الدؤوب من أجل الاستيلاء أولاً على المدن التي استولى عليها الصليبيون ، و الواقعة على طول الساحل ، لمنع وصول الإمدادات والمؤن التي تأتي إلى القواعد البحرية،⁽¹⁾ وخاصة الغرب الأوربي فيحصرون بذلك داخل الشام .⁽²⁾

قام صلاح الدين في 25 ربيع الثاني 538هـ/1187م بالاستيلاء على قلعة طبرية التي كانت بها الأميرة أشيفا (Achiva) ، التي عاملها معاملة كريمة،⁽³⁾ وأخرجها من حصنها بالأمان ووفى لها وللفرسان بشروط الأمان ، فخرجت بمالها ورجالها ونسائها وسارت إلى طرابلس بلد زوجها .⁽⁴⁾

وبعد أن ترك قلعة طبرية صارم الدين قايماز النجمي ، سار يوم الأربعاء ربيع الآخر 583هـ/ 1187-07-08م إلى عكا،^(*) وعند وصوله سالمه أهلها وخيرهم بين البقاء

(1)- المهتدي الزبدة (عبلة) ، المرجع السابق، ص.124.

(2)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ، ج.2 ، ص.813.

(3)- المقدسي (شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ج.2 ، ص.79.

(4)- كاهن (كلود) ، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ط.1 ، ترجمة : الشيخ (أحمد) ، سيناء للنشر ، القاهرة

، 1995م ، ص.191.

(*)- ومما يستدعي النظر أن صلاح الدين "أعطى ما للداوية في عكا لرجل من أصحابه كان على طريقة الفرسمان المحاربين إذ كان من بينهم فقيها محاربا وذلك الفقيه عيسى الهكاري صديقه القديم وكانت غنائم عكا عظيمة أفادت جنود صلاح الدين ولو أن السلطان نفسه لم يرزق منها شيئاً دأبه في ما كان يغنمه في انتصاراته دائما .- أنظر:- أبو حديد (محمد غريد) ، المرجع السابق ، ص.137.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

والرحيل فاختراروا الرحيل. (1) و دخل صلاح الدين عكا يوم الجمعة 02 جمادى الأول 583 هـ/1187م واستولى على أموالها وأطلق الأسرى المسلمين الذين بلغ عددهم أربعة آلاف مسلم وحول كنيستها إلى مسجد وتركها لابنه الأفضل. (2)

إن انتهاج سياسة التسامح سهلت لصلاح الدين الاستيلاء على باقي المدن الصليبية دون مقاومة ففتح المعقل القريبة من عكا مثل الناصرة، قيسارية، حيفا، (3) وقلعة تبنين، وفتح أخوه العادل يافا. (4)

بعدها استولى على نابلس، صيدا وبيروت، التي استسلمت له بعد حصار وقد سلمها له هيو الثالث مقابل إطلاق سراحه. (5)

توجه صلاح الدين إلى عسقلان ونظرا لأهميتها فهي تقع بين الشام ومصر، (6) أهم من غيرها لأنها على طريق الديار المصرية، فإذا أخذت أمنت الطريق وسلمت القوافل من النهب، (7) فاستولى عليها في رجب 583 هـ/1171م وفي طريقه إلى عسقلان، قام بفتح الرملة وبيت لحم والخليل، (8) ولم يقترب صلاح الدين الأيوبي من طرابلس وأنطاكية نظرا لتجديد

(1)- الأصفهاني (عماد الدين)، الفتح القسي في الفتح القدسي، ط.1، دار المنار، القاهرة، 2004م، ص.276.

(2)- المقرزي، سلوك لمعرفة دول الملوك، ج.1، ص.94.

(3)- الأصفهاني (عماد الدين)، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص.281.

(4)- أبو الفداء، المصدر السابق، ج.5، ص.96.؛ المقرزي، سلوك، ج.1، ص.95.

(5)- المقدسي (شهاب الدين)، المصدر السابق، ج.2، ص.79-80.؛ عاشور (سعيد عبد الفتاح)، الحركة الصليبية، ج.2، ص.817.

(6)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج.11، ص.545. Lane (Poole), op. cit., p.223.

(7)- بن واصل، مفرج الكروب، ج.2، ص.209.؛ عاشور (سعيد عبد الفتاح)، الحركة الصليبية، ج.2، ص.817.

(8)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج.11، ص.546.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

الهدنة لهما⁽¹⁾ وقد أخذ أسرى عسقلان إلى الدلتا ، أين قضوا فصل الشتاء في الإسكندرية حتى رحلوا إلى غرب أوروبا⁽²⁾.

فتح صلاح الدين عدة مدن مثل غزة، الداروم ، أرسوف، اللكرون، بيت حيريل⁽³⁾، وبذلك استطاع فتح جميع مدن الساحل ما عدا الكرك والشوبك لشدة التحصن والمقاومة⁽⁴⁾، رغم سعي سيده ما وراء نهر الأردن دي ميلي (De Mili) لإطلاق سراح ابنها مقابل الكرك والشوبك ، لكن الحامية في ذلك الإقطاع لم تسلم لصلاح الدين فأعاد ابنها للأسر⁽⁵⁾، ونظرا لنبل أخلاق صلاح الدين ، أطلق سراح ابنها رغم عدم تسلمه للكرك و الشوبك⁽⁶⁾.

ج- تحرير بيت المقدس من طرف صلاح الدين الأيوبي :

استطاع صلاح الدين وبفضل ذكائه و تفكيره الحكيمة الاستيلاء على تلك المعاقل الصليبية ، ثم التفرغ لتأمين حدود سوريا ، بعد أن أبرم مع بوهموند الثالث أمير أنطاكيا معاهدة لضمان حدود سوريا الشمالية⁽⁷⁾، وقام أيضا بتوقيع معاهدة مع رايموند الثالث أمير طرابلس وضمن بذلك وقوف الحياض من إمارتي أنطاكيا وطرابلس⁽⁸⁾ ولم يبق له من المعاقل الصليبية في الشام سوى بيت المقدس وصور^(*).

(1)- احمد اليوسف (عبد القادر) ، المرجع السابق ، ص.142.

(2)- الأصفهاني (عماد الدين) ، **الفتح القسي في الفتح القدسي** ، ص.288.

(3)- ابن خلدون (عبد الرحمان) ، الصدر السابق ، ج5، ص.368.

(4)- المقدسي (أبو شامة شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ج.2 ، ص.91.

(5)- رنسمان (ستيفن) ، الحروب الصليبية ، ج2 نص752.

(6)- شاندوزر (ألبير) ، **صلاح الدين الأيوبي** ، ط2 ، ترجمة : أبو الحسن (سعيد) ، تعليق : مرعشلي (نديم) ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، سورية ، 1993م ، ص.196.

(7)- المقدسي (أبو شامة شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ج.2، ص.74-74.

(8)- (عماد الدين) الأصفهاني ، **الفتح القسي في الفتح القدسي** ، ص.288.

(*)- عن انتصارات "صلاح الدين" أنظر - حتي (فيليب) ، المرجع السابق ، ص.191. وللمزيد إرجع إلى الملحق رقم.11 ص.287.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

1- معركة حطين:

أثناء انشغال صلاح الدين بحصار عسقلان ، بعث إلى أهل بيت المقدس ،⁽¹⁾ فعرض عليهم تسليم المدينة مثلما تسلم المدن الصليبية الأخرى ،⁽²⁾ رفض أهلها وردوا عليه " أن الموت أيسر لهم من أن يملك المسلمون بيت المقدس " ،⁽³⁾ ثم عاود الكرة صلاح الدين في استلام المدينة صلحا وسلميا فعاودوا هم بالرفض . ولملا فشلت جميع محاولاته لدخول المدينة دون إراقة الدماء حفاظا على الأرواح ، وبالخصوص احتراماً لقداسة المكان ، لم يبق أمام صلاح الدين ، إلا اعتمادا الحل العسكري .⁽⁴⁾

بعد الاجتماع مع قواته تقرر التوجه نحو المدينة ، فكانت الفترة بين موقعة حطين والهجوم على بيت المقدس(04) أشهر فقط ،⁽⁵⁾ فوصل المدينة وتمركز في غربها وكان ذلك يوم الأحد 15 رجب 58هـ / 20 سبتمبر 1187م ، وفرض عليها الحصار .⁽⁶⁾

ونظرا لحصانة المدينة الشديدة حاصروها لمدة خمسة أيام ، وكان يفكر في كيفية الدخول إليها. فقرر الهجوم من الجهة الشمالية للمدينة وكان ذلك يوم الجمعة 20 رجب 583هـ / 26 سبتمبر 1187م .⁽⁷⁾ بدأ هجوم صلاح الدين عند باب عمود أو كنيسة صهيون حتى وصل المسلمون إلى سور المدينة وجعلوا به ثقباً ،⁽⁸⁾ حيث نصب المسلمون المجانيق فيها ، وكان

(1)- الأصفهاني (عماد الدين) ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص.288.

(2)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ، ج.2 ، ص.819.

(3)- أبو حديد (محمد فريد) ، المرجع السابق ، ص.144.

(4)- ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج.2 ، ص.211.

(5)- النقاش (زكي) ، المرجع السابق ، ص.57.

(6)- الأصفهاني (عماد الدين) ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ط.1 ، دار المنار ، بيروت ، 2004م ، ص.117.

(7)- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.11 ، ص.548 . ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج.12 ، ص.286 . ؛ ابن شداد ، الأعلام الخطيرة في أمراء الشام والجزيرة ، دمشق ، 1965 م ، ص.81.

(8)- المقرزي ، سلوك لمعرفة دول الملوك ، ج.1 ، ص.96 .

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

ذلك يوم الأحد 15 رجب عام 583هـ/20 أيلول/1187م حتى وصلوا إلى سور المدينة ونقبوه ، وشرعوا بالهجوم عند باب العمود في الجهة الشمالية من البلدة القديمة، وحمل المسلمون حملة رجل واحد.⁽¹⁾

بعدها بدأ القتال بين الطرفين ،فقتلت على إثره أنفس كثيرة من الجانبين ولما اشتد القتال على الصليبيين وكثر قتلاهم ، أرسلوا إلى صلاح الدين يعرضون عليه تسلم المدينة مقابل الأمان، فرفض صلاح الدين منحهم ذلك ،⁽²⁾ لأنه اقسم على أخذها بالسيف وخاصة أنه قادر على أخذها بالقوة نظرا للتفاوت الكبير بين الجانبين ورؤيته الانتصار أمام قوة جيشه ،⁽³⁾ ورد عليهم لا أفعل بكم إلا كما فعلتم بأهلها حين ملكتموه سنة إحدى وتسعين وأربعة مئة ومن القتل والسبي وجزاء السيئة بمثلها ،⁽⁴⁾ عندئذ حاول الصليبيون في طلب الأمان من صلاح الدين حتى أنه جاء عنهم قائدهم باليان دي إبلين 534هـ - 588هـ/1140م-1193م طلب الأمان والرحمة .⁽⁵⁾

أمام عناد صلاح الدين خاطبه باليا مهديا : "أيها السلطان ،اعلم أننا في هذه المدينة ، خلق كثير لا يعلمه إلا الله ، وإنما يقترون عن القتال رجاء الأمان ظنا منهم أنك لا تعلمه إلا الله تعالى ، وإنما يقترون عن القتال رجال الأمان ظنا منهم أنك تحببهم إليه كما أحببت غيرهم ، وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة... إذا رأينا الموت لا بد منه، فهو الله لنقتلن أبناءنا ونساءنا وتحرق أموالنا... فإذا فرغنا من ذلك أخرجنا الصخرة والمسجد الأقصى

(1)- المقرزي ، سلوك لمعرفة دول الملوك، ج.1، ص.96.

(2)- المقدسي (أبو شامة شهاب الدين) ،الروضتين في أخبار الدولتين ، ج.3 ، ط.1 ، تحقيق:إبراهيم الزبيق ، مؤسسة

بيروت ، 1997م ، ص.330-331.

(3)- ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج.2 ، 1957م ، ص.212.

(4)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ، ج.2 ، ص.781.

(5)-ابن الأثير ، الصدر السابق، ج.548، 11. ؛ البيهقوي (سعيد) ، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية،

ط.1، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1990م ، ص.171.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

وغيرها من المواضع ، ثم نقتل من عندنا الأسرى المسلمين وهم خمسة آلاف أسير... " ، ثم ناشده قائلاً : "امنحنا الأمان نسلمك المدينة دون أن يمسه أحد من الطرفين بسوء" .⁽¹⁾

اجتمع صلاح الدين مع الأمراء وذوي الرأي، ورأوا أن يتسلموا المدينة صلحا ،⁽²⁾ مقابل رحيل الصليبيين عنها خلال أربعين يوماً ومن يبقى يصبح مملوكاً بعد المدة المحددة.⁽³⁾ تحددت فيه افدية لخروج بعشر (10) دنانير للرجل و(05) دنانير للمرأة ودينارين لكل طفل ،⁽⁴⁾ وقبل صلاح الدين مبلغ 100 ألف دينار 20 ألف فقير والذي كان قد اقترح دفع الفدية عن الفقراء القائد باليان .⁽⁵⁾

2- استلام صلاح الدين بيت المقدس:

كانت اتفاقية تسليم المدينة إلى المسلمين يوم(الجمعة 29 رجب 853هـ / 2-10-1187م)، فوصلت التهاني إلى "صلاح الدين" من جموع المسلمين تغمرهم الفرحة الكبيرة بصلاح الدين وما قام به لاسترجاع المقدسات الإسلامية مقابل ذلك رحيل الصليبيون يجرون أذبال الهزيمة.⁽⁶⁾

هكذا تحررت القدس صلحا عام 583هـ/1187م ، وعندما نصب السلطان صلاح الدين خيامه أمام أسوار بيت المقدس وقال : "سلموا المدينة بشرط أن يتم تحريرهم مع كل ما يمكن حمله من أمتعة ، وأن يتولى حمايتهم بنفسه إلى أراض أكثر أماناً" ،⁽⁷⁾ ودخل جنود صلاح

(1)- ابن شداد ، الأعلام الخطيرة في أمراء الشام والجزيرة ، ص.82.

(2)- عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ، ج.2 ، ص.788-789.

(3)- ابن كثير ، المصدر السابق ، ج.12 ، ص.286.

(4)- ابن شداد ، الأعلام الخطيرة في أمراء الشام والجزيرة ، ص.82 ؛ رنسمان (ستيفن) ، المرجع السابق ، ج.2 ، ص.752.

(5)- المقدسي (أبو شامة شهاب الدين) ، المصدر السابق ، ج.2 ، ص.96 ؛ ابن خلدون (عبد الرحمن) ، المصدر السابق ، ج.2 ، ص.369.

(7)- اليبشايوي (سعيد) ، دار الشروق ، عمان ، 1998م ، ص.152.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

الدين المدينة . ورفعت الأعلام الإسلامية في حين ذهب صلاح الدين إلى المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، ونزع ما بها من آثار نصرانية وغسل الصخرة المشرفة بماء الورد .

أما المسيحيون الأرثوذكس و اليعاقبة ،(*) ظلوا في بيت المقدس بشرط دفع ضريبة الرأس وإعفاء الفقراء .(1)

وفي الجمعة الثانية 04 شعبان 583هـ / 10-09-1187م قام صلاح الدين بارتداء جبة سوداء من نشاريق الخلافة العباسية ،(2) وألقى أول خطبة لأول صلاة جمعة تقام في المسجد الأقصى بعد تحرير بيت المقدس ،(3) أعرب فيها صلاح الدين عن فرحته بهذا الفتح العظيم مع توصيته بحفظها والجهاد ضد الأعداء للحفاظ عليها .(4)

3- المواقف الخارجية من فتح بيت المقدس :

لقد كانت لهزيمة الصليبيين من قبل المسلمين ، وقع كالصاعقة على المسيحيين عامة واللاتين الصليبيين القاطنين بالشرق خاصة ، ومن شدة الصدمة توفي البابا أوربان الثالث 1185م-1187م .(5)

أما الغرب اللاتيني قاموا بحملة صليبية ثالثة ، فقد قرر ملك فرنسا فيليب الثاني اغسطس (Philippe II Auguste 1180م-1223م) وأمير انجلترا ريتشارد الأول

(*)- اليعاقبة أو اليعقوبي : يطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى المطران السرياني "يعقوب البرادعي" عن المسيحيين الذين ينتمون للكنيسة القبطية الأرثوذكسية. أنظر :- سليمان (سوسنة)، أصول العقائد و الأديان ، ط. بيروت ، 1876م ، ص.158.

(1)- المنصوري (بييرس) ، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، تحقيق: دونالد س. ريتشارد ، ج.42 ، الشركة المتحدة

للتوزيع ، بيروت ، 1998م ، ص.4 . ؛ عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ، ج.2 ، ص.826.

(2)-ابن كثير ،المصدر السابق ،ج.12 ، ص.287.

(3)- الأصفهاني (عماد الدين) ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص.292.

(4)- ابن خلدون (عبد الرحمان) ، المصدر السابق ، ج.5 ، ص.369.

(5)- Mayer (H.E.) , op.cit.,p.156.

الفصل الرابع ===== الصراع الصليبي الإسلامي في المشرق واسترجاع بيت المقدس

الملقب بقلب الأسد (1180م-1192م) Richard I^{er} d' Angleterre dit الملقب بقلب الأسد (1180م-1192م) ، وقام البابا جريجوري الثامن (1187/10/25 - 1187/12/17م) بإصدار قرار صارم في 1187/10/19م ، حث فيه المسيحيين في الغرب على إقرار السلم بينهم لمدة سبعة سنوات والتفرغ لمحاربة المسلمين في الشرق .⁽²⁾

أما المسلمين فقد فرحوا كثيرا وواصلوا انتصاراتهم وتصدوا للحملات الصليبية الأخرى ، وحافظوا على بيت المقدس إلى أن جاء الاحتلال اليهودي .

و بدا واضحا أن المستوطنات اللاتينية التي أقامها الفرنجة الصليبيون في الأراضي المقدسة، كان مصيرها الزوال، بفضل العمل الجاد ، والوحدة التي حققها السلطان صلاح الدين، والتصميم على استرداد الأرض والحقوق المغتصبة. كذلك لاحظنا مغادرة المستوطنين للمستوطنات التي أقاموا فيها فترة من الزمن، دون إبداء أية مقاومة، وهذا دليل على عدم ارتباطهم بالأرض؛ لأنهم عنصر دخيل على المنطقة، انتهى بانتهاك الأوضاع التي سمحت لهم بالوجود في الأراضي المقدسة . ولعل كل ذلك يشير إلى أن الأهالي الصامد على أرضها ، ستحقق النصر وتطرد المعتدي ، وأن عامل الزمن ، والعمل الدؤوب ، والعلم، والوحدة، والقوة الاقتصادية كفيلة بتحقيق آمال الشعوب الباحثة عن الحرية والاستقلال .

(1)- قاسم (عبده قاسم) ، ماهية الحروب الصليبية ، ص.131.

Mayer (H.E.) , op.cit.,p.136.

(2)-

خاتمة

تعتبر الحروب الصليبية مرحلة مفصلية في مسار العلاقات بين الشرق والغرب ، و جزءا هاما في تاريخ الحروب في الرون الوسطى ،الذي لا يمكن فصله عن التاريخ الحديث أو التاريخ المعاصر ، و أن هذا الاصطدام يمثل حقيقة الصراع الحضاري الذي يشنه الغرب ضد الشرق الاسلامي .

ويرى الغرب اللاتيني أن الإمبراطورية البيزنطية غير قادرة على حماية الأراضي المقدسة واسترجاعها من المسلمين ، فعليهم في هذه الحالة التدخل للقيام بإعادتها للحظيرة الكاثوليكية ، ووضع حد للشقاق مع توحيد الكنيستين الشرقية الأرثوذكسية والغربية الكاثوليكية ، خاصة تحت لواء الدين والدعوة للحرب الصليبية على المشرق .

وفشل المجتمع الأوروبي في القضاء علي النظام الإقطاعي كان سببا في قيام هذه الحرب الصليبية ، إلا أنهم جسدوا هذا النظام في المشرق الإسلامي بعد نجاح الحملة الصليبية الأولى ، و هو الوضع الذي ساد بيت المقدس ويتجلى ذلك بوضوح بتتصيب بلدوين الأول ملكا على يد البطريريك دايمبرت .

ساعدت أوضاع المجتمع الإسلامي وتمزقه والصراع بين حكامه في إنجاح تلك الحملة في القرن 5هـ/11م ، إذ كان النزاع سائدا بين مختلف فئات المجتمع الواحد ، وكان يفتقد لوحدة الزعامة التي تقودهم لصد أي خطر يواجههم . إذ رأينا صورا محزنة من الخيانة والتخاذل الذي كان يتخبط فيها المشرق الإسلامي من جهة ، ومن جهة أخرى كان العدو(الغرب اللاتيني والشرق البيزنطي) ينتزع المدينة بعد الأخرى إلى أن استولوا على بيت المقدس . بالإضافة إلى العوامل العديدة التي أدت إلى سقوط السلطنة السلجوقية التي مهدت بدورها لسقوط الخلافة العباسية منها : الصراع داخل السلطة السلجوقية وانقسام الأتراك السلجوقية إلى : سلجوقية الروم (الأناضول) ، سلجوقية فارس وسلجوقية الشام . زد إلى ذلك ضعف الخلفاء العباسيين الذين انغمسوا في ملذات الحياة ناسيين واجباتهم العملية والدينية . إضافة إلى ضعف الخلافة الفاطمية وخياناتها في القاهرة .زد إلى هذا نجد النزاعات السياسية بين الخلافة العباسية في بغداد والخلافة الفاطمية في مصر ، ومن بين هذه النزاعات نجد الصراعات المذهبية بين الشيعة التي تتزعمها الخلافة الفاطمية في القاهرة ، والسنة التي تتزعمها الخلافة العباسية في بغداد ، وأصبح الشاغل الأكبر في المساجد

الإسلامية ، فلمن خطبة الجمعة ؟ أهى للخليفة الفاطمي ، أم للخليفة الشيعي و الدعاء لمن ، أهو لهذا الخليفة أم لذاك ؟

شهدت الحملة الصليبية الأولى حملتين أولها ما سماها التاريخ بالشعبية الغير المنتظمة بزعامة بطرس الناسك ، و التي كان مآها الفشل . و ثانيها الحملة النظامية التي كللت بالنجاح ، إذ هي تلك الحملة بزعامة خيرة فرسان أوروبا . وهذا ما يعكس لنا مدى المعانات الاجتماعية و كذا التوتر السياسية الذي ساد ذلك المجتمع . و من خلال استعراضى لماهية النتائج الأولية للحملة الصليبية الأولى ، تبين لي أنها كانت أهم حملة صليبية ، و ذلك يتجلى في نجاحهم فيها وتأسيسهم إمارات صليبية في الروها ، أنطاكيا و طرابلس ، و في قيام مملكة صليبية في بيت المقدس، التي تقع في قلب المشرق الإسلامي .

كان ينتظر من الحرب الصليبية أن تقرب الإخوة الأعداء كاثوليك وأرثوذكس بعد ذلك الانشقاق عام 1054م الذي وقع بين الكنيستين الشرقية الأرثوذكسية والغربية الكاثوليكية، إلا أنها زادت من تعميق الفجوة وذلك بعد نقض الصليبيين لليمين الذي قطعوه للمبراطولا البيزنطي أليكسيوس كومنين .

إن أهداف الحملة الصليبية الأولى في تلك الإمارات التي تم تأسيسها في المشرق الإسلامي تحت قناع الدين لم تكن إلا حجة ، و أن هدفهم الحقيقي لم يكن تحرير قبر المسيح فحسب - كما كانوا يدعون- ، و إنما لتحقيق التوسع و السيطرة و بسط النفوذ في المشرق . و ذلك يتجلى في أساليب القمع التي استعملها الصليبيون ومدى الهمجية التي مارسوها في حق اهل بيت المقدس ، وهو ما يعرف في التاريخ بالمذبحة الكبرى في البيت المقدس و أكبر دليل على إجرام الصليبيين . إضافة إلى عدم احترامهم للمقدسات الإسلامية ومعتقدات المسلمين ، و ذلك لنشر الحضارة و الدين المسيحي ، إذ عمدوا على طمس المعالم الإسلامية بتحويل المسجد الأقصى إلى معبد سليمان ، كما جعلوا من السرايب التي كانت تحت المسجد الأقصى إسطبلات لحيواناتهم .

شهدت تلك الحقبة التاريخية في ذلك العصر أن التاريخ يدخل في المشروع الحضاري، وقد عاش المسيحيون و المسلمون جراء هذه الحملة الصليبية الأولى والحملة الصليبية الثانية مراحل قوة و ضعف تبادل أدوارها العالمين الشرقي الاسلامي تارة و الغربي اللاتيني تارة

أخرى . فمثلما تكبد الجيش الإسلامي الهزائم و الخسائر ، سجلت أيضا خسائر مادية و بشرية في صفوف الجيش الصليبي ، والدليل على ذلك عودة الكثير من اللاتين إلى ديارهم ، وفقدان الكثير منهم العزم و الحماس في مواصلة الحرب ضد المسلمين .

تمكن الملك **بلدوين الأول** بقوة ذكائه وحنكته من وضع أسس للمملكة ، وواجه كل العوائق والصعوبات . إذ كان الملك بلدوين الأول ذا أهمية بالغة في التاريخ ، وهذا راجع إلى كونه محاربا صليبيا وسياسيا ناجحا ، ومنظما ذكيا ، ومهندس المملكة الصليبية في بيت المقدس ، التي كان لها أهميتها في تاريخ العصر الوسيط ، كما أن سياسته التوسعية أكسبته أهمية بالغة ، حيث انه لما اعتلى عرش مملكة بيت المقدس ، كانت المملكة محدودة المساحة، فما هي إلا سنوات قليلة حتى حولها إلى مملكة قوية تشمل كل الشام تقريبا ، إذ تتمتع بساحل طويل على البحر المتوسط ، مما حقق لتلك المملكة اتصالات قوية مع العالم الأوروبي المسيحي ، إذ تمكن من السيطرة على وادي عربة و الضفة الشرقية للأردن والاستيلاء على آيلة في خليج العقبة ، بل وتوغل في الأراضي المصرية نفسها . وبهذا نجح في تفكيك العالم الإسلامي في الشرق الأدنى ، ولو لا أن الموت أدركه قرب العرش سنة 1118 م لاستطاع أن يحتل مصر . وبعد وفاته بدا الضعف يتسلل داخل المملكة الصليبية حتى تم سقوطها على يد **صلاح الدين الأيوبي** سنة 583هـ / 1187م .

كذلك اتضح أن مملكة بيت المقدس كانت تعاني من نقص العنصر البشري الأوروبي ، مما دفع بالملك الصليبي بلدوين الأول إلى إحضار مسيحيين شرقيين من منطقة الأردن (الكرك و الشوبك) وتوطينهم في المملكة المقدسة ، فضلا عن المسيحيين الشرقيين الذين تم إحضارهم من المناطق الفلسطينية المختلفة التي استولى عليها الصليبيون ، وكذا الغرب اللاتيني . واتضح أن الصليبيين أحاطوا بيت المقدس بمجموعة من المستوطنات ذات الطابع العسكري و السياسي والاقتصادي .

كانت وراثة العرش في المملكة الصليبية إحدى أهم المشاكل الدائمة في المملكة ، ورغم كون جميع ملوكها أقرباء، إلا أن الوراثة ظلّت جزئية، إذ إن نسب الوراثة كان يعدل باستمرار حسب مآل عرش المملكة ، كذلك فقد حكم المملكة عدة مرّات ملوك قاصرين ، مما

دفع إلى تشكيل مجلس وصاية على الملوك القصر حتى يبلغون سن الرشد كالملك بلدوين الثالث الملك بلدوين الخامس .

مملكة بيت المقدس لم تكن مركزية السلطة، بل تجسد فيها النظام الإقطاعي الذي كان سائداً في أوروبا ، حيث يحق للإقطاعي التصرف بما يملكه كيف ما شاء ، ولكن باسم الملك الذي يمارس صلاحيته مباشرة على بيت المقدس وبعض المدن الهامة مثل عسقلان ويافا . كذلك فقد كان الملك قائداً للجيش مع احتفاظه بصلاحيه تفويض من يراه مناسباً قيادتها ، وقد عني بعض ملوك بيت المقدس من كون سلطة البارونات أقوى من سلطة الملك نفسه ، وربما يعود ذلك إلى أن عدداً من الملوك كانوا صغار السن . مما تسبب في ضعف المملكة داخليا وخارجيا .

لما كانت المملكة تعاني من مشاكل داخلية ، ظهر في الجهة المقابلة حركة الجهاد الإسلامي بقيادة آل زنكي بزعامه عماد الدين زنكي وبعده ابنه نور الدين محمود الذي وضع مشروعا لتحرير بيت المقدس ، و عبدوا الطريق لمواصلة الجهاد ضد الصليبيين . فاستغل آل أيوب الفرصة لإنشاء الدولة الأيوبية ، والتي بدورها عملت على توحيد الخلافتين الفاطمية والعباسية ، ثم بذلك مهدوا الطريق لاسترداد الساحل الشامي ثم استرجاع بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي سنة 583هـ/1187م .

وبدا واضحا أن جميع المستوطنات اللاتينية التي أقامها الفرنجة الصليبيون في الأراضي المقدسة كان مآلها الزوال بفضل العمل الجاد والوحدة التي حققها السلطان صلاح الدين ، والتصميم على استرداد الأرض والحقوق المغتصبة ، كذلك اتضح أن مغادرة الصليبيين للمستوطنات التي أقاموا فيها فترة من الزمن ، دون أي مقاومة تذكر ، والدليل على عدم ارتباطهم بهذه الأرض ، لأنهم عنصر دخيل على المنطقة ، انتهى بنهاية الأوضاع التي سمحت لهم بالوجود في الأراضي المقدسة . و لعل كل ذلك يشير إلى أن السكان الصامدين على أرضه ، سيحققون النصر و يطردون المعتدي المغتصب ، و أن عامل الزمن و العمل الدعوب و الوحدة و القوة الاقتصادية كفيلة بتحقيق آمال الشعوب الباحثة عن الحرية و الاستقلال .

إن بيت المقدس لم يشهد استقرارا منذ عام 492هـ/1099م إلى حد اليوم . والتاريخ يؤكد أن الخلفاء والملوك والأمراء هم الذين الحقوا بالأمة الإسلامية تلك الهزيمة النكراء ، هو نفسه الذي فعلته إسرائيل في عهد ملوك متقاعدين و رؤساء متقاعسين . وبهذا يبدو جليا أن الأسباب هي الأسباب ، مع اختلاف الأسماء و الألقاب . فهل من صلاح دين آخر يأتي لإنقاذ بيت المقدس وأهلها ؟ والدليل أن أولئك الحكام قد هادنوا الإفرنج في طريقهم إلى بيت المقدس ، طمعا في الإبقاء على مناصبهم و رواتبهم ، فصالحوهم وواعدوهم ، فهذا الحاكم تعهد بدفع الجزية ، وذاك التزم بتقديم المساعدة والمؤن ، وذلك بعث معهم أدلاء الطرق ... ولم يدركوا جميعا أن الدائرة ستدور على رؤوسهم بعد بيت المقدس . وتبقى الحروب الصليبية عبرة لمن يعتبر .

ملاحق

الملحق رقم : 01

مقتطفات من خطاب البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت(1)

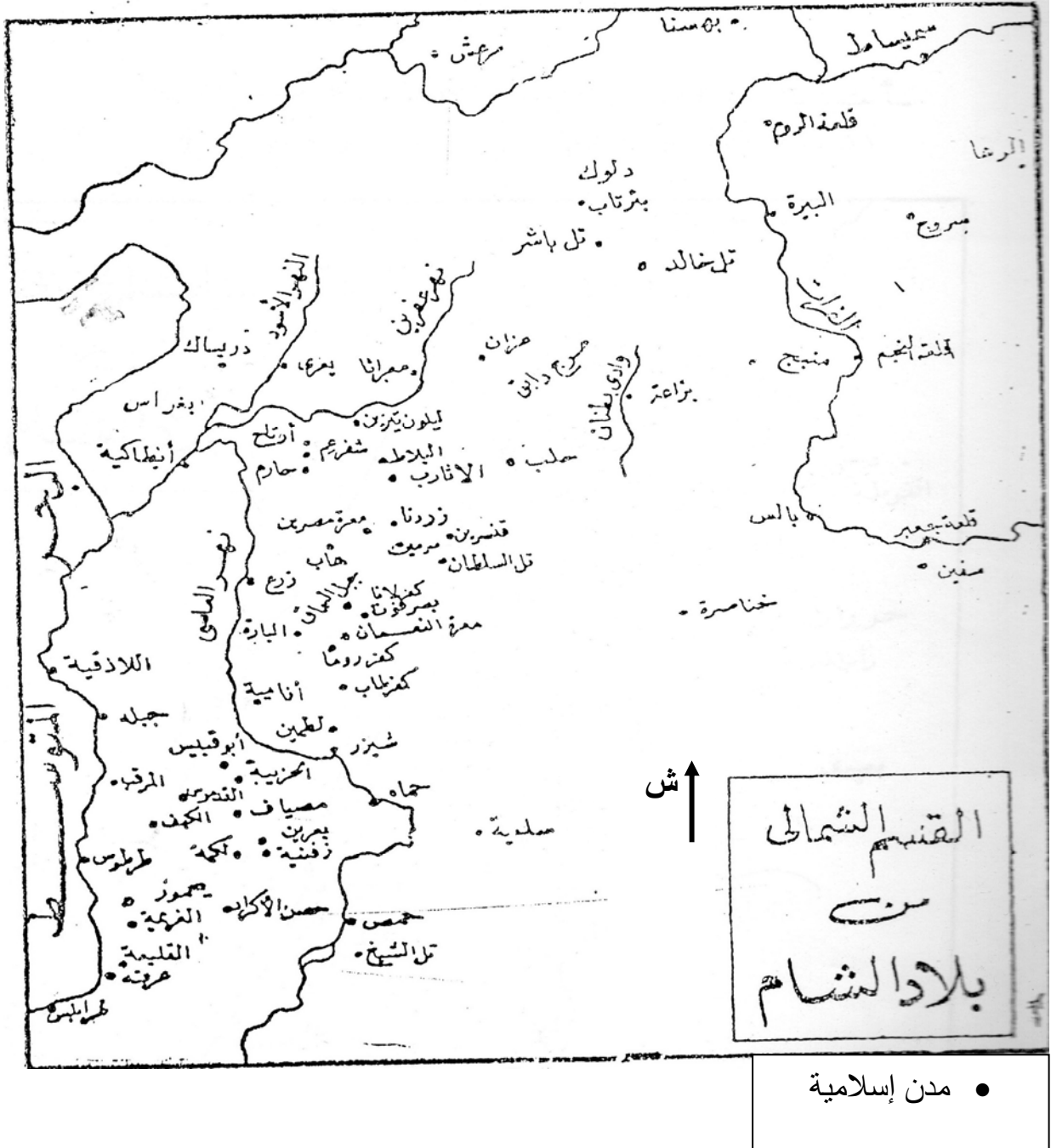
عقد في فرنسا اجتماعا في كليرمونت 26 نوفمبر سنة 1095 والقي خطابه الشهير الذي أعلن به بدء الحروب الصليبية وجاء فيه:
أيها الأخوة الاحباء.

يا خدام الله في هذه الديار !! لقد اتيتكم انا اوربان الحبر الاعظم باذن من الله حبر العالم اجمع في هذه الفتنة العصبية الحرجة نذيرا من العناية الالهية . وانني لامل ان يكون وكلاء سرانر الله صالحين مؤمنين لا يتوبهم رياء . اريدكم على الاخص ان تراعوا شؤون الكنيسة وان تحافظو على شرائعها حتى لا تضرب هرطقات المتاجرة بالدين جذورها بينكم , واعلموا ان البائعين والشارين يلفحهم سوط الله (متى 12/21 , مرقس 15/11 , توما 19).
يقال يا اخواتي الاحباء انكم رايتم العالم وقد عاث فيه الشر فسادا لامد طويل , وخاصة في بعض نواحي مقاطعتكم كما قيل لنا . ولربما سبب تقصيركم في احقاق العدل ان لا يكاد يجرؤ احد على السفر في الطرقات مؤملا السلامة , خوفا من الخطف على يد قطاع الطرق في النهار او اللصوص في الليل , فهو معرض للعنف او الاحتيال سواء كثر في داخل المباني او خارجها . وعليه فانه يتحتم عليكم تجديد المصالحة المعروفة بانسم مصالحة الله التي اقرها الاباء المقدسون منذ امد طويل . انني احضكم بشدة على ان تراعوا تنفيذها بدقة في كت ابريشيه . لا بل اقول انه اذا ما نكت امراء لطمع او تكبر في نفسه . عهود هذه المصالحة بملء ارادته فليحق عليه الحرمان بالسلطة المخولة وبارادة هذا المجلس.

(1)- الشارترى (فوشيه) ، المرجع السابق ، ص 32-35.

الملحق رقم : 02

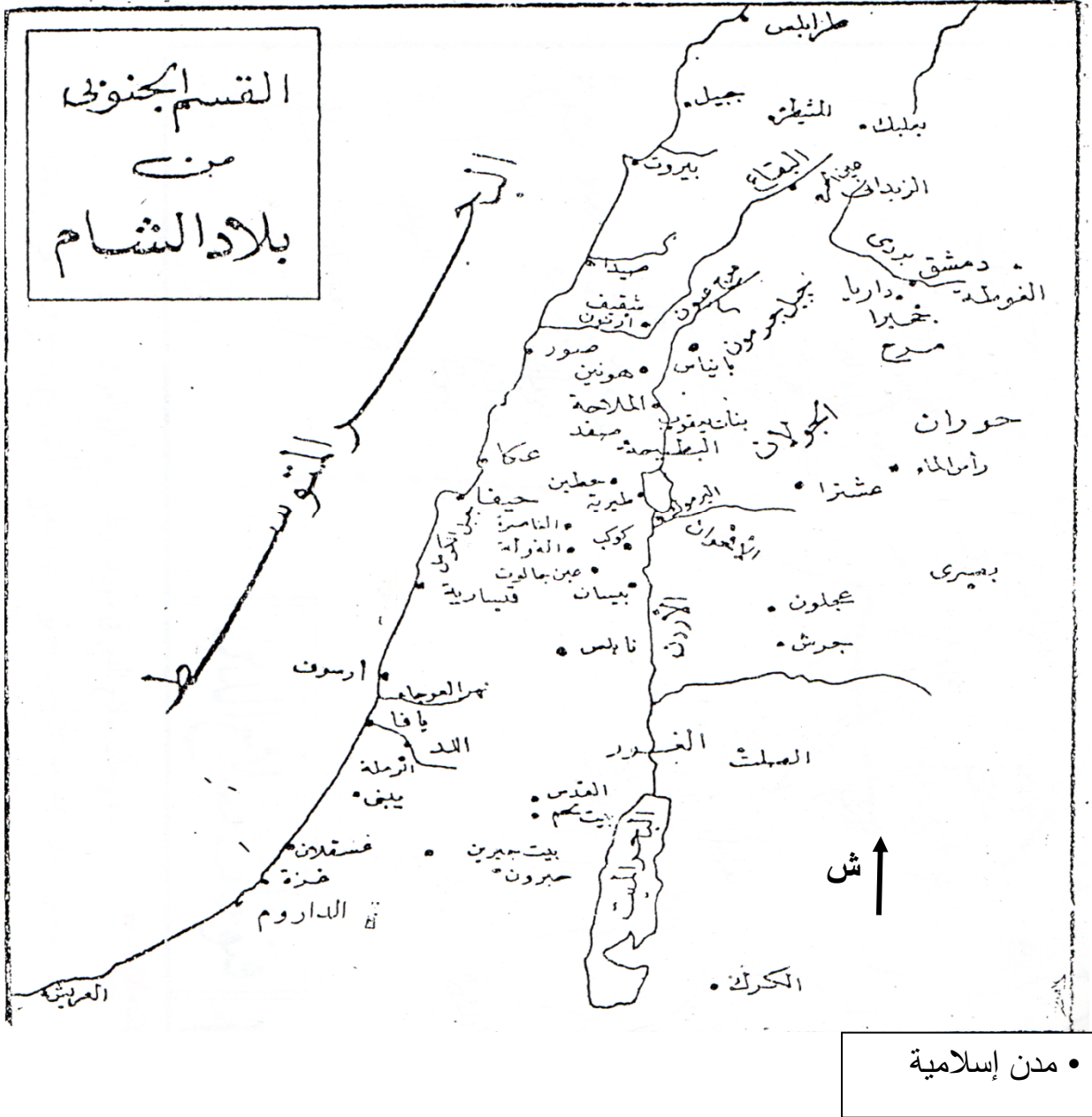
القسم الشمالي من البلاد الشامية (1)



(1)- الأصفهاني (عماد الدين)، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص. 3.

الملحق رقم: 03

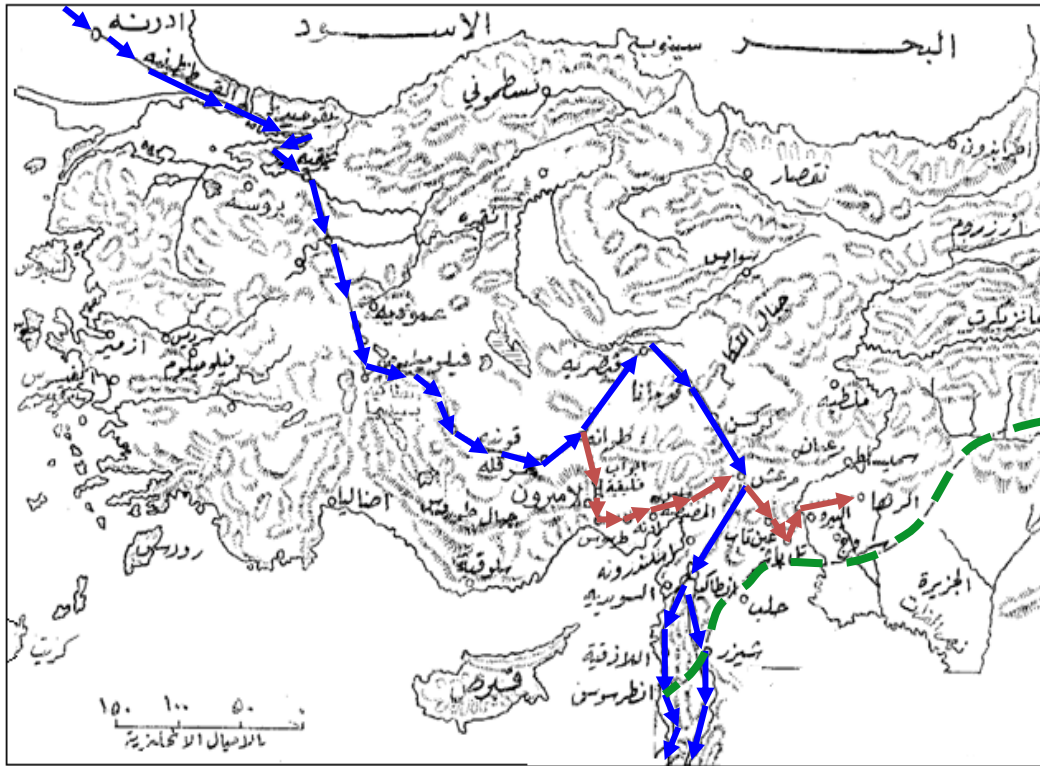
القسم الجنوبي من البلاد الشامية(1)



1-الأصفهاني (عماد الدين)، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص.4.

الملحق رقم : 04

آسيا الصغرى زمن الحملة الصليبية الأولى (1)

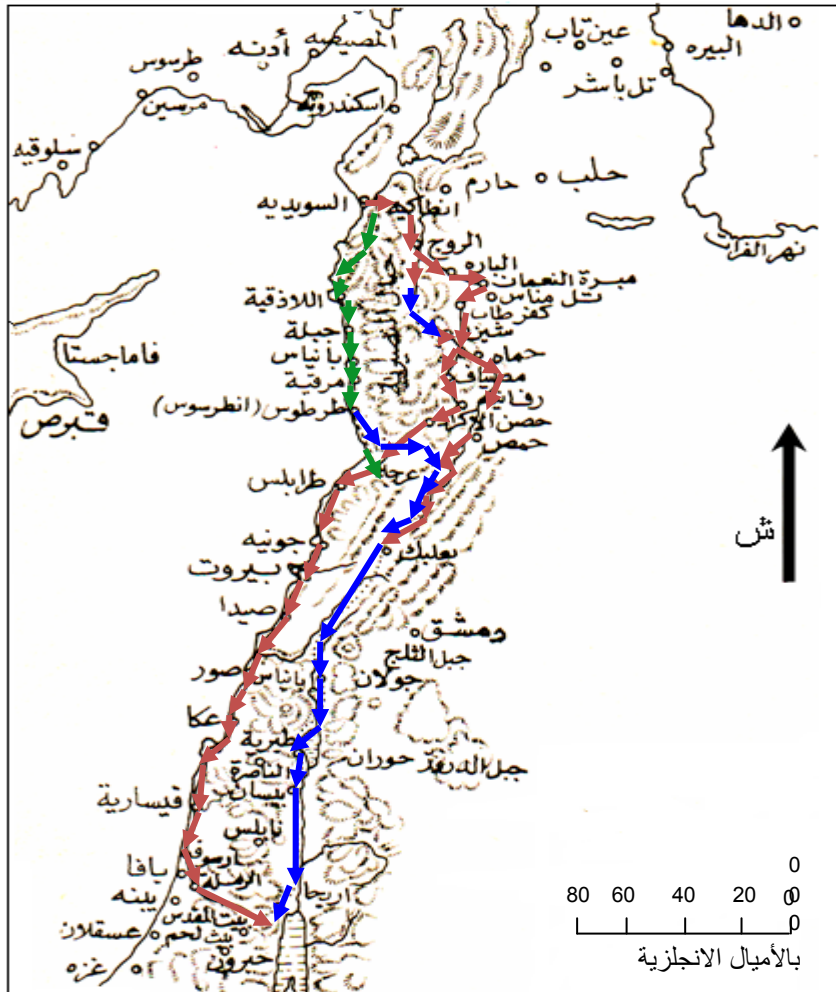


-----	حدود الامبراطورية البيزنطية
→	طريق الحملة الصليبية الأولى .
→	طريق بلدوين الأول 1097-1098م.

(1)- رنسمان (ستيفن)، تاريخ الحروب الصليبية ، ج.1، ص.206.

الملحق رقم: 05

البلاد الشامية أثناء الحرب الصليبية الأولى⁽¹⁾

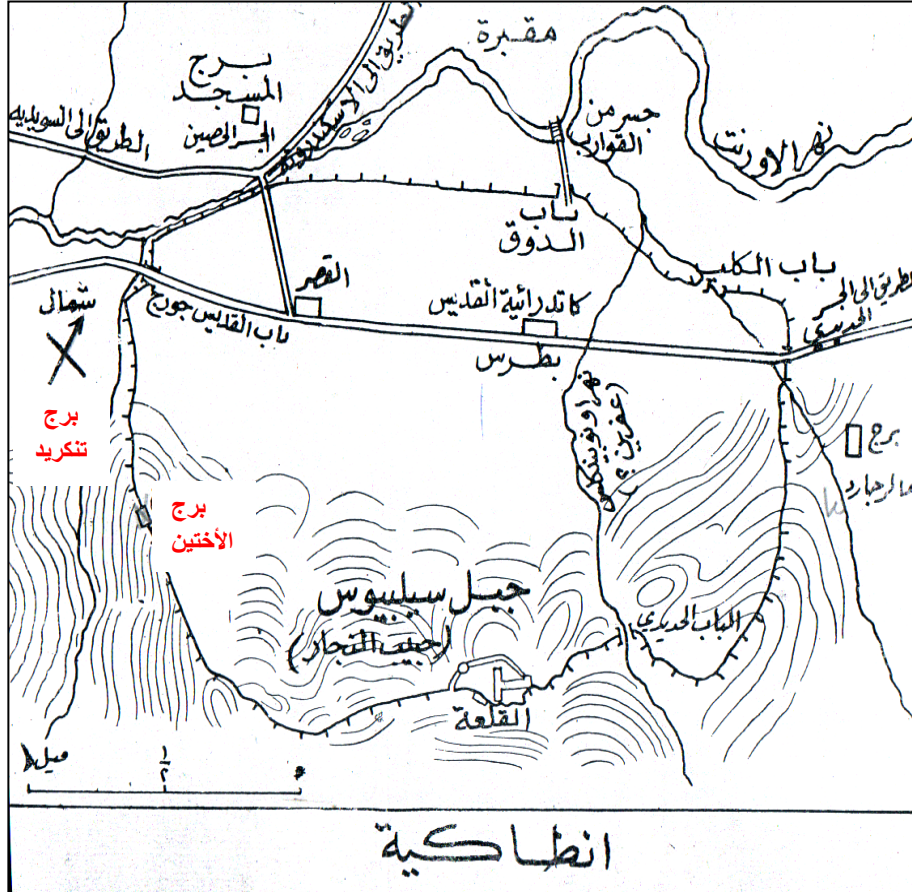


- ← طريق الصليبيين بقيادة راييموندا جيل من أنطاكية الى بيت المقدس
- ← طريق بوهمند وبلدوين الأول عند عودتهما من الحج الى بيت المقدس
- ← طريق قود فرودا عند عودته من عرقة .

(1) - رنسمان (ستيفن) ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج.1، ص.366.

الملحق رقم: 06

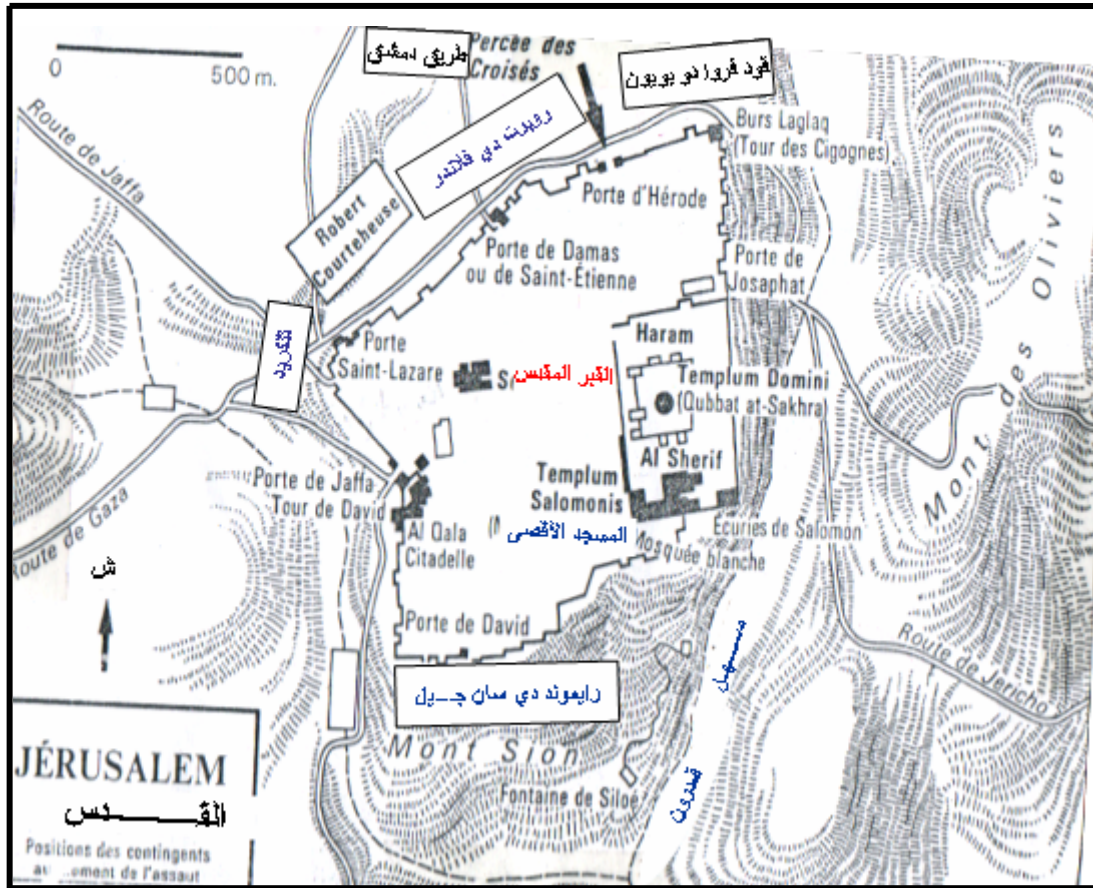
مدينة أنطاكية عشية الاحتلال الصليبي (1)



(1)- رنسمان (ستيفن) ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج.1، ص.305.

الملحق رقم : 07

مواقع بعض القادة الصليبيين أثناء حصارهم لبيت المقدس (1)

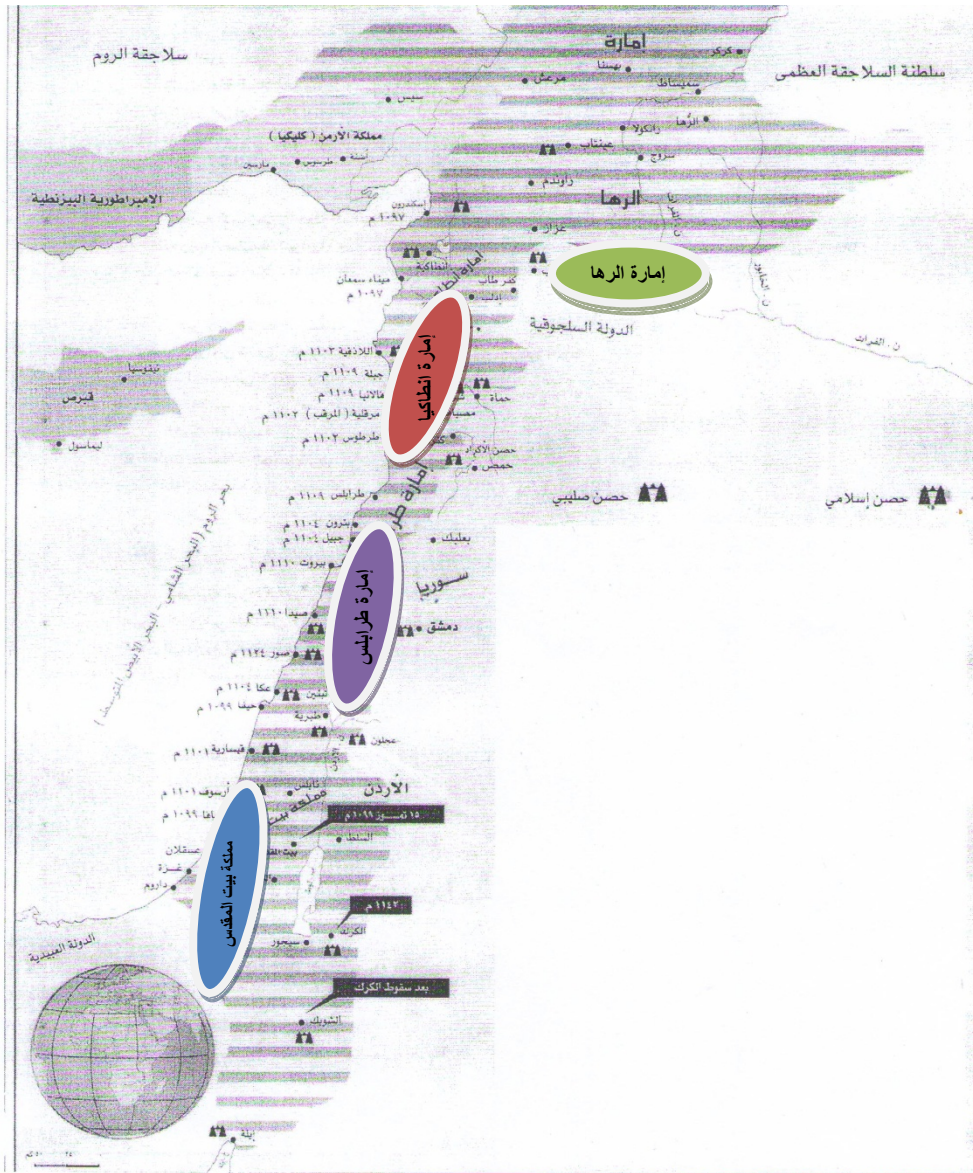


Barret(J.),op.cit., P.344.

(1-

الملحق رقم : 08

الإمارات الصليبية اللاتينية في بلاد المشرق الإسلامي بعد سنة 1095م.(1)



1- المغلوث (سامي بن عبد الله بن أحمد)، المرجع السابق، ص.75.

الملحق رقمه: 09

طريق صلاح الدين الأيوبي لتحرير بلاد الشام والعراق (1)



(1)-فليب حتي، المرجع السابق، ص.191.

الملحق رقم : 10

موقع معركة حطين⁽¹⁾



(1)- المهدي الزبدة (عجلة)، المرجع السابق، ص.120.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع والموسوعات و القواميس:

I- المصادر العربية والأجنبية:

I-1/- المصادر العربية :

- 1- القرآن الكريم الآية 256 من سورة البقرة.
- 2- القرآن الكريم الآية 01 من سورة الإسراء
- 3- ابن الأثير (عز الدين(ت.630هـ) ،الكامل في التاريخ ، الجزء الثامن، والتاسع والعاشر، الطبعة الثالثة ،بيروت،1998م .
- 4- ابن الأثير (عز الدين(ت.630هـ) ، الكامل في التاريخ ، الجزء العاشر والجزء الحادي عشر ، دار مازدا للطباعة ، بيروت ،1998م
- 5- ابن الأثير (عز الدين(ت.630هـ) ، الكامل في التاريخ ،الجزء الحادي عشر ،دار صادر ، بيروت ،1386هـ/1966م.
- 6- ابن الأثير (عز الدين(ت.630هـ) ، التاريخ الباهر في دولة الأتابكة ، تحقيق: عبد القادر طليمات طبعة القاهرة ،1963م .
- 7- الأصفهاني (عماد الدين(ت.597هـ) ،الفتح القسى فى الفتح القدسى (حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس)، الطبعة الأولى، دار المنار، بيروت ،2004م .
- 8- الأصفهاني (عماد الدين) ، تاريخ دولة آل سلجوق ،مطبعة الموسوعات ،القاهرة ،مصر ،1318هـ/1900م
- 9- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت560هـ) ،نزهة المشتاق فى اختراق الأفاق ،الجزء الأول ، القاهرة ، 2002م .
- 10- الأعظمي (محمد كامل) ، طائفة الاسماعلية تاريخها ، نظامها ، عقائدها ، القاهر ، 1959م .11
- 11- الأندلسي لسان الدين بن الخطيب (أبو عبد الله محمد (ت.776هـ) ،أعمال الأعلام ، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكناني ، دار الكتاب ،دار البيضاء ،1964م.
- 12- الأنطاكي (سعيد (ت.458هـ) ، تاريخ الأنطاكي ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري و

جروس برس، طرابلس، 1990م .

13- البغدادي (أبو بكر احمد بن علي (ت.463هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، الطبعة لأولى ، الدار الكتب العلمية ، بيروت ، 1996م .

14- البكري (أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي(ت.487هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، الجزء الأول ،تحقيق مصطفى السقا، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1996م.

15- البنداري (الفتح بن علي بن محمد(ت.643هـ)، تاريخ آل سلجوق، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان، 1980م.

16- البنداري(الفتح بن علي بن محمد(ت.643هـ)، سنا لبرق الشامي ، الجزء الأول ، تحقيق : فتحة النبراوي ، طبعة القاهرة، 1979م.

17-البنداري(الفتح بن علي بن محمد(ت.643هـ) ، تاريخ دولة آل سلجوق ، طبعة : دار الآفاق ، بيروت ، 1987م .

18-ابن ثغري بردي (أبو المحاسن جمال الدين يوسف(ت.874هـ)، ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،الجزء الخامس ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، 1975م.

19-ابن ثغري بردي (أبو المحاسن جمال الدين يوسف(ت.874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الجزء السادس ، وزارة الثقافة والأرشيف القومي ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ن دون تاريخ النشر.

20- بن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن علي(ت597))،المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،طبعة:الهند،حيدر آباد الدكن،1358هـ/1359هـ، الجزء الثامن .

21- بن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن علي(ت597هـ))،، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الجزء التاسع ، دار صادر ، بيروت ، 1358 هـ.

22- ابن الجوزي سبط (شمس الدين أبي المظفر يوسف (ت 654هـ))، مرآة الزمان في

تاريخ الأعيان، الطبعة الأولى ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الشروق ،

القاهرة ، 1985م .

23- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي(582هـ)، رفع الإصر عن

قضاة مصر، الجزء الأول ، تحقيق: حامد عبد المجيد وآخرين ، الإدارة العامة للثقافة

ووزارة التربية والتعليم ، القاهرة، 1957-1961م .

24- الحموي (ياقوت(ت. 1229)) ، معجم البلدان، الجزء الأول ، دار صادر للطباعة

والنشر ، داربيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1374هـ/1955م .

25- الحموي (ياقوت(ت. 622هـ)) ، معجم البلدان، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، دار

صادر، بيروت ، لبنان ، 1986م .

26- الحموي (ياقوت(ت. 1229)) ، معجم البلدان ، الجزء الرابع ، الطبعة الثانية ، دار

صادر، بيروت ، لبنان ، 1374هـ/1955م .

27- الحنبلي (شهاب الدين ابن العماد(1089هـ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب

المجلد الرابع ، تحقيق: مصطفى عبد القادر بن عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت

لبنان ، 464هـ - 588 هـ .

28- الحنبلي (مجير الدين) ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، الجزء الأول ،

مكتبة المحتسب ، عمان ، 1973م .

29- ابن حوقل (محمد بن علي النصيبي(367هـ)) ، صورة الأرض، مكتبة الحياة،

بيروت، لبنان ، دون تاريخ الطبع.

30- ابن خلدون (عبد الرحمان) ، تاريخ ابن خلدون ، الجزء الرابع ، طبعة دار

الفكر للطباعة والنشر و التوزيع ، بيروت ، 1401هـ-1981م .

30- ابن خلدون (عبد الرحمان(ت808هـ)) ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام

العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، المجلد5، الطبعة

الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992م .

- 31- ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين) ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر، بيروت، 1988م .
- 32- الذهبي (شمس الدين أحمد) (748هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام (حوادث 321-330) ، الطبعة الثانية ، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت، 1414هـ.
- 33 - الذهبي (شمس الدين أحمد) (748هـ)، سير أعلام النبلاء، الجزء العشرين، الطبعة الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، 1402هـ/1982م.
- 34 - الذهبي (شمس الدين أحمد) (ت.748هـ)، سير أعلام النبلاء، الجزء الخامس عشر ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، الجزء الخامس عشر، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، 1405هـ.
- 35- الرواندي (محمد بن علي سليمان) (ت.603)، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نشر و تصحيح: محمد إقبال، طبعة دار العلم، القاهرة، 1960م.
- 36- ابن سعيد (علي بن سعيد المغربي) (ت.685هـ)، النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، تحقيق: حسين نصار ، مركز تحقيق التراث، القاهرة ، 1972م.
- 37- ابن شداد (بهاء الدين) (ت.632هـ) ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، الطبعة الثانية ، تحقيق: محمد درويش ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، 1987/01/01م.
- 38- ابن شداد الحلبي (عز الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم) (ت.684هـ)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، دمشق، 1965م.
- 39- الشهرستاني (أبو الفتح تاج الدين عبد الكريم بن أبي بكر أحمد) (ت.548هـ) ، الملل والنحل، الجزء الأول، تحقيق: محمد الكيلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع مستديرة المطار ، دون تاريخ النشر.
- 40- الشيرازي (إبراهيم بن علي بن يوسف) (ت.476هـ) ، سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ، تحقيق: محمد كامل حسن ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1949م .

- 41- **الصفدي** (صلاح الدين خليل بن أبيك) (ت.764هـ)، الوافى بالوفيات ، تحقيق:مجموعة من العلماء النشورات الإسلامية ،اسطنبول-بيروت ،1947-1988م.
- 42- **الطبري** (محمد بن جرير) (ت.310هـ) ، تاريخ الأمم والملوك ، الجزء الخامس ،الطبعة الأولى ، الكتب العلمية ، بيروت ،1407هـ .
- 43- **ابن ظافر**(جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي منصور ظافر الأزدي) (ت.613هـ) ، أخبار الدولة المنقطة ،دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين ، دراسة وتحقيق : أندريه فريه ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ،1974م .
- 44- **ابن العديم** (كمال الدين أبو الحفصي) ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، الجزء الثاني، تحقيق : سامي الزهران، المطبعة الكاثوليكية ، ، بيروت ،1954م.
- 45- **ابن عذاري** (أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي) (ت.660هـ) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، الجزء الأول إلى الجزء الرابع ، تحقيق :ج.س.كولانو.ليفني بروفنسال، لندن ، 1948م .
- 46- **أبي الفداء** (عماد الدين إسماعيل) (ت.732هـ) ، المختصر في أخبار البشر ، الجزء الخامس ، الطبعة الأولى ، دار البحار ،بيروت ،1380هـ/1960م.
- 47- **ابن الفقيه** (ابو بكر احمد بن ابراهيم الهمداني) (ت.340هـ) ، مختصر كتاب البلدان ، طبعة مدينة ليدن بمطابع برلين ،1302هـ .
- 48- **بن قاضي** (شعبة تقي الدين أحمد) (ت.851هـ) ، الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تحقيق :محمود زايد ،طبعة بيروت ،1971م.
- 49- **ابن القلانسي** (حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي، أبو يعلى) (ت.555هـ) ، ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ،1908م.
- 50- **القلقشندي**(أبو العباس أحمد) (ت.821هـ)،صبح الأعشى في صناعة الأنشا،طبعة دار الكتب العربية ،دون مكان الطبع ،القاهرة ،1963م.
- 51- **ابن كثير**(الدمشقي الفدا.الحافظ) (ت.703هـ)، البداية والنهاية ،الجزء الخامس

- والجزء السادس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1415هـ/1994م .
- 52- ابن كثير(الدمشقي الفدا.الحافظ(703هـ)، البداية والنهاية، الجزء 11، الجزء 12 ، الجزء 15، مكتبة المعارف، بيروت ، 1415هـ/1994م .
- 53- أبو المحاسن (جمال الدين(ت.874هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة الجزء الخامس ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، مصر ، دون تاريخ النشر.
- 54- المسيحي (الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد(ت.420هـ) ، أخبار مصر ، الجزء 40 ، حققه:أيمن فؤاد سيد ،المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، 1978م.
- 55- بن مظفر(عمر الوردي (ت.749هـ) ، تتمة المختصر في أخبار البشر ، الجزء العشرين ، القاهرة ، مصر ، 1285هـ
- 56- المعافري (محمد ابو بكر بن العربي المالكي (ت.543هـ) ، العواصم من القواصم في تحقيق موقف الصحابة بعد وفاة النبي ، تحقيق : محمد جميل غازي ، الطبعة الثانية، دار الجيل ، بيروت ، 1407هـ .
- 57- المقدسي (أبو شامة شهاب الدين (ت 654هـ)، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية وصلاحية ،الجزء الأول ،دار الجيل ،بيروت ،دون تاريخ النشر .
- 58- المقدسي (أبو شامة شهاب الدين (ت 654هـ)، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية وصلاحية ،الجزء الثاني ،دار الجيل،بيروت ،دون تاريخ .
- 59- المقدسي (البشاري(ت.380هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،مكتبة مدبولي، القاهرة ، 1991م.
- 59- المقدسي (أبو شامة شهاب الدين(ت.665هـ) ،الروضتين في أخبار الدولتين:

- النوريه والصلاحية ، الجزء الأول والجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، الهيئة المصرية ، القاهرة ، 1962م.
- 60- المقدسي (أبو شامة شهاب الدين) (ت.665هـ) ، الروضتين في أخبار الدولتين: النوريه و الصلاحية ، الجزء الثالث ، الطبعة الأولى ، تحقيق: إبراهيم الزبيق ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م
- 61- المقرزي (تقي الدين أحمد بن علي) (845هـ)، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، الجزء الأول ، تحقيق: جمال الدين الشيالي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1942- 1973 م .
- 62- المقرزي (تقي الدين أحمد بن علي) (845هـ)، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، الجزء الثالث ، تحقيق: د/محمد حلمي محمد أحمد ، طبعة دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1340هـ/1942م.
- 63- المقرزي (تقي الدين أحمد بن علي) (845هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الأول ، تعليق: محمد مصطفى زيادة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1934م-1942م.
- 64- المقرزي (تقي الدين أحمد بن علي) (845هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط الآثار، الجزء الأول و الجزء الثاني ، سولاق ، دون مكان الطبع ، 1270هـ .
- 65- ابن منظور (أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم) (ت.711هـ)، لسان العرب (مادة القدس) ، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1994م.
- 66- ابن منظور (أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم) (ت.711هـ)، لسان العرب ، الجزء السادس ، دار صادر ، بيروت ، 1968م.
- 67- المنصوري (بيبرس) (ت.725هـ) ، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، الجزء الثاني والأربعون ، عن تحقيق: دونالد س. ريتشارد ، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت ، 1998 م.
- 68- ابن منقذ (أسامة) (ت.584هـ) ، كتاب الاعتبار ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1999م.
- 69- ابن ميسرة (تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جَلْب راغب) (ت.677هـ)، أخبار مصر، حققه وكتب مقدمته وحواشيه: أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار

- الشرقية، القاهرة، 1981م.
- 70- **النويري** (شهاب الدين احمد بن عبد الله(733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب ، الجزء السادس والعشرون ، المطبعة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1985م .
- 71- **ابن الوردي** (أبو حفص زين الدين عمر بن المظفر(ت.749هـ) ، تتمة المختصر في أخبار البشر ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، تحقيق: أحمد رفعت البدرابي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، 1389هـ/1966م.
- 72- **ابن الوردي** (أبو حفص زين الدين عمر بن المظفر(ت.749هـ) ، تتمة المختصر في أخبار البشر ، الجزء السادس ، الطبعة الأولى ، تحقيق: أحمد رفعت البدرابي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1389هـ/1970م.
- 73- **ابن واصل**(جمال الدين(ت.697هـ) ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، الجزء الخامس، المجلد الخامس، تحقيق: جمال الدين محمد الشيال، وزارة المعارف المصرية ، القاهرة ، 1952م .
- 74- **ابن واصل**(جمال الدين(ت.697هـ) ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، الجزء الثاني والجزء الثالث ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم ، وزارة المعارف المصرية ، إدارة الثقافة العامة ، القاهرة ، 1960م.
- 75- **النويري** (شهاب الدين(ت.733هـ) ، نهاية الأدب في فنون الأدب ، تحقيق: سعيد عاشور ، طبعة القاهرة ، 1980م .

2-I / أ- المصادر الأجنبية :

2-I / أ- المصادر الأجنبية المعربة :

01- راييمونداجيل (Raymond d'Agiles) ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت

المقدس (Historria Francorum Qui Ceperunt Iherusalem) ،

ترجمة: حسين محمد عطية ، الطبعة الأولى ، الإسكندرية ، 1990م .

02- الشارترى (فوشيه) ، تاريخ الحملة إلى القدس (1059 - 1127) (A history)

1127-1059 of the expedition to Jerusalem) ، ترجمة : زياد

جميل العسلي ، المركز العربي لتوزيع المطبوعات ، بيروت ، لبنان ، 1990م .

03- مؤرخ المجهول ، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس " (Gesta Francorum

Jherusalem Perigrinantim)، ترجمة : حسن حبشي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،

1958م .

04- وليم الصوري : (A History of Done Beyond the Sea) ، الجزء

الأول ، تعريب : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 1990م .

05- وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، الجزء الثاني و الجزء الثالث ، ترجمة

: حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1994م .

2-I / ب- المصادر الأجنبية الغير المعربة:

المصادر اللاتينية:

01- Albert D'aix -La-Chapelle , Histoire des faites et gestes dans
Les régions -)2d'Outre-mer depuis l'année 1095 jusqu'à

l'année 1120 de Jésus-Christ , livre13, éditeur ; Brière j. , Paris ,

1824 .

- 02- De Caen (R.) , Faits et gestes du prince Tancrede pendant l'expédition de Jérusalem , édition Brière , Paris ,1825**
- 03- De vitry Jacques. , The History of Jerusalem ,volume 11, Trans ;By Aubrey Stewart, in P.P.T.S., London, 1896.**
- 04- Eginhard , Vie de Charlemagne, traduite éditée et traduite ar Louis Halphen , Paris ,Librairie Champion , 1923.**
- 05- Fulcher of Chartres. A History of the Expedition to Jerusalem , translated by Frances Rita Ryan (Sisters of St. Joseph) Knoxville , 1969 .**
- 06- Recueil des historiens des croisades , Historiens occidentaux , 5 Vol. , Paris , Imprimerie National , 1844-1895.**
- 07- William of Tyre: A History of Deeds Done Beyond the sea, n deux volumes. Trans by Emily twater Babcock and A.C.Krey , New York, 1943,volume 1.**
- المصادر الإغريقية :
- 08- Comnène Anne . , Alexiade ,volume deux et trois ,établi traduit par Barnard Leib ; Paris , Les belle lettres ,1967.**
- 09- Comnène Anne , The Alexiade , Transleted by :E.R.A.Sewter ,Penguin Books , 3ed published , Britain ,1982.**

1-II -/ المراجع العربية والأجنبية:

1-II / المراجع العربية:

- 01- أحمد (رضا بك) ، وثائق عن الحروب الصليبية ، الطبعة الثالثة، ترجمة : محمد بورقيبة و محمد الصادق الزملي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس ، 1977م .
- 02- أحمد (محمد السيد) ، الخليل والحرام الإبراهيمي عصر الحروب الصليبية (492هـ - 583هـ/1099م - 1187م) ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1392 هـ / 1998م .
- 03- أحمد اليوسف (عبد القادر) ، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، 1969م .
- 04- أسد (رستم) ، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالغرب ، الجزء الثاني ، دار المكشوف ، بيروت ، 1956م
- 05- الأعمى (محمد كامل حسين) ، عبقرية الفاطميين ، أضواء على الفكر والتاريخ الفاطمي ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، 1960م.
- 06- الباز العريني (السيد) ، الدولة البيزنطية 323 – 1081م (ملحق 1: عن أباطرة الدولة البيزنطية حتى سنة 1081م) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1986 .
- 07- الباز العريني (السيد)، الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، الجزء الأول ، طبعة القاهرة 1317هـ .
- 08- الباز العريني (السيد) ، تاريخ أروبا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1968م.
- 09- البيشاوي (سعيد)، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 1990م .

- 10- تاوخريس عبيد (اسحاق) ، روما و بيزنطة ، من قطعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين 869 – 1024م ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1970 م .
- 11- جوزيف (نسيم يوسف)، العرب والروم و اللاتين زمن الحرب الصليبية الأولى ، طبعة دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981م .
- 12- جوزيف (نسيم يوسف)، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، جامعة للطبع والنشر ، الإسكندرية ، 1989م
- 13- حاطوم (نور الدين) ، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا ، دار الفكر ، دمشق ، 1406 هـ / 1986م .
- 14- حبشي (حسن) ، الحروب الصليبية الأولى ، الطبعة الثانية ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1958م.
- 15- حبشي (حسن) ، نور الدين و الصليبيون ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1948م.
- 16- أبو حديد (محمد فريد)، صلاح الدين الأيوبي وعصره ، سلسلة المعارف العامة ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1346هـ/1927م.
- 17- حسن (إبراهيم حسن)، تاريخ الدولة الفاطمية ، الطبعة الرابعة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1981م .
- 18- حسن (إبراهيم حسن)، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، الجزء الرابع ، القاهرة ، 1957م.
- 19- حسن (ظاظا) ، أبحاث في الفكر اليهودي ، دار القلم ، دمشق ، 1987م.
- 20- حسنين (عبد النعيم) ، إيران في ظل الإسلام في العصور السنية والشيعية ، الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، مصر ، 1988 م .
- 21- الحرستاني (محمود شاكر) ، التاريخ الإسلامي (الدولة العباسية) ، الجزء السادس ، الطبعة السابعة ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، دمشق ، 1411 هـ/ 1991م
- 22- الحريري (سيد علي)، الأخبار السنية في الحروب الصليبية ، طبعة القاهرة، 317 هـ.
- 23- حسن (عبد الوهاب) ، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي في الحروب الصليبية

- ، الإسكندرية ، 1979م .
- 24- حسنين (عبد النعيم) ، إيران في ظل الإسلام في العصور السنية والشيعية ، الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، مصر ، 1988م .
- 25- الحسيني (در الدين) ، كتاب أخبار الدولة السلجوقية ، تحقيق: محمد إقبال ، لاهور، 1933م.
- 26- حلاق (حسان) ، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى (الأندلس ، صقلية ، الشام) ، الدار الجامعية ، بيروت ، 1406هـ/1986م.
- 27- الحموري (محمد محمود محمد) ، اللومبارديون في التاريخ و الحضارة ، الطبعة الأولى، دار المعارف 1119 كورنيش النيل ن القاهرة ، 1972م .
- 28- خليل (عماد الدين) ، نور الدين محمود الرجل والتجربة ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، دمشق ، 1400هـ .
- 29- درويش غوانمة (يوسف حسن) ، إمارة الكرك الأيوبية ، دار الفكر ، عمان ، دون تاريخ .
- 30- دهيش (عبد اللطيف عبد الله) ، قيام الدولة العثمانية ، الطبعة الثانية ، مطبعة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، 1416هـ/1995م .
- 31- الدومي (أحمد عبد الجواد) ، صلاح الدين الأيوبي الناصر لدين الله ، الطبعة الثانية ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت، 2008م .
- 32- زايد (عبد الحميد) ، القدس الخالدة ، القاهرة ، مصر ، 1974م .
- 33- زكار (سهيل) ، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 1973م.
- 34- الزهراني (محمد مسفر) ، نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية (247هـ - 590هـ) ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1983م .
- 35- زغزوت (فتحي) ، النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي ، الطبعة الأولى ، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع شبيرا ، مصر ، 1430هـ/2009م.

- 36- زيتون (عبد الوهاب) ، الحروب الصليبية ، هل انتهت؟ ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1414هـ/1992م .
- 37- سعداوي (نظير حسان) ، الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي ، مكتبة النهضة المصرية ، 1961م .
- 38- سعيد عمران (محمود) ، تاريخ الحروب الصليبية 1095-1291م ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، 1996م .
- 39- سعيد عمران (محمود) ، الحملة الصليبية الخامسة ، الإسكندرية ، 1985م .
- 40- السرحاني(راغب) ، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي ، الطبعة الأولى، مؤسسة قرأ للنشر و التوزيع و الترجمة ، بيروت ، 2005م .
- 41- سوسة (أحمد) ، العرب واليهود في التاريخ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، 1972م.
- 42- سويد (ياسين) ، حروب القدس في التاريخ الإسلامي والغربي ، الطبعة الأولى ، دار الملتقى للطباعة والنشر ، بيروت ، 1997م .
- 43- شاكر (أحمد أبو زيد) ، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ، الجامعة اللبنانية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، دون تاريخ الطبع .
- 44- شبارو (عصام محمد) ، السلاطين في المشرق العربي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1994م .
- 45- الشريف (محمد)، المغرب وحروب الاسترداد ، تطوان ، 2006م.
- 46- الشقيري (أحمد) ، معارك العرب (وما أشبه الليلة بالبارحة) ، دار النهار، بيروت ، 1975م.
- 47- شلبي (أحمد) ، حركة فارسية مدمرة ضد الإسلام والمسلمين عبر العصور ، القاهرة ، 1988م .
- 48- شلبي (محمود) ، حياة صلاح الدين، الطبعة الأولى ، دار الجبل ، بيروت ، 1980م .
- 49- الصلابي (علي محمد) ، الدولة الزنكية ، الطبعة الأولى، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1428هـ/2007م.

- 50- أبو الصيني (عبد القادر أحمد) ،دور نور الدين محمود في نهضة الأمة ومقاومة الفرنجة، الدار العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد ، العراق ، 2000م.
- 51- ابن الطباطبا (فخر الدين محمد بن علي) ، الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1980م .
- 52- طقوس (محمد سهيل) ، تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق)، الطبعة الأولى ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت ، 2011م.
- 54- طقوس (محمد سهيل) ، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، الطبعة الأولى ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، 1419هـ/1999م.
- 55- الطيب (سليمان نعمان) ، منهج صلاح الدين في الحكم والقيادة، الطبعة الأولى ، مطبعة الحسن الإسلامية ، القاهرة ، 1411هـ/1991م.
- 56- ظاظا (حسن) ، أبحاث في الفكر اليهودي ، دار القلم ، دمشق ، 1987م .
- 57- عاشور (سعيد) ، الحركة الصليبية ، القاهرة ، 1982م ، الجزء الأول .
- 58- عاشور(سعيد عبد الفتاح) ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ .
- 59- عاشور(سعيد عبد الفتاح) ، الحركة الصليبية ،صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، مكتبة الأنجلو مصرية القاهرة ، 1971.
- 60- عاشور(سعيد عبد الفتاح) ، أوروبا العصور الوسطى التاريخ السياسي ، الجزء الأول الطبعة العاشرة، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1986م
- 61- العارف (عارف) ، المفصل في تاريخ القدس ، مطبعة المعارف ، القدس ، 1961م.
- 62- العبد (محمد) ، أيعيد التاريخ نفسه ، مراجعة وتعليق : طه عبد الرؤوف سعيد ، طبعة دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1411 هـ .

- 63- عبد الوهاب (حسن) ، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية ، الإسكندرية ، 1997م .
- 64- العروسي المطوي (محمود) ، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، بيروت ، 1982م .
- 65- عمر (يحي محمد)، مغامرة الصليبي أرنأووط الفاشلة لغزو الحجاز (٧٨هـ / ١١٨٢ م) ، جامعة " الملك عبد العزيز " ، دون تاريخ النشر .
- 66- العسلي (بسام) ، صلاح الدين الأيوبي ، دار النفائس ، بيروت ، دون تاريخ النشر .
- 67- عوفي (محمد سالم) ، العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقي ، الطبعة الأولى ، 1982م .
- 68- عوض (محمد مؤنس أحمد) ، فن الصراع الإسلامي الصليبي - السياسة الخارجية للدولة النورية ، الطبعة الأولى ، عين للدراسات والبحوث ، مصر ، 1998م .
- 69- عوفي (محمد مؤنس) ، العلاقات بين الشرق والغرب ، الحروب الصليبية 6- 7هـ/12-13م ، الطبعة الأولى ، جامعة عين المكان (شمس) ، القاهرة ، 1999م-2000م .
- 70- غوانمة (يوسف حسن درويش) ، إمارة الكرك الأيوبية ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، 1982م .
- 71- فريد بك (محمد) ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، الطبعة السادسة ، تحقيق :إحسان حقي ، دار النفائس ، بيروت ، 1408هـ / 1988م .
- 72- فاروقي (ثريا) ، الدولة العثمانية والعالم المحيط بها ، تعليق : د/ حاتم الطحاوي ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، 2008م .
- 73- فرح (نعيم) ، تاريخ أرويا في العصور الوسطى ، مطبعة طبرين ، دمشق ، 1398هـ/1991م .
- 74- قاسم (عبد قاسم) ، ماهية الحروب الصليبية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1973م .

- 75- قاسم (عبد قاسم) ، الخلفية الإيديولوجية للحروب الصليبية ، الطبعة الثانية ، الكويت ، 1988م .
- 76- الكفاي (زيدان) ، القدس عبر العصور ، اربد ، جامعة اليرموك ، 2001م .
- 77- كروزيه (موريس) ، تاريخ الحضارات العام ، المجلد الثالث ، الطبعة الثالثة ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1994م .
- 78- ماجد (عبد المنعم) ، الخليفة المفترى عليه ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1982م .
- 79- مؤنس (حسين) ، نور الدين محمود ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 1378هـ / 1958م .
- 80- مؤنس عوفي (محمد) ، العلاقات بين الشرق والغرب، الحروب الصليبية (6-
7هـ/12-13م) ، الطبعة الأولى ، جامعة عين المكان شمس ، القاهرة ، 2000م .
- 81- محمد (فريد بك) ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق :إحسان حقي ، الطبعة الأولى ، دار النفائس ، بيروت ، 1408هـ/1988م .
- 82- محاسنه (محمد حسن) ، تاريخ مدينة القدس ، الطبعة الأولى ، دار حنين للنشر والتوزيع ، عمان ، 2002م .
- 83- محمود الحاج (قاسم محمد) ، انتقال الطب العربي إلى الغرب، معابره وتأثيره ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، عمان ، 1219هـ/1998م .
- 84- محمود (السيد) ، الحروب الصليبية ، طبعة الإسكندرية ، 2000م .
- 85- معلوف (أمين) ، الحروب الصليبية كما رآها العرب ، تحقيق : عفيف دمشقية ، بيروت ، 1998م .
- 86- مقامي (نبيلة إبراهيم) ، فرق الرهبان والفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي ، 1994م .
- 87- المزيني (إبراهيم بن محمد حمد) ، الحياة العلمية في عهد الزنكي ، الطبعة الأولى ، الرياض ، 1424هـ/2003م .

- 88- المهدي عبلة (الزبدة) ، صلاح الدين وتحرير القدس ، الطبعة الأولى ، دار مجدلاوي ، عمان ، 1414هـ/1994م.
- 89- الناصر (محمد حامد) ، الجهاد والتجديد في عهد نور الدين وصلاح الدين ، الطبعة الأولى ، مكتبة الكوثر ، السعودية ، 1419هـ/1998م.
- 90- نبيه (عافل) ، الإمبراطورية البيزنطية ، دمشق ، 1970م .
- 91- النقاش (زكي) ، العلاقات الاجتماعية والثقافية و الاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية ، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، لبنان ، 1365هـ/1946م .
- 92- نوار (صلاح الدين محمد) ، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي 1097 - 1121 م أضواء جديدة على الحروب الصليبية ، الطبعة الأولى ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، 1993م.
- 93- هيبرة (عون الدين الوزير) ، أوضاع الخلافة العباسية ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، الأردن ، 1999م .
- II-2 / المراجع الأجنبية :**
- II-2 / 1- المراجع الأجنبية العربية :**
- 01- أشباخ (يوسف الألماني) ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة : عبد الله عنان ، القاهرة ، 1940م .
- 02- ابرهارد ماير (هانس) ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : عماد الدين غانم ، منشورات مجمع الفاتح للجامعات ، ليبيا ، 1990م .
- 04- بارتولد (فاسيلي) ، تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة : أحمد السعيد ، مطبعة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1378هـ/1958م .
- 05- باركر (أرنست) ، الحروب الصليبية ، ترجمة : السيد الباز العريني ، الطبعة الثانية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1997م .
- 06- براور (يوشع) ، الاستيطان الصليبي في القدس: مملكة بيت المقدس اللاتينية

- ،ترجمة: عبد الحافظ البنا ، دار عين للنشر والدراسات، الزقازيق 2001م.
- 07- بروكلمان (كارل) ، تاريخ الشعوب الإسلامية، الجزء الأول ، تعريب : نبيه فارس و البعلبكي ، بيروت ، 1948-1950م .
- 08- حتي (فيليب)، تاريخ العرب المطول ،ت.شوقي أبو خليل، دار الكشاف للطباعة والنشر و التوزيع ،
الجزء الثاني ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، 1965م
- 09- حتي (فيليب)، تاريخ سوريا و لبنان ، الطبعة الثانية ، ترجمة : د/ أنيس فريحة ، دار الثقافة ، بيروت ، 1972م.
- 10 - حتي (فيليب)، صانعو التاريخ العربي ، الطبعة الأولى ، ترجمة : أنيس فريحة ، مراجعة: محمود زايد ، دار الثقافة بيروت ، 1969م .
- 10- خسرو (ناصر) ، سغرتامة ، ترجمة : يحيى الخشاب ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1970م.
- 11- دفترى (فرهاد) ، الإسماعليون في العصر الوسيط تاريخهم وفكرهم ، ترجمة: سيف الدين القصير ، المدى دار للثقافة والنشر ، دمشق، 1198م.
- 12- ديورانت (ويل) ، قصة الحضارة " مملكة أورشليم اللاتينية ، ترجمة : موريس جلال ، الطبعة الأولى ، المجلد الثالث ، الكتاب الخامس، الباب السادس ، دار الأهالي ، دمشق ، 2005م .
- 13- ديورانت وويل ، قصة الحضارة ، المجلد الخامس عاشر ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، دمشق، 13-04-2013م.
- 14- رنسمان (ستيفن) ، تاريخ الحروب الصليبية ، الحرب الأولى و قيام مملكة بيت المقدس ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، ترجمة : السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، 1967م .
- 15- رنسمان (ستيفن) ، تاريخ الحروب الصليبية ، مملكة بيت المقدس 1100م- 1187م ،

الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، ترجمة : السيد الباز العربي ، دار الثقافة ، بيروت ، 1967م .

- 16- رنسمان (ستيفن)، الحضارة البيزنطية ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جويد، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1961م .
- 17- ريلي سميث (جونثان) ، ما الحروب الصليبية ، ترجمة : محمد فتحي شاعر ، جامعة المنوفية ، مصر ، بدون تاريخ .
- 18- زابوروف (ميخائيل) ، الصليبيون في الشرق ، دار التقدم ، موسكو ، 1986م .
- 19- زايد (عبد الحميد) ، القدس الخالدة ، القاهرة ، 1974م .
- 20- ستانلي (بول) : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ترجمة : أحمد السعيد سليمان ، المجلد الأول ، دار المعارف بمصر - القاهرة . دون تاريخ .
- 21- فيشر (هربرت) ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، تعريب : مصطفى زيادة و السيد الباز العريني ، القاهرة ، مصر ، 1950م .
- 22- غيبون (إدوارد) ، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي ، ترجمة : سيد أمير علي ، القاهرة ، مصر ، 1938م .
- 23- كانتور (نورمان) ، التاريخ الوسيط : قصة حضارة – البداية والنهاية ، الجزء الثاني ، ترجمة وتعليق : قاسم عبده قاسم ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، بيروت ، 1986م .
- 24- كروزيه (موريس) ، تاريخ الحضارات العام ، المجلد الثالث ، الطبعة الثالثة ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1994م .

II-2 / ب- المراجع باللغة الأجنبية:

- 1- Archer T. H. and Kingsford C.L. , The Crusades ,The story of the Latin Kingdom of Jerusalem , 5th Impression , London ,1919.
- 2- Atiya Aziz A. , The crusade historiography and

- Bibliography**, Indiana university press , 1962.
- 3- Bahat D . , **The illustarted Atlas of Jerusalem**,
Jerusalem ,1998.
 - 4- Balard M. , **Croisades et Orient Latin XI^e - XIV^e
siècle** , édition: Armand Colin , Paris , 2001 .
 - 5- Barret G. , **Si je t'oublie Jérusalem , la prodigieuse
aventuree la 1^{ère} croisade 1095-1099** , édition , Hachette , Paris,
1982.
 - 6- Ibid , **Croisades et Orient Latin XI^e - XIV^e siècle** , edition
Armand Colin , Paris , 2001 .
 - 7- Boas (A.) , **Jerusalem in the Time of the Crusades
Society, Landscape and art in the Holy City under
Frankish rule** ,London and Newyork , 2001.
 - 8- Bréhier (L.) , **L'Eglise et l'Orient au moyen âge, les
croisades** , Paris , 1928.
 - 9- Brundage(J. A.) , **Medieval canon Law and the Crusades**
,The University of Wiscnsin ,1966.
 - 10- Cahen (C.) , **Orient et Occident au temps des croisades** ,
Paris , 1983 .
 - 11- Cecil (M.) , **les croisades** ,Vendôme impression France ,2006.
 - 12- Chalandon (F.) , **Histoire de la première croisade jusqu'
l'élection de Godefroi de Bouillon** , Picard A. , Paris , 1925.
 - 13- Ibid , **Histoire de la domination Normande en Italie et en
Sicile** , tome 2 , Paris , 1907.
 - 14- Chelini (J.) , **Histoire religieuse de l'Occident médiéval** ,

- Librairie Armand Colin , Paris , 1968.
- 15- Ernoul , **Chronique d’Ernoul et Bernard le trésorier** ,
édition
Mas Latrie , Paris
- 16- **Flori (J.) , La première croisade**, édition . Complexes
,Bruxelles ,1992.
- 17- Ibid , **La mémoire des siècles (La première croisade)**
L’occident Chrétien contre l’Islam , édition , Complexes ,
Bruxelles , 1992.
- 18- Ibid , **Croisade et chevalerie VI^e - XII^e siècle** ,SNEL à liège
Bruxelles , 1992.
- 19- **Fontaine (J.) , La première croisade (de 1096 à 1327 ap J.**
C) , édition , Alemerre , Paris ,1881-1910.
- 20- **Gabrieli (F.) , Chroniques Arabes des croisades** , Traduite
de l’Italien par « Viviane Pâques » ,édition : Sindibad ,
Paris ,1977.
- 21- **Gellimard Flewingny (B.) , Les chevaliers de Malte , des**
Hommes de fer et de foi , édition , Isabelle de
Coulibeuf ,Paris , 1998 .
- 22- **Grant (A . J .) , A hisroty of Europe** ,Volume II , The
Middle age , London , 1927.
- 23- **Grousset (R.) , L’épopée des croisades**, Club du librairie
,Paris , 1939.
- 24- Ibid , **Histoire des croisades et du royaume franc du**

- Jérusalem** , librairie Plon ,1^{ère} édition , Paris,1934.
- 25- **Ibid** , **L'Empire de Levant** , édition , Paris ,1946.
- 26- **Ibid** , **Histoire des croisades , L'anarchie musulmane et monarchie franque** ,Tome 2 , Librairie Plon , Paris , 1934.
- 27- **Hagenmeyer (H.)** , **Chronologie de la première croisade**, Paris , 1902 .
- 28- **Heers (J.)** , **Libérer Jérusalem (1095-1107), la première croisade** , édition : Périn , Paris, 1999 .
- 29- **Lamb (Harold)** , **The crusades :Iron mened sints** , 1^{er} publication ,Thorinto,butter .worth,London , 1930.
- 30- **Jugre (Martin)** , **Le schisme Byzantin** , Paris , 1994 .
- 31- **King (E.)** , **The Knight Hospitaliers in the Holly Land** , London ,1931 .
- 32- **Krey (A.)** , **Anegiected passage in the Gesta (The Crusade and other Historical essays)**, presented to Dana Munro, New York ,1968.
- 33- **Lane –Pool.** , **Saladin and the fall the Kingdom of Jerusalem Rhayats** , Beirut , 1964.
- 34- **Laurent (J.)** , **Des Grecs aux croisades, étude sur L'histoire d'Esse** , Tome 1, Bruxelles , 1924.
- 35 - **Le Goff Jaque.** , **L'Europe est elle née au moyen âge ?** édition Seuil , 2003 .
- 36- **Lewis (B.)** , **The Ismailites and the assassins in A history of**

- crusades** , Tome 1, Oxford , 1985 .
- 36- **Lewis (B.) Pellat(CH.) et Schat(J.), Encyclopédie de L'Islam** ;Paris , 1965, T.2.
- 37- **Mayer (H. E) , The Crusades** , edition ;Oxford ,1972.
- 38- **Michaud (J.) , Histoire de la première croisade** , tome1, 1^{re} partie , édition , Michaud Jeune , Paris.1853.
- 38- **Ibid , Histoire des croisades** , **Les Grandes Monuments de l'histoire**, Tome 7 , édition Présentée par :Robert Delort, Robert Leffont et le club Français du livre , Paris ,1970.
- 39- **Ostrogorsky (G.) , History of the Byzantine state** ,Oxford , 1956.
- 40- **Oursel (R.) , les pèlerines du moyen âge** ,Paris ,1963 .4
- 41- **Oldebourg (Zoé) , Les croisades** ,édition Gallimard , L'U.R.S.S. ,1965 .
- 42- **Richard (J.) , Histoire des croisades** , édition , Fayard , Paris , 1996.
- 43- **Rousset (P.) , Histoire des croisades** , Paris , 1957 .
- 44- **Setton (W. H.) , A history of the crusades, tome 2** , edition Penns , paris , 1962 .
- 46- **Stevenson (W.G.) , The crusades in the East** , Cambridge , 1907.
- 47- **Sykes Percy , A history of Persia** ,Tome 2 , London , 1951 .
- 48- **Thompson (J.W.) , Economic and Social History of the**

Middle Ages: (300-1300) , edition : Century Company,
1928.

- 49- **Vasiliev (A .)** , **History of the Byzantine empire** , Tome 1,
Madison , 1964.
- 50- **Ibid** , **History of the Byzantine empire**, tome 2,
Oxford , 1964 .
- 51- **Willimart Pierre** , **Les croisades Marabout** ,Université ,
Paris ,1972.
- 52 - **Young Robin Darling** , **The church fathers** , institute
on religion and public life, 1999 .
- 53- **Yewdale (R.)** , **Bohemond1 prince of Antioche** ,
édition Princeton ,New York , 1924.

III-1 / الموسوعات العربية :

1- راغب السرحاني ، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي ، الطبعة الأولى،

- مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة ، بيروت ، 2005 م .
- 1- شلبي (أحمد) ، موسوعة الحضارة الإسلامية ، الجزء الخامس ، مطابع الرجوى ، القاهرة ، 1973 م .
- 3- موسوعة الأديان ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2001 م .
- 4- الموسوعة العربية الميسرة ، غربال و محمد شفيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت (1987).
- 2- الموسوعة الفلسطينية، الطبعة الأولى ، هيئة الموسوعة : أحمد المرعشلي ، عبد الهادي هاشم ، أنيس صيخ ، المجموعة الثالثة ، دمشق ، 1984 م .
- 6- هاري و. و هازارد ج. وماك سميلي ، أطلس التاريخ الإسلامي ، مطبوعات جامعة برنستون ، 1904 م .

III - 2 / الدوريات :

- 1- مجتبا (العلي) ، مجلة النبا " الحروب الصليبية و صكوك الغفران " ، العدد 45 ، 2000 م / 1421 هـ .
- 2- د/ شبير (عثمان محمد) ، بيت المقدس وما حوله ، خصائصه العامة وأحكامه الفقهية ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الكويت ، العدد السادس ، ديسمبر - 1986 م .
- 7- **الرسائل الجامعية :**
- 1- سامي سلطان سعد ، الاستبارية في رودس (1022م-1310م) ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه ، تحت إشراف : سعيد عبد الفتاح عاشور ، جامعة القاهرة ، 1975 م .

8- القواميس :

- 1- قاموس المورد البعلبكي ، بيروت ، لبنان .

فهارس

- فهرس الأعلام .

- فهرس الأماكن .

فهرس الأعلام

(١)

- أحمد بني بويه .33
 أحمد بن مروان.113.
 أتسير بن أرتق .49-48.
 أسد الدين شيريكو. 36 - 225-228-229-230-231-232-233-234-235.
 أدلياد دي سالونة (Adélaïde de Salona).158-170.
 أردا (Arda).158.
 أراندا (Aranda). 184 .
 أرغش النظامي .44.
 آغنس دي كورتنيه (Agnès de Courtenay).188.
 أرنولف .162.
 أرنولد مالكور (Arnauld Malecorne).137-138-160.
 أرنندرو نيبوس (Andros Niopos).187-209.
 الأفضل بن بدر الدين الجمالي.40- 52-114-135-140-141-213.
 أسامة بن منقذ .214.
 إسحاق الأول كومنين (Isaac I^{er} Comnène basileus).55.
 أق ستقسر البرسقي 211-212-252-253.
 أدهيمار دي مونتاي (Adhémar de Monteil).78-81-83-101-103-136-137.
 ألب أرسلان سلجوق بن توقاق (Alp Arslan).35-37-46-47-50-63.
 ألفونسو جوردن كونت (Alfonso Jordan).123.
 أليس (Ellice).179.

- أندرنوبول (Andrinople).185.
- إسحاق الأول (Isaak I). 65 .
- إسماعيل الباطني .45.
- إفتخار الدولة .138-128.
- أق سنقر البرسقي .212-211.
- أليس (Ellice).198-181.
- أليكسيوس الأول كومنين (Alexius I^{er} Comnène) .49-60-62-63-65-66-67-72-
- 73-82-97-98-99-100-101-104-110-113-157-168-198-273.
- أمالريك الأول .12-186-187-188-208-209-231-236-239-243-244-246.
- أميك دي ليزينق (Emich comte de Leisingen).86.
- إنجلبرت (Engelbert).142-128.
- أوربان الثاني (Urbain II).7-48-59-66-67-68-70-71-72-75-76-77-78-79-
- 86-95-129-134-136-137.
- أوربان الثالث .268.
- إبيرمار (Ebremer de Théroutane) .159.
- إيلغازي بن أرتق .51.
- إلفيرا (Elvira).94.
- (ب)
- باسيل الثاني (Basile II Bulgaroctone).53-57-60-61 .
- باكارد (Packard).109.
- باسكال الثاني (Pascal II).159.
- باليان الإيبيليني (Balian d'Ibelin) .188.

باليان شارتر (Balian Charter) .202.

برتراند دي تولوزة (Bertrand de Toulouse) .152.

برنارد دي تولوزة (Bernard de Toulouse) .164-154.

بطرس الناسك (Pierre L'Ermite) .202-105-95-94-93-92-91-90 -70-51.

بلدوين الأول دو بويون (Baudouin I^{er} de Boulogne) .107-94-93-12-10.

-155-154-152-151-150-1448-147 -144-143-142-137-121-111-110-109

-171-170-169-168-167-166-164-163-162-161-160-159-158-157-156

.272-254-204- 180-179-178-173-172

بلدوين ايبيلين (Baudouin d'Ibelin) .187.

بلدوين الثاني (Baudouin II du Bourg) .199 -198-180-179-178-173-12-10.

بلدوين الثالث .273-218-206-205-202-199-197-187-186-185-184-173.

بلدوين دي مونتفيرات (Baudouin Montferrat) .188.

بلدوين الرابع .257-253-209-190 -189-188-12.

بلدوين الخامس .274-257.

بوتوميت مانويل (Boutoumitès Manuel) .103.

بوهمند دي تارنت (Bohémond de Tarente) .116-114-113-112-104-100-95.

.205 -198-197-163-143-118-117

بوهمند الثاني .198-181-178.

بوهمند الثالث .264-216-201-200-196.

بونس (Ponce de Tripoli) .181-159 .

(ت)

تاتكيوس (Tatikios) .112-104.

تتش (Toutouch) بن سليمان .212-50-49-48-47-45.

تشكين الدروزي .44

تتكريد (Tancrede). 96-100-107-108-109-111-113-118-121-122-125-126-143-144.

(ث)

ثيودورا (Téodora).53.

(ج)

جريجوري السابع (Grégoire VII) واسمه الحقيقي هيلدبراند (Cardinal

Hildebrand). 57-58-59-73-74-75-93.

. جريجوري الثامن .269.

أبا جعفر المشاط .43.

جرار دي أفرس (Gérard d'Averses).142-260.

جوسلين الأول (Jocelin I^{er} de Courtenay).154-163-180-219-221-227.

جوسلين الثاني (Joclin II de Courtenay).161-163-181-187-206-210-218-219.

جوهر بن عبد الله .236.

جيبيلين د يسبران (Gibelin de Sabran).160.

(ح)

الحاكم بأمر الله .36-37-38-40-44-67.

حسان المفرج بن الجراح .37.

الحسن بن الصباح.39-43-50.

أبو الحسن علي محمد بن اليزيدي .32.

حمزة بن علي بن محمد الزوزني 33-44.

(خ)

خالد بن محمد القيسراني.225.

خاتون.214.

(د)

دايمبرت (Diambert) .276-148-147-142.

دقاق بن سليمان (Douqaq ibn Soleiman) .53.

(ر)

راوول دي فانبمال (Raoul de Fanpemelles) .139.

رايموند دوبيي (Raymond du Puy) .173.

رضوان بن سليمان .108 -50.

روبرت دي فلاندر (Robert Comte de Flandre) .122-117-106-10399-94-66.

.128-125

روبرت دوق نورمانديا (Robert Duc de Normandie) .122-121 -118-100.

.128-126

روبرت قيسكارد (Robert Guiscard) .62-95-63-62-59.

روبرت دي فلاندر ((Robert II comte de Flandre)) أو روبرت كورتهوز (Robert)

.127- 94.(Courteheuse

روبرت قس نورمانديا (Robert Duc de Normandie) .94.

روجر دي سالرن (Roger I^{er} de Salern) .205-198 178-170 -154.

رومانوس الثالث أرجيروس (Romain III Argyre) .53-41.

رومان الرابع ديوجينين (Romain IV Diogène) .62-55-46-45.

ريتشارد الأول (Richard I^{er}) .268.

ريموندا (Raymond) .216-215-189.

ريموندا الثاني (Raymond II) .219-217-206-196.

ريموند الثالث (Raymond III) .250-218-208-207-210-205-204-202-188.

.264-260-259

رايموند دي بواتيه (Raymond de Poitiers 80-1) .205-199-198.

ريموند دي تلويزة (Raymond comte de Toulouse) يعرف برايموند دي سان جيل

(Raymond de Saint Gilles) .77-94-100-115-117-118-121-126-132-

.138-139-141-152-153-154.

رينولد دي شاتيون (Renaud de Chatillon) .191-199-200-201.

(ز)

زوى (Zoe) .53.

(س)

سيبيلا (Sibylle d'Anjou) .184-186-209.

ستيفن دي بلوا (Etienne comte de Blois) .94-100.

سعد الدولة القواسي .150.

سعد الدين كمشتكين .249-250.

سقمان بن أرتق .51.

سلجوق بن دقاق (Seljouk bin Dakkak) .33.

سلفستر الثاني قلبرت (Sylvestre II Guerbart d'Aurillac) .73.

سليمان بن قتليمش بن اسرائيل (Soleiman ibn Koutoulmich) .45-49-63.

سناء الملك .152.

سنان ابن عدنان .37.

سيجورد الأول (Sigurd I^{er}) .152-167.

سيف الإسلام طغتكين بن أيوب .248.

سيف الدين علي بن المشطوب .234.

سيف الدين الغازي .212-217-218-221-222-223-245-247-248-251-255.

سيمون القديس (Saint Siméon) .48-163-165.

(ش)

شاور . 234-233-232-231.

شالندون فرديناند (Ferdinand Chalandon). 70-66.

شرف الدين مودود. 156-155.

شرف الدين بن ابي عصرون . 248.

شمس الدين محمد بن عبد الملك . 248.

شهاب الدين . 253-235-215-214.

شمس الدولة المقدسي تورانشاه . 241.

(ص)

صالح إسماعيل . 255-254-253-252-249-248-247.

صالح بن مرداس . 37.

صلاح الدين الأيوبي . 7-10-11-12-171-183-188-189-190-209-210-220-226-

227-229-230-231-232-233-234-235-236-237-238-239-240-241-242-

243-244-245-246-247-248-249-250-251-252-253-254-255-256-257-

258-259-260-261-262-263-264-265-266-267-268-274-275.

(ط)

الطائع بالله عبد الكريم بن المطيع بن المقتدر . 32.

طغتكين . 213-156-152.

طغرل بك (Toughroul Beg) . 62-45-34.

طوروس (Thoros) . 110-109 .

(ظ)

الظاهر ابن الحاكم بأمر الله . 43-39-37.

(ع)

العاضد لدين الله الطواشي . 239-238-236-235-234-233-231-226.

عز الدين مسعود زنكي . 256-255-251.

عصمت الدين زنكي .182-211-212-213-214-216-217-218-219-221-222-

.228-229-230-256.

العماد الأصفهاني .225.

عماد الدين زنكي .193-194-195-211-212-213-214-216-217-219-220-221-

.275

ابن عمار .51-119.

عمارة اليمنى .245.

عبد الرحمن السميري .43.

(غ)

غيوم دي اورنج (Guillaume de Orange) .137.

غي دي لوزيان (Guy of Lusignan) .209-257-260.

(ف)

فخر الدين طغتكين .229.

فرخ شاه .255.

الفضل بن المقتدر .32.

الفضل بدر الجمالي أبي الفرج .39-40.

فولك الأنجوي (Foulque d' Anjou) .8-121-122-183-196-198-199-217.

فولك مار (Folk-mar) .88.

فيكتور الرابع (Victor IV) .75.

فيليب الاول (Philipp I^{er}) .92.

فيليب فلاندرز (Philippe de Flandres) .7 .18.

فيليب الثاني اغسطس (Philippe II Auguste) .268.

فيروز (Firouz) .113.

(ق)

- القائم بأمر الله بن القادر بالله 32-33-34.
 القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر .32.
 قطب الدين خنسرو .234.
 قطب الدين مودود .212.
 قليج أرسلان بن سليمان(Kilidj Arslan).49-50-90-91-103-105-106.
 قنسطنطين الثامن(Constantin VIII).52-35-60.
 قنسطنطين التاسع موناخوس(Constantin IX Monomaque).42-53-67.
 قنسطنطين العاشر دوقاس (Constantin X Doukas).54-55-61.
 قودفروا دو بويون(Godefroy de Bouillon).96-98-99-100-103-106-116-
 119-128-137-138-139-140-141-142-147-148-153-166.
 قيوم الثاني(Guillaume II).94.
 قيوم جوردين (Guillaume Jourdain).151.

(ك)

- كاربنال(Carpinelle).125.
 كربوغا(Kourboqa atabeg de Mossoul).109-110-112.
 كمشتكين .250-251.
 كنز الدولة .245.
 كونستاس (Constqnce).182-196.
 كوزموس الأول (Cosmos XI Cosmas Ier).64.
 كونراد (Konrad).88-89-94.
 كونستانس (Constance).180.

(ل)

- ليتود(Liétaud).128.

ليو التاسع (Léon IX). 203-57-56.

(م)

مانويل كومنوس (Manuel I^{er} comnène). 182-187-199-200-202-209 -

236-220.

المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي .35.

المتقي بالله إبراهيم بن المعتضد .32.

محمد العيمادي .225.

محمد بن ملكشاه .253-211.

محمد السلجوقي .157-.154.

محمود السلجوقي .214.

محمد ابن مسعود .155.

مجد الدين ابن الداية .225.

مروان بن محمد .227.

المسترشد .43.

المستظهر بالله .35.

المستضيء بالله .242.

المستعلي بالله .114-39.

المستكفي بالله عبد الله بن المكتفي بن المعتضد .32.

المستنصر بالله .36-38-39-41-42-67.

مسعود السلجوقي .227-216-214.

المطيع لله .32.

المعز ابن باديس .38.

معين الدين أنر .252.

المقتدي بأمر الله .35.

ميليسندا (Mélisande). 80.

ملكشاه (Malik-Châh) 34 - 35-45-46-47-49-50.

موريس (Maurice) 143.

موسى (عليه السلام) 8.

ميخائيل الرابع البقلاجوني (Michel IV le Paphalagonien) 41-42-53.

ميخائيل السابع دوقاس (Michel VII Doukas) 55-58-59-61-64-72-74.

ميخائيل السادس ستراتيوتيك (Michel VI le Stratiotique) 54.

ميخائيل كرولارريس (Michel Kéroularios) 56-57-58.

مودود 29 - 29 - 30 - 124.

موريس (maurice) 145-161.

موسى عليه السلام 8.

(ن)

ناصر الدين محمد بن شيريكو 251.

نجم الدين أيوب 227-228-229-230-235-240.

نصرة الدين نيسابوري 212-229.

نظام الملك 49.

نقفور بوتانيايتيس (Nicéphore III Botaniatès) 55-59-63.

نور الدين محمود 12-122-186-196-199-201-212-213-220-221-222-223-

224-225-226-229-230-231-232-234-235-237-238-240-241-242-243-

247-252-253-274.

نيقطا (Nikita) 3841.

نزار 39.

(ه)

همبرت الكاردينال (Humbert Cardinal légat) 57.

هنري الأول (Henri I^{er}) 92.

هنري الثالث (Henri III) 70.

هنري الرابع (Henri IV). 93-76-75-74-70.

هيو تبرياس (Hugues de Tiberias). 187.

هيو الثالث (Hugue III duc de Bourgogne). 158.

هيو دي فارمندوا (Hugues de Vermandois). 97-94-93-92.

هيو دي بايانس (Hugues de Payens). 172.

هيو دي بونز (Hugues du Puiset). 202.

(و)

أبو الوفاء لباطني. 44.

واعظ زين الدين علي بن النجار. 244.

والتر المفلس (Gautier Sans Avoir). 91-90-89-88-86.

وليم موننفرات (Guillaume de Montferrat). 186.

وليم دي السيف الطويل (Guillaum le Grand). 188.

(ي)

ياغي سيان (Yàghi Siyàn). 113-112-111.

القديس يوحنا (Saint Jean). 219-216-215.-67.

يوحنا الثاني (Jean II Comnène le Beau). 218-192-180.

يوحنا دي غتية (Hugues,abbé De Guitier). 77.

يوسف الدين غازي الثاني. 249-247.

فهرس الأماكن

(١)

أدرنة (Edirne) مدينة إقليم تراقيا في تركيا.

الأدرياتيك (بحر) (La mer Adriatique): هو أحد فروع البحر المتوسط. 92-96.

أرجوان (Aragon) شرق شبه الجزيرة الأيبيرية. 95.

• أرسوف (Arsouf ou Arsour) مدينة فلسطينية 120-140-142.

الأردن تقع جنوب غرب آسيا، 156-223-255-264-274.

أرمينيا (Armémie) يقع في القوقاز في أوراسيا . 62-107.

أزمير (İzmir) مدينة بتركيا . 62.

إبيروس فيتوس (Epirus vetus) مقاطعة مقدونيا الرومانية. 96.

إسبانيا (Espagne) جنوب غرب قارة أوروبا، 9-59-95 .

آسيا الصغرى 45-46-47-48-59-63-64-76-98-101-102-104-153.

أضنه (Adana) . 109.

أفاميه (حصن) مدينة سورية . 41-155-196.

ألمانيا (Allemagne) تقع في وسط غرب أوروبا . 70-76-169-205.

الأناضول (Anatolie) محصورة بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود، وتشمل جل الأراضي

التركية). 50-76-102-103-104.

إنجلترا (Angleterre) هي أكبر دولة في المملكة المتحدة البريطانية . 94-169-191.

أنطاكيا (Antioche) تقع في محافظة هاتاي بتركيا . 9-49-108-109-110-111-112-113-

114-115-116-117-118-126-135-144-153-156-163-164-166-178-181-

182-193-194-195-196-199-201-205-206-215-216-217-220-263-264-

265-273.

أوروبا (Europe) هي واحدة من القارات السبع الموجودة على سطح الكرة الأرضية، 11-67-68-69-70-71-72-73-74-75-76-77-78-79-80-81-82-83-84-85-86-87-88-89-90-91-92-93-94-95-96-97-98-99-100-101-102-103-104-105-106-107-108-109-110-111-112-113-114-115-116-117-118-119-120-121-122-123-124-125-126-127-128-129-130-131-132-133-134-135-136-137-138-139-140-141-142-143-144-145-146-147-148-149-150-151-152-153-154-155-156-157-158-159-160-161-162-163-164-165-166-167-168-169-170-171-172-173-174-175-176-177-178-179-180-181-182-183-184-185-186-187-188-189-190-191-192-193-194-195-196-197-198-199-200-201-202-203-204-205-206-207-208-209-210-211-212-213-214-215-216-217-218-219-220-221-222-223-224-225-226-227-228-229-230-231-232-233-234-235-236-237-238-239-240-241-242-243-244-245-246-247-248-249-250-251-252-253-254-255-256-257-258-259-260-261-262-263-264-265-266-267-268-269-270-271-272-273-274-275-276-277-278-279-280-281-282-283-284-285-286-287-288-289-290-291-292-293-294-295-296-297-298-299-300-301-302-303-304-305-306-307-308-309-310-311-312-313-314-315-316-317-318-319-320-321-322-323-324-325-326-327-328-329-330-331-332-333-334-335-336-337-338-339-340-341-342-343-344-345-346-347-348-349-350-351-352-353-354-355-356-357-358-359-360-361-362-363-364-365-366-367-368-369-370-371-372-373-374-375-376-377-378-379-380-381-382-383-384-385-386-387-388-389-390-391-392-393-394-395-396-397-398-399-400-401-402-403-404-405-406-407-408-409-410-411-412-413-414-415-416-417-418-419-420-421-422-423-424-425-426-427-428-429-430-431-432-433-434-435-436-437-438-439-440-441-442-443-444-445-446-447-448-449-450-451-452-453-454-455-456-457-458-459-460-461-462-463-464-465-466-467-468-469-470-471-472-473-474-475-476-477-478-479-480-481-482-483-484-485-486-487-488-489-490-491-492-493-494-495-496-497-498-499-500-501-502-503-504-505-506-507-508-509-510-511-512-513-514-515-516-517-518-519-520-521-522-523-524-525-526-527-528-529-530-531-532-533-534-535-536-537-538-539-540-541-542-543-544-545-546-547-548-549-550-551-552-553-554-555-556-557-558-559-560-561-562-563-564-565-566-567-568-569-570-571-572-573-574-575-576-577-578-579-580-581-582-583-584-585-586-587-588-589-590-591-592-593-594-595-596-597-598-599-600-601-602-603-604-605-606-607-608-609-610-611-612-613-614-615-616-617-618-619-620-621-622-623-624-625-626-627-628-629-630-631-632-633-634-635-636-637-638-639-640-641-642-643-644-645-646-647-648-649-650-651-652-653-654-655-656-657-658-659-660-661-662-663-664-665-666-667-668-669-670-671-672-673-674-675-676-677-678-679-680-681-682-683-684-685-686-687-688-689-690-691-692-693-694-695-696-697-698-699-700-701-702-703-704-705-706-707-708-709-710-711-712-713-714-715-716-717-718-719-720-721-722-723-724-725-726-727-728-729-730-731-732-733-734-735-736-737-738-739-740-741-742-743-744-745-746-747-748-749-750-751-752-753-754-755-756-757-758-759-760-761-762-763-764-765-766-767-768-769-770-771-772-773-774-775-776-777-778-779-780-781-782-783-784-785-786-787-788-789-790-791-792-793-794-795-796-797-798-799-800-801-802-803-804-805-806-807-808-809-810-811-812-813-814-815-816-817-818-819-820-821-822-823-824-825-826-827-828-829-830-831-832-833-834-835-836-837-838-839-840-841-842-843-844-845-846-847-848-849-850-851-852-853-854-855-856-857-858-859-860-861-862-863-864-865-866-867-868-869-870-871-872-873-874-875-876-877-878-879-880-881-882-883-884-885-886-887-888-889-890-891-892-893-894-895-896-897-898-899-900-901-902-903-904-905-906-907-908-909-910-911-912-913-914-915-916-917-918-919-920-921-922-923-924-925-926-927-928-929-930-931-932-933-934-935-936-937-938-939-940-941-942-943-944-945-946-947-948-949-950-951-952-953-954-955-956-957-958-959-960-961-962-963-964-965-966-967-968-969-970-971-972-973-974-975-976-977-978-979-980-981-982-983-984-985-986-987-988-989-990-991-992-993-994-995-996-997-998-999-1000-1001-1002-1003-1004-1005-1006-1007-1008-1009-1010-1011-1012-1013-1014-1015-1016-1017-1018-1019-1020-1021-1022-1023-1024-1025-1026-1027-1028-1029-1030-1031-1032-1033-1034-1035-1036-1037-1038-1039-1040-1041-1042-1043-1044-1045-1046-1047-1048-1049-1050-1051-1052-1053-1054-1055-1056-1057-1058-1059-1060-1061-1062-1063-1064-1065-1066-1067-1068-1069-1070-1071-1072-1073-1074-1075-1076-1077-1078-1079-1080-1081-1082-1083-1084-1085-1086-1087-1088-1089-1090-1091-1092-1093-1094-1095-1096-1097-1098-1099-1100-1101-1102-1103-1104-1105-1106-1107-1108-1109-1110-1111-1112-1113-1114-1115-1116-1117-1118-1119-1120-1121-1122-1123-1124-1125-1126-1127-1128-1129-1130-1131-1132-1133-1134-1135-1136-1137-1138-1139-1140-1141-1142-1143-1144-1145-1146-1147-1148-1149-1150-1151-1152-1153-1154-1155-1156-1157-1158-1159-1160-1161-1162-1163-1164-1165-1166-1167-1168-1169-1170-1171-1172-1173-1174-1175-1176-1177-1178-1179-1180-1181-1182-1183-1184-1185-1186-1187-1188-1189-1190-1191-1192-1193-1194-1195-1196-1197-1198-1199-1200-1201-1202-1203-1204-1205-1206-1207-1208-1209-1210-1211-1212-1213-1214-1215-1216-1217-1218-1219-1220-1221-1222-1223-1224-1225-1226-1227-1228-1229-1230-1231-1232-1233-1234-1235-1236-1237-1238-1239-1240-1241-1242-1243-1244-1245-1246-1247-1248-1249-1250-1251-1252-1253-1254-1255-1256-1257-1258-1259-1260-1261-1262-1263-1264-1265-1266-1267-1268-1269-1270-1271-1272-1273-1274-1275-1276-1277-1278-1279-1280-1281-1282-1283-1284-1285-1286-1287-1288-1289-1290-1291-1292-1293-1294-1295-1296-1297-1298-1299-1300-1301-1302-1303-1304-1305-1306-1307-1308-1309-1310-1311-1312-1313-1314-1315-1316-1317-1318-1319-1320-1321-1322-1323-1324-1325-1326-1327-1328-1329-1330-1331-1332-1333-1334-1335-1336-1337-1338-1339-1340-1341-1342-1343-1344-1345-1346-1347-1348-1349-1350-1351-1352-1353-1354-1355-1356-1357-1358-1359-1360-1361-1362-1363-1364-1365-1366-1367-1368-1369-1370-1371-1372-1373-1374-1375-1376-1377-1378-1379-1380-1381-1382-1383-1384-1385-1386-1387-1388-1389-1390-1391-1392-1393-1394-1395-1396-1397-1398-1399-1400-1401-1402-1403-1404-1405-1406-1407-1408-1409-1410-1411-1412-1413-1414-1415-1416-1417-1418-1419-1420-1421-1422-1423-1424-1425-1426-1427-1428-1429-1430-1431-1432-1433-1434-1435-1436-1437-1438-1439-1440-1441-1442-1443-1444-1445-1446-1447-1448-1449-1450-1451-1452-1453-1454-1455-1456-1457-1458-1459-1460-1461-1462-1463-1464-1465-1466-1467-1468-1469-1470-1471-1472-1473-1474-1475-1476-1477-1478-1479-1480-1481-1482-1483-1484-1485-1486-1487-1488-1489-1490-1491-1492-1493-1494-1495-1496-1497-1498-1499-1500-1501-1502-1503-1504-1505-1506-1507-1508-1509-1510-1511-1512-1513-1514-1515-1516-1517-1518-1519-1520-1521-1522-1523-1524-1525-1526-1527-1528-1529-1530-1531-1532-1533-1534-1535-1536-1537-1538-1539-1540-1541-1542-1543-1544-1545-1546-1547-1548-1549-1550-1551-1552-1553-1554-1555-1556-1557-1558-1559-1560-1561-1562-1563-1564-1565-1566-1567-1568-1569-1570-1571-1572-1573-1574-1575-1576-1577-1578-1579-1580-1581-1582-1583-1584-1585-1586-1587-1588-1589-1590-1591-1592-1593-1594-1595-1596-1597-1598-1599-1600-1601-1602-1603-1604-1605-1606-1607-1608-1609-1610-1611-1612-1613-1614-1615-1616-1617-1618-1619-1620-1621-1622-1623-1624-1625-1626-1627-1628-1629-1630-1631-1632-1633-1634-1635-1636-1637-1638-1639-1640-1641-1642-1643-1644-1645-1646-1647-1648-1649-1650-1651-1652-1653-1654-1655-1656-1657-1658-1659-1660-1661-1662-1663-1664-1665-1666-1667-1668-1669-1670-1671-1672-1673-1674-1675-1676-1677-1678-1679-1680-1681-1682-1683-1684-1685-1686-1687-1688-1689-1690-1691-1692-1693-1694-1695-1696-1697-1698-1699-1700-1701-1702-1703-1704-1705-1706-1707-1708-1709-1710-1711-1712-1713-1714-1715-1716-1717-1718-1719-1720-1721-1722-1723-1724-1725-1726-1727-1728-1729-1730-1731-1732-1733-1734-1735-1736-1737-1738-1739-1740-1741-1742-1743-1744-1745-1746-1747-1748-1749-1750-1751-1752-1753-1754-1755-1756-1757-1758-1759-1760-1761-1762-1763-1764-1765-1766-1767-1768-1769-1770-1771-1772-1773-1774-1775-1776-1777-1778-1779-1780-1781-1782-1783-1784-1785-1786-1787-1788-1789-1790-1791-1792-1793-1794-1795-1796-1797-1798-1799-1800-1801-1802-1803-1804-1805-1806-1807-1808-1809-1810-1811-1812-1813-1814-1815-1816-1817-1818-1819-1820-1821-1822-1823-1824-1825-1826-1827-1828-1829-1830-1831-1832-1833-1834-1835-1836-1837-1838-1839-1840-1841-1842-1843-1844-1845-1846-1847-1848-1849-1850-1851-1852-1853-1854-1855-1856-1857-1858-1859-1860-1861-1862-1863-1864-1865-1866-1867-1868-1869-1870-1871-1872-1873-1874-1875-1876-1877-1878-1879-1880-1881-1882-1883-1884-1885-1886-1887-1888-1889-1890-1891-1892-1893-1894-1895-1896-1897-1898-1899-1900-1901-1902-1903-1904-1905-1906-1907-1908-1909-1910-1911-1912-1913-1914-1915-1916-1917-1918-1919-1920-1921-1922-1923-1924-1925-1926-1927-1928-1929-1930-1931-1932-1933-1934-1935-1936-1937-1938-1939-1940-1941-1942-1943-1944-1945-1946-1947-1948-1949-1950-1951-1952-1953-1954-1955-1956-1957-1958-1959-1960-1961-1962-1963-1964-1965-1966-1967-1968-1969-1970-1971-1972-1973-1974-1975-1976-1977-1978-1979-1980-1981-1982-1983-1984-1985-1986-1987-1988-1989-1990-1991-1992-1993-1994-1995-1996-1997-1998-1999-2000-2001-2002-2003-2004-2005-2006-2007-2008-2009-2010-2011-2012-2013-2014-2015-2016-2017-2018-2019-2020-2021-2022-2023-2024-2025-2026-2027-2028-2029-2030-2031-2032-2033-2034-2035-2036-2037-2038-2039-2040-2041-2042-2043-2044-2045-2046-2047-2048-2049-2050-2051-2052-2053-2054-2055-2056-2057-2058-2059-2060-2061-2062-2063-2064-2065-2066-2067-2068-2069-2070-2071-2072-2073-2074-2075-2076-2077-2078-2079-2080-2081-2082-2083-2084-2085-2086-2087-2088-2089-2090-2091-2092-2093-2094-2095-2096-2097-2098-2099-2100-2101-2102-2103-2104-2105-2106-2107-2108-2109-2110-2111-2112-2113-2114-2115-2116-2117-2118-2119-2120-2121-2122-2123-2124-2125-2126-2127-2128-2129-2130-2131-2132-2133-2134-2135-2136-2137-2138-2139-2140-2141-2142-2143-2144-2145-2146-2147-2148-2149-2150-2151-2152-2153-2154-2155-2156-2157-2158-2159-2160-2161-2162-2163-2164-2165-2166-2167-2168-2169-2170-2171-2172-2173-2174-2175-2176-2177-2178-2179-2180-2181-2182-2183-2184-2185-2186-2187-2188-2189-2190-2191-2192-2193-2194-2195-2196-2197-2198-2199-2200-2201-2202-2203-2204-2205-2206-2207-2208-2209-2210-2211-2212-2213-2214-2215-2216-2217-2218-2219-2220-2221-2222-2223-2224-2225-2226-2227-2228-2229-2230-2231-2232-2233-2234-2235-2236-2237-2238-2239-2240-2241-2242-2243-2244-2245-2246-2247-2248-2249-2250-2251-2252-2253-2254-2255-2256-2257-2258-2259-2260-2261-2262-2263-2264-2265-2266-2267-2268-2269-2270-2271-2272-2273-2274-2275-2276-2277-2278-2279-2280-2281-2282-2283-2284-2285-2286-2287-2288-2289-2290-2291-2292-2293-2294-2295-2296-2297-2298-2299-2300-2301-2302-2303-2304-2305-2306-2307-2308-2309-2310-2311-2312-2313-2314-2315-2316-2317-2318-2319-2320-2321-2322-2323-2324-2325-2326-2327-2328-2329-2330-2331-2332-2333-2334-2335-2336-2337-2338-2339-2340-2341-2342-2343-2344-2345-2346-2347-2348-2349-2350-2351-2352-2353-2354-2355-2356-2357-2358-2359-2360-2361-2362-2363-2364-2365-2366-2367-2368-2369-2370-2371-2372-2373-2374-2375-2376-2377-2378-2379-2380-2381-2382-2383-2384-2385-2386-2387-2388-2389-2390-2391-2392-2393-2394-2395-2396-2397-2398-2399-2400-2401-2402-2403-2404-2405-2406-2407-2408-2409-2410-2411-2412-2413-2414-2415-2416-2417-2418-2419-2420-2421-2422-2423-2424-2425-2426-2427-2428-2429-2430-2431-2432-2433-2434-2435-2436-2437-2438-2439-2440-2441-2442-2443-2444-2445-2446-2447-2448-2449-2450-2451-2452-2453-2454-2455-2456-2457-2458-2459-2460-2461-2462-2463-2464-2465-2466-2467-2468-2469-2470-2471-2472-2473-2474-2475-2476-2477-2478-2479-2480-2481-2482-2483-2484-2485-2486-2487-2488-2489-2490-2491-2492-2493-2494-2495-2496-2497-2498-2499-2500-2501-2502-2503-2504-2505-2506-2507-2508-2509-2510-2511-2512-2513-2514-2515-2516-2517-2518-2519-2520-2521-2522-2523-2524-2525-2526-2527-2528-2529-2530-2531-2532-2533-2534-2535-2536-2537-2538-2539-2540-2541-2542-2543-2544-2545-2546-2547-2548-2549-2550-2551-2552-2553-2554-2555-2556-2557-2558-2559-2560-2561-2562-2563-2564-2565-2566-2567-2568-2569-2570-2571-2572-2573-2574-2575-2576-2577-2578-2579-2580-2581-2582-2583-2584-2585-2586-2587-2588-2589-2590-2591-2592-2593-2594-2595-2596-2597-2598-2599-2600-2601-2602-2603-2604-2605-2606-2607-2608-2609-2610-2611-2612-2613-2614-2615-2616-2617-2618-2619-2620-2621-2622-2623-2624-2625-2626-2627-2628-2629-2630-2631-2632-2633-2634-2635-2636-2637-2638-2639-2640-2641-2642-2643-2644-2645-2646-2647-2648-2649-2650-2651-2652-2653-2654-2655-2656-2657-2658-2659-2660-2661-2662-2663-2664-2665-2666-2667-2668-2669-2670-2671-2672-2673-2674-2675-2676-2677-2678-2679-2680-2681-2682-2683-2684-2685-2686-2687-2688-2689-2690-2691-2692-2693-2694-2695-2696-2697-2698-2699-2700-2701-2702-2703-2704-2705-2706-2707-2708-2709-2710-2711-2712-2713-2714-2715-2716-2717-

171-173-179-180-181-184-190-191-192-193-195-196-197-198-199-
200-202-203-204-206-207-208-216-219-220-222-223-224-230-231-
232-242-243-250-255-257-258-261-262-264-265-267-268-269-272-
273-274-275.

بيروت عاصمة لبنان. 119-152-154-182.

بيزا (Pise) مدينة إيطالية تقع في إقليم توسكانا على مقربة من البحر الأبيض المتوسط بين مدينتي فلورنسا و ليفورنو). 149-161-193-198-219.

بيزنطة (Byzantin) هي مدينة إغريقية قديمة كانت تقع على مضيق البوسفور بتركيا). 54-62-82-168-
200-209-215-272.

(ت)

تونس (تقع في شمال إفريقيا). 38.

(ج)

جبيل تقع على المملكة العربية السعودية، 153.

جنوة (Génes) مدينة وميناء بحري شمال إيطاليا، 165-202.

الجزيرة العربية تقع جزيرة العرب في قارة آسيا، 43.

جنين تقع في شمال الضفة الغربية في فلسطين، 255.

(ح)

الحجاز تقع في شبه الجزيرة العربية، 226.

حلب تقع شمال سوريا، 37-41-42-47-49-50-108-113-213-214-217-218-221-

222-223-250-251-252-256-257.

حمص تقع على الضفة الشرقية لنهر العاصي، 37-38-214-216-217-250-251-253.

حيفا (مدينة فلسطينية، تقع على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط عند الشاطئ الجنوبي لخليج عكا، وظهير المدينة

هو سفح جبل الكرمل). 120-143-147.

حماة تقع وسط سوريا.. 251-253.

(خ)

خرسان.43.

الخليل مدينة فلسطينية. 143-142-140-139.

(د)

الدانوب (Danube) نهر يقع في ألمانيا،.64.

داوود (برج) يقع في الجهة الشمالية الغربية للبلدة القديمة للقدس. 140-139-130-126-122.

دمشق. 37-39-44-47-50-108-113-143-157-163-184-192-193-194-195-

196-212-213-217-221-222-229-248-249-250-255-258.

دمياط تقع في مصر 236-237.

الدنمارك (Danemark) تقع في قارة أوروبا،.169.

دورازو (Durazzo). 65-92.

دوريليه (Dorylée). 105-106.

(ر)

الراين (Rhin) نهر يقع غرب أوروبا،.87.

الرملة تقع في فلسطين. 37-120-141-150-151.

الروها (Edesse) هي تقع في جنوب شرق تركيا. 9-10-12-1048-109-114-117-163-181-

182-195-206-222-224-273.

الروم (Rome) تقع دولة الروم (حالياً: روما) في جنوب إيطاليا. 34-59-162-203.

(س)

سوريا تقع غرب آسيا.. 50-114-116-180-204-235-252-272.

السودان تقع السودان في القارة الإفريقية. 38-236.

(ش)

الشام. 12-37-43-44-45-47-50-121-135-148-152-153-154-156-157-158-

167-194-197-202-203-216-221-222-223-225-226-232-242-243-245-

246-247-248-249-253-257-258-259-262-263.

الشوبك (قلعة). 157-158-261-264.

شيرز هي قرية سورية . 41-51 - 108-118-122-155-192-216-218.

(ص)

صقلية (Sicile) تقع صقلية في البحر المتوسط. 160-174-241.

صهيون (جبل) يقع جبل صهيون في مدينة القدس ، 122-123-124-127.

صور هي مدينة بحرية لبنانية . 120-142-144-185-236-254.

صيда تقع في لبنان. 37-38-254.

(ط)

طبرية تقع في شمال شرق فلسطين المحتلة. 260-261-263.

طرابلس تقع في لبنان. 9-37-51 - 108-115-119-121-135-153-154-163-164-181-

182-186-188-189-190-191-193-206-209-260-262-263-264-273.

طرسوس (Tarsus) هي مدينة تركية. 107-119-152-186.

(ع)

العاصي (نهر) يقع في كل من لبنان وسوريا وتركيا، 111-112-223.

العراق تقع غرب قارة آسيا ، 32-33-35-43-50-214-219-225.

العريش تقع في مصر. 274.

عرقة. 37-38-109-154.

عسقلان تقع في الجهة الغربية من مدينة . 47-135-140-141-149-150-152-158-183-

186-194-197-207-208-263-264-265.

العقبة (خليج) واحدة من محافظات الأردن. 157-161.

عكا تقع مدينة عكا في. 120-141-142-143-151-185-206-234-236-257-263.

عمواس تقع جنوب شرق الرملة. 121.

(ف)

فارس منطقة تقع في وسط. 272.

الفرات نهر في العراق. 220-257.

فرعون (جزيرة) تقع على البحر الأحمر ، 158.

فرنسا (France) تقع في القارة الأوروبية. 191-190-169-51-94-93-86-77-75-69.

فلسطين تقع في قارة آسيا. 33- 274-257-197-160-157-152-147-111-86-47-40-39.

فسطاط تقع في مصر. 245.

(ق)

القاهرة تقع شمال مصر. 253-250-248-231-209-187-157-38.

القدس تقع في فلسطين. 267-188-187-186-185-51.

القسطنطينية تقع على مضيق البوسفور (مدينة إسطنبول حالياً). 56- 72-71-66-65-63-59-58-57.

82-90-91-92-94-96-97-98-99-100-101-110-112-118-199-209.

قونية (Iconium) تقع في تركيا ، 149-142-141-140-106.

قيسارية (Cesarea) مدينة تقع في فلسطين. 216-111-107.

(ك)

كرك مدينة أردنية. 264-261.

كليرمونت فيرا (Clermont-Ferrand) هي مدينة وبلدية فرنسية. 9- 75-86-94.

كيليكيا (Cilicie) إقليم قديم في جنوب شرق. 107.

(ل)

اللاذقية تقع في سوريا. 38.

(م)

المجر (Magyars أو هنغاريا (Hongrie): هي دولة أوروبية تقع في حوض الكاربات في

وسط أوروبا. 102-94-88.

مرسيليا (Marseille) تقع على الساحل الجنوبي لفرنسا. 205.

مرعش (Marache) مدينة مرعش أو قهرمان هي مدينة تركية. 201-111.

مرمرة (بحر داخلي يربط البحر الأسود ببحر إيجه. 158-90-72-48-45.

مصر يقع جزء من الجمهوريّة في قارة أفريقيا وجزء في قارة آسيا. 12-36-38-40- -114-117-121-

130-140-158-183-187-189-207-209-223-225-226-231-232-233-234-

235-236-239-240-241-242-243-244-245-249-252-253-254-257-258-
2589-263-272.

مصيف هي مدينة سورية. 118.

المصيصة (Mamistra) تقع على نهر جيحان بالقرب من مدينة أضنة التركية. 109.

معرة النعمان تقع جنوبي إدلب في سوريا. 117 - 118-196.

مقدونية (Macédoine) دولة أوروبية. 96.

مكة تقع مكة المكرمة غرب المملكة العربية السعودية. 8-258.

ملازكرت (Manzikert) تقع في محافظة موس التركية. 11 - 48-65.

مونتريال (Montréal) تقع في كندا، 162.

الموصل (تقع مدينة الموصل في الشمال الغربي من دولة العراق. 109-113-155-159-213-221.

(ن)

نابلس تقع مدينة نابلس في فلسطين. 138-185-

نرويج (Norvège) تقع في أوروبا. 165-169.

نوبة تقع في جنوب مصر. 226-260.

نورمندي (Normandie) إحدى المناطق الإدارية في شمالي فرنسا. 69-120.

نيش (Nish) مدينة في صربيا 89.

نيقية (Nicaea) تقع على ساحل الأناضول الغربي عند بحر مرمرة. 49-72-104-108-

نيقوميديا (Nicomédie) تقع في تركيا. 65-99-103.

(ي)

يافا تقع مدينة يافا في فلسطين. 122-124-144-150-151-165-166-169.

فهرس المحتويات

03.....	كلمة شكر
04.....	الإهداء
05.....	الرموز والمختصرات
06.....	مقدمة
الفصل الأول : أوضاع المشرق الإسلامي وأوضاع الشرق البيزنطي وأربا المسيحية في القرن 5هـ / 11.....	
28.....	
30.....	1)- أوضاع المشرق الإسلامي قبل الحملة الصليبية الأولى:
32.....	ا- أوضاع الخلافة العباسية في بغداد
37.....	ب- أوضاع الخلافة الفاطمية في مصر
46.....	ج- أوضاع الأتراك السلاجقة
52.....	2)- أوضاع الإمبراطورية البيزنطية وارويا المسيحية قبل الحملة الصليبية الأولى
48.....	أ- أوضاع الإمبراطورية البيزنطية قبل الحملة الصليبية لأولى
62.....	ب- أوضاع الغرب الأوروبي اللاتيني مع نهاية القرن 11م
73.....	ج- الدعوة للحرب الصليبية
الفصل الثاني: الحملة الصليبية الأولى وتأسيس المملكة الصليبية في المشرق سنة	
84.....	(1100م).....
86.....	1) -سير الحملة الصليبية الأولى وتأسيس الإمارات الصليبية
86.....	أ- دعوة بطرس الناسك و الحملة الشعبية ومصيرها (والموقف البيزنطي منها)

- ب- تجمع القوات النظامية في القسطنطينية.....91
- ج- موقف الإمبراطور البيزنطي من القادة الصليبيين.....93
- (2)- سقوط بيت المقدس في يد اللاتين 492هـ/1099م.....102
- ا- تأسيس الإمارات الصليبية.....102
- ب- سقوط بيت المقدس.....115
- ج- الصراع على حطم بيت المقدس وتأسيس مملكة صليبية فيه سنة 1100م.....136
- 1- الصراع بين الصليبيين على حكم بيت المقدس.....136
- 2- اعتلاء قودفروا دوبروا عرش بيت المقدس وأعماله.....139
- 3- تنصيب بلدوين الأول ملكا على بيت المقدس.....144
- الفصل الثالث: المملكة الصليبية في بيت المقدس زمن ملوكه اللاتين (493-**
- 145.....(577هـ/1100-1187م)
- (1)- المملكة المسيحية في الفترة الأولى من الحكم الصليبي (فترة القوة من 1100م إلى 1131م.....147
- أ- أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية عهد الملك بلدوين الأول(1100م-1118م).....144
- ب- أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية عهد بلدوين الثاني(1118م-1131م).....172
- (م).....172
- (2)- المملكة الصليبية في الفترة الثانية من الحكم الصليبي (فترة الضعف 1131م-1187م).....176

أ- أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية عهد فولك الإنجوى إلى عهد بلدوين الثالث (1131م-1162م).....	180
ب- أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية عهد عموري الأول إلى عهد ابنه بلدوين الرابع (1162م-1184م).....	186
ج- أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية من وفاة بلدوين الرابع إلى معركة حطين.....	191
الفصل الرابع: الصراع الصليبي الإسلامي واسترجاع المسلمين لبيت المقدس.....	210
1- اختلال التوازن بين القوى الصليبية والقوى الإسلامية في المشرق.....	212
أ- نهضة آل زنكي (بدايةً من استرجاع إمارة الروها).....	212
ب- مشروع نور الدين محمود لتحرير بيت المقدس.....	222
ج- صلاح الدين الأيوبي وقيام الدولة الأيوبية.....	227
2- تحرير بيت المقدس من طرف صلاح الدين الأيوبي.....	243
أ- توحيد صلاح الدين الأيوبي مصر والشام.....	244
ب- فتح الساحل الفلسطيني من طرف صلاح الدين الأيوبي.....	258
ج- تحرير بيت المقدس من طرف صلاح الدين الأيوبي.....	265
خاتمة.....	271
ملاحق.....	277
قائمة المصادر والمراجع.....	288
فهارس.....	316
فهرس الأعلام.....	317
فهرس الأماكن.....	329

